

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام بالرياض

الدراسات العليا

قسم الدعوة والاحتساب



غزوة تبوك

دراسة دعوية

إعداد الطالبة

فاطمة بنت علي بن محمد الحوالي

إشراف الدكتور

محي الدين عفيفي أحمد

استاذ مشارك

في قسم الدعوة والاحتساب

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فإن خير ما يتدارسه المسلمون ويعنى به الباحثون بعد القرآن الكريم والحديث الشريف هو دراسة سيرة الرسول ﷺ ومغازيه لما تتضمنه من العبر وكنوز الحكم ولهذا كان السلف الصالح يدركون ما لسيرة خاتم الأنبياء من آثار حسنة في تربية النشء وإعداد الأجيال وقد قال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه « كنا نُعلم مغازي رسول الله كما نُعلم السورة من القرآن »^(١) لأنها النموذج العملي لما ينبغي أن يكونوا عليه في سلوكهم وأفعالهم . قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾^(٢).

حيث تقدم لنا النموذج الرائع للإنسان الداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والبازل منتهى الطاقة في سبيل إبلاغ رسالته ، ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق وحكمة بالغة ، وللقائد الحربي الماهر ، وللسياسي الصادق المحنك ، وللمسلم العابد المخلص . وفي دراسة مغازي رسول الله ما يعين الداعية على فهم كتاب الله تعالى ، وتدوق روحه ومقاصده ، إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها .

كما يتوافر لدى الداعية من خلال دراسته لهذه المغازي أكبر قدر ممكن من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة ، سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق . كما أن من يقرأ في المغازي ويعيش في رحابها ، ويغوص في أعماقها ، يتجدد نشاطه وتزداد همته للجهاد في سبيل الله ، لنشر الدعوة الإسلامية لا سيما وأن الجهاد في سبيل الله

(١) محمد رسول الله . محمد رضا ، ص : ١٥١ ، دار الحكمة ، بيروت .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : (٢١) .

وسيلة لمنع الصادّين أمام مواصلة الدعوة وحماية المسلمين من الأعداء أو الاعتداء عليهم .

وقد ساعدت مغازي رسول الله في انتشار الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية حتى وصلت إلى أطراف الشام عندما استنفر الرسول ﷺ أصحابه إلى تبوك . في سنة تسع من الهجرة^(١) .

قال تعالى : { اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون }^(٢) ، حيث كانت غزوة تبوك افتتاحية للغزوات الخارجية ، انتصر فيها رسول الله ﷺ انتصاراً مؤزراً بدون قتال كما كانت خاتمة لغزوات الرسول ﷺ وصدق وعد الله : { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون }^(٣) .

وقد اخترت غزوة تبوك لتكون موضوع دراستي الدعوية لنيل درجة الماجستير — إن شاء الله — ليس لمجرد الوقوف على الوقائع التاريخية فقط ، ولا لسرد ما أجمل فيها من الأحداث ، بل للوقوف على أحداث ووقائع الغزوة لاستنباط ما فيها من الدروس والعبر والفوائد الدعوية وبيان كيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر .

(١) خاتم النبیین ، محمد أبو زهرة : (٣ / ٥٩١) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٣ م .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٤١) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٣٣) .

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث :

عنوان البحث هو : غزوة تبوك .. دراسة دعوية .

١ — غزوة في اللغة :

- "غَزَا غَزْوًا وَاغْزَا غَزَاً وَغَزَاةً الْعَدُو : سار إلى قتاله وانتهابه في بلاده ، فهو غَازٍ وجمعه غُزَيٌّ وَغُزِيٌّ وَغُزَاءٌ وَغُزَاةٌ . قال تعالى : { أَوْ كَانُوا غُزَيًّا } (١) .
- "والاسم الغَزَاة ، واسم الجمع غُزَيٌّ . والأنثى غَازِيَةٌ ، والجماعة غَازِيَةٌ" (٢) .
- "والمَغَازِي : مناقب الغَزَاة .
- والمَغْزَى والمَغْزَاة والمَغَازِي : موضع الغزوة . وتكون للغزوة نفسه" (٣) .
- "وأغْزَاهُ : جهزه للغزو وحمله عليه" (٤) .
- "وإذا قِيلَ غَزَاةٌ فَهُوَ عَمَلٌ سَنَةٌ ، وَإِذَا قِيلَ غَزْوَةٌ فَهِيَ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْغَزْوِ ، وَلَا يَطْرُدُ هَذَا الْأَصْلُ" (٥) .
- "والمُغْزِيَّةُ : المرأة التي غزا زوجها .
- "والمُغْزِيَّةُ مِنَ النُّوقِ : التي جاوزت السنة ولم تلد" (٦) .
- "والمَغْزَى مِنَ الْكَلَامِ : المقصد منه" (٧) .
- إذن الغزو : هو السير إلى قتال العدو من أجل نشر الإسلام في أرض الله المعمورة .

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٥٦) .

(٢) معن اللغة ، أحمد رضا (٤ / ٢٩٢) ، مادة غزو ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٣) المرجع السابق (٤ / ٢٩٣) .

(٤) القاموس المحيظ ، الفيروز أبادي ، ص : ١٦٩٨ ، مادة غزا ، فصل الغين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م .

(٥) لسان العرب ، ابن منظور (١٥ / ١٢٣) ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م .

(٦) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، الجوهري : (٦ / ٢٤٤٦) مادة غزا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .

(٧) معن اللغة (٤ / ٢٩٣) .

٢- تبوك في اللغة :

- "بُوك : ناقة بائكة ؛ سمينة خيار فتيّة حسنة ، والجمع البوائك .
- وبأكت الناقة تُبوك بُوكاً : سمّنت ، البائك والفاسج : الناقة العظيمة السنم ، والجمع البوائك الثابتة في مكائها يعني النخل .
- والبُوك : تثوير الماء .
- والبُوك : تدوير البندقية بين راحتيك .
- والبُوك : البيع ، وباك إذا اشترى ، وباك : إذا باع ، والبُوك : الشراء .
- والبُوك : إدخال القدح في النصل " (١) .
- "وباك القوم رأيهم بُوكاً : اختلط عليهم فلم يجدوا له مخرجاً .
- ولقيته أول بُوك : أي أول مرة . وبُوك : أي أول كل شيء .
- والتسبُوكي : عنب طائفي أبيض ، قليل الماء عظام الحب ، وكأنه نسب إليها ، أي أرض تبوك . (٢) قال الزبيدي (٣) — رحمه الله — : تبوك ، أرض بين الشام والمدينة ، وفي العباب بين وادي القرى والشام ، وإليها نسبت غزوة من غزواته ﷺ ، واختلف في وزنها ووجه تسميتها . قال الأزهري (٤) — رحمه الله — : " فإن كانت التاء في بُوك أصلية فلا أدري ممّ اشتقاق بُوك ، وإن كانت التاء للتأنيث في المضارع فهي من بأكت بُوك . ثم قال : وقد

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي : (١١٣ / ٧) ، مادة باك ، باب : الكاف ، فصل الباء ، بتصرف يسير ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

(٢) المرجع السابق : (١١٣ / ٧) .

(٣) الزبيدي : عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد أبو عبد الله الشرحي اليمني الزبيدي ، من العلماء بالعربية ولد بالشرحة ، وسكن زبيداً ومات ١٤٠ هـ . له شرح ملحمة الإعراب ومقدمة في علم النحو ونظم مقدمة ابن بابشاد وأرجوزة في ألف بيت . انظر ، الأعلام : (١٨١ / ٤) .

(٤) الأزهري : خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري ، زين الدين ، وكان يعرف بالوقاد . نحوي ، من أهل مصر . ولد بجرحا (من صعيد مصر) ، ونشأ وعاش في القاهرة . وتوفي عائداً من الحج قبل أن يدخلها . له المقدمة الأزهرية في علم العربية ، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، وشرح الردة ، والتصريح بمضمون التوضيح في شرح أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك . وغير ذلك . انظر ، الأعلام : (٣٣٩ / ٢) .

يكون تبوك على تفعلول" (١) (٢).

قال ابن حجر (٣) — رحمه الله: "تبوك المشهور فيها عدم الصرف ، للتأنيث والعلمية، ومن صرفها ، أراد الموضع ، ووقعت تسميتها بذلك في الأحاديث الصحيحة منها" (٤): الحديث الذي رواه معاذ بن جبل — رضي الله عنه — عنه أن النبي ﷺ قال: "إنكم ستأتون غداً — إن شاء الله — عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتية" (٥) (٦).

(١) معجم البلدان : (٢ / ١٢٤) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

(٢) وقد أصبحت اليوم ، مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية ، تعرف (بمحافظة تبوك) ، وهي تبعد عن المدينة شمالاً (٧٧٨) كيلاً ، على طريق معبدة تمر بخيبر وتيماء ، وقد مرت بها سكة حديد الحجاز سنة ١٣١٢هـ — ، وهي سكة عطلت إبان الثورة العربية الكبرى ، وما زالت معطلة . انظر ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية عاتق بن غيث البلادي ، ص : ٥٩ ، دار مكة ، ط ١ — ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢ م .

(٣) ابن حجر : هو أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، وهو من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة . ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرها لسماح الشيخ ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره ، وكان فصيح اللسان ، الراوية للشعر ، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين ، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل ، أما تصانيفه فكثيرة جليلة ، منها : لسان الميزان ، وتهذيب التهذيب ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام ، وغيرها . انظر ، الأعلام : (١ / ١٧٨) .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني : (٧ / ٧١٤) ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .

(٥) صحيح مسلم للإمام مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : في معجزات النبي ﷺ (٤ / ١٤٢٥) ، حديث رقم : (٧٠٦) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ١٤٠٦هـ — ١٩٩٥ م .

(٦) قال القرطبي — رحمه الله — في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٢٨٠) : "إنما قيل لها غزوة تبوك ؛ لأن النبي ﷺ رأى قوماً من أصحابه يبوكون حسي تبوك ، أي يدخلون فيه القدح ، ويحركونه ليخرج الماء ، فقال : ما زلتم تبوكوها بوكاً ، فسميت تلك الغزوة ، غزوة تبوك ، قاله الجوهرى .

وقال الشيخ عبد القادر السندي في كتابه "الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك" ، ص : ٤١ ، : لو صح عن رسول الله ﷺ ما أخرجته مسلم وأحمد ومالك في الموطأ ، أنه قد سماها تبوك قبيل أن يأتيها أحد فلا وجه لقول ابن قتبية في تسمية الغزوة بتبوك بناء على هذا الحديث ، وآيد هذا القول أيضاً د . مسعد بن عيد العطوي في كتابه : تبوك قديماً وحديثاً ، ص : ١٣ — ١٤ .

٣- دراسة في اللغة :

- "دَرَسَ دَرَسًا الرَّسْمَ : عفا ، وَدَرَسَتْهُ الرِّيحُ دَرَسًا : تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ فَمَحَتْهُ .
- وَالرَّسْمُ دَارِسٌ وَالرَّسْمُ دَوَارِسٌ وَأُدْرَاسٌ ، وَدَرَسَهُ الْقَوْمُ : عَفَوْا أَثْرَهُ .
- وَدَرَسَ الدَّارَ مَعْنَاهُ : بَقِيَ أَثْرُهَا ، وَبَقَاءُ الْأَثْرِ يَقْتَضِي انْمِحَاءَهُ فِي نَفْسِهِ .
- فَلِلذَلِكَ فَسَّرَ الدَّرْسَ بِالانْمِحَاءِ" (١) .
- "وَدَرَسَ الثَّوْبَ دَرَسًا : أَي أَخْلَقَ ، وَالدَّرْسَانُ : الْخَلْقَانُ مِنَ الثَّوْبِ .
- وَاحِدَهُمَا دَرَسٌ ، وَقَدْ يَقَعُ عَلَى السِّيفِ وَالْمَغْفَرِ ، وَدَرَسُوا الْخِنْطَةَ دِرَاسًا : أَي دَاسَوْهَا" (٢) .
- "وَدَرَسَ النَّاقَةُ يَدْرُسُهَا دَرَسًا : رَاضِيهَا" (٣) .
- "وَدَرَسَ الْبَعِيرُ يَدْرُسُ دَرَسًا : حَرَبٌ جَرَبًا قَلِيلًا ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْجَرَبِ : الدَّرْسُ" (٤) .
- "وَدَرَسَ الْكِتَابَ لِلْحِفْظِ : كَرَّرَ كِتَابَتَهُ دَرَسًا وَدِرَاسَةً وَدَرَسَ غَيْرَهُ .
- وَدَرَسْتُ الْكِتَابَ مُدَارَسَةً ، وَتَدَارَسُوهُ حَتَّى حَفِظْتَهُ" (٥) .
- "وَدَرَسَ الْكِتَابَ وَدَرَسْتُ الْعِلْمَ تَنَاوَلْتُ أَثْرَهُ بِالْحِفْظِ ، وَلَمَّا كَانَ تَنَاوُلَ ذَلِكَ بِمَدَاوِمَةِ الْقِرَاءَةِ عُبِّرَ عَنِ إِدَامَةِ الْقِرَاءَةِ بِالدَّرْسِ" (٦) . قَالَ تَعَالَى : { وَدَرَسُوا مَا فِيهِ } (٧) .
- وَقَالَ : { بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ } (٨) .
- وَقَالَ : { وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يُدْرُسُونَهَا } (٩) .
- وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ } (١٠) .

(١) معجم من اللغة (٢ / ٤٠٠) مادة درس .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص : ١٦٧ ، مادة درس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(٣) لسان العرب (١٤ / ٧٩) ، مادة درس .

(٤) غراس الأساس ، ابن حجر ، ص : ١٣٩ ، مادة درس ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م .

(٥) المرجع السابق ، ص : ١٣٩ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ، ص : ١٦٧ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : (١٦٩) .

(٨) سورة آل عمران ، الآية : (٧٩) .

(٩) سورة سبأ ، الآية : (٤٤) .

(١٠) سورة الأنعام ، الآية : (١٠٥) .

- "وقد قُرئَ بهما : ويقولوا دَرَسْتَ ، ويقولوا دَارَسْتَ ، وقيل : دَرَسْتُ ؛ قرأت
- كتب أهل الكتاب ، ودارست : ذاكرتهم .
- وقُرئَ : دَرَسْتَ ودَرُسْتَ : أي هذه أخبار قد عفت وانمحت .
- ودَرَسْتَ : أشد مبالغة" (١) .
- "والدَّرَسُ : الطريق الخفي ، ما يُلقِيه المعلم على المتعلم في مدارس العلم" (٢) .
- "والدَّرَسَهَ : الرياضة ، ومنه درست السورة ، أي حفظتها .
- المِدْرَسُ : موضع الدرس .
- المِدرَسَة : مكان التدريس والدَّرَسُ ، وجمعه مَدَارِسُ .
- المِدرَاسُ : البيت الذي يدرسون فيه ، وهو المِدرَسَة : كنيسة اليهود ، وجمعه مِدرَاسُ ، وصاحب دراسة كتب اليهود . والمدرس : الكتاب .
- والمُدَارِسُ : الذي قرأ الكتب ودرسها ، وقيل : المُدَارِسُ الذي قارف الذنوب وتلطَّخ بها ، من الدَّرَسِ وهو الجرب" (٣) .
- إذن : دراسة أي موضوع ما : تكون بمداومة القراءة وتكرار النظر إليه وتناول أثره بالحفظ لتعلم ما فيه .

٤ - دعوية :

أي في علم الدعوة بالذات دون غيره من العلوم الأخرى ، وأصل كلمة دعوة في اللغة تحوي عدة معان :

- "دَعَاهُ دُعَاءً ودَعَوَى إلى الشيء : رَغِبَ فيه وَقَرَّبَ إليه .
- ودَعَا دُعَاءً له : طلب له الخير . ندبه كأنه ناداه . ودَعَا عليه : طلب له الشر .
- ودَعَا زَيْدًا أو بزيد : سَمَاهُ .
- ودَعَاهُ إلى كذا : ساقه .

(١) لسان العرب (١٤ / ٧٩) .

(٢) معجم متن اللغة (٢ / ٤٠٠) .

(٣) لسان العرب (١٤ / ٨٠) بتصرف .

- ودَعَاهُ : ناداه وصاح به .
- ودَعَا المِيتَ : ندبه كأنه ناداه .
- ودَعَا زَيْدًا أو بَرِيدًا : سَمَّاهُ .
- ودَعَا اللهُ فُلَانًا بِمَكْرُوهِه : أنزل به^(١) .
- "والدَّعْوَى : اسم لما يَدْعُوهِ ، وأدْعَى الشيء : زعمه له حقاً كان أو باطلاً .
- وأدْعَى فُلَانٌ في الحرب : اعتزى وافتخر ، وهو أن يقول أنا فُلَانٌ بن فُلَانٍ ؛ لأنهم يَتَدَاعَوْنَ بِأَسْمَائِهِمْ .
- والدَّعِي : من تَبَيَّنَتْه^(٢) . قال تعالى : { وما جعل أدعياءكم أبناءكم }^(٣) .
- "ويقال لِبْنِي فُلَانٍ الدَّعْوَةُ على غيرهم : أي يُبْدَأُ بهم في الدُّعَاءِ إلى الأَعْطِيَاءِ"^(٤) .
- "والدَّعْوَةُ إلى الطَّعَامِ بالفتح ، يقال : كُنَّا في دَعْوَةِ فُلَانٍ ومدعاة فُلَانٍ ، وهو مصدر يريد الدُّعَاءَ إلى الطَّعَامِ"^(٥) .
- "وَأندَعَى فُلَانٌ : أجاب الدعوة .
- والدَّاعِيَةُ : الدَّاعِي ، وهو مصدر كالعاقبة ، والعافية ، أي صرِيخ الخيل في الحرب .
- ودَاعِيَةُ اللَّبَنِ ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده"^(٦) . "والنبي ﷺ داعي الله .
- "والنبي ﷺ داعي الله . قال تعالى : { وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً }^(٧) . معناه دَاعِيًا إلى توحيد الله وما يقرب منه .
- والدُّعَاةُ : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داعٍ .
- ورجل دَّاعِيَةٌ : إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة

(١) معجم متن اللغة (٢ / ٤١٩) . بتصرف . مادة دعا .

(٢) الصحاح (٦ / ٢٣٣٦) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : (٤) .

(٤) معجم متن اللغة (٢ / ٤١٩) .

(٥) الصحاح (٦ / ٢٣٣٦) .

(٦) معجم متن اللغة (٢ / ٤٢٠) .

(٧) سورة الأحزاب ، الآية : (٤٦) .

والنبي ﷺ داعي الله ، وكذلك المؤذن^(١).

- قال الله عز وجل محيراً عن الجن الذين استمعوا القرآن : { يا قومنا أجبوا داعي الله }^(٢).
- "ودعاه إلى الدين وإلى المذهب : حثه على اعتقاده وساقه إليه"^(٣).
- "وفي كتابه ﷺ إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » ، أي بدعوته .
- وهي كلمة الشهادة التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة ، وفي رواية : بدعاية الإسلام"^(٤).

الدعوة في الاصطلاح :

إذا نظرنا إلى معنى الدعوة في الاصطلاح نجد أنها ترد بمعنيين :

المعنى الأول :

"أن الدعوة بمعنى الدين إذا أطلقت لا يراد منها إلا الإسلام بتعاليمه ، وهو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحياً على رسوله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية"^(٥).

المعنى الثاني :

"الدعوة بمعنى النشر والبلاغ ، وقد صارت علماً مستقلاً له موضوعه وخصائصه وأهدافه ، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية ، يفيدها ويُستفيد منها ويشاركها في إفادة الإسلام ، يرسم منهجي يكفل له الانتشار والذُيوع ، وبالتالي فإن كلمة الدَّعوة من

(١) لسان العرب (١٤ / ٢٥٩) .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : (٣١) .

(٣) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (١ / ٢٨٦) ، مادة دعا ، الطبعة الثانية ، مصر .

(٤) لسان العرب (١٤ / ٢٥٩) .

(٥) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، د . أحمد غلوش ، ص : ١٠ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثانية :

الألفاظ المشتركة التي تُطلق على الإسلام ، وعلى عملية نشره بين الناس وسياق إيرادها هو الذي يُحدّد المعنى المراد " (١) .

وبالتالي يمكن تعريف الدعوة بهذا المعنى على أنها :

العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " (٢) .

وقد عرفت أيضاً بأنها : " تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إيّاهم وتطبيقه في واقع الحياة . ولفظ الدّعوة إذا أُطلق ينصرف عُرفاً إلى الدّعوة إلى الإسلام ، وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنيّة ، والأحاديث النبويّة " (٣) .

إذاً : المقصود بالدّراسة الدعوية لغزوة تبوك :

دراسة أحداث هذه الغزوة وتأمّلها ، لاستنباط الدّروس الدعويّة ، ومحاولة ربطها بواقع الدّعوة الإسلاميّة في العصر الحاضر .

(١) الدعوة الإسلاميّة، أصولها ووسائلها . ص : ١٠ .

(٢) المرجع السابق . ص : ١٠ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجية ، محمد أبو الفتح البيانوني ، ص : ١٧ - ١٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة : ١٤٠٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٢ - أهمية الموضوع :

في السنة التاسعة من الهجرة النبوية اتجه الرسول ﷺ إلى تبوك لنشر الدعوة الإسلامية. وقد ورد في القرآن الكريم ما يزيد على تسعين آية في سورة التوبة تتحدث عن غزوة تبوك بكل ما فيها من أحداث ودروس وعبر ، لأنها من الغزوات الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، وتنفرد غزوة تبوك عن كل غزوات الرسول ﷺ بخصائص وأمر تزيد في أهميتها وترفع من شأنها وتجعل لها مكانة خاصة أوضحها بما يلي :

أولاً :

جابه الرسول ﷺ هذه الغزوة الدولة الرومانية إحدى الدولتين العظميين في ذلك الحين.

ثانياً :

غزوة تبوك هي الغزوة الوحيدة التي لم يُور فيها الرسول ﷺ مثل غيرها من الغزوات لأنها من أشد الغزوات وطأة على النفوس حيث سار لها الرسول ﷺ مسافات طويلة في أرض قاحلة وقيظ شديد مع عسرة من الماء والظهر والنفقة . قال تعالى : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة }^(١).

ثالثاً :

في هذه الغزوة حدث تخلف عن النفير ومحاسبة ومعاقبة لمن تخلف وفي ذلك قال الله تعالى : { وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم }^(٢). وقال تعالى : { فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله }^(٣).

رابعاً :

برز النفاق في هذه الغزوة بروزاً قوياً فاق مثيله عن الغزوات الأخرى . قال تعالى : { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فطبطبهم وقيل اقموا مع القاعدین }^(٤).

(١) سورة التوبة ، آية : (١١٧) .

(٢) سورة التوبة ، آية : (١١٨) .

(٣) سورة التوبة ، آية : (٨١) .

(٤) سورة التوبة ، آية : (٤٦) .

خامساً :

وفي غزوة تبوك لم يحدث أي اصطدام بين الجيش الإسلامي والجيش الروماني المقصود بهذه الغزوة ، حيث انسحب من الحدود إلى أواسط الشام خوفاً من الاصطدام بجيش الإسلام .

سادساً :

كما كانت امتحاناً قاسياً في البذل والإنفاق والتصدق لتجهيز جيشها في كثافة وكثرة عدده، مما لم يعرف مثله في غزوة من الغزوات .

سابعاً :

كما استوعبت أكبر وأعظم جيش قاده رسول الله ﷺ في حياته المباركة ، ليري الكافرون خارج نطاق الجزيرة العربية قوة الإسلام والمسلمين .

ثامناً :

تعد هذه الغزوة نصراً عظيماً للمسلمين حيث تميزوا عن المنافقين وتطهرت قلوبهم من الضعف والخبث قال تعالى : { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم } (١) .

تاسعاً :

آمن المسلمون بهذه الغزوة حدودهم مع الدولة الرومانية ، وأخضعوا الإمارات التابعة لها للصلح ودفع الجزية .

عاشراً :

أبرزت سمات المجتمع الإسلامي وما يتحلى به من متانة بنائه وتضامن أفرادهِ وطاعته للأوامر .

إحدى عشر :

أقبلت وفود العرب بعد هذه الغزوة تتابع إلى الرسول ﷺ بكثرة بلغت القمة .

(١) سورة التوبة ، آية : (١٠٣) .

أسباب اختيار الموضوع :

- ١ — إن دراسة السيرة النبوية لها أهمية خاصة إذ هي الفترة من الزمن التي أمرنا بالتأسي بها ، وهي فترة خصبة بمعطياتها الحية حيث عاشها المسلمون حول رسول الله ﷺ مجاهدين في سبيل عقيدتهم ، ومن ثم كان وضوح النشاط الدعوى فيها أكثر من غيره وتسلط الأضواء على تلك الأنشطة من أهم أغراض البحث الدعوى .
- ٢ — رغبة مئني في قراءة كتب المغازي والسير للاستزادة من معينها الذي لا ينضب ، والإسهام بهذا الجهد المتواضع في مجال الدعوة الإسلامية .
- ٣ — أن ما نزل من الآيات في شأن هذه الغزوة كان أطول وأشد ما نزل من القرآن الكريم مقارنة بالغزوات الأخرى .
- ٤ — كون هذه الغزوة لم تفرد بدراسة دعوية متخصصة في بحث مستقل .
- ٥ — بيان بعض الصعوبات التي واجهت المصطفى ﷺ وصحابته الكرام في الغزوة لنشر الدعوة الإسلامية .
- ٦ — حاجة الدعاة إلى معرفة ما تضمنته هذه الغزوة من دروس وعبر ، للإفادة منها في مجال الدعوة إلى الله في العصر الحاضر .

كل هذه الأسباب تجعلني على يقين بأن هذه الغزوة كانت درساً تاريخياً للمسلمين زاخراً بالدروس والفوائد الدعوية .

٣ — الدراسات السابقة :

أولاً : الدراسات الجامعية :

- ١ — غزوة تبوك في القرآن الكريم^(١) ، دراسة موضوعية .
وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ،
والدراسة مكونة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وهي كالتالي :
الفصل الأول : الجهاد في القرآن الكريم .

(١) الرسالة للباحث : عبدالوهاب أحمد المصري — كلية الشريعة — قسم الشريعة — الجامعة الأردنية .

- الفصل الثاني : دراسة لآيات غزوة تبوك .
الفصل الثالث : دراسة تحليلية للآيات .
الفصل الرابع : أحداث الغزوة التي أوردتها الآيات .

وهذه الدراسة المقدمة إلى قسم الشريعة عبارة عن دراسة تحليلية لغزوة تبوك في القرآن الكريم ، أما موضوعي فيدرس الغزوة دراسة دعوية مع كيفية إفادة الدعوة والدعاة منها في العصر الحاضر .

٢ — حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ (١)

وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه . والرسالة مكونة من مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة وهي في حدود ٧٢٥ صفحة تقريباً ، تناول فيها الباحث غزوة تبوك في الباب التاسع تحت عنوان حديث القرآن عن غزوة تبوك ، وعدد صفحات الباب ٩٧ صفحة تقريباً . ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول : حديث القرآن الكريم عن غزوة تبوك وتفسير الآيات الواردة فيها ويحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث، وهي كالتالي :

المبحث الأول : سبب غزوة تبوك .

المبحث الثاني : حديث القرآن عن موقف المؤمنين الصادقين .

المبحث الثالث : حديث القرآن عن موقف المنافقين في غزوة تبوك .

المبحث الرابع : حديث القرآن عن المخلفين عن غزوة تبوك .

الفصل الثاني : منهج القرآن الكريم في عرضه لغزوة تبوك :

ويحتوي على أهم معالم هذا المنهج مع التلخيص لأهم معالم المنهج وقد قسم الباحث الآيات الواردة في غزوة تبوك حسب موضوعها إلى فصلين ، ثم قام بتفسير هذه الآيات ، والرسالة عبارة عن دراسة تفسيرية لغزوات الرسول ﷺ ، ولا شك أن استفادتي من هذه الدراسة تلخص في معرفة الآيات التي تحدثت عن غزوة تبوك وما شملته من تفسير وهذه

(١) الرسالة للباحث : د . محمد بن بكر آل عابد ، كلية الدراسات العليا ، قسم التفسير ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

الدراسة تختلف عن دراسي الدعوة التي تعتمد على استنباط الدروس الدعوية من الغزوة مع كيفية الإفادة منها في العصر الحاضر .

٣ — الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك^(١) دراسة نقدية وتخريرية . وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير . والرسالة تحتوي على مقدمة وثلاثة وسبعين فصلاً وخاتمة وهي في حدود ٥١٥ صفحة تقريباً . وفصول هذه الغزوة عبارة عن مائة وعشرين حادثة متنوعة وقعت في غزوة تبوك وقد حقق الباحث منها ثلاثاً وسبعين حادثة على طريق الحديثين عن طريق الإسناد ، وتشمل هذه الدراسة الحوادث التي جرت على يد رسول الله ﷺ منذ خروجه من المدينة وحتى رجوعه إليها ، والرسالة عبارة عن دراسة نقدية وتخريرية لروايات غزوة تبوك . واستفادتي من هذه الرسالة إن شاء الله تركز في معرفة روايات غزوة تبوك مدى صحتها وضعفها ومعرفة تخريرها . وهي تختلف عن دراسي الدعوة التي تنقسم إلى فصول ومباحث مستقلة تناول الدروس الدعوية من أحداث الغزوة .

ثانياً : التراكمات العلمية :

- ١ — خاتم النبيين^(٢) .
- ٢ — السيرة النبوية^(٣) .
- ٣ — السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة^(٤) .
- ٤ — السيرة النبوية ، دروس وعبر^(٥) .
- ٥ — صحيح السيرة النبوية^(٦) .

(١) الرسالة للباحث : عبد القادر بن حبيب الله السندي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الشرعية ، جامعة أم القرى ، نشر مكتبة المعلا ، الكويت ١٤٠٦هـ .

(٢) محمد أبو زهرة ، ج ٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ١ : ١٩٧٣م .

(٣) أبو الحسن الندوي ، إدارة أحياء التراث الإسلامي ، مصر : ١٤٠٧هـ .

(٤) محمد أبو شهبة ، ج : ٢ ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ : ١٤١٥م .

(٥) د . مصطفى السباعي ، ج ٢ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .

(٦) إبراهيم العلي ، دار النفائس ، الأردن ، ط ١ : ١٤١٦هـ .

- ٦ — فقه السيرة النبوية^(١).
- ٧ — فقه السيرة النبوية^(٢).
- ٨ — غزوة تبوك^(٣).
- ٩ — تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك^(٤).
- ١٠ — المخلفون وغزوة تبوك^(٥).

وتأتي أهمية هذه المؤلفات في تنوعها حيث كتب عن هذه الغزوة كثيرون من القدماء والمعاصرين وتفرقت في بطون الكتب ومن ثم سأقوم إن شاء الله بتتبع النصوص وجمع المعلومات التي تتعلق بأحداث الغزوة ثم تحليل تلك النصوص لاستنباط الدروس الدعوية وربطها بواقع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر قدر الإمكان ، وسأستفيد إن شاء الله من هذه الكتب بشكل عام في مجمل بحثي بما يتفق وطبيعة البحث .

وأما عن الفرق بين دراستي لغزوة تبوك والدراسات السابقة فتتضح كالتالي :

أن دراستي للغزوة هي دراسة دعوية متخصصة تعتمد على استنباط الدروس والفوائد الدعوية ، أما الدراسات السابقة فقد تناولت الغزوة من جانب الوصف والسرد التاريخي أو من الجانب الفقهي أو التفسيري أو الحديثي للغزوة .
وخلاصة القول عن الدراسات والكتابات السابقة أنني لم أجد بحثاً جامعياً أفرد لغزوة تبوك بشكل فصول ومباحث مستقلة في دراسة دعوية متخصصة .

٤ — المشكلة البحثية وتساؤلات البحث :

١ — المشكلة البحثية :

أظهرت كتب السنة والسيرة النبوية ما تميزت به هذه الغزوة عن غيرها من غزوات

(١) محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، ط ٧ : ١٩٧٦ م .

(٢) منير محمد الغضبان ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ط ١ : ١٤١٠ هـ .

(٣) محمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، الطبعة الأولى .

(٤) د . زيد بن عبد الكريم الزيد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ : ١٤١٠ هـ .

(٥) نذير حسن عتمه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ١ : ١٤٠٣ هـ .

المصطفى ﷺ ؛ من حيث المكان والأسباب والأحداث وما واجهه المسلمون خلالها من مشاق وعقبات مما تشير إلى أهمية دراسة هذه الغزوة دراسة تحليلية دعوية ، ومعرفة الوسائل والأساليب التي استخدمها النبي ﷺ مع المدعويين ، وكيف كان منهجه ﷺ في تربية أصحابه وإعدادهم للقيام بمهمة الدعوة وتحمل أعبائها في حياته وبعد مماته ﷺ ، وكيفية إفادة الدعوة والدعاة في العصر الحاضر من هذه الغزوة وما فيها من دروس وعبر وفوائد دعوية لاحصرها .

تساؤلات البحث :

من أهم التساؤلات التي تطرحها الدراسة وتسعى الباحثة للإجابة عنها من خلال البحث ما يأتي :

- ١ — ما أسباب غزوة تبوك ؟ وما أحداثها ؟ وما نتائجها ؟ .
- ٢ — ما الدروس الدعوية المستفادة من غزوة تبوك في الجانب العقدي ؟ .
- ٣ — ما الدروس الدعوية المستفادة من الغزوة في الجانب التشريعي ؟ .
- ٤ — ما الدروس الدعوية المستفادة من الغزوة في الجانب الأخلاقي ؟ .
- ٥ — ما الدروس الدعوية المستفادة من الغزوة في كيفية إعداد الدعاة ؟ .
- ٦ — ما صفات الدعاة المستفادة من الغزوة ؟ .
- ٧ — كيف كانت مراعاة النبي ﷺ للمدعويين ؟ .
- ٨ — ما أثر التربية النبوية في المدعويين ؟ .
- ٩ — ما الوسائل الدعوية المستفادة من الغزوة ؟ .
- ١٠ — ما الأساليب الدعوية المستفادة من الغزوة ؟ .
- ١١ — ما الدروس المستفادة من غزوة تبوك في العصر الحاضر ؟ .

٥ — منهج البحث :

المنهج المستخدمة في هذا البحث كالاتي :

المنهج التاريخي :

"وهذا المنهج يعتمد الباحث فيه على الوثائق ونقدها وتحديد الحقائق التاريخية ، ثم يحاول الباحث بعد مرحلة التحليل هذه مرحلة أخرى هي التركيب حيث يتم التأليف بين

هذه الحقائق وتفسيرها وذلك كله من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية^(١).

المنهج التحليلي :

"ويعتمد هذا النوع على جمع المعلومات ، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها"^(٢).

وقد قمت في هذا البحث ببعض الأمور الهامة ، وهي على النحو التالي :

- ١ — عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها فذكرت اسم السورة ورقم الآية منها .
- ٢ — خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية . فما كان في الصحيحين اكتفي بتخريج الحديث منهما ، وما لم يكن من هذه الروايات في الصحيحين فإني أخرجه من السنن ، مثل سنن الترمذي وابن ماجه والمسند ثم انقل حكم المحقق على الحديث إن وجد.
- ٣ — العناية بتوثيق النقل أيا كان سواء أكان من المصادر القديمة أم من المراجع الحديثة ، والحرص على تعدد المصادر ما أمكن .
- ٤ — وإذا لم أجد الحدث التاريخي في مصادر السنة ، فإني أبحث عنه في كتب المغازي والسير ، مع الحرص على الابتعاد عن الروايات الضعيفة .
- ٥ — العناية بشرح بعض الألفاظ الغريبة أو الصعبة أو المصطلحات الواردة في البحث .
- ٦ — ترجمة بعض الأعلام الواردة في ثنايا البحث ، ماعدا الأنبياء والمرسلين .
- ٧ — عمل فهارس للرسالة وتشتمل على :

- فهرس للآيات القرآنية الكريمة .
- وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة .
- وفهرس للأعلام المترجم لهم .
- وفهرس للمصادر والمراجع .
- وفهرس للموضوعات .

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ، د . أحمد بدر ، ص : ١٨٢ ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ١٩٨٩ م .

(٢) مناهج البحوث وكتابتها ، د . يوسف مصطفى القاضي ، ص : ٨٩ ، باختصار ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠٤ هـ .

بالنسبة لمصادر جمع المعلومات لهذه الدراسة فإنها تتطلب تتبع النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب المغازي والسير بالإضافة إلى الكتابات المعاصرة .

٦ - تقسيم الدراسة :

المقدمة :

- التعريف بمصطلحات البحث .
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- المشكلة البحثية وتساؤلات البحث .
- منهج البحث .
- تقسيم الدراسة .

الفصل التمهيدي : غزوة تبوك : أسبابها - أحداثها - نتائجها .

- المبحث الأول : أسباب غزوة تبوك .
- المبحث الثاني : أحداث غزوة تبوك .
- المبحث الثالث : نتائج غزوة تبوك .

الفصل الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة .

- المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بالعبادة .
- المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع .
- المبحث الثالث : الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق .

الفصل الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة :

- المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة .
- المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة .

الفصل الثالث : الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعوين :

- المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين .
المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بأثر التربية النبوية في المدعوين .

الفصل الرابع : الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها :

- المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة .
المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة .

الفصل الخامس : الدروس المستفادة من غزوة تبوك في العصر الحاضر :

- المبحث الأول : الدروس التي تستفيد منها الدعوة في موضوعها ووسائلها وأساليبها .
المبحث الثاني : الدروس التي يستفيد منها الدعاة .
المبحث الثالث : الدروس التي يستفيد منها المدعوون .

الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس : وتشمل :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

الفصل التمهيدي

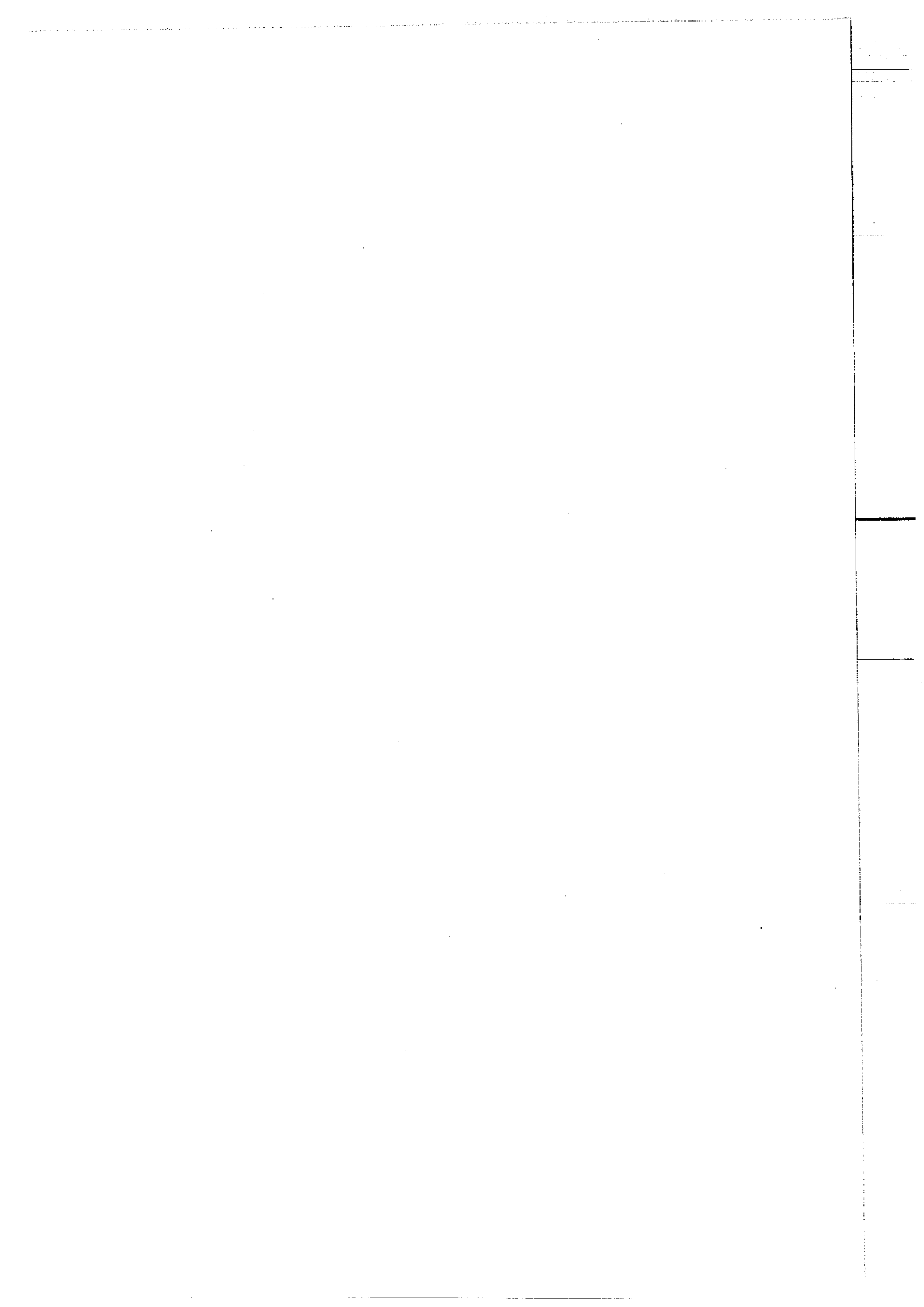
غزوة تبوك : أسبابها ، أحداثها ، نتائجها

- المبحث الأول : أسباب غزوة تبوك .**
- المبحث الثاني : أحداث غزوة تبوك .**
- المبحث الثالث : نتائج غزوة تبوك .**

Item	Description	Quantity	Unit Price	Total
1				
2				
3				
4				
5				
6				
7				
8				
9				
10				
11				
12				
13				
14				
15				
16				
17				
18				
19				
20				

المبحث الأول

أسباب غزوة تبوك



المبحث الأول

سبب غزوة تبوك

لقد حاول المؤرخون على عادتهم إيجاد سبب مباشر لغزوة تبوك ، وقد اختلفت هذه الأسباب وتعددت :

فقد حدث الواقدي^(١) — رحمه الله — عن رواته فقال : " كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم ؛ لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط^(٢) ، فقدمت قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه لحم^(٣) ، وجذام^(٤) وغسان^(٥) وعاملة^(٦) ، وزحفوا ، وقدموا مقدماهم إلى البلقاء^(٧) وعسكروا بها^(٨) . وكذا قال ابن سعد^(٩) — رحمه الله — وعلم المسلمون بخبرهم فخرجوا إلى تبوك .

- (١) الواقدي : هو محمد ابن عمر بن واقد الأسلمي ، الحافظ البحر ، وهو من أوعية العلم لكنه لا يتقن الحديث ، وهو رأس في المغازي والسير ، ويروي عن كل ضرب ، ولي قضاء بغداد ، وكان له رئاسة وجلالة وصورة عظيمه ، عاش ثمانياً وسبعين سنة ، مات سنة ٢٠٧هـ — ، انظر ، تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي : (١ / ٣٤٨) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، والأعلام ، خير الدين الزركلي : (٧ / ٢٠٠) ، ط ٣ ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .
- (٢) الأنباط : جمع نبطي ، نسبة إلى استنباط الماء ، واستخراجه ، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة في بلاد الشام ، ويقال إن النبط ينسبون إلى نبط بن هانئ بن أميم من الأوذ بن سام بن نوح . انظر ، فتح الباري : (٧ / ٧٢٦) .
- (٣) لحم : حي من جذام ، قال ابن سيده : لحم حي من اليمن ، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ، وهم أبناء عمرو بن عسدي بن نصر اللخمي ، قال أبو منصور : ملوك لحم كانوا قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر ، انظر ، لسان العرب : (١٢ / ٥٣) .
- (٤) جذام : قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى ، انظر ، المرجع السابق : (١٢ / ٨٩) .
- (٥) غسان : بفتح المعجمة وسين مهمله ثقيلة ، وهم من جملة ملوك اليمن سكنوا الشام ، انظر ، عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبي محمد محمود العيني : (١٨ / ٥٣) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- (٦) عاملة : هم حي متسع خرجوا من اليمن إلى الشام وأقاموا في جبل يعرف بجبل عاملة ، انظر ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة : (٢ / ٧١٤) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .
- (٧) البلقاء : إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهو الإقليم الذي تتوسطه مدينة عمان ، عاصمة الأردن ، انظر : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص : ٤٩ .
- (٨) المغازي : (٣ / ٩٩٠) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان . وانظر : الطبقات الكبرى (٢ / ١٦٥) ، دار صادر ، بيروت .
- (٩) ابن سعد : هو محمد بن سعد بن منيع الزهري ، مولاها ، أبو عبد الله ، مؤرخ ثقة ، من حفاظ الحديث ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، فتوفي بها ، وصحب الواقدي المؤرخ ، زماناً ، فكذب له وروى عنه ، وعُرف بكتابت الواقدي ، أشهر كتبه : طبقات الصحابة ، ألف من عدة أجزاء ، يعرف بطبقات ابن سعد . انظر ، الأعلام : (٧ / ٦) .

ثم علق الواقدي — رحمه الله — على هذه الرواية بأنها كانت مجرد إشاعات من الأنباط فقال : " ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه " (١) .

وذكر اليعقوبي (٢) — رحمه الله — : " أن الرسول ﷺ سار في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشام يطلب بدم جعفر بن أبي طالب (٣) ، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد " (٤) .

ورد عليه الشيخ عبد القادر السندي بقوله : " وليس عنده سند قائم يؤيد قوله — إنما ميله إلى التشيع هو الذي جعله — ينظر إلى هذه الحكاية بمنظاره الخاص ، وأنه ليس لغزوة تبوك سبب خاص " (٥) .

وقال ابن عساكر (٦) — رحمه الله — : " أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ،

(١) المغازي : (٣ / ٩٩٠) .

(٢) اليعقوبي : أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر ابن وهب بن واضح اليعقوبي ، مؤرخ جغرافي ، كثير الأسفار ، من أهل بغداد ، كان جده من موالى المنصور العباسي ، رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية ، ودخل الهند وزار الأقطار العربية ، وصنف كتب جيدة منها : تاريخ اليعقوبي ، وكتاب البلدان ، وأخبار الأمم السالفة ، ومشاكل الناس لزمامهم ، واختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقال ياقوت سنة ٢٨٤ ، ونقل غيره ٢٨٢ وقيل ٢٧٨ أو بعدها ، ورحلت أخيراً . انظر ، الأعلام : (١ / ٩٠ — ٩١) .

(٣) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله ، ابن عم النبي ﷺ ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأخو علي شقيقه ، هاجر إلى الحبشة فأسلم وكان جعفر — رضي الله عنه — من المهاجرين الأولين ، هاجر إلى أرض الحبشة ، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ، وأقام جعفر عنده ثم هاجر منها إلى المدينة ، فقدم النبي ﷺ بخيبر ، وكان خير الناس للمساكين ، (ولقب بذئ الجناحين لأنه قاتل حتى قطعت يده) . واستشهد بمؤته من أرض الحبشة مقبلاً غير مدبر ، مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة ثمان من الهجرة . انظر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني : (١ / ٨٥) ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م ، والاستيعاب : (١ / ٢٤٢) .

(٤) تاريخ اليعقوبي : (٢ / ٩٩) ، ليون ، بريل ، ١٩٦٩ م .

(٥) الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ، ص : ٦٤ ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .

(٦) ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن وهب الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي ، الإمام حافظ الكبير محدث الشام ، صاحب التصانيف والتاريخ الكبير ، ولد في أول سنة ٤٩٩ هـ ، وله مؤلفات عديدة ، كان كثير العلم غزير الفضل ، صحيح القراءة متناً ، رحل وثبت وبالغ في طلب العلم ، كان إمام المحدثين في وقته ، انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة ، توفي في حادي عشر من رجب سنة ٥٧١ هـ . انظر ، تذكرة الحفاظ ، م : ٤ . (٢ / ١٣٢٨ — ١٣٣٣) ، و الأعلام : (٦ / ٢١) .

فصدّق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك ، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة { وإن كادوا ليستزواك من الأرض ليجرؤك منها }^(١) . فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : منها محياك ومماتك ومنها تبعث^(٢) . وردّ على هذا القول ابن كثير^(٣) — رحمه الله — فقال : " وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود^(٤) .

ويرى ابن كثير — رحمه الله — أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد ، فقال : " وعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم ، لأنهم أقرب الناس إليه ، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرهم إلى الإسلام وأهله^(٥) . " ولكونهم أهل كتاب فالحجة عليهم أكثر وأكد ، ولأن بلادهم بلاد الأنبياء ، فاستنقاذهم منهم أوجب^(٦) ، " ولأن الروم كانوا سكان الشام يومئذ والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق^(٧) ، " ولأن اللقاء قد سبق معهم في مؤته فتعرفوا على الخصم وإمكاناته ، كما أن الابتداء بالأقرب أولى لوجوه كثيرة :
منها قلة النفقات ، والحاجة فيه إلى الدواب والآلات أقل ، وسهولة معرفة حال الأقرب ، الأسلحة والعسكر ولأن ترك الاشتغال بالأبعد لا يؤمن معه من هجوم على الذراري والضعفاء ومن ثم كان هذا هو الطريق المتبع في الدعوة والنفقات والصدقات^(٨) .

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٧٧) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، للإمام محمد بن مكرم ، المعروف بابن منظور (١ / ١٦٧ — ١٦٨) ، دار الفكر .

(٣) ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين ، حافظ مورخ فقيه ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، وانتقل مع أبيه إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ — ، ورحل في طلب العلم ، وتوفي بدمشق ، تناقل الناس تصانيفه في حياته ، من أهم كتبه : البداية والنهاية ، وتفسير القرآن الكريم ، والاجتهاد في طلب العلم ، وغيرها ، انظر ، الأعلام : (١ / ٣١٧ — ٣١٨) .

(٤) تفسير ابن كثير : (٣ / ٥٤) ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٥) البداية والنهاية : (٥ / ٢) ، مكتبة المعارف ، بيروت ، مكتبة النصر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٦٦ م .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد القرطبي : (٨ / ٢٧٠) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .

(٧) تفسير الطبري ، أبو جعفر الطبري : (٦ / ٥١٧) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(٨) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : (٤ / ٥٠) ، بتصرف ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٤ هـ —

ولذلك قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مَعَ الْمُتَّقِينَ }^(١).

وقال تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }^(٢).

وقد ذهب كثير من الباحثين والكتّاب المعاصرين إلى الأخذ بقول ابن كثير وأنه الصحيح والأقرب إلى الصواب^(٣).

فأمر الدعوة الإسلامية بدأ بالتدرّج الأقرب فالأقرب ، قال تعالى : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }^(٤).

وكذلك غزوات الرسول ﷺ وقعت بالتدرّج الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام . لقوله تعالى : { لَتَنْذِرْنَا أَمْ الْقُرَىٰ وَمِنْ حَوْلِهَا }^(٥).

وقد علّق ابن كثير - رحمه الله - على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مَعَ الْمُتَّقِينَ } . فقال : "أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلماً فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً شرع في قتال أهل الكتاب فتجهّز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل الكتاب ، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجذب البلاد وضيق الحال ، وذلك سنة تسع من

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٢٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٢٩) .

(٣) أمثال : الشيخ عبد القادر السندي في كتابه الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ، ص : ٦١٦ ، ود . محمد بن بكر آل عابد في كتابه حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ (٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩) ، ود . مهدي رزق الله أحمد في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة تحليلية ، ص : ٥١٦ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ود . أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية ، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢ / ٥٢٢) ، مكتبة العلوم والحكم .

(٤) سورة الشعراء ، الآية : (١٤) .

(٥) سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٩٢) .

هجرته — عليه السلام — ، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ، ثم عاجلته المنية — صلوات الله وسلامه عليه — بعد حجته بإحدى وثمانين يوماً ، فاختره الله لما عنده ، وسار خلفاؤه الراشدون على نهجه ﷺ" (١).

وقال أيضاً ابن كثير — رحمه الله — في سياق تعليقه على الآية الأخرى : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } . "وهذه الآية الكريمة أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهدب أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واستقامت جزيرة العرب ، أمر الله ورسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وكان ذلك سنة تسع ، ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم ، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فنديهم ، فأوعبوا معه ، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفاً وتخلّف بعض المنافقين من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم" (٢).

وفي رأيي — المتواضع — أنه لا يمنع ما ذكره المؤرخون من أن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزاً للمسلمين لقتال الروم ؛ لأن أصل الخروج كان وارداً . ومما يؤيد ذلك ، ما جاء في دعاء الرسول ﷺ بعد انتهاء غزوة أحد : "اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق" (٣).

كما دخل أبو بكر الصديق (٤) — رضي الله عنه — قبل فتح مكة على ابنته

(١) تفسير ابن كثير : (٤٠٢ / ٢ — ٤٠٣) . بتصرف .

(٢) المرجع السابق : (٣٤٨ / ٢) .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير : (٧٧ / ٣) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(٤) أبو بكر الصديق ، اسمه عبد الله بن أبي قحافة ، وسمي الصديق لأنه صدّق الرسول ﷺ بليلة الإسراء ، كان أول من أسلم من الرجال ، صحب رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة ، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين ولى الناس ، وشهد أبو بكر بدرأً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، قال عنه النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً من أممي لا اتخذت أبا بكر خليلاً " ، ولما مرض رسول الله ﷺ واشتد مرضه أمر أبا بكر بأن يصلي بالناس ، بوع بالخلافة يوم قبض رسول الله ﷺ سنة إحدى عشرة من مهاجره ﷺ ، وتوفي سنة ١٣ هـ ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، دفن إلى جنب رسول الله ﷺ ، انظر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الرحمن : (٣ / ٣٦٣ - ٣٧٧) ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، والطبقات الكبرى : (٣ / ١٦٩ - ٢٠٩) .

عائشة^(١) — رضي الله عنها — وهي تحرك جهاز رسول الله ﷺ فقال : أي بُنيّة ! أمركم رسول الله أن تجّهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتحهّز . قال : فأين ترينه يريده ، قالت : والله ما أدري ، ودخل رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً ، قال : نعم . قال : لعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا ، قال : أفتريد أهل نجد ؟ قال : لا ، قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم^(٢) .

وقد كان المسلمون على حذر من مجيء غسان إليهم من الشام ، ويتضح ذلك من الحديث الذي رواه عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — ، وفيه .. « قال عمر^(٣) ، وكنتما قد تحدثنا أن غسان تنعل^(٤) الخيل لغزونا ، فترل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ، فرجع إلينا عشاء ، فضرب بابي ضرباً شديداً ، وقال : أثم هو ؟ ففزعت^(٥) ، فخرجت إليه ، فقال : قد حدث اليوم أمر عظيم ، قلت : ما هو ؟ أجا غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك

(١) عائشة — رضي الله عنها — أم المؤمنين ، أم عبد الله ، حبيبة رسول الله ﷺ بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر — رضي الله عنه — ، وهي من أكبر فقهاء الصحابة ، كان فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها ، تفقه بها جماعة . بنى بها النبي ﷺ في شوال بعد وقعة بدر . فأقامت في صحبته ثمانية أعوام وحمسة أشهر ، فكانت أحب نسائه إليه ، ونزلت الآيات في تبرئتها مما رماها به أهل الإفك ، وعاشت خمساً وستين سنة ، حدّث عنها جماعة من الصحابة وخلق كثير ، كانت غزيرة العلم . وكانت تحب الصدقة ، توفيت سنة ٥٧ هـ ، وقيل في سنة ٥٨ هـ . انظر ، تذكرة الحفاظ ، ١م : (٢٧ / ١ — ٢٩) .

(٢) السيرة الخلية النبوية ، ابن برهان الخليلي : (٣ / ٧٤) .

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، ويكنى أبا حفص ، ولد عمر بعد عام الفيل بثلاثة عشر سنة ، وكان — رضي الله عنه — من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، وكان إسلامه عزراً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ ، وهاجر فهو من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وتوفي رسول الله وهو عنه راضٍ ، بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر — رضي الله عنه — ، باستخلاف له سنة ثلاث عشرة ، فسار بأحسن سيرة وأنزل نفسه من حال الله بمحلة رجل من الناس وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، وهو أول من أرخ التاريخ من الهجرة ، وأول من سُمي بأمير المؤمنين ، وقد طعن على يد أبي لؤلؤة المحوسبي ، فكانت ولايته عشر سنين وحمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة ، توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن في بيت رسول الله ﷺ . انظر ، الإصابة في تمييز الصحابة : (٤ / ٥٨٨ — ٥٩٠) ، والاستيعاب : (٣ / ١١٤٤ — ١١٥٢) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ٢٦٥ — ٣٧٥) .

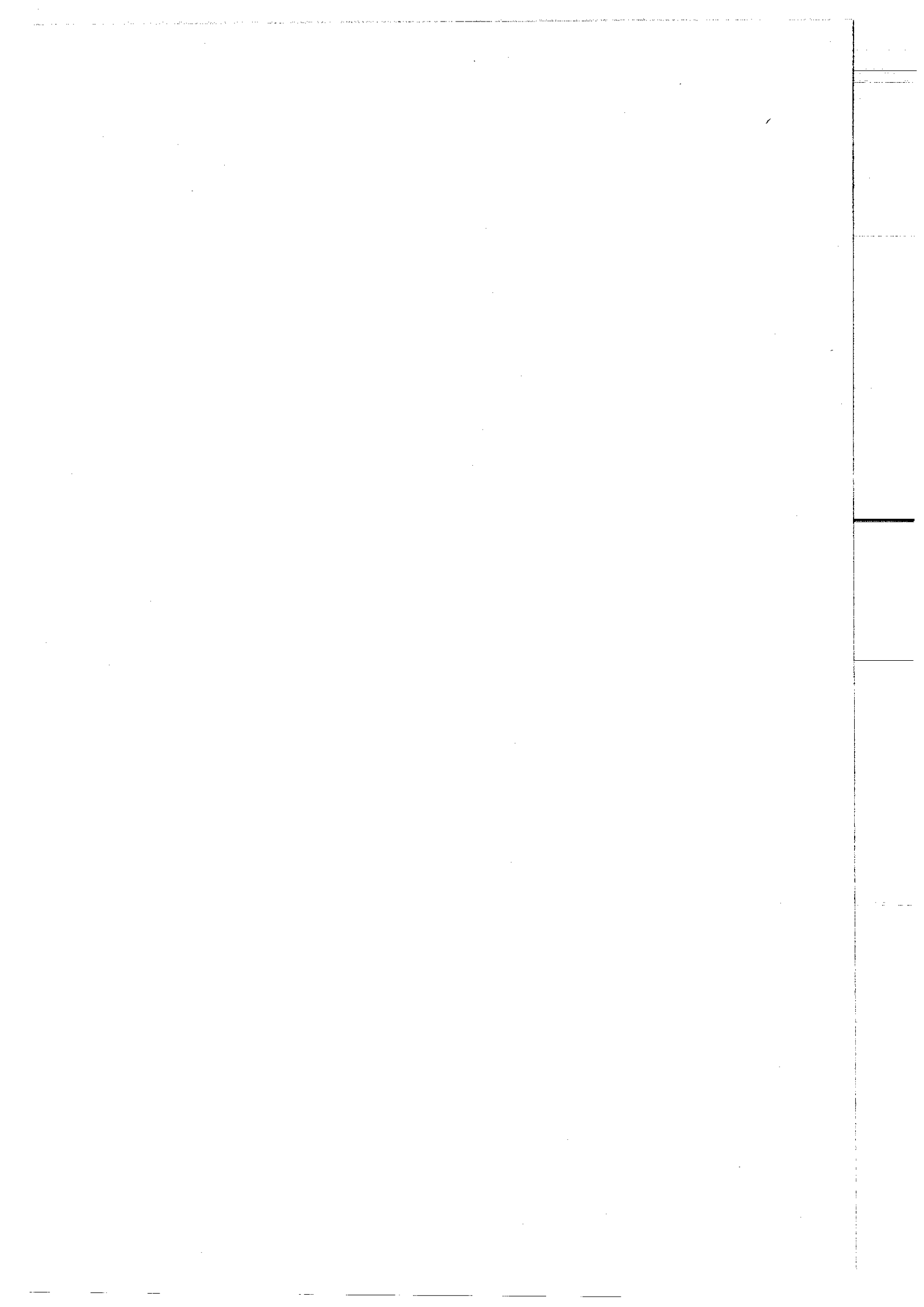
(٤) تنعل : النعل ، أي تستعمل النعال ؛ وهي نعال الخيل ، ويحتمل أن يكون بالموحدة المعجمة ، ويؤيده لفظ الخيل ، وتنعل في الموضوعين بفتح أوله ، انظر ، فتح الباري : (٩ / ١٩٤) .

(٥) ففزعت : أي خفت من شدة ضرب الباب بخلاف العادة ، انظر ، المرجع السابق : (٩ / ١٩٤) .

وأهول ، طلق النبي ﷺ نساءه^(١) .

ومن ثم كان السبب الحقيقي لهذه الغزوة إنما هو توجيه المجتمع المسلم توجيهها إيجابياً عملياً لتنفيذ عموم الرسالة ، ولذلك حشد لها ﷺ جيشاً كثيفاً استوعب أكثر الذين كانوا أهلاً لحمل راية الجهاد ، وقادهم رسول الله ﷺ بنفسه لمباشرة القتال من بعده دفاعاً عن كيانها وتمهيداً لطريق سيرتها الدعوية وإزاحة العوائق التي تقام أمامها .

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : موعظة الرجل ابنته حال زواجها ، ص : ١١٤١ ، ح ٥١٩١ ، شركة دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، لبنان .



المبحث الثاني

أحداث غزوة تبوك

المبحث الثاني

أحداث غزوة تبوك

أولاً : أحداث ما قبل الغزوة.

١ — الاستعداد للغزوة واستنفار المسلمين لها:

"غزا رسول الله ﷺ تبوك في رجب سنة تسع من مهاجرة"^{(١)(٢)}. "حيث بعث رسول الله ﷺ إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى غزوهم"^(٣).

فأمر ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ؛ وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحرّ ، وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلاّ كَتَى بها إلاّ ما كان من غزوة تبوك ، فقد روى كعب بن مالك — رضي الله عنه — : " أن رسول الله ﷺ قلماً يريد غزوة يغزوها إلاّ ورّى"^(٤) بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك ، فغزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، واستقبل غزو عدوّ كبير ، فجلّى للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة عدوهم ، وأخبرهم بوجهه الذي يريد"^(٥).

(١) الطبقات الكبرى : (٢ / ١٦٥) ، وانظر : السيرة النبوية (٣ / ٤) .

(٢) قال ابن حجر — رحمه الله — في فتح الباري على شرح صحيح البخاري (٧ / ٧١٤) ، : "فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب ، سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف ، وعند ابن عائد من حديث ابن عباس : أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور ، لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف من ذوي الحجة" .

(٣) السيرة النبوية : (٣ / ١٥٥ — ١٥٦) ، وانظر : البداية والنهاية : (٥ / ٣) ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، ص : ٦٢٧ ، دار الكتاب العربي .

(٤) ورّى بغيرها : ورى وستر ، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره ، وأصله من الورى وهو ما يجعل وراء الإنسان . انظر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٦ / ١٣٢) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : من أراد غزوة فورى بغيرها ، ص : ٦٢١ — ٦٢٢ ، حديث رقم : (٢٩٤٧) .

صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه ، (٤ / ١٦٨٥ — ١٦٩١) ، حديث : رقم : (٢٧٦٩) .

٢- التبرع للجيش :

"أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاد والانكماش ، وحضّ أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان^(١) بن عفان — رضي الله عنه — نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها"^(٢). حيث "أنفق عثمان بن عفان — رضي الله عنه — ثلث ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقة، حتى كفى ذلك الجيش مؤونتهم ، حتى إن كان ليقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شئ"^(٣) أسقيتهم"^(٤).

وقد دعا الرسول ﷺ لمن جهّز جيش العسرة بالجنة ، فقد روى أبو عبد الرحمن السلمي — رضي الله عنه — أن عثمان — رضي الله عنه — قال لمحاصريه أيام الدار : "ألستم تعلمون أنه قال ﷺ من جهّز جيش العسرة فله الجنة؟ فجهّزته . فصدّقه بما قال"^(٥).

و"ما كاد الأغنياء وميسوري الحال من الصحابة يتبلغون نداء الرسول ﷺ الحاث على التصدق والتبرع لإكمال تجهيز الجيش الغازي هذا حتى تسابقوا إلى ميدان التبرع والتصدق طمعاً فيما عند الله تعالى من ثواب ، وكان التبرع من هؤلاء الكرام على أعلى مستويات

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي أمير المؤمنين ، أبو عبد الله وأبو عمرو ، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح ، وأسلم قديماً ، فجعل يدعو إلى الإسلام من يثق به ، وزوج النبي ابنته رقية من عثمان وماتت عنده في أيام بدر ، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم ، فلذلك كان يلقب ذا النورين ، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة وعده من أهل الجنة وشهد له بالشهادة ، وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية ، وتخلّف عن بدر لتريضها فكت له النبي ﷺ سهم وأجره وتخلّف عن بيعة الرضوان ؛ لأن النبي ﷺ بعثه إلى مكة فأشيع أنهم قتلوه فكان ذلك سبب بيعة الرضوان ، بويع بالخلافة بعد قتل عمر — رضي الله عنه — يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل في ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقتل وهو ابن اثنتين ومائتين سنة وهو الأشهر والصحيح ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وإحدى عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً ، انظر ، الإصابة : (٤ / ٤٥٦) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ٥٣ — ٨٣) ، والاستيعاب : (٣ / ١٠٣٧ — ١٠٤٩) .

(٢) البداية والنهاية : (٤ / ٥) ، وانظر ، السيرة النبوية : (٦ / ٣) ، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ابن سيد الناس : (١ / ٢٧٦) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٣) شئ : جمع شئاق ؛ وهو الخيط الذي يشد به فم القربة . انظر ، الصحاح ، ص : ٥٧٤ .

(٤) المغازي : (٣ / ٩٩١) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الوصايا ، باب : إذا وقف أرضاً أو بئراً ، واشترط لنفسه مثل ولاء المسلمين ، ص : ٥٨٦ —

٥٨٧ ، حديث رقم : (٢٧٧٨) .

السخاء" (١) ، " فتم للرسول ﷺ جمع أموال عظيمة من المتصدقين في وقت قليل جدًا ، تمكن هذه الأموال من تـمـوـين الجـيـش وإكـمـال تـجـهـيزه حيث وفر للجيش وسائل النقل ، والأسلحة ، والأكل لأفـرادـه الذين لا يقـدرـون على أن يفروها لأنفسهم من مالمهم الخاص" (٢) .

وبالمقابل فقد قدّم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على الجيش على استحياء ، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز المنافقين . فقد روى أبو مسعود الأنصاري — رضي الله عنه — قال : "لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل" (٣) ، فجاء أبو عقيل (٤) بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رثاءً ، فترلت : { الذين يلـمـزـون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجـدـون إلا جهـدهم } (٥) (٦) .

وروى كعب — رضي الله عنه — في حديث توبته الطويل : " فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري (٧) وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون" (٨) .

و"قد جاء فقراء الصحابة إلى رسول الله ﷺ ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه فلم يجدوا من الظهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون تأسفًا على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه" (٩) ، ولذلك سُموا بالبكائين . « فهم يحملون قدر النفقة إلا أنهم لم

(١) صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ، ص : ٤٦٥ ، دار النفائس ، عمان ، الأردن ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٤٦٥ .

(٣) تتحامل : أي يحمل بعضنا لبعض بالأجرة ، انظر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٨ / ١٨٢) .

(٤) أبو عقيل : وفتح أوله ، حجاب مهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخره مثلها ، وقيل : أن اسمه سهل بن رافع ، وقيل :

رفاعة بن سهل ، ويحتمل أن يكون تصحيفًا ، ويحتمل أن يكون اسم أبي عقيل سهل ولقبه حجاب ، أو هما اثنان ، أو أن

من أتى بالصاع أكثر من شخص ، انظر ، المرجع السابق : (٨ / ١٨٢) .

(٥) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٧٩) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : الذين يلـمـزـون المطوعين في الصدقات ، ص : ٩٨٣ ، حديث رقم : (٤٦٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : تحمل أجره يتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل . (٢ / ٥٨) ،

حديث رقم : (١٠١٨) .

(٧) أبو خيثمة الأنصاري السلمي : اسمه عبد الله بن خيثمة ، وقيل : مالك بن قيس ، أحد بني سالم من الخزرج ، شهد أحدًا

مع النبي ﷺ ، وبقي إلى أيام يزيد بن معاوية ، انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٦٤٢) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه : (٢ / ١٦٨٥) ، حديث

رقم : (٢٧٦٩) .

(٩) البداية والنهاية : (٥ / ٥) ، وانظر ، السيرة النبوية : (٨ / ٣) .

يجدوا المركوب»^(١). وقد عذرهم الله تبارك وتعالى مع جملة من عذرهم الله لمرض أو كبير سن أو غيره ، في قوله تعالى : { ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون }^(٢)«^(٣).

وقد اعتذر الرسول ﷺ لهؤلاء الذين أتوه يطلبون الحملان لعدم توفرها . فقد روى أبو موسى الأشعري-رضي الله عنه- أنه قال : " أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك ، فقلت : ياني الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : والله لا أحملكم على شيء . ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً^(٤) ينادي : أي عبد الله بن قيس^(٥) ، فأجبتة ، فقال : أجب رسول الله ﷺ يدعوك : فلماً أتيت ، قال : خذ هذين القرينين^(٦) لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ، فانطلق بهن إلى أصحابك

(١) تفسير المراغي : (١٠٠ / ١٨٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآيات : (٩٢ - ٩٣) .

(٣) الحملان : بضم الحاء المهملة ؛ أي الشيء الذي يركبون عليه ويحملهم ، انظر ، فتح الباري : (٧ / ٧١٥) .

(٤) بلال بن رباح ، مولى أبي بكر الصديق ، مؤذن رسول الله ﷺ من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله ، شهد بدرًا ،

وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة ، وحديثه في الكتب ، عاش بضعاً وستين سنة ، يقال أنه حبشي ، وقيل من مولدي

الحجاز ، وعن وفاته أقوال : أحدها بدارياً ، في سنة عشرين بدمشق ، ودفن بباب كيسان ، وقيل سنة إحدى وعشرين ،

انظر ، سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد الذهبي : (١ / ٣٤٧) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣ هـ -

١٩٨٣ م . وتاريخ الصحابة ، ابن حبان البستي ، ص : ٤٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٨ م .

(٥) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري ، يكنى أبا موسى ، قدم مكة وأسلم بها ، وهاجر إلى الحبشة ، قدم مع

جعفر زمن فتح خيبر ، واستعمله النبي ﷺ مع معاذ بن جبل على اليمن ، ثم ولي لعمر الكوفة كان حسن الصوت بالقرآن ،

روى علماً طيباً مباركاً ، وأقرأ القرآن ، روى عدداً من الأحاديث ، قال عنه ﷺ : " لقد أوتيت مزمراً من مزامير داود " ،

وكان عابداً صواماً قواماً كبير القدر ، مات في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ على الصحيح . انظر ، تذكرة الحفاظ ، م : ١ ،

(١ / ٢٣) ، والطبقات الكبرى : (٤ / ١٠٥ - ١١٦) ، الاستيعاب : (٤ / ١٧٦٢ - ١٧٦٤) ، الإصابة : (٤ /

٢١١ - ٢١٣) .

(٦) القرينين : أي الجمليين المشدودين أحدهما إلى الآخر ، وقيل النظيرين المتساويين . انظر ، فتح الباري : (٧ / ٧١٥) .

فقل : إن الله - أو قال : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هولاء ، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أي حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ ، فقالوا لي : إنك عندنا لمصدق ، ولنفعن ما أحببت ، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد ، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى ^{(١)(٢)} .

٣- موقف المنافقين من الغزوة :

ولما أم النبي ﷺ أهبطه للخروج لما قصد ، وقف المنافقون موقف الإعراض والتصدي عن الجهاد ، واعتذروا بالأعذار الكاذبة حيث تعلق بعضهم بعد المسافة ، ومشقة السفر ، قال تعالى : { لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم المشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم بملكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون } ^(٣) .

وقد قال رسول الله ﷺ للجد بن قيس ^(٤) أحد بني سلمة ^(٥) : " يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه ما

(١) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة تبوك ، وهي غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، ص : ٩١٧ ، حديث رقم : (٤٤١٥) .

(٢) قال سيد قطب - رحمه الله - في ظلال القرآن : (٣ / ١٦٨٥) : " وإنما لصورة واقعة مؤثرة ، حفظتها الروايات عن جماعة من المسلمين في عهد الرسول ﷺ ، وتختلف الروايات في تعيين أسمائهم ، ولكنها تتفق على الواقعة الصحيحة . " وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : (٧ / ٢٢٨ - ٢٢٩) الروايات كلها ثم رجح أنها نزلت في أبي موسى وأصحابه الذين أتوا رسول الله ﷺ ونسب هذا القول إلى الحسن البصري . وعلق الشيخ عبد القادر السندي في كتابه الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك على ذلك ، ص : ٢٣٧ فقال : " إن الآية نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه ؛ لأن الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره موافق مع السياق القرآني والله تعالى أعلم . "

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٤٢) .

(٤) الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان السلمي الأنصاري ، أبو عبد الله ، وكان سيد بني سلمة ، وكان قد أظهر الإسلام ، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات يقال أنه كان منافقاً ، وفيه نزل حين غزا رسول الله ﷺ تبوك : { ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني } . انظر ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٥٧١) ، والإصابة : (١ / ٤٦٨) ، والاستيعاب : (١ / ٢٦٦ - ٢٦٧) .

(٥) بني سلمة : تنسب إلى سلمة بن سعد بن علي بن أسد ، جد جاهلي ، النسبة إليه السلمي بفتح اللام ، بنوه بطن من الخزرج ، من القحطانية ، منهم بعض الأنصار من الصحابة . انظر ، الأعلام : (٣ / ١١٣) .

رجل بأشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصير ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وقال : قد أذنت لك ، فبئس الله أنهم قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا" (١) .

قال تعالى : { ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين } (٢) .
و"لم يكتف المنافقون بالأعذار الكاذبة عند التحلف ، بل وصل بهم الأمر إلى تنفير المسلمين الجهاد بحجة الحر ، ويقولون : لا تنفروا في الحر ، وليس الحر هو مصدر خوفهم وإنما مرادهم عدم القتال وليكثر عددهم ، وتقوى جبهتهم" (٣) .

قال تعالى : { فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون } (٤) .

و"قد كان أناس من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في التحلف ليس لهم عذر فقالوا لبعضهم إن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا" (٥) . " فأذن لهم رسول الله ﷺ وهم بضعة وثمانون رجلاً" (٦) .

و"قد عاتب الله رسوله الكريم لما وقع منه الإذن للمنافقين بالقعود قبل أن يتبين من هو صادق في عذره الذي أبداه ، ومن هو كاذب" (٧) .

قال تعالى : { عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين } (٨) .

ثم إن هؤلاء المنافقين الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في التحلف هم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد ، وقد رضوا بأن يكونوا مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار من الرجال .

(١) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٦٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٤٩) .

(٣) المعوقون للدعوة الإسلامية ، د . سميرة محمود ، ص : ٣٤٢ ، بتصرف ، دار المجتمع ، جدة ، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٨١) .

(٥) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٦١) .

(٦) الطبقات الكبرى : (٢ / ١٦٥) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : (٨ / ١٥٤) .

(٨) سورة التوبة ، الآية : (٤٣) .

قال تعالى : { وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأنذك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين . رضوا بأن يكونوا مع الخولاف وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون }^(١).

"وقد كان الذين استأنذوا من ذوي الشرف عبد الله بن أبي بن سلول^(٢) والجد بن قيس ، وكانوا أشرافاً في قومهم فنبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليهم لشرفهم فيما كانوا"^(٣).

قال تعالى : { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل اعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يغفونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين }^(٤).

"وقد أتى إلى الرسول ﷺ أعراب من أحياء العرب ممن حول المدينة يعتذرون إليه ، ويبيّنون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج . قيل : هم نفر من بني غفار^(٥) جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الرسول ﷺ"^(٦) . "وهم اثنان وثمانون رجلاً"^(٧).

قال تعالى : { وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم }^(٨).

(١) سورة التوبة ، الآيات : (٨٦ - ٨٧) .

(٢) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي أبو الخباب ، المشهور بابن سلول ، وسلول حدثه لأبيه من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام ، من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيةً ، ولما هيا النبي ﷺ لوقعة أحد ، انخرل بن أبي وكان معه ثلاثمائة رجل فعاد بهم إلى المدينة . وكان كلما حلق بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلم سمع بسينة نشرها ، وله في ذلك أخبار ، ولما مات تقدم النبي ﷺ ، ولم يكن ذلك من رأي عمر - رضي الله عنه - فترلت : { ولا تصل على أحد منهم } الآية . انظر ، الأعلام : (٤ / ١٨٨)

(٣) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٦٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآيات : (٤٦ - ٤٧) .

(٥) غفار : بطن عن كنانة ، من العدنانيين ، وكانوا حول المدينة وديارهم بدرًا ، ومن أوديتهم ودان ، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين وعددهم ألف . انظر ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : (٣ / ٨٩٠) .

(٦) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٨٢) .

(٧) الطبقات الكبرى : (٢ / ١٦٥) .

(٨) سورة التوبة ، الآية : (٩٠) .

٤- الاستخلاف على المدينة وأهلها :

" استعمل ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري"^{(١)(٢)}، كما "استخلف ﷺ ابن أم مكتوم"^(٣) في غزوة تبوك يوم الناس"^(٤).

و"خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب"^(٥) - رضوان الله عليه - إلى أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استقلاً له وتخففاً منه"^(٦) . وعزَّ عليه - رضي الله عنه - أن يبقى بالمدينة مع النساء والصبيان ، فقد روى مصعب بن سعد عن أبيه - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : "أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : ألا ترضى أن تكون مني بمرتلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي"^(٧).

(١) محمد بن مسلمة بن سلمة ، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، شهد بدرًا وأحدًا ، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ في أحد يوم ولَّى الناس وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا تبوك ، مات بالمدينة في صفر سنة ٤٦ للهجرة وهو يومئذ ابن سبع ٧٧ سنة . انظر ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٤٤٣ - ٤٤٥) ، وأسد الغابة : (٥ / ١١٦ - ١١٨) ، والاستيعاب : (٣ / ١٣٧٧) .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام (٤ / ١٥٩) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٣) عبد الله بن أم مكتوم ، اختلف في اسمه فأهل المدينة يقولون اسمه عبد الله ، وأهل العراق يقولون اسمه عمرو . ثم اجتمعوا على نسيه فقالوا ابن قيس بن زائدة بن الأصم ، وأمّه عاتكة وهي أم مكتوم بنت عبد الله ، أسلم بمكة قديماً وكان ضريب البصر ، وقدم المدينة مهاجراً بعد بدر بيسر ، وكان يؤذن للنبي ﷺ مع بلال ، وكان الرسول ﷺ يستخلفه على المدينة ، يصلي بالناس في عامة غزواته ، مات بالمدينة ولم يسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب . انظر ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٠٥) ، وأسد الغابة : (٣ / ٣٧٥) ، وتاريخ الصحابة ، ص : ١٥١ .

(٤) الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٠٥) .

(٥) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ويكنى أبا الحسن ، أسلم وهو ابن تسع سنين ، كان صاحب لواء الرسول ﷺ يوم بدر ، وفي كل مشهد وثبت يوم أحد ، وبايعه على الموت ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاهها إلا غزوة تبوك ، خلفه ﷺ على أهله ، بويع لعلي بالخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان ، وحدثت في أثناء خلافته معركة الجمل وصفين ، قتله عبد الرحمن بن ملجم عند صلاة الفجر ، وتوفي لأحد عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤ للهجرة ، ودفن بالكوفة ، دامت خلافته أربع سنين وتسع أشهر ، انظر ، سير أعلام النبلاء : (٣ / ١٩ - ٣٨) .

(٦) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٥٩) .

(٧) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب : غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، ص : ٩١٧ ، حديث رقم : (٤٤١٦) . صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة : (٤ / ٤١٩٠) ، حديث رقم : (٣١) .

٥- تقسيم الألوية والرايات :

"فلما رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع^(١) إلى تبوك ، عقد الألوية^(٢) والرايات^(٣) فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر - رضي الله عنه - ، ورايته العظمى إلى الزبير^(٤)".

و"دفع راية الأوس إلى أسيد بن الحضير^(٥) ، ولواء الخزرج إلى أبي دجانة^(٦) ، ويقال

- (١) ثنية الوداع : يفتح الواو ، وهو اسم من التوديع عند الرحيل ، وهي ثنية مشرفة على المدينة يطوها من يريد مكة ، واختلف في تسميتها ، والصحيح أنه اسم قدم جاهلي ، سمي لتوديع المسافرين . انظر ، معجم البلدان : (٨٦ / ٢) .
- (٢) الألوية : جمع لواء ، واللواء : العلم ، والراية ولا يمسكها إلا صاحب الجيش ، انظر ، لسان العرب : (٢٦٦ / ١٥) .
- (٣) الرايات : جمع راية ، والراية : العلم ، انظر ، لسان العرب : (٣٥٢ / ١٤) ، ومختار الصحاح . ص : ٢٣٢ .
- (٤) الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، حوارى رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أسلم وهو حدث له ست عشرة على يد أبي بكر ، هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة إلى الحبشة ثم رجع ، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، وهو من أهل بيعة الرضوان ومن السابقين الأولين إلى الإسلام ، قتل في رجب سنة ٣٦ هـ في معركة الجمل . انظر ، سير أعلام النبلاء : (١ / ٤١ - ٦٢) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ١٠٠ - ١١٣) ، وأسد الغابة : (٤ / ١٩٥ - ٤٩٧) .
- (٥) أسيد بن الحضير بن سمالك بن عتيك بن امرئ القيس الأنصاري الأوسي الأشهلي ، كان أبوه حضير شريفًا ، وفارس الأوس في حروبهم مع الخزرج ، وأسلم أسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة ، شهد العقبة الثانية ، واختلف في شهوده بدرًا ، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد وشهد مع عمر فتح بيت المقدس ، روى الأحاديث ، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن ، وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم . توفي في شعبان سنة ٢١ هـ ، وحمل عمر بن الخطاب السرير حتى وضعه بالقيع ، وصلى عليه . انظر ، أسد الغابة : (١ / ١٤٢ - ١٤٤) ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٦٠٣ - ٦٠٦) ، سير أعلام النبلاء : (١ / ٣٤٠ - ٣٤٤) .
- (٦) أبو دجانه : سمالك بن خرشة الخزرجي البياضي الأنصاري ، المعروف بأبي دجانة ، صحابي ، كان شجاعًا بطلاً ، له آثار جميلة في الإسلام ، شهد بدرًا ، وثبت يوم أحد ، وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة سنة ١٢ هـ ، وكانت له مشية عجيبية ، في الخيل ، يضرب بها المثل ، نظر إليه النبي ﷺ في معركة ، وهو يتختر بين الصفيين ، فقال : هذه مشية يفضها الله إلا في هذا المكان ، وكان يقال له ذو المشهرة ، وهي درع يلبسها في الحرب ، وذو السيفين ، لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ ، وقيل في نسبه سمالك بن أوس بن خرشة . انظر ، الأعلام : (٣ / ٢٠٢ - ٢٠٣) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ٥٥٦ - ٥٥٧) .

إلى الحباب بن المنذر بن الجموح^(١) (٢) .

و"أمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواءً ورايةً ، والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية ، وكان رسول الله ﷺ قد دفع راية بني مالك بن النجار^(٣) إلى عمارة بن حزم^(٤) ، فأدرك رسول الله ﷺ زيد بن ثابت^(٥) فأعطاه الراية لأنه أحفظ للقرآن .

وأمر في الأوس^(٦) والخزرج^(٧) أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن ، وكان زيد

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي ، شهد بدرًا ، وله ثلاث وثلاثين سنة ، وكان يقال له ذو الرأي ، واستشاره ﷺ في غزوة بدر ، وأشار له بالرأي ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي في خلافة عمر ، انظر ، أسد الغابة : (١ / ٥٣٣ - ٥٣٤) ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٥٦٧) .

(٢) المغازي : (٣ / ٩٩٦) .

(٣) مالك بن النجار : اسمه تيم اللات ، ابن ثعلبة من الخزرج ، جد جاهلي بنوه عدة بطون ، وينسب إليه كثير من الصحابة وغيرهم ، انظر ، الأعلام : (٥ / ٢٦٦) .

(٤) عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكانت معه راية بني النجار في غزوة الفتح ، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة . انظر ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٤٨٦) ، الإصابة : (٤ / ٢٧٥) ، تاريخ الصحابة ، ص : ١٨٦ .

(٥) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان الأنصاري الخزرجي البخاري المقرئ الفرضي ، كاتب وحي رسول الله ﷺ وهو زكي نجيب ، أسلم وعمره إحدى عشرة سنة ، وأمره النبي ﷺ أن يتعلم خط اليهود فحوّد الكتابة وكتب الوحي ، وحفظ القرآن وأتقنه وأحكم الفرائض وشهد الخندق وما بعدها ، وانتدبه الصديق فجمع القرآن فتبعه وثبت على جمعه ، ثم عينه عثمان لكتابة المصحف وثوقاً بحفظه ودينه وأمانته وحسن كتابته ، قرأ عليه القرآن جماعة وحدث عنه عدد من الصحابة ، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا حج ، ومناقبه كثيرة ، قبل مات سنة ٤٥هـ ، وقيل سنة ٥٤هـ ، وقيل سنة ٥٥هـ ، انظر ، تذكرة الحفاظ ، ١م : (١ / ٣٠) ، أسد الغابة : (٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣) ، تاريخ الصحابة ، ص : ١٠٥ .

(٦) الأوس بن حارثة وهم بطن من بطون الأزدي القحطانية ، وهم أهل عز ومنعة فيهم عدة أفضاخ ، كانت منازلهم يثرب المدينة ، وكان الموطن الأصلي لهم بلاد اليمن فهاجروا إلى يثرب وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية ، وقد نشبت حرب طويلة بين الأوس والخزرج في الجاهلية وقد اشتركت الأوس في العهد الذي تعاهدوا عليه لحماية النبي ﷺ . انظر ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : (١ / ٥٠) .

(٧) الخزرج : ينتسبون إلى الخزرج بن حارثة ، بطن من الأزدي القحطانية ، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس ، ونشبت بينهما حروب طويلة أشهرها بعث . انظر ، معجم قبائل الحجاز ، ص : ٣٤٢ .

يعمل راية بني عمرو بن عوف^(١) ، وكان معاذ^(٢) يحمل راية بني سلمة^(٣) .

٦- وقت خروج الرسول ﷺ من المدينة :

وعندما أجمع الرسول ﷺ السير ، خرج يوم الخميس ، كما حدث بذلك كعب بن مالك — رضي الله عنه — : "أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس"^(٤) .

و"ضرب عسكره ثنية الوداع ، ومعه زياد من ثلاثين ألفاً"^(٥) ، و"ضرب عبد الله

(١) بني عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة من الأزد القحطانية ، جد جاهلي ، كان له من الولد عوف ومنه سلالة ، وهي بطون . انظر ، الأعلام : (٨٢ / ٥ — ٨٣) .

(٢) معاذ بن جبل : العالم الرباني أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ، شهد العقبة وهو ابن ثمان عشرة سنة أو دوها ، وشهد بدرًا والمشاهد ، وكان من نجباء الصحابة وفقائهم وأبائهم — رضي الله عنه — ، حدث عنه الصحابة والتابعين ، وقال عنه الرسول ﷺ : "أعلم أمتي بالخلال والحرام معاذ" ، استشهد معاذ في الطاعون بالأردن سنة ثمان عشرة وله خمس وثلاثون سنة تقريباً . انظر ، تذكرة الحفاظ ، ١م : (١٩ / ١) .

(٣) المغازي : (١٠٠٢ / ٣ — ١٠٠٣) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : من أراد غزوة فورى غيرها ، ومن أحب الخروج يوم اخميس ، ص : ٦٢٢ ، حديث رقم : (٢٩٤٧) .

(٥) بالنسبة لعدد جيش المسلمين في غزوة تبوك ، فقد وردت فيه عدة روايات ، ظاهرها التعارض ويسهل التوفيق بينها ؛ ففي رواية معقل عن كعب بن مالك : "والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد بذلك الديوان" ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، ص : ٩١٨ ، رقم الحديث : (٤٤١٨) ، وفي رواية أخرى عن كعب : "غزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمعهم ديوان حافظ" ، انظر : صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : حديث كعب بن مالك وصاحبيه : (١٦٨٥ / ٤) ، رقم الحديث : (٢٧٦٩) .

وقال ابن حجر — رحمه الله — : "وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً ، وهذه العدة حزم ابن إسحاق ، انظر ، فتح الباري : (٧٢١ / ٧) .

وروى الواقدي عن زيد بن ثابت : وأنهم كانوا ثلاثين ألفاً انظر ، المغازي : (٩٩٦ / ٣) ، وفي رواية أخرى له : "وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً ، ومن الخيل عشرة آلاف فرس" ، انظر ، المغازي : (١٠٠٢ / ٣) .

وقال النووي — رحمه الله — : "ونقل عن أبي زرعة الرازي أنهم كانوا سبعين ألفاً ، وقال ابن إسحاق : كانوا ثلاثين ألفاً ، وهذا أشهر ، وجمع بينهما بنص الأئمة بأن أبا زرعة عد التابع والمتبوع ، وابن إسحاق عد المتبوع فقط" . انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم : (٢٤٨ / ١٧) . والمشهور والراجح أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفاً ، وهو ما اتفق عليه أئمة المغازي والسير مثل ابن إسحاق والواقدي وابن سعد ، وليس هناك تعارض مع ما جاء في صحيح البخاري ومسلم ، والله تعالى أعلم .

بن أبي عدو الله أسفله منه ، وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين ^(١) .
و"مضى رسول الله ﷺ من المدينة فصبح ذات خشب ^(٢) ، فترل تحت الدومة ، وكان دليله إلى
تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي ^(٣) (٤) .

ثم "لم يتخلف أحد من المؤمنين الصادقين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من غير
عذر، سوى أربعة نفر، كلهم من الأنصار، لا عن شك وارتياب، إنما أدركهم الضعف
البشري، وأثر عليهم أكثر من غيرهم، وهؤلاء هم: كعب بن مالك ^(٥) ، وهلال بن أمية ^(٦) ،
ومرارة بن الربيع ^(٧) ، وأبو خيثمة .

أما الثلاثة الأول، فقد تخلفوا في المدينة وقعد بهم الضعف البشري، يقولون كل يوم

(١) البداية والنهاية : (٧ / ٥) .

(٢) ذات خشب : أو ذو خشب ، هو موضع يتصل بالكلاب ، وهو موضع على مرحلة من المدينة على
طريق الشام ، انظر: معجم ما استعجم ، أبو عبيد الأندلسي (٢ / ٥٠٠) عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ —

(٣) علقمة بن الفغواء الخزاعي ، وقيل ابن أبي الفغواء بن عبيد بن عمرو بن مازن بن عدي الخزاعي ، له صحبة ، سكن
المدينة ، وهو أخو عمرو بن الفغواء ، بعثه رسول الله ﷺ بمال إلى أبي سفيان بن حرب ليقسمه على فداء قرينش . انظر ،
أسد الغابة : (٤ / ٩٥) ، الإصابة : (٤ / ٥٥٨) ، الاستيعاب : (٣ / ١٠٨٨) .

(٤) المغازي : (٣ / ٩٩٩) .

(٥) كعب بن مالك ابن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب الأنصاري الخزرجي العقبي الأحدي ، شاعر رسول الله ﷺ
وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خلفوا ، فتاب الله عليهم ، شهد العقبة ، وله عدة أحاديث تبلغ الثلاثين ، وكان من أهل
الصفّة ، وذهب بصره في خلافة معاوية ، وقد ذكره عروة في السبعين الذين شهدوا العقبة ، وكان كعب يوم أحد أول
من عرف رسول الله ﷺ وبشر به المؤمنين حيّاً سوياً ، فدعا رسول الله ﷺ كعباً بألمته ، وكانت صفراء فلبس كعب ،
وقاتل يومئذ قتالاً شديداً حتى جرح سبعة عشر جرحاً ، قيل أنه مات سنة ٤٠ هـ ، وقيل سنة ٥٠ هـ ، وقيل سنة
٥١ هـ ، وعمره سبعاً وسبعين سنة ، انظر ، سير أعلام النبلاء : (٢ / ٥٢٣ — ٥٢٦) ، أسد الغابة : (٤ / ٥١٤ —
١٥١٥) ، تاريخ الصحابة ، ص : ٣١٨ ، الأعلام : (٦ / ٨٥) .

(٦) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأوسي الأنصاري الواقفي ، شهد بدرأ
وأحدًا ، وكان قديم الإسلام ، وكان يكسر أصنام بني واقف ، وكانت معه رايته يوم الفتح ، وهو الذي لاعن امرأته ،
ورماها بشريك بن سحماء ، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك . انظر ، أسد الغابة : (٥ / ٢٢ — ٤٢٣) ،
تاريخ الصحابة : ص : ٢٥٦ ، الإصابة : (١ / ٢٨٩) .

(٧) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف ، ويقال : أصله من قضاة حالف بني عمرو بن عوف ،
صحابي مشهور ، شهد بدرأ على الصحيح ، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، انظر ، الإصابة : (٦ / ٧٦) ، أسد
الغابة : (٥ / ١٤٠) .

نلحق بالرسول ﷺ حتى انتهت مهمة الرسول ﷺ في تبوك ، وعاد إلى المدينة فعاقبهم بالمقاطعة والهجر" (١) . وستأتي قصتهم بزيادة تفصيل في مكانها إن شاء الله وكيف قبل الله توبتهم .

أما أبو خيثمة فقد تغلب على ضعفه البشري أمام مغريات الحياة ، فسارع إلى اللحاق برسول الله ﷺ : " حيث أن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت له ماء ، وهيأت له فيه طعاماً ، فلماً دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الضح (٢) والريح ، والحرّ ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهياً ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ؟ ما هذا بالتّصف ، ثمّ قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيئا لي زاداً ، ففعلتا ، ثمّ قدّم ناضحه ، فارتحلته ، ثمّ خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك" (٣) .

روى كعب بن مالك — رضي الله عنه : " ... ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون" (٤) .

ثم مضى رسول الله ﷺ ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : تخلف فلان فيقول ﷺ : دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه" (٥) .

ثانياً : مسير الجيش :

- (١) صحيح السير النبوية ، ص : ٤٧٤ .
- (٢) الضحّ : الشمس ، انظر ، الصحاح ، ص : ٦٢٨ .
- (٣) زاد المعاد : (٤٦٣ / ٣) ، وانظر ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير : (٢ / ٢١٧) ، الكامل : (٢ / ٢٧٨) ، البداية والنهاية : (٥ / ٧ - ٨) .
- (٤) صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : من حديث كعب بن مالك (٤ / ١٦٨٥ - ١٦٩٤) ، حديث رقم : (٢٧) .
- (٥) البداية والنهاية : (٥ / ٨) ، وانظر ، السيرة النبوية : (٤ / ١٤ - ١٥) .

١ - مرور الجيش بالحجر :

وقد مرَّ النبي ﷺ بالحجر^(١) ، وهي ديار ثمود ، فأمر ﷺ أن لا يدخلوا مساكنهم إلا أن يكونوا باكين ، فقد روى سالم بن عبد الله عن أبيه - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر قال : " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ثم تقنَّع^(٢) بردائه وهو على الرجل " ^(٣) .

ونهاهم ﷺ عن التزود من مياههم ، فقد روى ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا : قد عجنَّا منها واستقينَّا فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء " ^(٤) . ثم خطب الرسول ﷺ بأصحابه خطبة قصيرة بالحجر . عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : " لما مرَّ النبي ﷺ بالحجر ، قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سألتها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفجِّ ، وتصدر من هذا الفجِّ ، فعتوا عن أمر ربهم فعفروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعفروها ، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله . قيل : من يارسول الله ؟ قال : هو أبو رغال^(٥) ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه " ^(٦) .

(١) الحجر : اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام . انظر : معجم البلدان (٢ / ٢٢١) .

(٢) تقنَّع : غطَّى رأسه ، انظر : لسان العرب (٨ / ٣٠١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : { وإلى ثمود أخاهم صالحاً } ، ص : ٧١٣ ، حديث رقم : (٣٣٨٠) .

صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم (٤ / ١٨٠٨) ، حديث رقم : (٢٩٨٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : { وإلى ثمود أخاهم صالحاً } ، ص : ٧١٣ ، حديث رقم : (٣٣٧٨) .

صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم (٤ / ١٨٠٨) ، حديث رقم : (٢٩٨١) .

(٥) أبو رغال : بكسر الراء وتخفيف الغين المعجمة ، هو الجد الأعلى لتقيف . انظر ، فتح الباري : (٤٣٩ / ٦)

(٦) المسند الامام أحمد بن حنبل : (٢٢ / ٦٦) ، حديث رقم : (١٤١٦٠) ، قال محققوا المسند : واخذت حديث قوي ، وهذا إسناد على شرط مسلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢ - معاناة الجيش في الطريق :

سار الجيش في جهد شديد وأصيبوا بعسرة في الماء حتى عطشوا عطشاً شديداً كادت تنقطع رقايمهم فقد حدث أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : " كنا مع النبي ﷺ في سير ، قال : فنفتت أزواد القوم ، قال : حتى همَّ بنحر بعض حمائلهم ، قال : فقال عمر يارسول الله : لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ، قال : ففعل ، قال : فجاء ذو البرِّ ببرّه ، وذو التمر بتمره ، قال : - وقال مجاهد^(١) : وذو النواة بنواه -^(٢) ، فقلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ، قال كانوا يمصونه ، ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا عليها ، قال : حتى أن ملأ القوم أزودتهم^(٣) ، وارتبوا .

كما أصيب الجيش بجهد شديد من قلة الظهر ، وقد ورد الحديث عن قلة الظهر في الحديث السابق ، من حديث أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - . " فاجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد والماء "^(٤) ، " ولذلك سُمي جيش تبوك جيش العسرة" .

٣- النفاق في الجيش :

و في الطريق إلى تبوك لم يسلم الجيش من تغلغل بعض المنافقين بين أفرادهم ، فقد كان أحد المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمرت حتى ارتوى الناس ، قال له الصحابة : ويحك ، هل بعد هذا شيء؟ قال : سحابة مارة"^(٥) .

ثم " إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ، ضلَّت ناقته ، فقال زيد بن

(١) مجاهد بن جبر ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي ، قيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضه .

تسوي بمكة سنة ثلاث ومائة ، وعمره ثلاث وثمانين سنة ، وقيل توفي سنة اثنين ومائة وهو ساحد ، وقيل توفي سنة أربع ومائة وكان فقيهاً عالماً ثقة ، كثير الحديث . انظر ، الطبقات الكبرى : (٤٦٦ / ٥) ، تذكرة الحفاظ ، ١م : (٩٢ / ١)

(٢) النواة : عجمة التمر والزبيب وغيرهما . انظر ، لسان العرب : (٣٤٩ / ١٥) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : نذب من حلف بميمناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (١٠٢٧ / ٣) ، حديث رقم : (١٦٤٩) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : (٢٧٨ / ٧) .

(٥) سيرة ابن هشام : (١٦٢ / ٤) .

اللصيب^(١) وكان منافقاً : أليس يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خير السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن رجلاً يقول ، وذكر مقالته وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا ، وقد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى أتوني بها ، فذهبوا فأتوه بها ، ثم أقبل عمارة بن حزم على زيد يجا في عنقه ويقول : إليّ عباد الله ، إن في رحلي لداهية ، وما أشعر ! أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبي " (٢) .

وقد " كان المنافقون يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا " (٣) ، فقال تعالى عنهم : { يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون } (٤) . و " قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، فقال : رجل : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو (٥) : أنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول : يارسول الله ! إنما كنا

(١) زيد بن اللصيب أحد بني قينقاع ، كان يهودياً فأسلم نافع ، وكان فيه حيت اليهود وغشهم وكان مظاهراً لأهل النفاق . انظر ، المغازي : (١٠٠٩ / ٣ - ١٠١٠) .

(٢) السيرة النبوية : (٤٨٦ / ٣) ، وانظر : البداية والنهاية (٩ / ٥) ، زاد المعاد : (٤٢٩ / ٣) ، عيون الأثر : (١ / ٢٧٩) ، الكامل في التاريخ : (١٩١ / ٢) ، الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، سليمان الكلاعي : (٢ / ٣١٢) مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ومكتبة الهلال ، بيروت ١٣٨٩ - ١٩٧٠ ، تاريخ الطبري : (٣ / ١٤٥) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٣٦٧ / ٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآيات : (٦٥ - ٦٦) .

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي ، ويكره والده بآنتي عشرة سنة ، أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلاً حافظاً عالماً ، قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له ، وكان يسرد الصوم ولا ينام بالليل وقد ناهى ﷺ عن مواظبة قيام الليل وصيام النهار ، ويأمره بصيام يوم بعد يوم وبقراءة القرآن في كل ثلاث ، ولما كبر كان يقول ، ياليتني كنت قبلت رخصة رسول الله . قال أبو هريرة ما أجد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنا لا أكتب ، واختلف في مماته ، فقيل : مات بالشام سنة ٦٥ هـ ، وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين ، وقيل مات بمكة سنة تسع وستين وهو ابن اثنتين وسبعين ، وقيل مات سنة ثمان وستين سنة وقيل سنة تسع وستين سنة . انظر ، الاستيعاب : (٩٥٦ / ٣ - ٩٥٩) ، الإصابة : (١٩٢ / ٤) ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٦١ - ٢٦٨) .

نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيهم قوله" (١) . { قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } (٢) . أي " هذا المقال الذي استهزأتم به " (٣) .

٤- تفقد الرسول ﷺ لأصحابه :

تفقد الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف من قبائل العرب فقد حدث أبوهرم كلثوم بن الحصين (٤) بذلك ، يقول : " غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر (٥) قريباً من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ فيفرعني دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز (٦) راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله : «حسن» (٧) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي ، فقال : سر ، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمّن تخلف من بني غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألني : ما فعل النفر الحمر الطوال الشطاط (٨) ؟ فحدثته بتخلفهم ، قال : فما فعل النفر السود الجعاد والقصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منّا . قال : بلى ، الذين لهم نعم بشبكة شدخ ، فتذكرهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك

(١) تفسير ابن كثير : (٣٦٨ / ٢) .

(٢) سورة التوبة ، الآيات : (٦٥ - ٦٦) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٣٦٧ / ٢) .

(٤) أبارهم الغفاري : واسمه كلثوم بن الحصين بن خلف الغفاري ، أسلم بعد قدوم رسول الله ﷺ ، وشهد معه أحدًا ورمي يومئذ بسهم فوقع في نحره ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبسط عليه فبراً فكان أبوهرم يسمى المنحور ، وبعثه ﷺ حين أراد الخروج إلى تبوك يستنفرهم إلى عدوهم فشهد تبوك ولم يزل أبوهرم مع النبي ﷺ بالمدينة يفرح معه إذا غزا ، وكان له منزل ببني غفار . انظر ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٤٤ - ٢٤٥) بتصرف يسير ، والاستيعاب : (٤ / ١٦٥٩ - ١٦٦٠) .

(٥) الأخضر : موضع فيه مسجد لرسول الله ﷺ على أربع مراحل من تبوك . انظر ، معجم ما استعجم : (١ / ١٢٤) .

(٦) أحوز : أنحى . انظر ، لسان العرب : (٥ / ٤٣٢) .

(٧) حسنٌ : هي بكسر السين والتشديد ، كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضه وأحرقه غفلة كالجمرة وغيرها ، وهي مثل أوه . انظر ، لسان العرب : (٦ / ٥١) .

(٨) الشطاط : جمع ثط وهو الكوسج الذي عري من وجهه من الشعر . انظر ، لسان العرب : (٧ / ٢٦٧) .

رَهط من أسلم ، حلفاء فينا ، فقال رسول الله ﷺ ما منع أحد أولئك حين تخلف أن تُحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطاً في سبيل الله ؟ إن أعز أهلي عليّ أن يتخلف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم^{(١)(٢)} .

٥- بشارة الرسول ﷺ أصحابه بقرب الوصول إلى تبوك:

روى معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : " خرجنا مع رسول الله ﷺ ، عام تبوك فكان يجمع الصلاة ، فصلّى الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً ، حتى إذا كان يوماً أحر الصلاة ثم خرج بعد ذلك ، فصلّى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم ، فلا يمَسْ من مائها شيئاً حتى آتي فجئناها ، وقد سبقنا إليها رجلان ، والعين مثل الشرك تبض^(٣) بشيء من ماء ، قال : فسألهما رسول الله ﷺ : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم ، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول . قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين ، قليلاً قليلاً ، حتى اجتمع في شيء قال : وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ، ثم أعاد فيها فحرت العين بماء منهمر ، أو قال : غزيراً . حتى استقى الناس ، ثم قال : يوشك يامعاذ ، إن طال بك حياة أن ترى ها هنا قد مليء جناناً^(٤) .

وفي غزوة تبوك كرم الرسول ﷺ أحد الصحابة بالصلاة خلفه ، مما يدل على شدة تواضعه ﷺ لأصحابه واحترامه وتقديره لهم . روى المغيرة بن شعبة ، قال : " تخلف رسول الله ﷺ وتخلفت معه ، فلما قضى حاجته ، قال : أمعك ماء ؟ فأتيته بمطهرة ، فغسل كفيّه ووجهه ، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه ، ومسح بناحيته ، وعلى الجبّة ، فأخرج يده من تحت الجبّة ، وألقى الجبّة على منكبيه ، وغسل ذراعيه ، ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيّه ، ثم ركب وركبت ، فأنتهينا إلى القوم ، وقد قاموا في الصلاة يصلي بهم

(١) أسلم : تنسب إلى أسلم بن عباية ، من بني عك الثلاثة : حدود جاهليون ، النسبة إلى كل منهم (أسلمي) ، يضم اللام .

ومن عداهم فكله يفتح اللام . انظر ، الأعلام : (١ / ٢٩٧ - ٢٩٧) .

(٢) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٦٩ - ١٧٠) . وانظر ، المغازي : (٣ / ١٠٠١ - ١٠٠٢) .

(٣) تبض : أي جعل ماؤها يخرج قليلاً . انظر ، لسان العرب : (٧ / ١١٧) .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب معجزات النبي ﷺ : (٤ / ١٤٢٤) حديث رقم : (٧٠٦) .

عبد الرحمن بن عوف^(١) ، وقد ركع بهم ركعة ، فلما أحسَّ بالنسيء ﷺ ذهب يتأخر ، فأوماً إليه فصلّى بهم ، فلما سلّم قام النبي ﷺ ، فركعنا الركعة التي سبقتنا^{(٢)(٣)} .

ثالثاً- عند الوصول إلى تبوك :

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك ، أرسل رسوله برسالة إلى هرقل^(٤) عظيم الروم ، يدعو فيه إلى الإسلام . روى سعيد بن أبي راشد قال : " لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بجمص^(٥) ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً ، قد بلغ العقد ، أو قرب ، فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ، ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ، قال بلى : قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبي^{(٦)(٧)} إلى هرقل ، فلما أن جاء كتاب رسول الله

(١) عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدرين ، القرشي الزهري ، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام ، له عدة أحاديث . كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل : عبد الكعبة ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، ولد بعد عام الفيل بعشرين سنة ، لما هاجر إلى المدينة كان فقيراً ، ثم آل أمره في التجارة إلى ما آل إليه ، توفي سنة ٣٢ هـ ، ودفن بالقيع ، عاش خمساً وسبعين سنة . انظر ، سير أعلام النبلاء : (٢ / ٦٨ - ٩٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الوضوء ، باب : المسح على الناصية والعمامة : (١ / ١٩٤) ، حديث رقم : (٢٧٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : المسح على الخفين ، ص : ٦ ، حديث رقم : (٢٠٣) ، وورد الحديث مختصراً . وقال ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري : (١ / ٣٦٧) : " وفي المغازي أنه كان في غزوة تبوك على تردد في ذلك من رواه ومالك وأحمد وأبي داود من طريق عباد بن زياد وعروة بن الزبير أنه كان في غزوة تبوك بلا تردد ، وأن ذلك كان عند صلاة الفجر " .

(٤) هرقل : هو ملك الروم ، وهرقل اسمه ، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس : كسرى ونحوه ، انظر ، فتح الباري : (١ / ٤٤) ، عمدة القارئ : (١ / ٧٩ - ٨٠) .

(٥) حمص : مدينة بالشام مشهورة ، سميت برجل من العماليق يسمى حمص ، ويقال رجل من عاملة هو أول من نزلها ، افتتحها أبو عبيدة - رضي الله عنه - سنة ١٧ هـ . انظر ، معجم البلدان : (٢ / ٣٠٠) .

(٦) دحية بن خليفة بن فروة بن نضالة الكلبي القضاعي ، صاحب النبي ﷺ ، ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصل إلى هرقل ، روى أحاديث ، وشهد اليرموك ، وأسلم قبل بدر ولم يشهدا ، كان يشبه بجبريل - عليه السلام - سكن مصر ، ومات في خلافة معاوية بن أبي سفيان . انظر ، تاريخ الصحابة ، ص : ٩٤ .

(٧) والنبي ﷺ أوفد دحية الكلبي إلى هرقل بكتابه مرتين ، كما ذكر الحافظ بن حجر - رحمه الله - في فتح الباري : (١ /

٥٠) ، حيث قال عن دحية الكلبي : " بعثه ﷺ في آخر سنة ست بعد أن رجع من الخديبية بكتابه إلى هرقل ، وكان وصوله إلى هرقل في المحرم سنة سبع " ، وبعث ﷺ دحية الكلبي إلى هرقل وهو بتبوك حيث قال ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري : (١ / ٥٧) : " وفي المسند من طريق سعيد بن أبي راشد التنوخي مرسل هرقل " ، ثم ذكر الحديث .

ﷺ، دعا قسيساً^(١) الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه ، وعليهم الدار ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال ، يدعوني ، أن اتبعه على دينه ، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا ، والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمه ، فهلم فلنتبعه على دينه ، أو نعطيه مالنا على أرضنا . فنخروا^(٢) نخرة رجل واحد ، حتى خرجوا من برانسهم^(٣) ، وقالوا تدعوننا إلى أن نذر النصرانية ، ونكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ، فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفاهم^(٤) ، ولم يكذ ، وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ، ثم دعا رجلاً من عرب تُجيب^(٥) ، كان على نصارى العرب قال : ادع لي رجلاً حافظاً للحديث ، عربي اللسان ، أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاء بي فدفع إليّ هرقل كتاباً فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعت من حديث فاحفظ لي منه ثلاث خصال ، انظر هل يذكر صحيفته إليّ التي كتب بشيء ؟ وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك ؟ قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً ، فإذا هو جالس بين ظهري أصحابه محتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا فأقبلت أمشي ، حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ، ثم قال : ممن أنت ؟ فقلت : أنا أخو تنوخ^(٦) ، قال : هل لك إلى الإسلام الخفيفة ملة أياكم إبراهيم ؟ قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم ولا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، فضحك ، وقال : { إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين }^(٧) . يأخا تنوخ إني كتبت بكتاب

(١) القسيس : رئيس من رؤساء النصارى في الدين في مرتبه بين الأسقف والشماس . انظر، الصحاح ، ص : ٩٢١ .

(٢) فنخروا : أي تكلموا ، وكأنه كلام مع غضب ونفور . انظر، لسان العرب : (١٩٩ / ٥) .

(٣) برانسهم : البرانس قلنسوة طويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام . انظر، الصحاح ، ص : ٦٧ .

(٤) رفاهم : رفأ الرجل يرفأه رفأً ؛ سكنه . انظر، لسان العرب : (٨٧ / ١) .

(٥) تُجيب : بالضم ثم الكسر وباء ساكنه وباء موحد ، وهو اسم قبيلة ، وهم بطن من كنده ، وهو تُجيب بن كنده بن

ثور . انظر ، معجم البلدان : (١٦ / ٢) ، ولسان العرب : (٨٨ / ١) .

(٦) تنوخ : حي من العرب أو من اليمن أو قبيلة مشتق من ذلك ، لأهم اجتماعوا وتحالفوا فتحوا . انظر، لسان العرب : (٣ /

١٠) .

(٧) سورة القصص ، الآية : (٥٦) .

إلى كسرى^(١) ، والله ممزقه ، وممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي^(٢) بصحيفة فحرقها فحرق الله ملكه ، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة ، فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ، مادام في العيش خير ، قلت : هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي ، فأخذت سهماً من جعبي^(٣) فكتبته في جنب سيفي ، ثم إنه ناوله الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحبكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية ، فإذا في كتاب صاحبي ، تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار . قال : فأخذت سهماً من جعبي في جلد سيفي ، فلما فرغ من قراءة كتابي ، قال : إن لك حقاً وإنك لرسول ، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها ، إنا سفر مرملون^(٤) ، قال : فناده رجل من طائفة الناس ، قال أنا أجوزه ، ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية^(٥) ، فوضعها في حجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي عثمان ، ثم قال رسول الله ﷺ : أيكم يزل هذا الرجل ؟ فقال فتى من الأنصار : أنا ، فقام الأنصاري ، وقمت معه ، حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ، ناداني رسول الله ﷺ فقال : تعال يا أخا تنوخ ، فأقبلت أهوى حتى كنت قائماً في المجلس الذي كنت بين يديه ، فحلّ حبوته عن ظهره وقال : هاهنا امض لما أمرت به ، فجعلت في ظهره ، فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف

(١) كسرى : هو ابن برويز بن هرمز ابن انوشروان ، وهو كسرى الكبير المشهور ، وكسرى بفتح الكاف وبكسرهما ، لقب كل من تملك الفرس ، ومعناها بالعربية المظفري . انظر، فتح الباري : (٢٣٣ / ٧) .

(٢) النجاشي : بفتح النون ، وتخفيف الجيم وبعد الألف شين معجمة ثم ياء ثقيلة كياء النسب ، وقيل : التخفيف ، وهو لقب ملك الحبشة . انظر، المرجع السابق : (٢٢٣ / ٣) .

(٣) الجعبة : كناية الشّاب ، والجمع جعاب . انظر، الصحاح ، ص : ١٥٠ .

(٤) مرملون : اسم فاعل من أرمل ، وأرمل القوم ، نفذ زاهم ، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل . انظر، لسان العرب : (٢٩٦ / ١١) .

(٥) صفورية : بفتح أوله وتشديد ثانيه وواو وراء مهمله ، ثم راء فخفت ، كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام ، وهي قرب طبرية . انظر، معجم البلدان ، ابن عساکر : (٤١٤ / ٣) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط

١٤١٣هـ — ومعجم ما استعجم : (٨٢٧ / ٣) .

مثل الحمحمة الضخمة" (١).

وفي تبوك بشر الرسول ﷺ أصحابه بما خصه الله به من خصائص نبوية ، فقد روى جابر عن عبد الله أن النبي ﷺ قال : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" (٢).

وقد أخبر الرسول ﷺ ببعض أشراف الساعة في غزوة تبوك ووقوع ذلك فيما بعد . فقد روى عوف بن مالك قال : " أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم (٣) ، فقال : "أعدد ستاً بين يدي الساعة ، موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص (٤) الغنم، ثم استفاضة المال ، حتى يعطى الرجل ، مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة ، لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيعدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً" (٥).

كما أخبر ﷺ أصحابه بمبوب الريح قبل أن تهب عليهم ، فقد روى أبي حميد قال : فلما أتينا تبوك : " قال رسول الله ﷺ : أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة ، فلا يقومنَّ

(١) المسند : (١٤ / ٤١٦ - ٤١٩) ، حديث رقم : (١٥٦٥٥) ، قال محققوا المسند عن هذا الحديث : وهذا الحديث

حديث غريب . وقال ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية : (٥ / ١٥ - ١٦) ، هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : (٨ / ٢٣٤ - ٢٣٦) ، وقال : رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى ثقات ، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الطهارة ، باب : التيمم ، ص : ٨٧ ، حديث رقم : (٣٣٥) .

صحيح مسلم ، أول كتاب المساجد : (١ / ٣١٠) ، حديث رقم : (٥٢١) .

(٣) آدم : من الأدم ، الجلد ، انظر ، لسان العرب : (٩ / ١٢) .

(٤) عَقَاصُ الغنم : هو داء يأخذ اللواب ، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فحاة . وقيل : العقاص داء يأخذ في الصدر كأنه

يكسر العنق ، انظر ، فتح الباري : (٦ / ٣٢) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الجزية والموادعة ، باب : ما يحذر من الغدر ، ص : ٦٧١ ، حديث رقم : (٣١٧٦) .

أحد ، ومن كان معه بعير فليقله^(١) ، ففعلناها ، وهبت ريح شديدة ، فقام رجل فألقته بجبل طيء^{(٢)(٣)} .

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة^(٤) ، صاحب أيلة^(٥) ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء^(٦) ، وأذرح^(٧) ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ كتاباً ، فهو عندهم^(٨) . فكتب ليحنة بن رؤبة : "بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة. سفنهم وسيارتهم من البر والبحر لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان منهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، والبحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يروونه ، ولا طريقاً يريدونه، من بر أو بحر"^(٩) .

وكتب لأهل جرباء وأذرح : "بسم الله الرحمن الرحيم ، بن محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ

- (١) فليقله : أي يشده بالعقل وهو الخيل . انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٤٠٣ / ٣) .
- (٢) جبل طيء : المكان الذي كانت القبيلة المذكورة تتزله ، واسم الجبلين المذكورين أجاً وسلمى وهما مشهوران . انظر، المرجع السابق : (٤٠٣ / ٣) .
- (٣) صحيح البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : خرص التمر ، ص : ٣١٣ ، حديث رقم : (٣١٧٦) .
- (٤) صحيح مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : معجزات النبي ﷺ : (٤ / ١٤٢٥) ، حديث رقم : (١٣٩٢) .
- (٥) يحنة بن رؤبة : لم أحد له ترجمة .
- (٦) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . انظر، معجم البلدان : (٢٩ / ١)
- (٧) جرباء : موضع من أعمال عمان باللقاء من أرض الشام ، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز . انظر: المرجع السابق (١١٨ / ٢) .
- (٨) أذرح : من أعمال الشراة في أطراف الشام من نواحي اللقاء وعمان ، وبين أذرح والجرباء ميل واحد وأقل . انظر، المرجع السابق : (١١٨ / ٢) .
- (٩) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٦٥ - ١٦٦) . وانظر، تاريخ الطبري : (٣ / ١٤٦) ، تاريخ الإسلام : الذهبي ، ص : ٦٤٣ ، دار الكتاب العربي ، البداية والنهاية : (٥ / ١٦) ، عيون الأثر : (١ / ٢٨١) ، زاد المعاد : (٣ / ٤٧٠) ، تاريخ يعقوبي : (٢ / ٧٠) ، المغازي : (٣ / ١٠٣١) .
- (٩) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٦٦) .

إليهم من المسلمين" (١).

وكتب لأهل مقنا (٢): "أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم ربيع غزولهم وربع ثمارهم" (٣) .

ثم إن ملك أيلة أهدى الرسول ﷺ بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله ﷺ ، بردة بيضاء مع كتابة أمان لهم ، عن أبي حميد الساعدي قال : " غزونا مع النبي ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب لهم بيحرمهم" (٤).

كما " أن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد (٥) ، فبعثه إلى أكيدر دومة (٦) ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كنده ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، فخرج خالد حتى إذا كان حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته فباتت تحكّ بقرونها باب القصر فقالت

(١) البداية والنهاية : (١٧ / ٥) . وانظر ، الاكتفاء في معازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء : (٣ / ٣٨٥) .

(٢) مقنا : قرب أيلة . انظر ، معجم البلدان : (٥ / ١٧٨) .

(٣) المغازي : (٣ / ١٠٣٢) . وانظر ، الطبقات الكبرى : (١ / ٢٩١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب : إذا وادع الإمام ملك القرية ، هل يكون ذلك لبيعتهم ، ص : ٦٦٧ — ٦٦٨ ، حديث رقم : (٣١٦١) .

صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب : في معجزات النبي ﷺ : (٤ / ١٤٢٥) ، حديث رقم : (١٣٩٢) .

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم ، هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان ، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة ، وأخذ الراية بعد قتل قائدهما الثلاثة فحمل على العدو فكان النصر فسماه النبي ﷺ سيف الله ، شهد الفتح وحينئذ وحارب أهل الردة ومسيلمة ، وغزا العراق وشهد حروب الشام ، أمره الصديق على سائر أمراء الأحناد وحاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة له أحاديث قليلة ، عاش ستين سنة ، ومات على فراشه ، توفي بجمص سنة إحدى وعشرين سنة . انظر ، سير أعلام النبلاء : (١ / ٣٦٦ — ٣٦٨) ، الاستيعاب : (١ / ٤٢٧ — ٤٣١) ، الإصابة : (٢ / ٢٥١ — ٢٥٥) .

(٦) هو أكيدر بن عبد الملك ، صاحب دومة الجندل ، أهدى النبي ﷺ حلة سراء ، فوهبها لعمر وتعقب ذلك ابن الأثير فقال : إنما أهدى إلى النبي ﷺ وصالحه ولم يسلم وهذا لا خلاف فيه بين أهل السير ، ومن قال أنه أسلم فقد أخطأ خطأ ظاهراً بل كان نصرانياً ولما صالحه النبي ﷺ عاد إلى حصنه وبقي فيه ثم إن خالد بن الوليد أسره في أيام أبي بكر فقتله كافراً . وقد ذكر البلاذري أن أكيدر دومة لما قدم على النبي ﷺ مع خالد أسلم فعاد إلى دومة فلما مات النبي ﷺ ارتد فلما سار خالد إلى الشام قتله ، قال ابن الأثير : فعلى كل حال لا ينبغي أن يذكر في الصحابة . وقال ابن حجر : وذكر ابن الكلبي أنه لما منع ما صالح عليه أخلاه أبو بكر ويقال بل أخلاه . انظر ، الإصابة : (١ / ٢٠٥) .

له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ، قال : لا والله ! قالت فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد .
فترل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان ،
فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقفتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه
وقد كان عليه قباء من ديباج مخصوص^(١) بالذهب فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ
قبل قدومه به عليه^(٢) ، ثم قدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقت له دمه ، وصالحه على
الجزية ، ثم خلّى سبيله فرجع إلى قريته^(٣) .

وقد أهدى أكيدر رسول الله ﷺ جبة حرير . كما ورد عن أنس — رضي الله عنه
— قال : " أهدى للنبي ﷺ جبة حرير وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال :
والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ^(٤) في الجنة أحسن من هذا^{(٥)(٦)} .

(١) مخصوص : أي منسوج به كخوص النخل . انظر ، لسان العرب : (٧ / ٣٣) .

(٢) سورة ابن هشام : (٤ / ١٦٦ — ١٦٧) . وانظر ، المغازي : (٣ / ١٠٢٥ — ١٠٣١) .

(٣) المرجع السابق : (٤ / ١٦٧) .

(٤) سعد بن معاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل البديري ، الذي اهتز العرش لموته ، ومناقبه مشهور في الصحاح وفي السيرة
وغير ذلك ، شهد بدرًا ورُمي يوم الخندق فقطع أكحله ، فعاش شهر ثم انتفض جرحه فمات سنة خمس من الهجرة من
أثر الرمية تلك وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ودفن بالقيع . انظر ، سير أعلام النبلاء : (١ /
٢٧)

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : قبول الهدية من المشركين ، ص : ٥٤٣ ، حديث رقم : (٢٦١٥) .

صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة — رضي الله عنهم — باب : فضائل سعد بن معاذ — رضي الله عنه — (٤ /
١٥٢٣) ، حديث رقم : (٢٤٦٩) .

(٦) والراجح في الإهداء : كما ذكر د . مهدي رزق الله أحمد في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص : ٦٢٨ ،
أن حصول الرسول ﷺ على الخلة كان عن طريق الإهداء كما في الصحيح ، وليس عن طريق الاستلاب كما ذكر ابن
إسحاق . وقد أهداها الرسول ﷺ إلى عمر لا ليلبسها ، وإنما أهداها عمر لأخ له كان بمكة مشركًا ، عن عبدالله بن
عمر رضي الله عنهما — قال : " رأى عمر بن الخطاب حلة سبأ عند باب المسجد ، فقال : يا رسول الله لو اشتريتها
فلبستها يوم الجمعة ، وللوفد ، قال : إنما يلبسها من لا خلاق له في الآخرة " . ثم جاءت حلة ، فأعطى رسول الله ﷺ
عمر منها حلة ، وقال : أكسوتينها ، وقلت في حلة عطارده ما قلت ؟ فقال : إن لم أكسكها لتلبسها . فكساها عمر أخًا
له بمكة مشركًا . انظر ، صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : هدية ما يكره لبسها ، ص : ٥٤٢ ، حديث رقم :
(٢٦١٢) .

و"لم يقع قتال في هذه الغزوة ، بل انتهى المسلمون إلى تبوك ، ولم يلقوا جموع الروم والقبائل العربية ، وآثر حكام المدن الصلح ودفع الجزية"^(١).

وأقام رسول الله ﷺ في تبوك عشرين يوماً ، روى جابر بن عبد الله " أن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة"^(٢).

و"شاور رسول الله ﷺ في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه—: إن كنت أمرت بالمسير فسر ! ، قال رسول الله ﷺ : لو أمرت به ما استشرتكم فيه ! وقد دنوت منهم حيث ترى ، وقد أفرعهم دنوك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يتحدث الله عز وجل في ذلك أمراً"^(٣). ثم "استخار ﷺ في الرجوع فرجع عامه ذلك لضعف الحال وضعف الناس"^(٤).

رابعاً—أثناء العودة من الغزوة :

وفي طريق العودة إلى المدينة ، حاول المنافقون وهم متلثمون تنفير دابة الرسول ﷺ في إحدى ثنايا العقبة لطرحة ، عن أبي الطفيل قال : " لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : أن رسول الله ﷺ آخذ بالعقبة ، فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله ﷺ يقود

(١) السيرة النبوية الصحيحة : (٢ / ٥٣٥) .

(٢) المسند : (٢٢ / ٤٤) ، ج ١٤١٣٩ ، قال محققوا المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

انظر : سنن أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، كتاب : الصلاة ، باب : إذا قام بأرض العدو ثم يقصر : (١ / ٣٩٣) ، حديث رقم : (١٢٣٥) .

مسوارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، الهيثمي ، باب : مدة القصر ، ص : ٤١٥ ، حديث رقم : ٥٤٦ ، المطبعة السلفية ومكبتها .

(٣) المغازي : (٣ / ١٠١٩) .

(٤) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٤٨) .

حذيفة^(١) ويسوقه عمار^(٢)، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : قد قذ^(٣) ، حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي ، فلما هبط ورجع عمار ، قال : يا عمار ، هل عرفت القوم ؟ قال : قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون . قال : هل تدري ما أرادوا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أرادوا أن يُنْفَرُوا برسول الله ﷺ فيطرحوه ، قال : فسارَ عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال : نشدتك بالله ! كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلاً ، فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر رجلاً ، قال : علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين ، حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد"^(٤).

ويشهد للقصة بالصحة . ما رواه أبو الطفيل — رضي الله عنه — قال : "كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدتك بالله ! كم أصحاب العقبة ؟ قال فقال له القوم : أخبره إذا سألك ، قال : كُنَّا نخبره أنهم أربعة عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"^(٥).

(١) حذيفة بن اليمان بن أحمد ، من بني عيس حليف لبني عبدالأشهل من الأنصار ، من نجباء أصحاب رسول الله ﷺ وهو صاحب سر رسول الله ﷺ حيث أسر له بأسماء المنافقين في غزوة تبوك . وقد نذبه رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليحس له خسر العدو ، ووالده من أعيان المهاجرين . وشهد ثمانون فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية وكان فتح همدان والري والدينور على يد حذيفة . ولي إمرة المدائن لعمر فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان ، وتوفي بعد عثمان — رضي الله عنه — بأربعين ليلة في المدائن ، سنة ست وثلاثين . انظر ، سير أعلام النبلاء : (٢ / ٣٦١ — ٣٦٢) ، الاستيعاب : (١ / ٣٣٤ — ٣٣٦) ، تذكرة الحفاظ ، ص : ٧٣ .

(٢) عمار بن ياسر ابن عامر ، مولى بني مخزوم ، أحد السابقين الأولين ، والأعيان البدرين ، وأمه هي سمية مولاة بني مخزوم بن كبار الصحابيات أيضاً ، له عدة أحاديث . وأول من أظهر إسلامه سبعة كان منهم عمار — رضي الله عنه — عاش ثلاث وتسعين سنة ، وتوفي في موقعة صفين سنة ٣٧ هـ . انظر ، سير أعلام النبلاء : (١ / ٤٠٦ — ٤٢٦) ، أسد الغابة : (٤ / ١٣٩ — ١٤٥) .

(٣) قد قد : بمعنى حسبك . انظر ، لسان العرب : (٣ / ٣٤٧) .

(٤) المسند : (٦ / ٦٣٤) ، حديث رقم : (٢٣٢٨٠) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : المنافقين وأحكامهم : (٤ / ١٧٠١ — ١٧٠٢) ، حديث رقم : (٢٧٧٩) .

قال ابن كثير — رحمه الله تعالى — : " ففيهم نزلت هذه الآية" (١) . { يخلصون بالله ما قالوا
 ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما قنموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك
 خيراً لهم وإن يتولوا يعدبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير } (٢) .
 ثم " إن رسول الله ﷺ ، لما أقبل من غزوة تبوك ، وبين يديه ثلاثة رهط ، استهزؤا بالله
 ورسوله وبالقرآن ، وكان رجل منهم لم يخالهم في الحديث يسير مجانباً لهم فترلت" (٣) : { إن
 نغف عن طائفة منكم نغذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين } (٤) .

وفي أثناء الطريق جهدت الرواحل جهداً شديداً ، فدعا لها الرسول ﷺ فنشطت ، عن
 فضالة بن عبيد الأنصاري كان يقول : " غزونا مع النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين بهم
 مضيقاً ، فسار النبي ﷺ فيه فقال : مرؤوا باسم الله ، فمرّ الناس عليه بظهرهم ، فجعل ينفخ
 بظهرهم : اللهم احملهم عليها في سبيلك ، إنك تحمل على القوي والضعيف ، وعلى الرطب
 واليابس في البر والبحر ، قال : فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمته" (٥) (٦) .

وفي الطريق أيضاً مات عبد الله ذو الجحادين ، فحفروا له ، ونزل رسول الله ﷺ في
 حفرتة ، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه ، ودعا له ﷺ . روى عبد الله بن مسعود — رضي الله
 عنه — أنه كان يحدث قال : " قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ،
 فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها . قال : فإذا رسول الله ﷺ وأبو
 بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو الجحادين (٧) قد مات ، وإذا هو يقول : أدنيا إليّ أحاكما ،

(١) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٧٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٧٤) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٦٨) .

(٤) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٦٦) .

(٥) تنازعنا أزمته : الزمام هو المقود . والمعنى التقدم في السير . انظر : مختار الصحاح ، ص : ٢٤١ — ٢٤٢ .

(٦) المسند : (٧ / ٣٤) ، حديث رقم : (٢٣٤٣٦) .

(٧) عبد الله ذو الجحادين ، وهو ابن عبد نهم بن عفيف بن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن سعد بن عدي ، قدم على النبي ﷺ ،

وكان اسمه عبد العزى ، فسماه رسول الله ﷺ ، ولقبه رسول الله ﷺ ذو الجحادين ، لأنه لما أسلم عند قومه جردوه من

كل ما عليه وألبسوه بجاداً ، وهو الكساء الغليظ الجاني ، فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ فلما كان قريباً منه شق بجاده

بأثنين فاتزر بأحدهما وارتمى الآخر ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقيل له ذو الجحادين ، وقيل إن أمه أعطته بجاداً فقطعه —

فدلياه إليه ، فلما هياه لشقه ، قال: اللهم إني قد أُمسيت راضياً عنه فارض عنه . قال : يقول ابن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة^(١).

وقبل الوصول إلى المدينة بقليل نزل جبريل - عليه السلام - بخبر مسجد الضرار على الرسول ﷺ ، وكشف له خبث المنافقين ومكرهم وحيلتهم في التفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء ، قال ابن كثير - رحمه الله - بخصوص مسجد الضرار: " لما فرغ الناس من أحد ، وارتفع شأن الإسلام ، رأى أبو عامر الفاسق^(٢) ، أن يذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق يعدهم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليه فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك . فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه ، فقال : إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله ، فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم ، مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى ، فبعث

-- قطعتين فأتى بها رسول الله ﷺ والله أعلم . صحب رسول الله ﷺ وأقام معه ، وكان متضرعاً فاصلاً كثير التلاوة للقرآن العزيز . مات في غزوة تبوك ، ودعا له النبي ﷺ . انظر، أسد الغابة : (٣ / ٢٣٠ - ٢٣١) ، الأعلام : (٤ / ٢٣٦) .

(١) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٦٨) ، انظر: المغازي (٣ / ١٠١٣) ، ابن كثير : (٣ / ٣٣) ، البداية والنهاية : (٥ / ١٨) .

(٢) أبو عامر الفاسق : كان في الجاهلية يعرف بالراهب ، وسماه رسول الله ﷺ بالفاسق ، واسمه عمرو ويقال عبد عمرو ، وكان يذكر البعث ودين الخنيفية ، فلما بعث رسول الله ﷺ عانده وحسده ، وخرج من المدينة ، وشهد مع قريش موقعة أحد ، ثم رجس مع قريش إلى مكة ، ثم خرج إلى الروم ، فمات بها سنة تسع ويقال سنة عشر ، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه القرآن ، فأبى أن يسلم وتمرد فسماه رسول الله ﷺ الفاسق ، ودعا عليه أن يموت بعيداً ضريداً فثالته هذه الدعوة . انظر، الإصابة في تمييز الصحابة : (٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩) ، و تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٨٨) .

رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة . فأنزل الله هذه الآيات : {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون} (١)(٢).

وعندما اقترب الرسول ﷺ من المدينة ، لم ينس أهل الأعدار من مشاركتهم للمجاهدين بالأجر ، وقد حبسهم العذر . عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — " أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة ، فقال : إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا يارسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر" (٣).

كما أنه ﷺ اشتاق للمدينة ، وأكد محبته لجبل أحد . روى أبي حميد قال : " أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : هذه طابة (٤) ، وهذا أحد (٥) جبل يحبنا ونحبه" (٦).

وكذلك لما دنا رسول الله ﷺ من المدينة ، خرج الناس والصبيان لتلقيه . عن السائب قال : " أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع (٧) ، مقدمه من غزوة تبوك" (٨).

(١) سورة التوبة ، الآية : (١٠٧) .

(٢) تفسير ابن كثير : (٣٨٨ / ٢ — ٣٨٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، ص : ٩٢١ ، حديث رقم : (٤٤٢٣) .

(٤) طابة : بفتح الباء الموحدة المخففة ، وهو اسم من أسماء مدينة النبي ﷺ . انظر ، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٧) .

(٥) أحد : بضم أوله وثانيه معاً ، اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ، بينه وبين المدينة قرابة ميل من شمالها . انظر ، معجم البلدان : (١ / ١٠٩) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، ص : ٩٢١ ، حديث رقم : (٤٤٢٢) .

(٧) قال ابن القيم — رحمه الله — في زاد المعاد : (٣ / ٤٤٢) : " وقال بعض الرواة بهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ؛ لأن ثنيات الوداع ، إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام" .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقبصر ، ص : ٩٢٢ ، حديث رقم : (٤٤٢٧) .

وأنشد النساء والصبيان والولائد :

طلع البدر علينا من ثلمات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا الله داع^(١)

خامساً-أحداث ما بعد الغزوة :

ثم " إن أبا لبابة^(٢) وأصحابه ، تخلفوا عن نبي الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما قفل رسول الله ﷺ من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله ﷺ وقالوا : نكون في الظلال والأطعمة والنساء ، ونبي الله في الجهاد والأواء ! والله لنوثقن أنفسنا بالسواري ، ثم لا نطلقها حتى يكون نبي الله ﷺ يطلقنا ويعذرنا ، وأوثقوا أنفسهم وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم بالسواري ، فقدم رسول الله ﷺ من غزوته ، فمر في المسجد وكان طريقه ، وأبصرهم فسأل عنهم ، فقيل له : أبو لبابة وأصحابه ، تخلفوا عنك يا نبي الله ، فصنعوا بأنفسهم ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ! فقال نبي الله ﷺ : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ."^(٣) فأنزل الله { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم }^(٤) (٥) .

(١) زاد المعاد : (٤٤٢/٣) .

(٢) أبو لبابة بن عبد المنذر اسمه بشير بن عبد المنذر بن الزبير ، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر ، شهد أحداً وما بعدها ، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح ، مات في خلافة علي بن أبي طالب . انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٧٤٠ - ١٧٤٢) ، تاريخ الصحابة : ص : ٤٥ .

(٣) تفسير الطبري : (٤٥٠/١٤ - ٤٥١) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (١٠٢) .

(٥) قال ابن كثير عن مجاهد -رحمهما الله- في تفسيره (٣٨٦ / ٢) : " أن هذه الآية نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة أنه الذبح وأشار بيده إلى حلقه " . ورد ابن جرير الطبري - رحمه الله - على هذا القول في تفسيره (٤٥٣ / ١٤) فقال : " وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : أبو لبابة وجماعته ؛ لأن الله حل ثناؤه قلل : { وآخرون اعترفوا بذنوبهم } فأحير عن اعتراف جماعة بذنوبهم ولم يكن المعترف بذنبه والموثق نفسه بالسارية في حصار بني قريظة ، غير أبي لبابة وحده ، فإذا كان ذلك وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله { وآخرون اعترفوا بذنوبهم } بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن -

ولما أطلق نبي الله ﷺ أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبي الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عتاً وطهراً . وصلّ علينا ، فقال نبي الله : لا آخذ من أموالكم شيئاً حتى أومر فيها ! فأنزل الله عزّ وجلّ : { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم } ^(١) من ذنوبهم التي أصابوا. (وصلّ عليهم) ؛ استغفر لهم ، ففعل نبي الله — عليه السلام — ما أمره الله به ^(٢) . "وأخذ منهم ثلث أموالهم ، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء" ^(٣) .

وعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة ، دخل المسجد وصلى فيه ركعتين ، وقدم إليه المخلفون ، وقبل منهم علانيتهم ووكّل سرائرهم إلى الله ، ثم أتاه كعب بن مالك — رضي الله عنه — واستوضح ﷺ منه عن سبب تخلفه فصدق معه كعب — رضي الله عنه — ، ونهى الرسول ﷺ عن مكالمته وصاحبيه حتى مرّت خمسون ليلة . وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . ثم أنزل الله توبته عليهم . وقد حدّث كعب بقصته حين تخلف عن غزوة تبوك ، فقال — رضي الله عنه — : " لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلّا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدرأً أذكر في الناس منها ، كان من خيري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلّا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول

— الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا الجماعة ، وكان لا جماعة فقلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار ، وأجمع عليه أهل التأويل إلا جماعة من المتخلفين من غزوة تبوك صح ما قلنا في ذلك ، وقلنا (كان أبو لبابة) لإجماع الحجة من أهل التأويل ."

(١) سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٠٣) .

(٢) تفسير الطبري : (١٤ / ٤٥٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : (٧ / ٢٥٠) .

الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً وعدواً كثيراً ، فحلّى (١) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة (٢) غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ، ما لم يترل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الشمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطففت أعدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجِد (٣) ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط (٤) الغزو ، وهمت أن أرتحل فأدر كههم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطففت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً (٥) عليه النفاق . أو رجلاً من عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب . فقال رجل من بني سلمة : يارسول الله ، حبسه برداه ، ونظره في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بنس ما قلت والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلاً (٦) حضرتني همي ، وطففت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادماً زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذ أقدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين . ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه

(١) فحلّى : بالجيم ، وتشديد اللام ، ويجوز تخفيفها ، أي أوضح . انظر، فتح الباري : (٧ / ٧٢١) .

(٢) أهبة غزوهم : أهبة عددهم ، والأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء ، ما يحتاج إليه في السفر والحرب . انظر، المرجع السابق : (٧ / ٧٢١) .

(٣) حتى اشتد بالناس الجِد : الجِد بكسر الجيم ، وهو الجِد في الشيء والمبالغة فيه . انظر، المرجع السابق : (٧ / ٧٢٢) .

(٤) تفرط : بالفاء والطاء المهملة ، أي فات وسبق ، والفرط السبق . انظر، المرجع السابق : (٧ / ٧٢٢) .

(٥) مغموصاً : بالقيين المعجمة والصاد المهملة ، أي مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق ، وقيل : معناه مستحقراً . انظر، المرجع السابق : (٧ / ٧٢٢) .

(٦) قافلاً : أي راجعاً من سفره إلى المدينة . انظر، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٢) .

المخلفون ، فطفقوا^(١) يعتذرون إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، فحجته ، فلما سلمت عليه تبسّم تبسم المغضب ثم قال : تعال . فحجّت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلّفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك^(٢) ؟ . فقلت : بلى — إني والله — لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد عليّ فيه^(٣) ، إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منّي حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ : أمّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك فقممت ، وثار^(٤) رجال من بني سلمة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ . فما اعتذر إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا يؤنّبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين ، عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان ، وأما أنا فكنيت أشبّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفّتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، فأسارقه النظر^(٥) ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحوه

(١) فطفقوا : أخذوا يعتذرون ، أي يظهرون . انظر ، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٢) .

(٢) ابتعت ظهرك : اشتريت راحلتك . انظر ، المرجع السابق : (١٨ / ٥٣) .

(٣) تجد عليّ فيه : بكسر الجيم ، أي تغضب . انظر ، المرجع السابق : (١٨ / ٥٢) .

(٤) ثار رجال : أي وثبوا . انظر ، المرجع السابق : (١٨ / ٥٢) .

(٥) أسارقه النظر : بالسّين المهملة والقاف ؛ أي أنظر إليه في خفية . انظر ، فتح الباري : (٧ / ٧٢٥) .

أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس ، مشيتُ حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة^(١) ، وهو ابن عمي^(٢) وأحب الناس إلي ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت ، يا أبا قتادة ، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدتُ له فنشدته فسكت ، فعدتُ له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار . قال : فيينا أنا أمشي بسوق المدينة ، إذا نبطي من أنباط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل علي كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه ، أما بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيفة ، فالحق بنا نواسك ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيمنت^(٣) بها التنور^(٤) فسجرت^(٥) بها حتى إذا مضت أربعين ليلة من الخمسين ، رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقرها . وأرسل إلي صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحق بأهلك ، فتكوي عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربك . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ، كما أذن لامرأة هلال تخدمه ،

(١) أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ وكان يعرف بذلك اختلف في اسمه فقليل الحارث بن ربيعي بن بلدمة ، وقيل النعمان بن عمر بن بلدمة ، وقيل عمرو بن ربيعي ابن بلدمة ، وقيل بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عددي الأنصاري السلمي ، واختلف في شهوده بدرأ فقال بعضهم كان بدرياً ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد كلها . واختلف في وقت وفاته فقليل مات بالمدينة سنة ٥٤ هـ . وقيل بل مات في خلافة علي بالكوفة وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه وكبر عليه سبعاً ، ومات سنة ٤٠ هـ ، وقد شهد مع علي مشاهدته كلها في خلافته . انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٧٣٢) ، سير أعلام النبلاء : (٢ / ٤٤٩ - ٤٥٤) .

(٢) ابن عمي : قيل : إنما قال انه ابن عمي لكونهما معاً من بني سلمة ، وليس هو ابن عمه أخي أبيه . وقال الكرماني : وليس هو ابن عمه ، بل ابن عم جده . انظر ، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٣) .

(٣) فتيمنت : أي قصدت . انظر ، فتح الباري : (٧ / ٥٤) .

(٤) التنور : هو ما يخبز فيه . انظر ، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٣) .

(٥) فسجرت بها : أو قذته بها ؛ أي بالكتاب الذي هو الصحيفة . انظر ، المرجع السابق : (١٨ / ٥٤) .

فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ ، أوفى^(١) على جبل سلع^(٢) ، بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبعث ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أنه قد جاء فرجٌ ، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلي رجل فرساً ، وسعى ساع ، من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشري نزعته له ثوبي ، فكسوته إياهما يبشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فیتلقاني الناس فوجاً فوجاً ، يهتوي بالتوبة ، يقولون : لتهنك توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد الله^(٣) يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ ، وهو يبرق وجهه من السرور : أبعث بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك . قال : قلت : أمن عندك يارسول الله ، أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله . وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت :

(١) أوفى : أي أشرف وأطلع . انظر ، فتح الباري : (٧ / ٧٢٨) .

(٢) جبل سلع : بفتح المهملة وسكون اللام ، وهو جبل معروف بالمدينة . انظر ، عمدة القارئ : (١٨ / ٥٤) .

(٣) طلحة بن عبيد بن عثمان بن عمرو بن كعب القرظي التميمي ، أبو محمد أحد العشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان عند وقعة بدر في تجارة الشام فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره وشهد أحداً وأبلى فيها بلاءً حسناً ، ووقى النبي نفسه حتى شلت إصبعه ، ورمي يوم الجمل بسهم في ركبته ، فكان إذا أمسكها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال : دعوها ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وقيل في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة وله أربع وستون . انظر ، الإصابة : (٣ / ٥٢٩ - ٥٣٢) ، الاستيعاب : (٢ / ٧٦٤ - ٧٧٠) ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٢١٤ - ٢٥٢) .

يارسول الله ، إن من توبيت أن أنخلع من مالي^(١) صدقة إلى الله وإلى رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك . قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير ، فقلت : يارسول الله ، إن الله إنما يجاني بالصدق ، وإن من توبيت أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت . وأنزل الله على رسوله ﷺ : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين }^(٢) ، فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط ، بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ ، أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله قال للذين كذبوا — حين أنزل الوحي — شرّاً ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم - إلى قوله - فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }^(٣) . قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله : { وعلى الثلاثة الذين خلفوا }^(٤) . وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا ، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه^(٥) .

"فكان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام ؛ مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة ، وابن أم مكتوم ، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى ، والمقلون وهم البكاؤون ، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة ، أبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون

(١) أن أنخلع من مالي : أي أخرج من جميع مالي . انظر، فتح الباري : (٧ / ٧٢٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآيات : (١١٧ - ١١٩) .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : (٩٥ - ٩٦) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (١١٨) .

(٥) الصحيح ، كتاب : المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } ، ص :

٩١٨ - ٩١٩ ، حديث رقم : (٤٤١٨) .

وصحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : حديث كعب بن مالك وصاحبه . (٤ / ١٦٨٥ - ١٦٨٩) . حديث رقم :

(٢٧٦٩) .

ملومون مذمون وهم المنافقون" (١) .

وقد "مرض عبد الله بن أبي ليال بقين من شوال ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة" (٢) . عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنهم — أنه قال: "ولما مات عبد الله بن أبي سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على ابن أبيي ، وقد قال يوم كذا وكذا ، وكذا وكذا ؟ أعدد عليه قوله ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أخر عني يا عمر ، فلما أكثرت عليه، قال : إني خيبت ، لو أعلم إني إن زدت على السبعين فقُفر له لزدت عليها ، قال : فصلي عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة : { ولا تصل على أحد منهم مات أبداً . إلى وهم فاستقون } (٣) . قال : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ ، والله ورسوله أعلم" (٤) .

(١) البداية والنهاية : (٢٧ / ٥) .

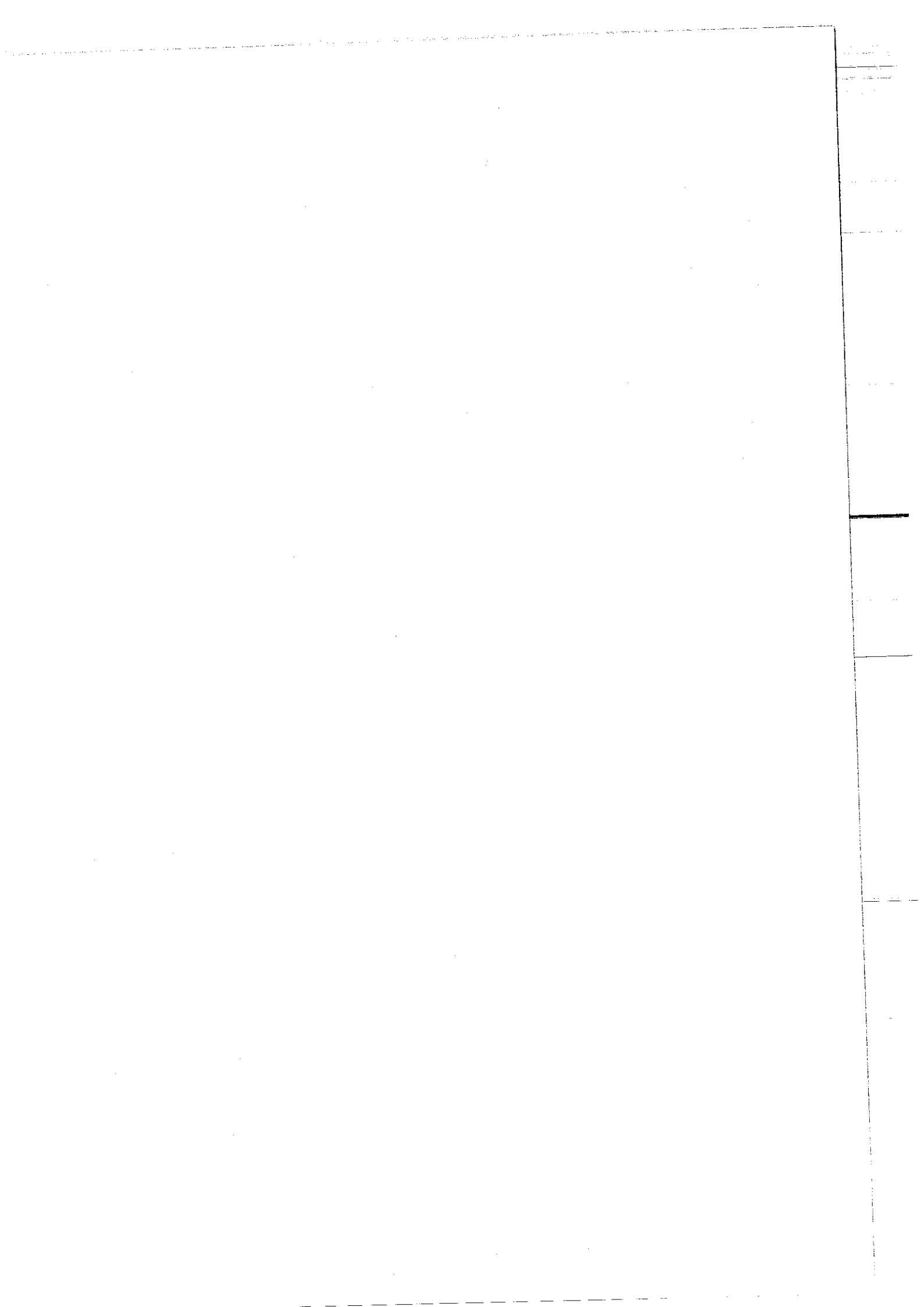
(٢) المغازي : (١٠٥٧ / ٣) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٨٤) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين . ص : ٢٨٧ ، حديث رقم : (١٣٦٦) .

المبحث الثالث

نتائج غزوة تبوك



المبحث الثالث

نتائج غزوة تبوك

لقد استفاد المسلمون من هذه الغزوة فوائد كبيرة ذات أبعاد مختلفة ، وفي نواحي عديدة ، كان من أهمها :

- ١ — "أن هذه الغزوة رسمت منحى الطريق الذي يجب على المسلمين المجاهدين أن يسلكوه في حروبهم ومعاركهم في المستقبل ، بعد أن انتهوا من معاركهم الداخلية ووجدوا صفوفهم ، وأشارت إلى العدو الكبير الذي يجب أن يواجهوه قبل غيره بعزم وقوة وإيمان مهما كلفهم ذلك من عسر ومشقة ومال ونفس"^(١).
- ٢ — "كانت هذه الغزوة بقيادة النبي ﷺ إيذاناً بفتح الشام ، كذلك خروج النبي ﷺ بنفسه إلى تلك المنطقة البعيدة في تلك الشدة كان تعليماً للمؤمنين حتى لا يتأخروا في نشر الإسلام مهما بعدت المسافة"^(٢).
- ٣ — و"لأهمية منطقة تبوك والشام وأهمية اتباع أمر الرسول ﷺ أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة بالرغم من ظروف الخطر المحقق بالمدينة وبكيان الإسلام كله بسبب حركة الردة ، ثم تجهيز أبي بكر جيوش الفتح إلى بلاد الشام والعراق كان إكمالاً لما بدأ به النبي ﷺ حين خرج لغزو تبوك ، وذلك تحقيقاً لأهداف الدعوة الإسلامية بتحرير البشر من الظلم والطغيان والعبودية لغير الله"^(٣) . { وقاتلهم حتى لا تكون قننة ويكون الدين لله }^(٤) . الآية .
- ٤ — "أدت هذه الغزوة إلى انسحاب الروم شمالاً عن تبوك فدخلت أطراف الشام في نفوذ

(١) المخلفون وغزوة تبوك ، ، ص : ٥٠ .

(٢) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ : (٦١٤ / ٢) .

(٣) المرجع السابق : (٦١٤ / ٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (١٩٣) .

المسلمين كمدينة أيلة ودومة الجندل" (١). "فحققت هذه الغزوة أهدافها بتوطيد سلطان الإسلام في الأقسام الشمالية من شبه الجزيرة العربية" (٢).

٥ - "وفدت على الرسول وفود المدن والقرى على حدود الشام وجنوبه ومنها أيلة وكانوا نصارى وأعطوا الجزية ، ومنها أذرح وجرباء" (٣).

صالح الرسول ﷺ من داخل الجزيرة العربية قرية مقنا ، ذات النخل وكتب لهم كتاباً" (٤). وصالح يحنه بن رؤية صاحب أيلة . وأكيدر بن عبد الملك الكندي على الجزية .

٦ - "كان إسلام ثقيف أثراً من آثار تلك الغزوة ، فقد رأوا بأعينهم قوة المسلمين يوم حنين، وسمعوا بأذانهم دخول القبائل في دين الله ، حيث لم يجدوا أحداً يساندهم أو يقف معهم في الميدان ، فبإسلام ثقيف دانت شبه الجزيرة العربية كلها ، بلا منازع للإسلام ، ولم يعد هناك معارضة تذكر" (٥).

٧ - "أقبلت وفود أكثر القبائل العربية إلى المدينة بعد عودة النبي ﷺ إليها من تبوك معلنة إسلامها ، وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ولهذا سُمِّي هذا العام بعام الوفود" (٦).

٨ - "وقد أدى اندحار الروم معنوياً في غزوة تبوك إلى تفكير القبائل العربية الخاضعة لهم ، بعدم جدوى اعتمادهم على الروم لحمايتهم ، ولابد من التحالف مع المسلمين الأقوياء ؛ ليضمنوا لهم الحماية والاستقرار ؛ لذلك أقبلت القبائل العربية على مصالحة

(١) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ : (٦١٣ / ٢) .

(٢) المخلفون وغزوة تبوك . ص : ٣١ .

(٣) الشورى العسكرية في الإسلام ، محمود شيت خطاب ، ص : ٩٣٠ ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٩ م .

(٤) تبوك قديماً وحديثاً ، د . سعد بن عيد العطوي ، ص : ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .

(٥) تأملات في سيرة الرسول ﷺ ، د . محمد السيد الوكيل ، ص : ٢٩١ ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٧ م .

(٦) الشورى العسكرية في الإسلام . ص : ٩٣٠ .

المسلمين ومحالفتهم ، وازداد انتشار الإسلام في تلك المناطق عما كان بعد مؤتة" (١) .

٩ — "استطاع الرسول تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية التي تربط شبه الجزيرة ببلاد الشام الخاضعة للرومان ؛ وذلك بقصد المحالفات مع سكان تلك المناطق ، وبذلك ضمن الرسول ﷺ حماية الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب تجاه الروم وحلفائهم الغساسنة ؛ كما أصبحت تلك المواقع المواتية للمسلمين انطلاق المسلمين لفتح بلاد الشام ، فسَهَّلت مهمة الفتح الإسلامي على عهد الخلفاء الراشدين فمنها انطلقت قوات المسلمين إلى الشمال وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم في فتح بلاد الشام" (٢) .

١٠ — وقد استفاد المسلمون من الغنائم في وقت كانوا بأمرس الحاجة إليها ، كما استفادوا من الجزيرة التي فرضت على الذين بقوا على دينهم ولم يعتنقوا الإسلام" (٣) .

١١ — "أصبحت تبوك بعد الغزوة واحدة من أهم مناطق الدولة الإسلامية وبقيت ثغراً مهماً للجزيرة من جهة الشام ، وطريقاً للقوافل التجارية ، وقوافل الحجاج والمعتمرين" (٤) .

١٢ — كانت هذه الغزوة إعلاناً عملياً للعالم أجمع إلى قيام قوة جديدة في الأرض ، تقف نداً للنند في مواجهة القوتين الكبيرتين ، الروم والفرس ، وتتحداهما . هذا الإعلان زاد موقف الرسول ﷺ وأصحابه قوة إلى قوة في المدينة في نظر المنافقين وضعاف النفوس ، وفي أنحاء الجزيرة العربية لدى الذين لم يسلموا بعد ، أو الذين مازلوا في شك في نجاح الدعوة الإسلامية ، وإنشاء الدولة الإسلامية ، وزاد المسلمين يقيناً إلى يقينهم بنصر الله وتأييده ، وثباتاً على ثباتهم في سبيل الحق والخير والعدل ، على صراط الله المستقيم لا يبالون بشيء من حطام الدنيا" (٥) .

(١) الشورى العسكرية في الإسلام . ص : ٩٣٠ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٩٣١ .

(٣) تبوك . د . محمد بن علي الهري . ص : ٣٦ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية ، الرياض ، ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م .

(٤) المرجع السابق ، ص : ٣٦ .

(٥) المحلفون وغزوة تبوك . ص : ٣٢ — ٣٣ .

- ١٣ — "أحرزوا نصراً مؤزرًا على أكبر دولة في زمانهم بدون قتال ؛ حيث أن بقاء المسلمين على حدود الروم متحدنين أكثر من عشرة أيام ، وانسحابه إلى حصون الشام في الداخل هو غلبة لهم أي غلبة ، وهزيمة للعدو أي هزيمة ، وكان هذا تحطيمًا لمعنويات العدو ، ورفعاً لمعنويات المسلمين إلى درجات عالية" (١) . " كما ألقى في نفوس الروم الرعب ، واستمر تأثيره فيهم لفترة طويلة ، وعمل عمله في فتوح الشام" (٢) .
- ١٤ — "أكدت الغزوة قدرة المسلمين على خوض أشرس المعارك في أبعد الأماكن عن منطقة وجودهم ، فازدادت ثقة المسلمين بأنفسهم ، وبقدرتهم على انتزاع النصر والقتال بنفس طويل ، إذ أن الجيش الإسلامي غادر المدينة في رجب ، وعاد إليها في رمضان بعد غزوه استمر حوالي ثلاثة أشهر" (٣) .
- ١٥ — "أما وقد استطاع المسلمون تجميع جيش ضخم مقداره ثلاثين ألف مجاهد ، من المدينة إلى تبوك في وقت عسرة وجذب في ذلك النظام وتلك الدقة ، دليل على عظمة القيادة وحزمها وخبرتها العسكرية الواسعة بشؤون الحرب ، وعلى حسن تدريب الجنود وعظيم طاعتهم" (٤) .
- ١٦ — "برهنت غزوة تبوك على اللياقة البدنية العالية التي يتحلى بها الجيش الإسلامي لأن قطع المسافة من المدينة إلى تبوك يعتبر أمراً عسيراً حتى في أيامنا هذه" (٥) .
- ١٧ — أيضاً "ما اكتسبوه من جلد وصبر واحتمال المشقة في عمل عسكري شاق على جبهة القتال ، كان خير تدريب وممارسة" (٦) .
- ١٨ — "سريان هيبة الإسلام إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية وداخل بلاد الشام نفسها ، حيث برز المسلمون في غزوة تبوك على الساحة الدولية بروزاً قوياً ومفاجئاً أذهل

(١) المخلفون وغزوة تبوك . ص : ٣١ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٤٩ .

(٣) تبوك . ص : ٣١ .

(٤) تأملات في سيرة الرسول . د . محمد السيد الوكيل . ص : ٢٨٩ ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٧ م .

(٥) الرسول العربي وفن الحرب ، مصطفى طلاس ، ص : ٣٠٤ ، دار طلاس ، دمشق ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(٦) المخلفون وغزوة تبوك . ص : ٣١ .

كثيراً من السياسيين والحكام في ذلك العصر ، ولفت أنظارهم إلى دولة فتية في شبه جزيرة العرب تتحدى إمبراطورية الروم سيدة المسرح السياسي آنذاك ، بعد أن كانوا قبائل متفرقة متقاتلة ، أو حكاماً تابعين للروم ، أو الفرس قبل سنوات قليلة"^(١).

١٩ — "أن الرسول ﷺ عاد إلى المدينة مرفوع الرأس منتصراً أعظم انتصار ، بعد أن قرر عدم اجتياز حدود الشام ، والاكتفاء بتحدي الرومان وإرهابهم ، مؤكداً بهذا التحدي قدرته على حماية الجزيرة العربية من عدوان أي عدو يفكر في الاعتداء عليها"^(٢).

٢٠ — "كانت هذه الغزوة امتحاناً وابتلاءً لمعادن الناس ، إذ تكشف فيها هذه المعادن بصورة جلية ، ومحضاً الله بها المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، والمسلمين الصادقين واتضح الكرماء والشجعان والأقوياء والبخلاء والجبناء والضعفاء"^(٣).

٢١ — "ازداد المسلمون تماسكاً وتضامناً في صفوفهم ، وازدادوا محبة وأخوة في قلوبهم ، وتآلفاً في نفوسهم ، وقاموا بتجربة عملية جديدة تكشف مدى ما للتعاون والتضامن من تأثير في قوة الأمة وانتصارها على عوادي الدهر ، ومشاق الطبيعة وشروور البشر"^(٤).

٢٢ — "ازداد المسلمون إيماناً على إيمانهم بأن النصر من عند الله ، وأن المؤمن يجب أن لا يهاب أحداً لا كبيراً ولا صغيراً في سبيل الله ، استفادوا تجربة جديدة ربما كانت أقسى التجارب في استشعارهم بأن الله معهم ، وبأنهم على حق ، وفي إحساسهم باستعلاء المسلم واعتزازه ، وشاهدوا معجزات جديدة خلالها أضافوها إلى حصيلة سابقاتها من اليقين والثبات والفداء"^(٥).

٢٣ — "لقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم في سكان شبه الجزيرة العربية لا يقل روعةً وجلالاً عن أثر فتح مكة ، ولكن كان فتح مكة قد نبه العرب إلى حقيقة كانت غائبة عن

(١) غزوة تبوك . محمد أحمد باشميل ، ص : ١٥٤ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

(٢) المرجع السابق . ص : ١٥٦ .

(٣) الشورى العسكرية في الإسلام . ص : ٩٣٠ .

(٤) المخلفون وغزوة تبوك . ص : ٣١ — ٣٢ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٣١ .

عقولهم وهي إرسال الحق الذي بعث به محمد ﷺ ، فقد كانت غزوة تبوك داعية لهم لأن يسرعوا بالدخول في هذا الحق الذي دعاهم إليه^(١). " حيث علم أولئك العرب أن المستقبل للإسلام في تلك الأرض ، لأنه دين الله ودين الحق الواضح الذي لا ضلال فيه ، وأنه الدين المستقيم الذي لا التواء في معانيه"^(٢) .

٢٤- "كان في موقف الثلاثة الذين خُلفوا ، وهم في صدق يقينهم وإخلاص إيمانهم درساً سلوكياً في حياة المجتمع المسلم ما بقي القرآن الكريم يُتلى في محارب الإسلام"^(٣) .

وفي ظل هذه النتائج وغيرها ، كانت هذه الغزوة منفردة بوضعها الجهادي وقدرها الاجتماعي بين غزوات الرسول ﷺ .

(١) تأملات في سيرة الرسول . ص : ٢٨٩ .

(٢) خاتم النبیین : (٣ / ٩٦٠) .

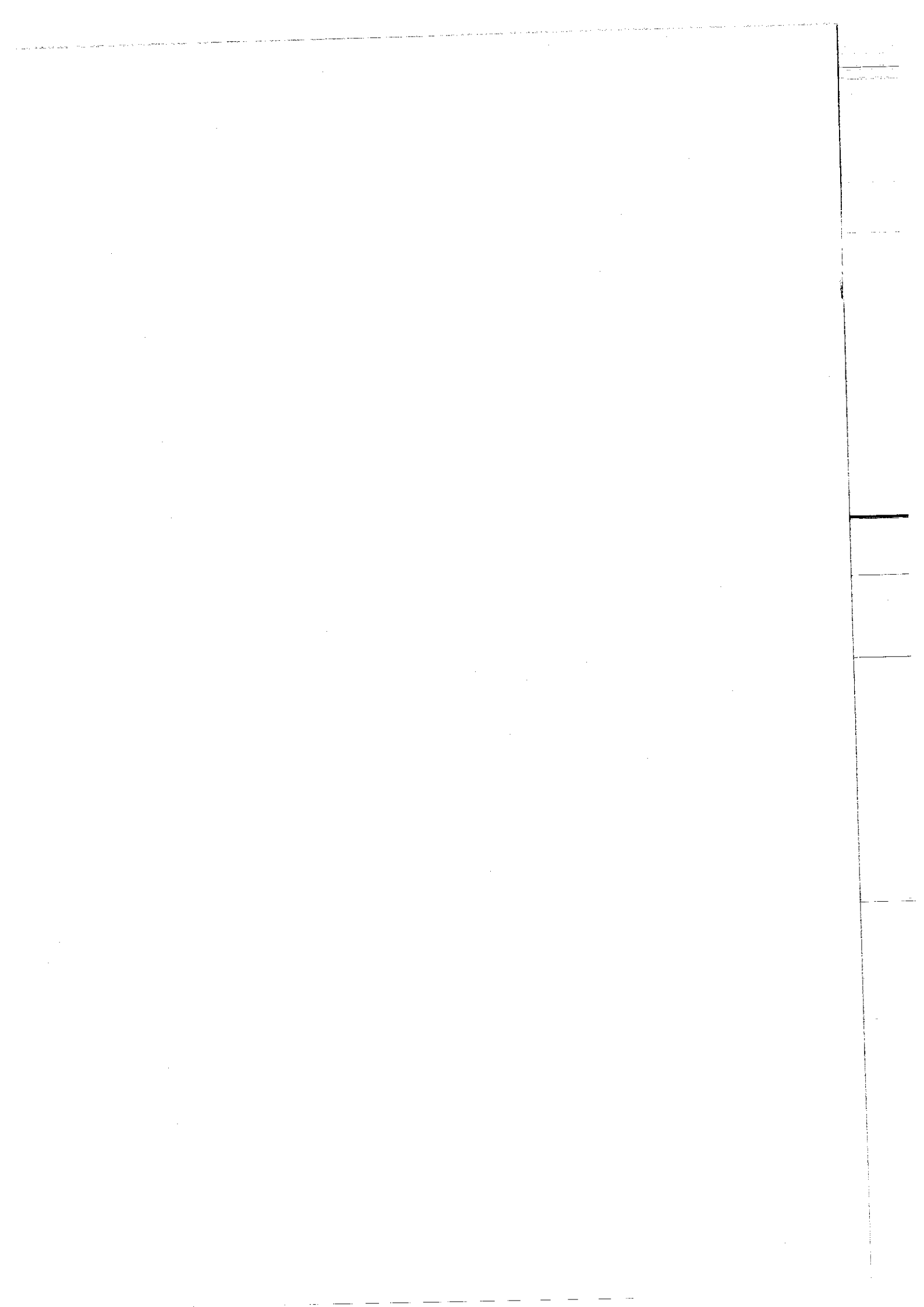
(٣) على الطريق . نحات وكلمات . د . محمد أديب الصالح ، ص : ٤٣١ - ٤٣٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

الفصل الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

- . المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة .
- . المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع .
- . المبحث الثالث : الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق .



الفصل الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

توطئة :

موضوع الدعوة الإسلامية: " هو الإسلام الذي أوحى به إلى محمد رسول الله ﷺ ، متمثلاً في القرآن والسنة ، فهو المنهج الكامل الذي اختاره الله للعالمين ، وجمع فيه أصول الشرائع ووصايا الأنبياء ، وبعث عليه خاتم الأنبياء والمرسلين بخصائصه ومبادئه وأهدافه وغاياته ونظامه الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعاً" (١).

إذن فموضوع الدعوة : "هو الإسلام الشامل ، الذي ينظم الحياة بأوضاعها المختلفة ، ويحیی الفرد بهديه ليشعر بإنسانيته وكرامته تماماً كما خلقه الله كريماً عزيزاً" (٢).

"يشمل دين الله؛ الأعمال الباطنة والظاهرة . والمراد بالأعمال الباطنة؛ تصديق القلب ، وبالأعمال الظاهرة؛ أفعال الجوارح . وبعبارة أخرى؛ هما العقيدة والشريعة والأثر الذي يثمرانه هو الأخلاق ، ومن هنا يمكننا أن نحدد أركان الدين الإسلامي بالعقيدة والشريعة والأخلاق" (٣).

يروى أبو هريرة — رضي الله عنه — "أن رسول الله ﷺ كان بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل . وقال له : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . فقال : ما الإسلام ؟ قال : أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال: متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل

(١) الدعوة إلى الله ، الوسيلة ، الهدف ، الرسالة . د . توفيق الراعي . ص : ٨١ ، دار اليقين . ط ٢ ، ١٤١٦ هـ —

. ١٩٩٥ م .

(٢) المرجع السابق . ص : ٨١ .

(٣) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها . د . أحمد غلوش . ص : ١٤ . دار البشير ، ط ٣ ، ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .

وسأخبرك عن أشراتها"^(١) إلى آخر الحديث .

و"جميع ما ورد في هذا الحديث راجع إلى العقيدة أو إلى الشريعة أو إليهما معاً ، ذلك أن الإيمان بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وبالبعث راجع إلى العقيدة وعبادة الله وحده ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان راجع إلى الشريعة ، والإحسان يكون في العقيدة والشريعة معاً وبالإحسان توحد الأخلاق المثالية عند المسلم ، فهي أثر لازم وضروري للعقيدة والشريعة"^(٢).

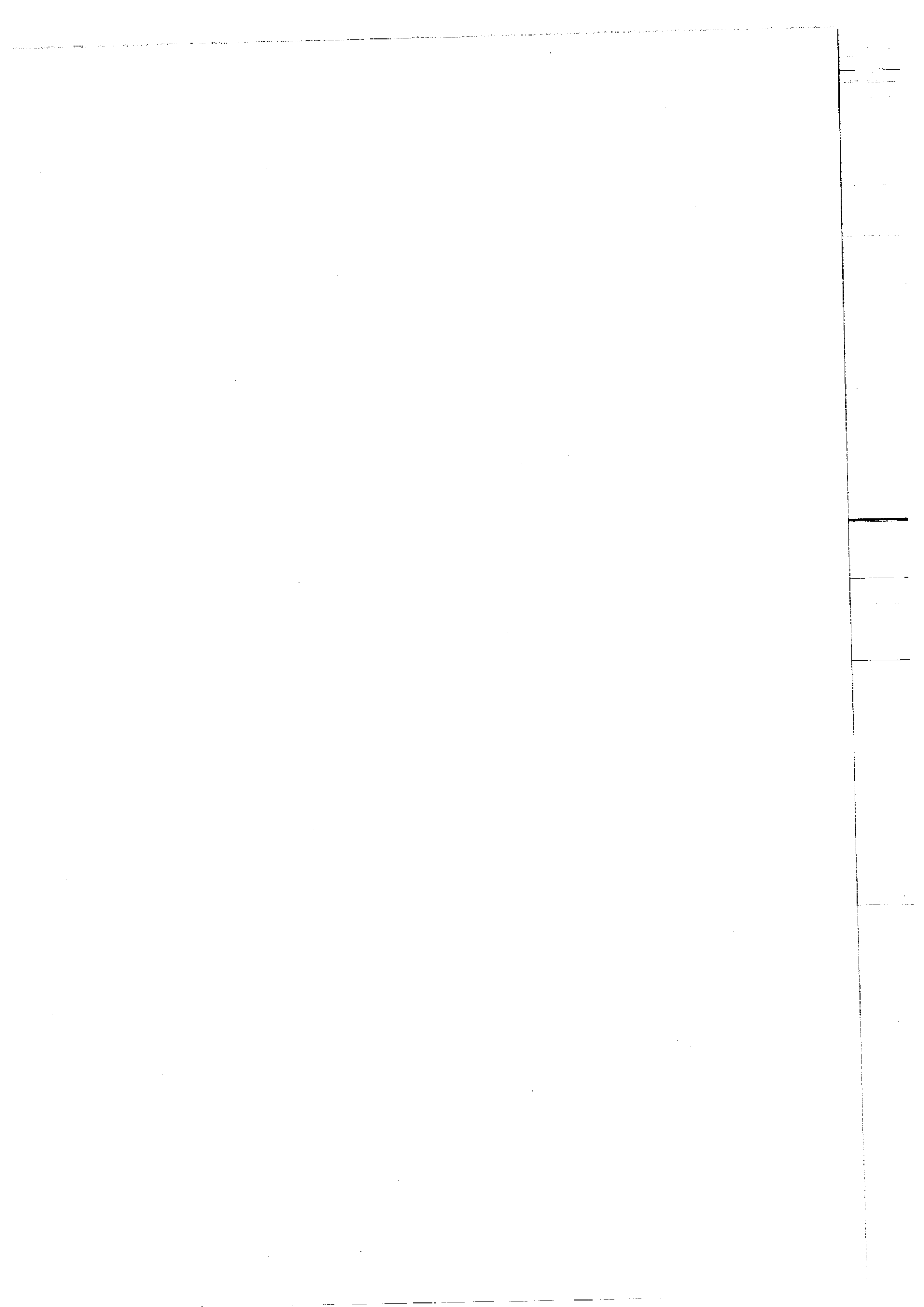
(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل لهما عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة. ص: ٢٥، حديث رقم: (٥٠).

صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان والإسلام والإحسان. (١ / ٤٦). حديث رقم: (٨).

(٢) الدعوة الإسلامية. الوسيلة. الهدف. الرسالة. ص: ١٥ - ١٦.

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة



المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بالعتيدة

العتيدة : "هي؛ عقد القلب على علم بمعلوم عقداً قوياً مؤكداً معتمداً على اليقين التام والتمكين الحق. وأساس العتيدة هو الإيمان بوجود الله تعالى ؛ بل إن ذلك هو أساس الدين كله ؛ لأن الإيمان الحق بالله يدفع الإنسان إلى التصديق بكل ما أخبر به ، وتنفيذ كل ما أرشد إليه من أمر ونهي" (١).

و"الناس في قوة العتيدة وضعفها أقسام كثيرة ودرجات شتى بحسب رسوخها في أنفسهم ووضوح الأدلة عندهم ، واقتناع القلوب بها واطمئنانها إليها .

وهذه العتيدة ؛ هي فطرة الله التي فطر الناس عليها فلا تصادم في الإنسان ملكة من ملكاته ، ولا قدرة من قدراته ، ولا مهاجم عقله ، بل تشغله وتوقده وتبصره وتحرره" (٢) .
قال تعالى : { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } (٣).

و"يتمثل جانب العتيدة في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي : " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره" (٤) .

كما تُلحق بهذا الجانب جميع المسائل العتيدية التي جاء بها الإسلام ، والتي يطلق عليها بعضهم اسم نظام العتيدة في الإسلام" (٥).

(١) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها . ص : ١٦ .

(٢) الدعوة إلى الله ، الرسالة . الهدف . الوسيلة . ص : ٢٩ - ٣٠ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : (٤٢) .

(٤) سبق تخريجه . ص : ٧٢ .

(٥) المدخل إلى علم الدعوة ، ص : ١٨٣ .

معالم العقيدة :

- ١ — "أول معلم للعقيدة أنها تدرج تحت الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والتصديق بها .
- ٢ — كما أنها من البساطة والصفاء بحيث يدركها العامي ، ويتأملها العالم والدارس .
- ٣ — عمقها وأصالتها ، وسرعتها في العمق والأصالة ، واستمرارها في العمق والأصالة.
- ٤ — براءتها من الإفراط والتفريط ، براءتها ممن لم يصدعوا بقوله : { لا تغلوني دينكم }^(١) . وبراءتها ممن وقعوا في قوله تعالى : { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء }^(٢) .
- ٥ — "وهي عمل القلب ، وعمل الجوارح ، ولا تقف أبداً"^(٣) .

"والعقيدة الإسلامية سهلة سهولة الفطرة ، لا تعقيد فيها ولا التواء ، فهي عقيدة التوحيد الخالص . يتجرد فيها الإنسان للواحد القهار . ويرد إليه كل شيء يحدث في حياته"^(٤) .

"وسهولة العقيدة الإسلامية ، نتيجة حتمية لتوازنها مع الفطرة ، وانسجامها مع العقل البشري ، حيث لا ثنوية ولا تثليث ، ولا تقسيم لاختصاصات الآلهة ، ومن هنا كانت العقيدة الإسلامية ذات أثر كبير في نفوس كل من وقفوا على حقيقتها"^(٥) .

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : (١٧١) .

(٢) أصول الدعوة الإسلامية ، د . علي حريشة . ص : ١٠ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : (١٥٩) .

(٤) المرجع السابق . ص : ١٠ .

(٥) تقنين الدعوة . د . محمد السيد الركيل . ص : ٢٤ . دار المجتمع - جدة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٦) المرجع السابق . ص : ٢٤ .

المطلب الأول :

النفاق وخطره على العقيدة الإسلامية

النفاق آفة خطيرة من أعظم الآفات الاعتقادية والسلوكية التي تستأصل الدين والخلق، وتوجب العقاب الأليم لصاحبها .

تعريف النفاق :

لغة : "سمي المنافق منافقاً للنفق ، وهو السرب في الأرض . وقيل: إنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاه وخروجه من القاصعاء. وهكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل منه"^(١).

إذاً النفاق في اللغة : "هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه ، وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : النفاق الأكبر ، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويظن ما يناقض ذلك كله أو بعضه . وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم ، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار"^(٢).

والثاني : "النفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الإنسان علانية صلاحه ويظن ما يخالف ذلك"^(٣)، " وكان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يسأل حذيفة عن نفسه،

(١) لسان العرب : (١٠ / ٣٥٩) بتصرف .

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، ابن رجب الحنبلي البغدادي ، ص : ٥٢٠ — ٥٢١ ، دار الريان التراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .

(٣) المرجع السابق : ص : ٥٢١ .

يقول ابن رجب^(١) — رحمه الله — : والظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف على نفسه في الحال من النفاق الأصغر . والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر ، كما أن المعاصي بريد الكفر ، وكما يُخشى على من أصر على المعصية أن يُسلب الإيمان عند الموت كذلك فخشى على من أصر على خصال النفاق أن يُسلب الإيمان فيصير منافقاً خالصاً^(٢) .

قال ابن كثير — رحمه الله تعالى — : "المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ، ومدخله ومخرجه ومشهده ومغيبه . وقال : نعت المنافق عند كثير : خنع الأخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه ، ويخالف بعمله يصبح على حال ويمسي على حال ، ويصبح على غيره ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبَّت ريح هبت معها"^(٣) .

ولما كان النفاق الاعتقادي يشكل داءً عضالاً باطناً وخطراً كبيراً على العقيدة، ويخلد صاحبه في الدرك الأسفل من النار لذلك سأقتصر الدراسة في هذا المبحث على النفاق الاعتقادي.

نشأة النفاق في المدينة :

ذكر ابن كثير — رحمه الله تعالى — هذه النشأة وأنها كانت على عهد الرسول ﷺ ، فقال : "نزلت صفات المنافقين في السور المدنية ، لأن مكة لم يكن فيها نفاق ، بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً وهو في الباطن مؤمن ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج ، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة

(١) ابن رجب : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي ، أبو الفرج ، زين الدين ، حافظ للحديث ، من العلماء ، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق . له مؤلفات عديدة منها : شرح جامع الترمذي ، وجامع العلوم والحكم في الحديث . وهو المعروف بشرح الأربعين ، ولطائف المعارف وغير ذلك . انظر ، الأعلام : (٤ / ٦٧) .

(٢) جامع العلوم والحكم ، ص : ٥٢٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : (١ / ٤٨ — ٤٩) بتصرف .

أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع^(١) حلفاء الخزرج وبنو النضير^(٢) وبنو قريظة^(٣) حلفاء الأوس ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام^(٤) - رضي الله عنه-، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان - عليه الصلاة والسلام - وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله قال عبد الله بن أبي ابن سلول وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر ، قال هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونخلته وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب . فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد هاجر ؛ لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة^(٥).

أساس النفاق :

"أساس النفاق الكفر والجبن ، أما الكفر فهو ما يبطنه المنافق ، وأما الجبن فهو الذي

(١) بنو قينقاع : حي من اليهود ، كان يسكن المدينة قبل الإسلام ، ناصبت العداة وكادوا له . وحالفوا المنافقين للدر

والوقعة ، وكان لهم سوق المدينة التجاري . انظر ، معجم قبائل الحجاز ، ص : ٤٠٩ .

(٢) بنو النضير : حي من اليهود ، عندما نزلت يثرب سكنت شرق المدينة ، واتخذوا علية الأموال ، ناصبت الإسلام العداة .

وظاهرت على رسول الله ﷺ فقاتلته حتى أجلاهم ﷺ سنة ٤ هـ — بعد حصار ، ثم قسم أموالهم بين المهاجرين . انظر ،

المرجع السابق ، ص : ٤١٣ .

(٣) بنو قريظة : حي من اليهود ، عندما نزلت يثرب تفرقت في أنحاءها ، لما جاء الإسلام عادته بمكر وخداع ، وتأمرت عليه

فغزاهم رسول الله ﷺ وأجلاهم . انظر ، معجم قبائل الحجاز ، ص : ٣٩٨ .

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث الإمام الخير المشهود له بالجنة ، أبو الحارث الإسرائيلي ، حليف الأنصار ، من خواص

أصحاب النبي ﷺ ، شهد فتح بيت المقدس ، قيل اسمه الحصين ، فغيره النبي ﷺ بعبد الله ، وهو من ولد يوسف - عليه

السلام - وله إسلام قديم بعد أن قدم المدينة ، وهو من أحبار اليهود ، توفي سنة ٤٣ هـ - ، شهد فتح هاوند . انظر ، سير

أعلام النبلاء : (٢ / ٤١٣ - ٤١٤) .

(٥) تفسير ابن كثير : (١ / ٤٨) .

يجعل المنافق يظهر خلاف ما يبطنه من الكفر . ولهذا لا يكون المنافق إلا جباناً خواراً ضعيف القلب ، يحسن الكيد وإذا لقي المؤمنين أظهر لهم نفسه كأنه مؤمن .
قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴾^(١) .
إذ المنافق أضر وأسوأ من الكافر ؛ لأنه ساواه في الكفر وامتاز عليه بالخداع والتضليل وإمكان تسلله في صفوف المسلمين فيكون إيذاؤه شديداً والحذر منه قليلاً بخلاف الكافر الذي لا يحصل فيه الاشتباه ولا يمكن أن يخدع المسلمين بحقيقته الظاهرة^(٢) .

خطر النفاق :

"المنهج القرآني يتجه أحياناً إلى بيان القضايا الكلية ، ثم يترك التفاصيل بعد ذلك للسنة النبوية ، ومن أجل هذا أعطى الله تعالى لرسوله ﷺ حق التشريع ، وألزم الأمة بقبول سنته ، والخضوع لأمره"^(٣) ، فقال سبحانه : ﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٤) .
"وهكذا اتجه القرآن في قضايا الإسلام ، إلا في قضية النفاق والمنافقين ، فإنه اتجه إلى تفصيل صفات المنافقين النفسية والجسدية ، وأفاض في البيان والتفصيل متجاوزاً في ذلك القضايا الكلية ، إلى الصفات الفرعية الدقيقة ، شأنه في ذلك منهجه في بيان قضية الكفر ، لأن النفاق أخطر من الكفر على دولة الإسلام ، فالكفر واضح السلوك والمنطق ، أما النفاق فهو باطن"^(٥) . "فكانت عناية القرآن الكريم ببيان سماته وخصائصه لازمة للمسلمين في كل عصر تتلون فيه أساليب النفاق . فكثرت نصوص القرآن فيه ، وقلّت نصوص السنة ، ولكنها مع نصوص القرآن بيان كامل لا تشدّ عنه شاردة من شوارد النفاق في أي عصر من عصور الزمان"^(٦) .

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٣) .

(٢) أصول الدعوة . ص : ٣٩٧ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٣٩٧ .

(٤) سورة الخشر ، الآية : (٧) .

(٥) صفة النفاق وذم المنافقين ، أبي بكر الفريابي ، مقدمة المحقق : محمد عبد القادر عطا ، ص : ٧ ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥ م .

(٦) صفة النفاق وذم المنافقين ، ص : ٧ .

النفاق في العقيدة :

"ذكر المنافقون في القرآن في سورة الفتح والقتال والحديد والمجادلة والحشر والمنافقين بل عامة السور المدنية يذكر فيها المنافقين . وأما سورة براءة فأكثرها في وصف المنافقين ودمهم ولهذا سميت الفاضحة" (١).

"وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة، في أول سورة البقرة ، المؤمنين والكفار والمنافقين" (٢). "فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه ، وإلى نصرته وموالاته، وهو أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح أو هو غاية الجهل والإفساد" (٣).

"والموضوع الأول الذي ناقشته الآيات العديدة في تناولها لمسألة النفاق هو موضوع العقيدة ؛ فكشفت فساد عقيدة المنافقين واضطراب إيمانهم بالله مما يدخلهم في الضياع والتردد الذي يحرمهم من هداية الله ، ويعرضهم لسخطه وغضبه ، فهي في حقيقتها مريضة مدخولة فاسدة قد خالطها الشك وأفسدها المرض ؛ لأنها خالية من العقيدة الصحيحة" (٤). "كما اهتمت الآيات بعلاج قضية النفاق والمنافقين فيما يتعلق بمعصيتهم لئيبه — عليه الصلاة والسلام — واستهزائهم واستهتارهم بما جاء به ، وما نتج عن هذه التصورات ، التي ظهرت في مواقف المنافقين العملية في عباداتهم وما شابهها من الكراهية والإعراض والتكاسل في الصلاة ، وفي الصدقة والإنفاق وفي الصوم . وما عرف عنهم من التناقل عن الجهاد ومن التعويق والتخذيل" (٥). "وكذلك أمر علاقتهم بالمسلمين وما فيها من مناورة وغش وخداع،

(١) مجموع الفتاوى : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . (٧ / ٤٦٣) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه

محمد . طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين (خالد) رحمه الله .

(٢) مدارج السالكين : ابن قيم الجوزية : (٢ / ٣٥٥) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٣٥٥) .

(٤) ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية ، د . عمرو خليفة النامي ، ص : ٨٨ ، الدار السلفية ، الكويت ، ١٣٩٤ هـ .

(٥) المرجع السابق، ص : ٨٧ .

وصلاتهم بالمعسكرات المعادية للمسلمين ، وما كان منهم من المودة لأعداء الله ورسوله ، كما كشفت الآيات محادّة المنافقين لله وللرسول والمسلمين في القول والعمل^(١) .
وقد نفى الله سبحانه وتعالى صفة الإيمان من المنافقين وأثبت لهم صفة الكفر في آيات عديدة منها:

● خداعهم المسلمين بادعائهم للإيمان:

"إن أول ما أشار إليه القرآن في أول ما نزل من الآيات بشأن المنافقين في سورة البقرة هو كشف هذا الادعاء الذي يخادعون به المسلمين. قال تعالى : {ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولم عذاب أليم بما كانوا يكذبون }^(٢) . فبإظهارهم ما أظهره من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله وأن ذلك نافعهم عنده وأنه يروج عليه كما يروج على المؤمنين"^(٣) .

● رفضهم لنداء الإيمان :

قال تعالى : { وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون }^(٤) .
● أنهم لم يؤمنوا :

حيث قال تعالى : { أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالنسفة حداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم }^(٥) .

● أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر :

قال تعالى : { إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون }^(٦) .

(١) ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية ، ص : ٨٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : (٨ - ١٠) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٤٩ / ١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (١٣) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : (١٩) .

(٦) سورة التوبة ، الآية : (٤٥) .

• وأنهم كفروا بالله ورسوله :

فقال تعالى { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين }^(١).

وقال تعالى: { ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون }^(٢).

• وبأنهم آمنوا ثم كفروا :

قال تعالى : { ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون }^(٣).

• وأنهم كفروا بعد إيمانهم :

قال تعالى : { لا تتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نenf عن طائفة منكم تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين }^(٤).

• وأنهم قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم :

قال تعالى : { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا }^(٥).

• وأنهم والكفار في صعيد واحد :

قال تعالى : { ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء }^(٦).

عقوبة المنافقين :

لقد أعلن القرآن الكريم أن الكافرين والمنافقين في الجزاء الأخروي سواء . فقال تعالى :

{ إن الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعاً }^(٧)

قال ابن كثير — رحمه الله تعالى —: " أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله

(١) سورة المنافقون ، الآية : (٦) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٨٤) .

(٣) سورة المنافقون ، الآية : (٣) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٦٦) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (٧٤) .

(٦) سورة النساء ، الآية : (٨٩) .

(٧) سورة النساء ، الآية : (١٤٠) .

بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ، ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال
وشراب الحميم والغسلين لا الزلالة" (١).

وفي قوله تعالى : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } (٢) قال القرطبي (٣) — رحمه الله
تعالى —: " النار من دركات سبعة ؛ أي طبقات ومنازل والمنافق في الدرك الأسفل وهي
الهاوية ، لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين .

وقال ابن عمر - رضي الله عنه - (٤) : أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر
من أصحاب المائدة ، وآل فرعون " (٥) ، إنها عقوبة عادلة من الله تعالى لأنهم ارتضوها
لأنفسهم في حياتهم ؛ حينما كانوا ينفرون من التوبة ويرفضون أسبابها بطراً وكبراً سعداء
بكفرهم ، قال تعالى : { وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم وأرأيتهم يصدون وهم
يستكبرون } (٦).

وأعلن الله تعالى سبب إغلاق أبواب المغفرة جميعاً في وجوه المنافقين بقوله : { ذلك
بأنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً } (٧).

(١) تفسير ابن كثير : (١ / ٥٦٨) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (١٤٥) .

(٣) القرطبي هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله ، القرطبي ، من كبار
المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة . رحل إلى الشرق واستقر بمعية ابن خصيب ، (في شمالي أسبوط بمصر) وتوفي
بها ، ومن أهم كتبه الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي ، وكان ورعاً متعبداً ، طارحاً للتكاليف ، زاهداً . انظر ،
الأعلام : (٦ / ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء : (٢٠ / ٤٢٠) .

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أسلم مع أبيه وهو صغير ، لم يبلغ الحلم ، هاجر قبل أبيه ، لم يشهد بدرأ ، واختلف في
شهوده أحداً ، والصحيح أن أول مشاهدته الخندق حيث أحازه ﷺ يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة ، كان من أهل
الورع والعلم ، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ شديد التحري والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه ، وكان لا
يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ ، ثم كان بعد موته مولعاً بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات . وكان من
أعلم الصحابة بمناسك الحج وكان صالحاً لا يترك قيام الليل . مات بمكة سنة ٧٣هـ — ودفن بمقبرة المهاجرين . انظر ،
الاستيعاب : (٣ / ٩٥٠ — ٩٥٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن — (٥ / ٤٢٥) .

(٦) سورة المنافقون ، الآية : (٥) .

(٧) سورة النساء ، الآية : (١٣٨) .

معاملة المنافقين :

وضع الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كيفية التعامل مع المنافقين إذا ثبت خطرهم وضررهم ، حتى يُتخذ حيالهم العقاب المناسب لهم ويسلم المسلمون من شرورهم ، وقد أمر الرسول ﷺ ومن بعدهم باتخاذ العقاب المناسب لهم . ومنها :

- الأمر بجهادهم والغلظة عليهم :

قال تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم ونس المصير } ^(١)
قال ابن كثير — رحمه الله تعالى — : " أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة . قال علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — : " بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف : سيف للمشركين { فإذا انسلخت الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين } ^(٢) وسيف للكفار أهل الكتاب { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق... } ^(٣) الآية . وسيف للمنافقين : { جاهد الكفار والمنافقين } وسيف للبغيظة { قاتلوا النبي تبغي حتى تفيء إلى أمراة } ^(٤) . وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف ، إذا أظهروا النفاق .
وقيل قوله : { جاهد الكفار والمنافقين } قيل : بيده ، فإذا لم يستطع فليكنه في وجهه .
وقيل : أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيوف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم ، وقيل : جاهد الكفار بالسيوف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ، وقيل : مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم ، وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال أنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال " ^(٥) .

- عدم الاعتراف لهم بالسيادة والحيلولة دون تزعمهم :

(١) سورة التوبة ، الآية : (٧٣) . وسورة التحريم ، الآية : (٩) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٥) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (١٢٣) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية : (٩) .

(٥) تفسير ابن كثير : (٣٧٢ / ٢) بتصرف .

عن بريدة — رضي الله عنه — عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تقولوا للمنافق : سيد ، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل " (١) .
لأن المنافق بهما علت مرتبته في الدنيا فهو عند الله حقير ، قال تعالى : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } (٢) .

• أمر الله باحتقارهم :

قال تعالى : { ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهدن أنفسهم وهم كافرون } (٣) .
فقد أمر الله سبحانه وتعالى باحتقارهم وعدم الافتتان بما بين أيديهم لأنها ليست إلا سبباً من أسباب عذابهم في الدنيا والآخرة .

• وحذر الله رسوله ﷺ من الصلاة على موتاهم .

فقال تعالى : { ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون } (٤) .

حتى طلب المغفرة للمنافقين ، أصبح محظوراً حظراً قاطعاً في قوله تعالى : { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين } (٥) .

• عدم موالاتهم :

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين } (٦) .

(١) صحيح الأدب المفرد — للإمام البخاري — محمد حسين عفيفي ص ٨٣ ، باب لا يقل للمنافق سيد ، حديث رقم :

(٧٦٠) ، دار الحنان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية : (١٤٥) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٨٥) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٨٤) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (٨٠) .

(٦) سورة المائدة ، الآية : (٥٧) .

وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون }^(١).

• عدم قبول أعذار من ثبت كذبه من المتخلفين :

قال تعالى : { يستذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم... }^(٢).

إن الآية تطلب من رسول الله ﷺ ومن المسلمين ألا يقبلوا لهم عذراً وألا يصدقوهم؛ لأن الوحي كان قد أنبأهم بذلك ، أما نحن فليس لنا إلا أن نتبين أعذارهم ونفحصها فحصاً دقيقاً ، فإن تبين لنا كذبهم لم نقبل ذلك منهم .

• الأمر بإخراج المتخلفين من ديوان الغزاة :

قال تعالى : { فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستذنوك للخروج فقل لن نخرجوا معي أبداً ولن نتقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالعمود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين }^(٣).

• الإعراض عن المتخلفين عن الجهاد بدون عذر شرعي واجتنابهم :

قال تعالى : { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس وأموام جهنم جزاء بما كانوا يكسبون }^(٤).

• والنهي عن الرضا عنهم :

قال تعالى : { يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }^(٥).

وهكذا وضع لنا الله تبارك وتعالى كيفية التعامل مع المنافقين حتى يأمن المسلمون من فتنهم وشروهم .

وبالنظر إلى ما حدث في غزوة تبوك من مواقف المنافقين في أهوالهم وأفعالهم نجد أنها تنافي

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١١٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٩٤) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٨٣) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٩٥) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (٩٦) .

الإيمان وتخل بالعقيدة وتستأصل الدين .

• فعندما نودي للجهاد انتحل المنافقون الأعذار الواهية وتعللوا ببعد المسافة .

قال تعالى : { لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون }^(١) .

• وبعضهم من اعتذر بعدم الخروج خوفاً من فتنة النساء :

قال تعالى : { ومنهم من يقول انذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم محيطة بالكافرين }^(٢) .

وقد اعتذر بعضهم وهم أهل الطول والغنى والثروة :

قال تعالى : { وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا مع القاعدين }^(٣) .

• وتثيبتهم المؤمنين بعدم الخروج للجهاد والمكوث بسبب الحر :

قال تعالى : { وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون }^(٤) .

• وأوضح الله أنهم لو خرجوا مع المؤمنين للقتال أنهم ما زادوهم إلا فتنة وخيالاً :

قال تعالى : { لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيالاً ولأوضعوا خلالكم يغنونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين }^(٥) .

• لمزهم المؤمنين في الصدقات :

قال تعالى : { الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم }^(٦) .

• استهزأوهم بالله وآياته ورسوله :

(١) سورة التوبة ، الآية : (٤٢) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٤٩) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٨٦) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٨١) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (٤٧) .

(٦) سورة التوبة ، الآية : (٧٩) .

قال تعالى : { يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون }^(١).
وقال تعالى : { ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعدب طائفة بأنهم كانوا مجرمين }^(٢).

• حلفهم بالإيمان الكاذبة :

قال تعالى : { سيحلفون بالله لكم إذا اقلبتم إليهم تعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }^(٣).

• محاولتهم قتل النبي ﷺ بإلقائه ﷺ من العقبة أثناء العودة من الغزوة :

قال تعالى : { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضلة فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعدبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير }^(٤).

• محاولة تشكيكهم بنبوة الرسول ﷺ :

وذلك عندما اشتد بالمسلمين العطش بالحجر. " وكان رجل معروف بنفاقه يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ماكان ، ودعا رسول الله حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبل عليه الصحابة يقولون له : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة"^(٥).

وأيضاً "عندما ضلت ناقة الرسول ﷺ في الطريق ، وخرج الصحابة في طلبها ، قال أحد المنافقين يدعى زيد بن اللصيب لعمارة بن حزم ، وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خير السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة"^(٦).

(١) سورة التوبة ، الآية : (٦٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٦٥) .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : (٩٥ - ٩٦) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٧٤) .

(٥) سيرة ابن هشام : (١٦٢/٤) .

(٦) انظر ، السيرة النبوية : (٤٨٦/٣) .

الفرق بين المنافقة والمداراة:

قال ابن مفلح — رحمه الله^(١) — : " النفاق : هو إظهار الجميل وإبطان القبيح وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الشر . المداراة : إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن ، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق لكنه يستصلح . قال تعالى : { فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }^(٢) فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة وإطفاء لنيران الحقايد ، واستنماء وإصلاح العقائد"^(٣) .

و"على الدعاة الحذر من مزلق النفاق ، وفتنة المصالح والجاه ، وليراقبوا المولى سبحانه في حركاتهم وسكناتهم وليحاسبوا أنفسهم في سرهم وجهرهم ، وليحرروا النية في كل مواقفهم الدعوية والتبليغية ، وليعلموا أن الله سبحانه مسألهم عن نياتهم وأعمالهم يوم القيامة"^(٤) .

علاج النفاق الاعتقادي :

أن يوضح الداعية لمن كانت فيه علامات النفاق الاعتقادي :

"أنه ليس ثمة من علاج إلا أن يتبرأ صاحبه من الكفر وأهله ، ويقبل على الإيمان والإسلام واعتقاد وإخلاص ، ويعلن لمن عرفوه أنه كان على زيغ وكفر وضلال ، وأنه أصبح الآن من المؤمنين الصادقين المخلصين ، يعمل للإسلام معهم ، ويجاهد في سبيل الله جهادهم . فإذا فعل ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يمتنّه وكرمه يقبل منه توبته الصادقة وإيمانه الخالص ، بل يصبح من عباده المؤمنين التائبين"^(٥) ، " ثم يبين مآل المنافقين ومصيرهم ، وأنهم في الدرك الأسفل من النار، كما أن على أهل الإيمان والتقوى أن يحيطوه برعايتهم ويؤاخوه بأخوتهم،

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدين ، مؤرخ ، من قضاة الحنابلة ، مولده ووفاته في دمشق ، وولي قضاها سنة ٨٥١هـ — ، وعين لقضاء الديار سنة ٨٧٦هـ — فلم يذهب ، من محاسنه إحماد الفتن التي كانت تقع فقهاء الحنابلة وغيرهم بدمشق ولم يكن يتعصب لأحد ، باشر القضاء في الديار الشامية نيابة واستقلالاً أكثر من أربعين سنة . من كتبه المعضد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، والمبدع بشرح المقنع ، مرفاة الوصول إلى علم الأصول . انظر ، الأعلام : (٦٥ / ١) .

(٢) سورة فصلت ، الآية : (٣٤) .

(٣) الآداب الشرعية والمنح الشرعية ، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي : (٥٩ / ١) بتصرف ، مطبعة المنار ، مصر .

(٤) عقبات في طريق الدعاة ، عبد الله ناصح علوان : (٥٠ / ١) ، بتصرف ، دار السلام ، الطبعة الأولى : ١٤٠٧هـ .

(٥) المرجع السابق ، (٥٠ / ١) ، بتصرف .

ويكرمونه بإكرامهم فإن سلك هذا المسلك بعد توبته وهدايته ازداد إيماناً على إيمانه وفاضت نفسه بالإخلاص واليقين" (١).

موقف الداعية من النفاق :

أما ما يتعلق بموقف الداعية إلى الله تعالى من النفاق فهو " أن يتطهر من النفاق وأن يتبرأ منه ومن جميع صورته وأشكاله ، فإذا نُهي أفراد عوام المسلمين من النفاق ، فكيف يرتضي من اصطفاه الله عز وجل بحمل دعوته ، وتبليغ شرعه أن ييطن غير ما يظهر ، أو أن تخالف علانيته سره ، إن ذلك هو التضييع لدعوة الله عز وجل ، فإن الداعية المخلص ينبغي أن يكون أبعد الناس عن النفاق" (٢) ، "لأن دعوة الله عز وجل تحتاج إلى صفاء ونقاء وإشراقه، حتى يظهر الإيمان الخالص ، في أقوال الداعية وأفعاله وحركاته وسكناته وسره وعلانيته حتى يرى الناس ذلك . كما أن النفاق يتعارض مع التوحيد أو كماله ، ومع إخلاص العبودية لله . وهو أول الأمور التي يجب على الداعية أن يعتني بها في نفسه وفيمن يدعوهم حيث لا تصلح العبادات مع الشركيات . قال الله تعالى : ﴿ لن أشركن بحبطن عملك وتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٣) (٤) .

"وكل داعية لا يجعل التوحيد والتحذير والشرك منطلق دعوته فإنه يكون مجانباً للحق؛ لأنه إذا لم ينطلق من العقيدة فإنه قد يتحمل تبعه ما يصاب به ، وقد يكون هو المسؤول عنه ، فلا سبيل إلى تجنب الشرك والبراءة منه إلا بمعرفة وتعلم التوحيد الخالص لله عز وجل وإفراجه بالعبادة ، ومعرفة كل قسم من أقسام الشرك حتى لا ينقض توحيدته" (٥) .

(١) عقبات في طريق الدعوة، (١/ ٥٥ - ٥٦) .

(٢) المرجع السابق: (١/ ٨٤) .

(٣) سورة الزمر ، الآية : (٦٥) .

(٤) عقبات في طريق الدعوة: (١/ ٨٤)

(٥) الإخلاص وأثره في الدعوة إلى الله ، عبد الله بن عمر العمودي ، ص : ٨٢ - ٨٣ ، بتصرف ، بحث السنة النهائية

بمرحلة الماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم الدعوة

والاحتساب ، ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ .

المطلب الثاني :

اتخاذ الأسباب لا ينافي كمال التوكل على الله :

التوكل فضيلة إسلامية مفروضة ، إذ بها يتحقق معنى الإيمان ، والله جل جلاله هو خير من يعتمد عليه ، ويتوكل عليه ، والتوكل في جوهره عمل من أعمال القلب ، ليس قولاً باللسان أو عملاً بالجوارح ، وبداية التوكل الإيمان وعماده اليقين ، وهو صفة المؤمنين .

تعريف التوكل :

قال القرطبي - رحمه الله - : " التوكل في اللغة ، إظهار العجز والاعتماد على الغير " (١) .
وقال عن حقيقة التوكل : " التوكل الاعتماد على الله في إظهار العجز " (٢) .
وفسره الإمام أحمد (٣) - رحمه الله - : " التوكل عمل القلب ، إنه عمل ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب الإدراكات " (٤) .
وقال ابن رجب - رحمه الله - : " حقيقة التوكل ؛ هي صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها " (٥) .
وحث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على التوكل :
فقال لهم : { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } (٦) .

(١) الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ١٨٩) .

(٢) المرجع السابق : (٤ / ٢٥٣) .

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة ، ولد ببغداد ، فنشأ يتيماً ومكياً على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجال والأطراف ، له مؤلفات عديدة ، وسجن لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثمانية وعشرين شهراً في عهد المعتصم ، ثم أطلق سراحه ولم يصبه شر في عهد الواثق ، وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم وأكرمه وقدمه ، ومكث مدة لا يُبري أحداً إلا بمشورته . وتوفي - رحمه الله - سنة ٢٤١هـ . وعمره سبع وسبعون سنة . انظر : تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣١) ، والأعلام : (١ / ٢٠٣) .

(٤) مدارج السالكين : (٢ / ١١٤) .

(٥) جامع العلوم والحكم . ص : ٥٢٨ .

(٦) سورة المائدة ، الآية : (٢٣) .

وقال لهم إنه كافيههم أمرهم : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه }^(١) .
وقال عن أنبيائه ورسله : { وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا }^(٢) .
وقال لرسوله ﷺ : { فتوكل على الله إنك على الحق المين }^(٣) .
وقال عن أصحاب نبيه ﷺ : { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }^(٤) .
وقال عن أوليائه : { ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير }^(٥) .

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين — رضي الله عنه — في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب : " هم الذين يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتبون ، وعلى رهم يتوكلون " ^(٦) .

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ كان يقول : " اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت " ^(٧) .

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : " حسبنا الله ونعم الوكيل " قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : { إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم

(١) سورة الطلاق ، الآية : (٣) .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : (١٢) .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٧٩) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (١٧٣) .

(٥) سورة الممتحنة ، الآية : (٤) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الطب ، باب : من اكلوى أو كوى غيره ، ص : ١٢٣٩ ، حديث رقم : (٥٧٠٥) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب : (١ /

١٦٩) ، حديث رقم : (٢٢٠) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : قوله : { وهو العزيز الحكيم } { سبحانك رب العزة كما يصفون } { وقه العزة

ولرسوله } ، ص : ١٥٥١ ، حديث رقم : (٣٨٣) .

صحيح مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من شر ما لم يعمل (٤ / ١٦٥٧) ، حديث رقم : (٢٧١٧) .

{ ٩٣ }

فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل { (١)(٢) } .

وقد جمع الله بين التوكل وعدة أمور منها :

بين التوكل والعبادة : { فاعبده وتوكل عليه } { (٣) } .

وبين التوكل والتقوى : { واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون } { (٤) } .

وبين التوكل والهداية : { وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا } { (٥) } .

وبين التوكل والنصر : { وإن يخذلكم فخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون } { (٦) } .

وبين التوكل والصبر : { الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون } { (٧) } .

وبين التوكل والإيمان والإسلام : { إن كنتم آمنتم بالله فعليك توكلوا إن كنتم مسلمين } { (٨) } .

بين التوكل والإيمان : { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } { (٩) } .

وبين التوكل والعزم : { فإذا عزمنا فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين } { (١٠) } .

وبين التوكل والتوفيق : { وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه متاب } { (١١) } .

"فالتوكل نصف الدين ، والنصف الثاني ، الإنابة . فإن الدين استعانة وعبادة؛ فالتوكل هو الاستعانة ، والإنابة هي العبادة ، بل هو محض العبودية وخالص التوحيد إذا قام به صاحبه حقيقة . ومترلته ، أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معمورة بالنازليين لسعة متعلق

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٧٣) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، تفسير سورة آل عمران ، باب : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، ص : ٩٥٢ ، حديث رقم : (٤٥٦٣) .

(٣) سورة هود ، الآية : (١٢٣) .

(٤) سورة المائدة ، الآية : (٢٣) .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية : (١٢) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (١٦٠) .

(٧) سورة النحل ، الآية : (٩٩) .

(٨) سورة يونس ، الآية : (٨٤) .

(٩) سورة المائدة ، الآية : (٢٣) .

(١٠) سورة آل عمران ، الآية : (١٥٩) .

(١١) سورة هود ، الآية : (٨٨) .

التوكل وكثرة متعلق توكلهم ، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في نفسه وحفظ حاله مع الله ، فارغاً عن الناس ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة ، أو ولد ، ونحو ذلك^(١) . ويقرر ابن القيم^(٢) — رحمه الله — أن التوكل لكي يتم وتكمل درجاته يحتاج إلى لوازم هي :

- ١ — "معرفة الرب وصفاته ، وأن الأشياء صادرة عن مشيئة وقدرته .
- ٢ — إثبات الأشياء ، والمسبيات ، والأخذ بلا شريك .
- ٣ — إخلاص القلب في توحيد الله بلا شريك .
- ٤ — اعتماد القلب على الله ، واستناده إليه .
- ٥ — حسن الظن بالله عز وجل .
- ٦ — استسلام القلب لله ، وانجذاب دواعيه إليه .
- ٧ — التفويض ، وإلقاء الأمور كلها إلى الله تبارك وتعالى . وهذا كله يشمر الرضى بما يقضي به الله سبحانه^(٣) .

التوكل والقدر أو التوكل والأخذ بالأسباب :

أنكر نفاة الأسباب علاقة التوكل والأخذ بالأسباب ، وأن التوكل فيه تعلل المدعو بخصوله إن كان قد قُدِّرَ حصل ، توكل أو لم يتوكل ، دعا أو لم يدع ، وإن لم يقدر لم يحصل ، توكل أيضاً أو ترك التوكل .

(١) مدارج السالكين : (٢ / ٣٣٦) .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الدين ، من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق ، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو الذي هذَّبَ كنهه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعذَّبَ بسببه ، وطيف به على حمل مضروباً بالعصي ، وأطلق بعد موت ابن تيمية ، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس ، أحب الكتب ، ألف تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، والطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، تحفة المودود بأحكام المولود . ومدارج السالكين ، والوابل الضيب من الكلم الطيب ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح . انظر ، الأعلام : (٦ / ٥٦) .

(٣) مدارج السالكين : (٢ / ١١٨ — ١١٩ — ١٢٠ — ١٢١) . بتصرف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) — رحمه الله تعالى — : " قال طائفة من العلماء : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع"^(٢).

وقال ابن القيم — رحمه الله تعالى — : " فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية"^(٣).

وقال ابن رجب الحنبلي — رحمه الله تعالى — : " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المنذورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به"^(٤).

(١) ابن تيمية : أحمد بن عبد الخليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الأخضر النميري الخرايي الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين ابن تيمية . الإمام شيخ الإسلام ، ولد في حران سنة إحدى وستين وست مائة ، وتحوّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر . وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها ، فقصدتها ، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ، ونقل إلى الإسكندرية . ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق ، ثم أعيد ، ومات معتقلاً بقلعة دمشق ، فخرجت دمشق كلها في جنازته . كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين . آية في التفسير والأصول ، فصيح اللسان ، قلمه ولسانه متقاربان ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين ، أما تصانيفه ففي : الدرر أنها تزيد على أربعة آلاف كراسة ، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثة مئة مجلد . انظر ، تذكرة الحفاظ ، م ٢ : (٢ / ١٤٩٦ — ١٤٩٧) . الإعلام : (١ / ١٤٠ — ١٤١) .

(٢) التوكل على الله والأخذ بالأسباب تقي الدين أحمد بن تيمية ، ص : ١٠٠ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م .

(٣) مدارج السالكين : (٢ / ١٢٠) .

(٤) جامع العلوم والحكم . ص : ٥٢٨ .

- قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِذْرَكُمْ }^(١).
 - وقال تعالى : { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }^(٢).
 - وقال تعالى : { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ }^(٣).
- والرسول ﷺ لم يُخَلَّ بشيء من الأسباب ، مع توكله على الله . فقد استأجر دليلاً مشركاً على دين قومه ، يده على طريق الهجرة وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين . روت عائشة — رضي الله عنها — قالت : " استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيْل هادياً خريئاً وهو على دين كفار قريش فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صباح ثلاث " ^(٤).
- وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيّد المتوكلين . عن عمر — رضي الله عنه — قال :
" إن النبي ﷺ يبيع نخل بني النضير وعبس لأهله قوت سنتهم " ^(٥).
- " وكان إذا سافر في الجهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد . وجميع أصحابه من بعده هم أولوا التوكل حقاً ، وأكمل المتوكلين " ^(٦) .
- ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام :
- أحدهما : " الطاعات التي أمر الله عباده بها وجعلها سبباً للنجاة من النار ودخول الجنة ، فهذا لا بد من فعله مع التوكل على الله فيه والاستعانة به عليه ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعاً وقدرًا " ^(٧).

(١) سورة النساء ، الآية : (٧١) .

(٢) سورة الأنفال : الآية : (٦٠) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : (١٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : إذا استأجر أجيراً ليعمل له بعد ثلاثة أيام أو بعد شهر أو بعد سنة جاز وهما على شرطهما الذي اشترطاه إذا جاء الأجل ، ص : ٤٦٦ ، حديث رقم : (٢٢٦٤) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : النفقات ، باب : حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله ، وكيف نفقات العيال ، ص : ١١٧٥ ، حديث رقم : (٣٥٧) .

صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : حكم الفداء : (٣ / ١١٠٤) ، حديث رقم : (١٧٥٧) .

(٦) مدارج السالكين : (١٣٤/٢-١٣٥) .

(٧) جامع العلوم والحكم ، ص : ٥٢٨ .

والثاني : ما أجرى الله به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع ، والشرب عند العطش ، والاستطال من الحر والتدفؤ من البرد ونحو ذلك ، فهذا أيضاً واجب على المرء تعاطي أسبابه ، ومن قصر فيه حتى تضّرر بتركه مع القدرة على استعماله فهو مفرط يستحق العقوبة ، لكن الله سبحانه وتعالى قد يقوى بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه غيره ، فإذا عمل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج ، ولهذا كان النبي ﷺ يواصل في صيامه ، وينهى عن ذلك أصحابه ويقول لأصحابه : " وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين " (١) .

القسم الثالث : ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب ، وقد يخرق العادة في ذلك لمن يشاء من عبادة " (٢) .

أنواع التوكل على غير الله :

التوكل على غير الله قسمان :

أحدهما : "التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من الحفظ والرزق والشفاعة ، فهذا شرك أكبر ، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى " (٣) .

الثاني : " التوكل في الأسباب الظاهرة العادية ، كمن يتوكل على إنسان ، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك ، فهذا نوع شرك خفي " (٤) .

والوكالة الجائزة : "هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه ، ولكن ليس له أن يتوكل عليه

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الصوم ، باب : التثكيل لمن أكثر الوصال ، ص : ٤١٠ ، حديث رقم : (١٩٦٥) .

صحيح مسلم ، كتاب : الصيام ، باب : النهي عن الوصال في الصوم : (٦٣٦ / ٢) . حديث رقم : (١١٠٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم ، ٥٢٨-٢٢٩ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص : ٤٥٧ ، المكتب

الإسلامي ، ط ٥ .

(٤) المرجع السابق : ٥٢٨ .

وإن وكله ، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه" (١).
ونجد أن الرسول ﷺ عندما أعلن التوجه إلى قتال الروم قد عقد التوكل على الله
وعمل على الأخذ بالأسباب من التزود بالزاد والتسلح بالسلاح ، نظراً لضخامة جيش الروم
وقوة عتادهم، وخبرتهم الطويلة بفنون القتال.

" وبالتالي فعلى الله وحده يتوكل الداعية ، لا يلتفت قلبه إلى سواه ، ولا يرجو عوناً إلاّ
منه، ولا يرتكن إلاّ لحماه في مواجهة الطغيان والأذى بإيمان وثبات ولا يملك أن يستجيب
للإغراء والتهديد" (٢). "والذين يجدون في قلوبهم الاتكال على أحد غير الله أو على سبب ،
يجب أن يبحثوا ابتداءً في قلوبهم عن الإيمان . قال تعالى : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون } (٣). وليس الاتكال على الله بمانع من اتخاذ
الأسباب ، فالداعية يستخذ الأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمره من اتخاذه
الأسباب، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيتكل عليها" (٤).

المطلب الثالث :

أهمية الدعاء وضرورته .

الدعاء سمة العبودية . واستشعار الذلة البشرية والافتقار إلى الله تعالى ذو الجود
والكرم والمنة .

الدعاء لغة: هو الرغبة إلى الله عزّ وجلّ (٥) ، ودعوته : إذا سألته وإذا استغثته (٦).
اصطلاحاً : الدعاء هو الابتهاج إلى الله تعالى بالسؤال ، والرغبة منها عنده من الخير والتضرع

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص : ٤٥٧ .

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن ، أحمد فائز : (١/ ٢٦٩-٢٧٠) ، بتصرف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ —

١٩٨١م

(٣) سورة الأنفال ، الآية : (٢) .

(٤) طريق الدعوة في ظلال القرآن: (١/ ٢٧١) ، بتصرف .

(٥) لسان العرب : (١٤ / ٣٥٧) . مادة دعا .

(٦) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص : ١٧٠ ، مادة دعا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

إليه في تحقيق المطلوب وإدراك المأمولات^(١).

فضل الدعاء :

وقد أمر الله سبحانه عباده بدعائه فقال : { ادعوني استجب لكم }^(٢).

وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعاؤهم فقال : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان }^(٣).

والدعاء فضيلة من فضائل الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وقد أخبرنا الله بدعوات رسله وتضرعهم ، حيث قال عز وجل عنهم : { وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الرحيم . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله وسئلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }^(٤).

وقال زكريا — عليه السلام — : { رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين }^(٥).
وقال : { فهب لي من لدنك ولياً }^(٦).

وقال نوح عليه السلام : { ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم . ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين }^(٧).

وقال عن آدم — عليه السلام — وزوجه : { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين }^(٨).

وقال عن يونس — عليه السلام — : { وذا النون إذ ذهب مفاضاً فلظن أن لن نقدر عليه فنادى في

(١) الدعاء . د . محمد سيد طنطاوي ، ص : ١٣ ، الزهراء للإعلام العربي ، مصر ، ط ٥ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٧ م .

(٢) سورة غافر ، الآية : (٦٠) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٨٦) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآيات : (٨٣ — ٨٤) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآيات : (٨٩ — ٩٠) .

(٦) سورة مريم ، الآية : (٥) .

(٧) سورة الأنبياء ، الآيات : (٧٦ — ٧٧) .

(٨) سورة الأعراف ، الآية : (٢٣) .

الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين { (١) } .

ودعا يوسف — عليه السلام — : { رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث إلى قوله }
توفني مسلماً وألحقني بالصالحين { (٢) } .

ودعاء موسى — عليه السلام — : { رب أشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري . كي نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً إنك كت بنا بصيراً . قال قد أوتيت سؤالك يا موسى { (٣) } .

ودعا نبينا ﷺ ربه في مواقف عدة، منها عند لقاء الأعداء ، منها دعاؤه ﷺ في غز بدر :
" اللهم إن قتلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد " (٤) . وقال أيضاً في هذه الغزوة : " اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تُحادُّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم احنهم الغداة " (٥) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له ؟ " (٦) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ إن الله يقول : " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني " (٧) .

• "إن الدعاء ملاذ كل مكروب ، وأمل كل خائف ، وراحة كل مضطرب ، به يجأر الإنسان إلى خالقه في كل وقت ، لا سيما عندما تشتد الكروب وتنقطع الأسباب وتعجز

(١) سورة الأنبياء ، الآيات : (٨٧ — ٨٨) .

(٢) سورة يوسف ، الآية : (١٠١) .

(٣) سورة طه ، الآيات : (٢٥ — ٣٦) .

(٤) سيرة ابن هشام : (٢ / ٢٦٩) .

(٥) المرجع السابق : (٢ / ٢٦٤) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء نصف الليل ، ص : ١٣٤٩ ، حديث رقم : (٦٣٢١) .

صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١ / ٤٣٩) ، حديث رقم : (٧٥٨) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى : (٤ / ١٦٤٢) ، حديث

رقم : (٢٦٧٥) .

الحيل ، فيشعر بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية ، والدعاء يدل على حب الله ، والتقرب إليه ورغبة الحماية في جانبه ، ويمتد هذا الحب ليشمل جميع نواحي الخير ، الدعاء لنفسه ولأسرته ومجتمعه وللأمة الإسلامية . والدعاء يطرد الشيطان ، ويطارده ، ويُذكر المسلم بما وجب عليه نحو الله ، ونحو نفسه ^(١) .

• " والدعاء ثمرة المعرفة والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون ، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله ، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء ، ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها ، وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها " ^(٢) .

• " والدعاء هو سبيل القوة الحقة فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياح وفقدان السند المعين واليد الحانية ، إنه إحساس رباني على كل ما فيها من قوة وعزيمة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق " ^(٣) .

• " والدعاء من أخلاق القرآن المجيد ، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم ، وجانب من هدي الرسول ﷺ ، ومما يدل على مكانة الدعاء في حياة المسلم أن الله تبارك وتعالى جعل الدعاء يتكرر في كل صلاة من كل يوم ، ففي فاتحة الكتاب التي يتلوها المسلم في كل ركعة ^(٤) . جاء في قول الحق سبحانه : { اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } ^(٥) .

• " والدعاء يسكب في قلب المؤمن الندوة الحلوة بالود المؤنس والرضى المطمئن والثقة واليقين ، ويعيش المؤمن في جناب أرضي ، وقرى ندية ، وملاذ أمين وقرار مكين " ^(٦) .

" والدعاء فيه ذكر الله ، والذكر يستدعى حضور القلب . فالحاجة تخرج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ، ولذلك فهو يرد القلب إلى الافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من

(١) الدعاء ، ص : ١٢ .

(٢) منهج التربية في القرآن ، محمد شديد ، ص : ١٦٧ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، مصر .

(٣) المرجع السابق ، ص : ١٦٩ .

(٤) موسوعة أخلاق القرآن . د . أحمد الشرباصي : (٦ / ٢٩) - دار التراث العربي - بيروت ، لبنان .

(٥) سورة الفاتحة ، الآيات : (٦ - ٧) .

(٦) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢٠٣) .

نسيانه" (١).

• "والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البليات ، يدفعه ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه ، أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن . وله مع البلاء ثلاث مقامات :
أحدهما : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ، فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه" (٢).

أنواع الدعاء :

ودعاء العبد لربه ومسألته إياه ثلاثة أنواع : ما يؤمر به العبد من الدعاء ، وما ينهى عنه ، وما يباح .

النوع الأول :

نوع أمر العبد به إما أمر إيجاب ، وإما أمر استحباب ، مثل قوله تعالى : { اهدنا الصراط المستقيم } (٣) . ومثل دعائه في آخر الصلاة كالدعاء الذي كان النبي ﷺ يأمر به أصحابه فقال ﷺ : " إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع . يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وعذاب القبر ، ومن فتنة الحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال" (٤) . فهذا دعاء أمرهم النبي ﷺ أن يدعوه به في آخر صلاتهم ، وقد اتفقت الأمة على أنه مشروع يحبه الله ورسوله ويرضاه .

والنوع الثاني :

ما ينهى عنه ، كالاغتداء مثل أن يسأل الرجل مالا يصلح من خصائص الأنبياء ، وليس هو نبي ، وربما هو من خصائص الرب سبحانه وتعالى ، مثل أن يسأل لنفسه الوسيلة

(١) موسوعة أخلاق القرآن : (٦ / ٤٦) .

(٢) الداء والدواء . لابن القيم . ص : ١٦ - ١٧ ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٩ م .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية : (٦) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : ما يستعاذ منه في الصلاة . (١ / ٣٤٤) ، حديث رقم :

التي لا تصلح إلا لعبد من عباده أو يسأل الله تعالى أن يجعله بكل شيء عليمًا ، أو على كل شيء قدير . وهذا ونحوه جهل بالله واعتداء في الدعاء . أو مثل أن يقولوا : " اللهم اغفر لي إن شئت " ، فيظن أن الله قد يفعل الشيء مكرهاً ، وقد يفعل مختاراً . وقد فهم النبي ﷺ عن ذلك فقال : " ولا يقولن إن شئت فاعطني فإنه لامستكره له " (١) . ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكروه له ، ومثل أن يقصد السجع في الدعاء ، ويتشبهق ويتشدد ، وأمثال ذلك ، ومن الدعاء ما هو مباح : كطلب الفضول التي لا معصية فيها " (٢) .

علاقة الدعاء بالقدر :

تركت طائفة الدعاء وقالت : لا فائدة فيه لأن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه ، دعا به العبد أو لم يدع ، وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأل العبد أو لم يسأله . وفي ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : " الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعوامتهم فإنما قدره الله بأسباب بسوق المقادير إلى المواقيت وليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسببات " (٣) .

" وإن هذا المقدر قُدر بأسباب ، ومن أسبابه الدعاء ، فلم يُقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قُدر سببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدر ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدر ، وهذا كما قدر الشيع والري بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال ، وهذا القسم هو الحق ، لأن الدعاء من أقوى الأسباب ، وليس شيء من

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : ليعزم المسألة فإنه لا مكروه له ، ص : ١٣٥٢ ، حديث رقم : (٦٣٣٨) .

صحيح مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت : (٤ / ١٦٣٨) ، حديث رقم : (٢٦٧٨) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١٠ / ٧١٢ — ٧١٤) . بتصريف .

(٣) التوكل والأخذ بالأسباب . ص : ٥٩ — ٦٠ .

الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ في حصول المطلوب^(١).

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة ، فإن الله سبحانه يقول : { ادعوني استجب لكم }^(٢) . وقال : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان }^(٣).

إن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار ، وقد أخبر الله سبحانه عن الكفار ، أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين . قال تعالى : { وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلنمأ نجأكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كلوراً }^(٤).

وأن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه لجنبه أو قاعداً أو قائماً وإجابة الله دعاء عبده مسلماً أو كافراً ، وإعطاءه سؤله من جنس رزقه لهم . قال تعالى : { وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مَرَّكَانَ لِمَ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّهِمْ كَذَلِكَ يَبْهَتُونَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }^(٥).

آداب الدعاء :

ما لا شك فيه أن الدعاء لله هو طلبه ، وهذا يقتضي من الداعي الوقوف والابتهاال بين يدي الله والالتزام والتقيد ببعض الآداب ، وقد ذكر الإمام الغزالي^(٦) — رحمه الله — عشرة آداب في الدعاء :

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : { وبالأَسْحَارِ هُمْ

(١) الدعاء والدواء . ص : ٢٧ .

(٢) سورة غافر ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٨٦) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : (٦٧) .

(٥) سورة يونس ، الآية : (١٢) .

(٦) الغزالي : محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد ، حجة الإسلام ، فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران (قضية طوس ، بخراسان) ، رحل إلى نيسابور ، ثم إلى بغداد فالحجاز في بلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلده ، نسبه إلى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو إلى غزاله (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف . له مؤلفات عديدة من أهمها إحياء علوم الدين ، أربع مجلدات ، وثقافت الفلاسفة . انظر ، الأعلام : (٧ /

يستغفرون^(١)}. وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ: "يترل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطية؟ من يستغفربي فأغفر له؟"^(٢).

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة.

في حالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة. عن أبي هريرة — رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"^(٣). وعن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — قال: "ثماني رسول الله ﷺ أن أقرأ راکعاً أو ساجداً"^(٤).

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه.

عن أنس — رضي الله عنه — أنه قال: "كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلى إلا في الاستسقاء وإنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه"^(٥).

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر.

عن عائشة — رضي الله عنها — قوله: { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها }^(٦) أنزلت في الدعاء^(٧). وروى أبي موسى قال: "كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير

(١) سورة الذاريات، الآية: (١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: التهجد (الصلاة)، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ص: ٢٤٢، حديث رقم: (١١٤٥).

صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل: (١/٥٣٩)، حديث رقم: (٧٥٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود: (١/٢٩٤)، حديث رقم: (٤٨٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: (١/٢٩٢)، حديث رقم: (٣٠٩).

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الاستسقاء (الصلاة)، باب: رفع الإمام يده في الاستسقاء، ص: ٢٢٠، حديث رقم: (١٠٣١).

صحيح مسلم، كتاب: الاستسقاء، باب: رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء: (٢/٥١١)، حديث رقم: (٨٩٥).

(٦) سورة الإسراء، جزء من الآية: (١١٠).

(٧) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، ص: ١٣٥٠، حديث رقم: (٦٣٢٧).

فقال النبي ﷺ : أيها الناس اربطوا على أنفسكم ، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سمعياً قريباً وهو معكم" (١).

الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء .

فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع ، والتكلف لا يناسبه . فقد حدث ابن عباس - رضي الله عنه في حديث ، إلى أن قال : " فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك ؛ يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب" (٢) .
وعلق أبو حامد الغزالي - رحمه الله - على السجع في الدعاء فقال : " واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام ، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة من رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة ، والتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل" (٣) .

السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة .

قال تعالى : { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً } (٤) .

وقال عز وجل : { ادعوا ربكم تضرعاً وخفية } (٥) .

السابع : أن يجزم الدعاء ويؤمن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه .

عن أنس - رضي الله عنه - قال . قال رسول الله ﷺ : " إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني ، فإنه لا مستكره له" (٦) .

الثامن : أن يلح في الدعاء ويكره ثلاثاً .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " سحر النبي ﷺ فدعا ودعا.." (٧) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر ، (٤ / ١٦٤٩) ، حديث رقم : (٢٧٠٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : ما يكره من السجع في الدعاء ، ص : ١٣٥٢ ، حديث رقم : (٦٣٣٧) .

(٣) إحياء علوم الدين : (١ / ٣٠٦) . دار المعرفة ، بيروت .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : (٩٠) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : (٥٥) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : لعزم المسألة فإنه لا مكره له ، ص : ١٣٥٢ ، حديث رقم : (٦٣٣٨) .

(٧) مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت : (٤ / ١٦٣٨) ، حديث رقم : (٢٦٧٨) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : تكرير الدعاء ، ص : ١٣٦٢ ، حديث رقم : (٦٣٩١) .

التاسع : ينبغي أن لا يستبطن الإجابة .

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول : دعوت فلم يستجب لي " ^(١). وأن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال .

العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة مثل :

التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة ^(٢).

وإن الداعية عندما يدعو الله للمدعوين؛ فإنه يستترل هداية الله بفضله وعونه ، ولذلك كان النبي ﷺ يهتم كثيراً بالدعاء في أحواله كلها وخاصة خلال دعوته قومه .
فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسي ^(٣) وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله إن دوساً كفرت وأبت فادع الله عليها . فقيل : هلكت دوس . قال : " اللهم اهد دوساً وأت بهم " ^(٤) . وأنزل الله الهداية لدوس . وقد دعا الرسول ﷺ بالهداية لأبناء المشركين الذين عذبوه واضطهدوه فاستجاب الله لدعائه فقد ورد في الصحيحين أن عائشة — رضي الله عنها — زوج النبي ﷺ قالت للنبي ﷺ : " هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبي إلى ما

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : يستجاب للعبد ما لم يعجل ، ص : ١٣٥٢ ، حديث رقم : (٦٣٤) .

صحيح مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل : (٢٧٣٥) .

(٢) إحياء علوم الدين : (١ / ٣٠٣ — ٣٠٧) . بتصرف .

(٣) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي . أسلم وصدّق النبي ﷺ بمكة . ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس ، فلم يزل مقيماً بها حتى هاجر رسول الله ﷺ ، ثم قدم على رسول الله ﷺ ، بخير بمن تبعه من قومه ، فلم يزل مقيماً مع رسول الله ﷺ حتى قبض ﷺ ، ثم كان مع المسلمين حتى قتل باليمامة شهيداً . انظر : الاستيعاب : (٢ / ٧٥٧ — ٧٦٢) ، الإصابة : (٢ / ٥٢١ — ٥٢٢) ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٣٧ — ٢٤٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، ص : ٦١٨ ، حديث رقم : (٢٩٣٧) .

صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل غفار وأسلم وجهية : (٤ / ١٥٥٤) ، حديث رقم : (٢٥٢٤) .

أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب^(١) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ، ثم قال : يا محمد ، فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(٢) ؟ فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(٣) .

وقد دعا الرسول ﷺ لأحد العمرين بالهداية فاستجاب الله دعاءه وأيده بعمر بن الخطاب حيث قال النبي ﷺ : " اللهم أيّد الإسلام بأبي عمرو بن هشام^(٤) " أو بعمر بن الخطاب^(٥) . وبإسلام عمر وإظهاره أعز الله به الإسلام ، حتى أن عبد الله بن مسعود^(٦) قال : " كان إسلام عمر عزّاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . والله ما استطعنا أن نضلي حول

(١) قرن الثعالب : هو ميقات أهل نجد ، ويقال له قرن المنازل أيضاً ، وهو على يوم وليلة من مكة ، وقرن كل جبل صغير منقطع عن جبل كبير ، انظر ، فتح الباري : (٦ / ٣٦٤) .

(٢) الأخشبين : هما جبال مكة أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقان ، وقال الصغاني : بل هو جبل الأحمر الذي يشرف على قعيقان ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإضاقتهم أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً . انظر ، المرجع السابق : (٦ / ٣٦٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ، ص : ٦٨٢ — ٦٨٣ ، حديث رقم : (٣٢٣١) .

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش وأبطاها ودهاقما في الجاهلية ، سؤدته قريش ولم يطرّ شاربهُ فأدخلته دار الندوة مع الكهول . أدرك الإسلام ، وكان يقال له الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل ، واستمر على عناده ، يثير الناس على الرسول ﷺ وأصحابه ، لا يفتر عن الكيد له ، والعمل على إيذائهم ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى ، فشهدها مع المشركين ، فكان من قتلها . انظر ، الأعلام : (٥ / ٨٧) .

(٥) سيرة ابن هشام : (١ / ٣٧٢) .

(٦) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، حليف بني زهرة ، وكان أحد السابقين الأولين ، أسلم قديماً ، وهاجر المحدثين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه ، وحدث عن النبي ﷺ بالكثير من الأحاديث ، وكان سادس ستة من أسلم ، وهو أول من جهز بالقرآن بمكة ، وقال النبي ﷺ عنه : " من سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد " . ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل مات سنة ثلاث ، وقيل مات بالكوفة ، والأول أثبت . شهد فتوح الشام ، وسيرته عمر — رضي الله عنه — إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم ، ثم أمره عثمان — رضي الله عنه — على الكوفة ، ثم عزله ، فأمره بالرجوع إلى المدينة . انظر ، الإصابة : (٤ / ٢٣٣) ، الاستيعاب : (٢ / ٩٨٧ — ٩٩٤) ، الأعلام : (٤ / ٢٨٠) .

البيت ظاهرين حتى أسلم" (١).

وقد دعا الرسول ﷺ في غزوة تبوك للظفر عندما جهدت فنشطت ، ودعا بالبركة لطعامهم وشراهم . فعندما اشتدت حاجة الجيش إلى الماء وجهد بالظفر جهداً شديداً ، فشكروا إلى النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين بهم مضيقاً فسار النبي ﷺ فيه فقال : "مرؤوا باسم الله ، فمرّ الناس عليه بظهرهم فجعل ينفخ بظهرهم ، اللهم احملهم عليها في سبيلك انك تحمل على القوي والضعيف ، وعلى الرطب واليابس في البر والبحر" (٢) . وقد استجاب الله دعاء النبي ﷺ حتى إنهم لما بلغوا المدينة جعلت تنازعهم أزمتهما .

وأيضاً لما نفذت أزواد القوم ، حتى همّ بنحر بعض حمائلهم . فقال عمر يارسول الله: "لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ، ففعل ، فجاء ذو البرّ ببرّه ، وذو السمر بتمره ، وذو النواة بنواه ، فكانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، فدعا عليها الرسول ﷺ ، حتى ملأ القوم أزودهم" (٣) .

وبالتالي على الداعية أن لا ييأس في دعوته ، إذا لم يستجب له المدعويين ، وقدوته في ذلك الرسول ﷺ وأن يلتجئ إلى ربه يدعوه ويتهل إليه بهداية المدعويين ، وأن ينتهز أوقات الإجابة في الدعاء ، ويلتزم بأدابه . فإن بركة الدعاء لا حصر لها في الأرض ولا في السماء .

المطلب الرابع :

ضرورة التمسك بمبدأ الولاء والبراء

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس الدين فيوالي الله ورسوله والذين آمنوا قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ويعادي الكفار قولاً وفعلاً واعتقاداً .

الولاء والبراء في اللغة :

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١ / ٥٩) .

(٢) سبق تخرجه ، ص : ٥٥ .

(٣) سبق تخرجه ، ص : ٤٢ .

الولاء: مشتق من "الموالة مصدر والى يوالي موالة، ولفظ الموالة أعم من التولي؛ حيث إن الموالة هي المحبة"^(١).

"والموالة ضد المعادة ، يقال والى بينهما ولاءً ؛ أي تابع بينهما متابعة ، وأفعل هذه الأشياء على الولاء أي المتابعة"^(٢) . " ويستعار لفظ الولاء للقرب من حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد"^(٣).

البراء: " أصل البرء والبراء والتبري : التغمي مما يكره مجاورته ، ولذلك قيل : برأت من المرض ، وبرأت من فلان ، وتبرأت وأبرأته من كذا وبرأته ، ورجل بريء ، وقدم براء وبريثون^(٤)؛" وبالتالي الولاية ضد العداوة وأصل الولاية ، المحبة والقرب . وأصل العداوة ، البغض والبعد ، والولي : القريب ، فأولياء الله ضد أعدائه ، يقربهم منه ويدنيهم إليه ، ويتولاهم ويتولونه ويحبهم ويرحمهم"^(٥).

"وأعداؤه يبعدهم ويلعنهم ، وهو إبعاد منه ومن رحمته ويغضب عليهم وهذا شأن المتولين والمتعادين"^(٦).

قال تعالى : { لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة }^(٧).

وقد حرّم على المؤمنين موالة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليهم نسباً ؛ لأنه إذا فقدت رابطة العقيدة فلا قيمة للروابط الأخرى .

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان }^(٨).

وقال تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو

(١) القاموس المحيظ: (٤ / ١٤٠١ - ١٤٠٢).

(٢) الصحاح: (٦ / ٢٥٣٠ - ٢٥٣١).

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٥٣٣ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٤٥ . مادة برأ .

(٥) الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ابن تيمية ، ص : ٧ ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان : ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(٦) قاعدة في المحبة ، ابن تيمية ، ص : ١٩٨ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٧) سورة الممتحنة ، جزء من الآية : (١) .

(٨) سورة التوبة ، الآية : (٢٣) .

إخوانهم أو عشيرتهم {^(١) .

وقال تعالى : { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم }^(٢) .

وقال تعالى : { وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين }^(٣) .

الموالة الحقيقية :

"الموالة الحقيقية لله عز وجل توجب موالة الله ومحبة الرسول لله ، وأن يبغض ما يبغض الله ورسوله ، فالمسلم الحق هو الذي يتخذ الله ولياً ويرضى بولايته دون سواه ويعتقد جازماً أن ولاية الله عز وجل هي التي تنفع في الدنيا والآخرة"^(٤) .

قال تعالى : { بل الله مولاكم وهو خير الناصرين }^(٥) .

وقال تعالى : { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور }^(٦) .

وموالة الله توجب موالة رسوله لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، قال تعالى : { ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون }^(٧) .

وقال تعالى : { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا }^(٨) .

وقال تعالى : { النبي أولى المؤمنين من أنفسهم وأزواجه وأمهاتهم }^(٩) .

حكم موالة الكفار ومعاداة المؤمنين :

(١) سورة المجادلة ، الآية : (٢٢) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١١٤) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : (٢٦) .

(٤) الموالة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس بن عبد الله الجلعود : (١ / ١٨٨) ، دار اليقين ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ —

— ١٩٩٧ م .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (١٥٠) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٧) .

(٧) سورة المائدة ، الآية : (٥٦) .

(٨) سورة المائدة ، الآية : (٥٥) .

(٩) سورة الأحزاب ، الآية : (٦) .

"تعتبر موالاة الكفار ومحبتهم من نواقض الإسلام العشرة ومظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين"^(١).

"فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم ، وذلك ملة إبراهيم والذين معه ، الذين أمرنا بالافتداء بهم"^(٢) ، حيث يقول سبحانه وتعالى : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤنا منكم وما نعبدون من دون الله كفرننا بكم وبدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده }^(٣) .
وقد حرم الله سبحانه وتعالى موالاة أهل الكتاب خصوصاً .

فقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولم منهم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين }^(٤) .

وقال تعالى في تحريم موالاة الكفار عموماً : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ... إلى قوله { ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل }^(٥) .

وقال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تقوا منهم قاة }^(٦) .

وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون }^(٧) .

عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء :

عندما يذكر معتقد أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء يخرج بذلك أرباب البدع

(١) مجموعة التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب ، ص : ٢٧١ ، مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) الولاء والبراء في الإسلام ، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، ص : ٣ ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١١هـ .

(٣) سورة المتحنة ، الآية : (٤) .

(٤) سورة المائدة ، الآية : (٥١) .

(٥) سورة المتحنة ، الآية : (١) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (٢٨) .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : (١١٨) .

والأهواء التي لا تستند إلى دليل قوى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : "والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية . قال تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما } ^(١) . فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم ، فليتدبر المؤمن بين هذين النوعين ، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر ، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته ، وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته ، وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه" ^(٢) .

"وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، ليجمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة" ^(٣) .

وقد لخص الإمام ابن تيمية — رحمه الله — هذا القول في موضع آخر فقال : " فمن كان مؤمناً وجبت موالاته ، من أي صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان ، ومن كان فيه إيمان وضعف وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه ، ومن البغض بحسب فجوره ، ولا يخرج عن الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي" ^(٤) .

الولاء القلبي :

والولاء القلبي يجب أن يكون كاملاً وكذلك البراء . وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : " فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكرهته فينبغي أن تكون

(١) سورة الحجرات ، الآية : (٩) .

(٢) مجموع الفتاوى : (٨ / ٢٠٨) .

(٣) المرجع السابق : (٨ / ٢٠٨ — ٢٠٩) .

(٤) المرجع السابق : (٢٨ / ١٣٧) .

كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان . وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكرهته كاملة تامة وفعل العبد منها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل" (١).

نتائج إهمال الولاء والبراء :

إن الولاء والبراء هما أصلان عظيمان في الدين ، وبفقدهما لا يكون هناك فرق بين الحق والباطل ، ويترتب عليهما مفسد كثيرة في الدين وفي ذلك يقول الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (٢) — رحمهما الله — " وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع . فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله ، والمعاداة في الله والموالاتة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقاً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . والآيات في هذا كثيرة" (٣).

وقال الشيخ حمد بن عتيق — رحمه الله تعالى (٤) — : " فتبين أن موالاتة المؤمن للكافر سبب الافتنان في الدين ، بترك واجباته وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب للفساد في الأديان والأبدان والأموال ، فأين هذا من قول أهل الفساد والمجون أن موالاتة المشركين

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ابن تيمية . ص : ٢٣ ، دار الكتاب الجديد ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦ م .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، من آل الشيخ ، فقيه من أهل نجد ، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه ، وشي به بعض المنافيقين إلى إبراهيم (باشا) ابن محمد علي ، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها ، فأحضره إبراهيم ، وأظهره بين يديه آلات المنكر إغماظة له ، ثم أخرجته إلى المقررة ، وأمر العساكر أن يطلقوا الرصاص جميعاً ، فمزقوا جسمه . له تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، والأصل من تأليف جده ، ولم يتمه ، فهذبّه عبد الرحمن بن حسن من بعده ، وأكمّله ، والتوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ، وأوثق عرى الإيمان . انظر ، الأعلام : (٣ / ١٩٢) .

(٣) أوثق عرى الإيمان . سليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ . ص : ٣٧ ، دار طيبة . الرياض . ١٤٠٩هـ — ١٩٨٨ م .

(٤) حمد بن علي بن عتيق ، قاض حنبلي ، من علماء نجد ، ولد في بلدة الزلفي ، وتفقه في الرياض ، وولي قضاء الحلوة ، ثم قضاء الأسلاج ، إلى أن تروى ، له كتب مختصرة مطبوعة ، منها : إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد ، وبيان النحاوقالفكاك ، من موالاتة المرتدين وأهل الإشراك ، والدفاع عن أهل السنة والأتباع ، كلها رسائل الدعوة إلى التوحيد . انظر ، الأعلام : (٢ / ٢٧٢) .

صلاح وعافية وسلامة" (١).

الفرق بين المداراة والمداهنة :

يلتبس على كثير من الناس مفهوم المداهنة والمداراة ، فيحتج بعضهم بمفهوم إحداها على الأخرى رغم أن هناك فرقاً بينهما لا يخفى على ذوي الألباب .

التعريف بالمداراة والمداهنة وحكميها :

قال ابن بطال (٢) — رحمه الله — : " المداراة من أخلاق المؤمنين ؛ وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة . وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلظ ؛ لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة . المداهنة : من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها مباشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه .

والمداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ، حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك" (٣).

وهذه المداراة ليست داخلية في مفهوم الموالاتة المحرمة ، فقد كان النبي ﷺ يداري الفساق والفجار من أجل تأليفهم للإسلام روي في الصحيحين عن عروة بن الزبير — رضي الله عنه — " أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي ﷺ رجل (٤) فقال : ائذنوا له ، فبئس

(١) سبيل النجاة والفساك . حمد بن عتيق ، ص : ٣٨ — ٣٩ ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م .

(٢) ابن بطال : سليمان بن محمد البطلوسي ، أبو أيوب ، فقيه باحث ، له أدب وشعر ، تعلم بقرطبة واشتهر بكتابه (الفتح) في أصول الأحكام ، قالوا فيه : لا يستغنى عنه الحكام . وكان من الشعراء أيضاً ، ويلقب بالعين جودي ، لكثرة ما كان يتردد في أشعاره (يعين جودي) . انظر ، الأعلام : (٣ / ١٩٥) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٠ / ٥٤٥) .

(٤) قال ابن بطال — رحمه الله — هو : عيينة بن حصن الغطفاني الفزاري ، يكنى أبا مالك ، أسلم بعد الفتح ، وقيل قبل الفتح ، وشهد الفتح مسلماً ، وشهد حينئذ أو الطائف أيضاً ، وكان من المؤلفات قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة ، وكان ارتد وتبع طليحة الأسدي ، وقاتل معه ، فأخذ أسيراً ، وحمل إلى أبي بكر — رضي الله عنه — فكان صبيان المدينة يقولون : يساعده الله أكثر بعد إيمانه ، فيقول : ما آمنت بالله طرفة عين . فأسلم فأطلقه أبو بكر . انظر ، أسد الغابة : (٤ / ٣٥٤ — ٣٥٣) .

ابن العشرة ، أو بئس أخو العشرة ، فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له : يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألفت له في القول . فقال : أي عائشة ؛ إن شر الناس عند الله من تركه — أو ودعه — الناس اتقاء فحشه" (١)(٢) .

وجاء في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أنه قال : " قسم رسول الله ﷺ أقيته (٣) ، ولم يعط مخرمة (٤) شيئاً ، فقال مخرمة : يا بني انطلق بنا إلي رسول الله ﷺ فانطلقت معه ، فقال : ادخل فادعه لي ، فدعوته له ، فخرج إليه وعليه قباء منها فقال : خبأت هذا لك ، قال : فنظر إليه فقال : رضي مخرمة" (٥) .

"فإذا تكون المداهنة مذمومة إذا كانت على حساب الدين ، كفعل محظور عند الكفار مجاملة لهم ، أو ترك واجب إسلامي ، أو السكوت على باطل يراه ، ويستطيع إنكاره أو السكوت عن قول حق تعين عليه ، أو مدحهم بما لا يستحقون ، وكذلك عدم إظهار الدين مصانعة لهم ففعل هذه الأمور لدى الكفار يُعدّ مداهنة ومن ثم فهو موالاتهم" (٦) . قال تعالى : { ودوا لو تدهن فيدهنون } (٧) .

- (١) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : المداراة مع الناس ، ص : ١٣١١ ، حديث رقم : (٦١٣١) .
 صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : مداراة من يتقى فحشة : (٤ / ١٥٨٩) ، حديث رقم : (٢٥٩١) .
 (٢) قال ابن حجر — رحمه الله — في فتح الباري (١٠ / ٥٤٥) : " قيل في مخرمة ما قيل ، لما كان في خلقه من الشدة ، فكان كذلك في لسانه بذاءة ، وأما عينة فكان إسلامه ضعيفاً ومع ذلك أهوج ، وكان مطاعاً في قومه" .
 (٣) الأقبية : جمع قباء ، قال ابن فارس : القباء ، هو قميص الصبي الصغير . وقال القرطبي : القباء ؛ ثوب ضيق الكمين والوسط مشقوق من خلف يُلبس في السفر والحرب ، لأنه أعون على الحركة . انظر ، فتح الباري : (١٠ / ٢٨١) .
 (٤) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري وهو والد المسور ابن مخرمة ، كان من مسلمة الفتح ، وكان له حسن وعلم بأيام قريش ، كان يؤخذ عنه النسب ، وكان أحد علماء قريش ، وكان نبيهاً أياً ، شهد حيناً ، وهو أحد المؤلفين قلوبهم وممن حسن إسلامه منهم ، وأحد الذين نصبوا أعلام الحرم لعمر ، مات بالمدينة زمن معاوية سنة ٥٤هـ ، وقد بلغ مائة سنة وخمس عشرة سنة ، وكف بصره في زمن عثمان ، يعد في أهل الحجاز . انظر ، الاستيعاب : (٣ / ١٣٨٠) ، الإصابة : (٦ / ٥٠ — ٥٢) .
 (٥) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس ، باب : القباء وفروج من حرير وهو القباء ، ص : ٢١٥٦ — ١٢٥٧ ، حديث رقم : (٥٨٠٠) .
 صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إعطاء من سأل بفحش وغلظة : (٢ / ٦٠٢) ، حديث رقم : (١٠٥٨) .
 (٦) الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم ، عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، ص : ٤٥ — ٤٦ ، الرياض — ١٤١١هـ .
 (٧) سورة القلم ، الآية : (٩) .

فالمداهنة بهذا الوصف تتعارض مع آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال تعالى : { يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور }^(١) .
 "والمداهنة بالإضافة إلى تركه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكتسب إثمًا جديداً ، وهو إشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمع ؛ لأن الفجرة والطغاة إذا أمنوا من مغبّة الإنكار عليهم ازدادوا في فجورهم وطغيانهم ، لأنهم يرون أن الكل يعلم فجورهم ومع ذلك يسكت ويدهن ، فالمداهنة مشاركة بجرمة اقرار المنكر والسكوت عليه في الدنيا ، ولذلك استحق من يفعل ذلك اللعن والطرده من رحمة الله ، كما ذكر الله عز وجل عن بني إسرائيل"^(٢) . قال تعالى : { لعن الذين كفروا بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون }^(٣) .

في تطبيق الداعية لمبدأ الولاء والبراء مع المدعوين :

"كون المسلم يستشعر دائماً عداوة الكفار والمنافقين والمرتدين ، ليس معنى ذلك أن يعيش في كآبة وحزن وضجر وضيق ومعاناة طيلة حياته نتيجة مشاهداته لأعمال أهل الكفر واختلاطه بالكفار ، وإنما المقصود من عداوة الكفار إضمار العداوة لهم وملازمة هذا الشعور نحوهم ، وذلك بأن يتحول الشعور بعداوتهم إلى عمل مثمر ببناء ، وذلك بالسعي الجاد لإخراج من يريد الله هدايته من صف الكفار إلى صف أهل الإسلام ، بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومن رفض وجب معه استعمال الأسلوب الثاني من أساليب الدعوة وهو الجهاد ، الذي شرعه الله لتحرير العقول من أن تستعبد لغير خالق العباد"^(٤) .

"فمعاودة الكافرين في الإسلام وسيلة لشحذ الهمم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام . وهي كذلك وسيلة لمحافظة المسلم على خصائص الإسلام ومميزاته"^(٥) .

(١) سورة لقمان ، الآية : (١٧) .

(٢) الموالة والمعادة في الشريعة الإسلامية : (١ / ٢٢٢) .

(٣) سورة المائدة ، الآيات : (٧٨ - ٧٩) .

(٤) الموالة والمعادة في الشريعة الإسلامية : (٢ / ١٥٨) .

(٥) المرجع السابق : (٢ / ١٥٨) .

كما أن معرفة المسلم الملتزم بالإسلام بحكم الله في الموالاة والمعاداة فيه ، تجعله ينطلق في تعامله مع المدعوين من فهم ثابت وتصور صحيح ، فيتعامل معهم على أساس قرهم أو بعدهم من الله ، وكلما كان المدعو أقرب إلى طاعة الله عز وجل أحبه وناصره في الله ووالاه وكلما انحرف المدعو عن طاعة الله ، أبغضه وعاداه .

ويبرز موقف تطبيق الولاء والبراء بصورة جلية من خلال غزوة تبوك وما بعدها . من موقف رسول الله ﷺ وصحابته من كعب بن مالك - رضي الله عنه - وصاحبيه ، حيث قاطعهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك ، فهجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة ، وعدم مخالطتهم والإنكار عليهم ، واجب من واجبات الولاء والبراء ، ومقتضى من مقتضياته ، لأن المنطلق في هذا الواجب هو حب الله وحب ما يحبه ، وبغض ما يبغضه . " فهذه المقاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ يصلون خلف رسول الله ﷺ في مسجد أسس على التقوى ، لقد هجروهم ولم يكلموهم حتى في التحية الإسلامية . فمن ياترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً" (١) .

"أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين حتى وهذا المؤمن مهجور من إخوانه وأحبابه ، مُقاطع عنهم حتى في ردّ السلام .

يُتسلى بإغراء مادي عظيم ، ومحسن له المنصب ورفعة المكان في الدنيا ، فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك - رضي الله عنه - فإنه كما جاء في حديثه الطويل لما أمر الرسول ﷺ صحابته بهجره ومن معه ، حتى زوجته ذهبت إلى أهلها ، فاجأه أمر عجيب وخطير في آن واحد" (٢) . يقول كعب - رضي الله عنه : " ... فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ؟ ففطقت الناس يشيرون له ، حتى إذا جاعني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدرا هوان ولا مضبعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فقيممت بها التنور فسجرت بها" (٣) .

(١) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد القحطاني ، ص : ٣٨٧ ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٣٨٨ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

لقد صدق كعب - رضي الله عنه - في قوله : وهذا أيضاً من البلاء ، " أجل إنه بلاء عظيم ، ولقد كان ولاء كعب - رضي الله عنه - رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الإغراء والإغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين ، وكان براؤه من ملك غسان واضحاً في حرقه لكتاب ذلك الملك" (١) .

ويتجلى أثر الولاء والبراء في حرق كعب لكتاب ملك غسان ، حيث أن كعب رغم المحنة التي مرَّ بها لم تصرفه أو تؤثر في إيمانه شيئاً بل ازداد يقيناً وثباتاً وولاءً لله ولرسوله .
وعلق ابن حجر - رحمه الله - على حرق كعب لكتاب الملك حيث قال : " ودلُّ صنع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله وإلّا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه ؛ لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال ، ولا سيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه ، ومع ذلك ، فغلب عليه دينه وقوى عنده يقينه ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم ، حباً في الله ورسوله ، كما قال ﷺ : " وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. " (٢)(٣)

وأيضاً الجهاد ، من أهم مقتضيات الولاء والبراء ؛ لأنه الفاصل بين الحق والباطل ، وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، والرسول ﷺ قد أمرنا بالجهاد بعد الهجرة النبوية ، مما يدل على أهميته في إقامة هذا الدين الذي بعثت لأجله الرسل وأنزلت الكتب .
وقد خرج الرسول ﷺ إلى غزوة تبوك للجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية

(١) الولاء والبراء في الإسلام . ص : ٣٨٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، ص : ١٧ ، حديث رقم : (١٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال من اتصف بهم وحد حلاوة الإيمان : (١ / ٦٨) ، حديث رقم :

(٤٣) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٧/٧٢٦) .

والقضاء على الطواغيت .

والنصرة : واجب إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم ، وهو من مقتضيات الولاء والبراء ، والمسلم يحب أخيه المسلم وينصره بدمه وماله . ويتمثل موقف النصره في دفاع معاذ بن جبل عن عرض كعب - رضي الله عنه - عندما غاب ، حيث ، قال : " والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً" (١) .

المطلب الخامس :

المعجزة وأثرها في الدعوة

في اللغة :

"أعجزني فلان : إذا عجزت عن طلبه وإدراكه . وعجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه . والمعجزة : واحدة معجزات الأنبياء - عليهم السلام -" (٢) .

في الاصطلاح :

"المعجزة : ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطيع إلا بقدره إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها ، تصديقاً على اختصاصه برسالته فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف" (٣) .
"ولذلك كانت المعجزة ضرورية ، وإظهارها واجباً ، ل يتم بها المقصود ومن تبليغ الرسالة ، ولتقام بها حجة الله على عباده" (٤) .

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) لسان العرب : (٣٧٠/٥) .

(٣) عقيدة المسلم وما يتصل بها ، عبد الحميد السائح ، ص : ٢١٩ ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية .

(٤) أعلام النبوة ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ص : ٤٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ،

أنواع المعجزات :

ذكر الإمام الماوردي^(١) - رحمه الله - أنواع المعجزات إلى عشرة أقسام فقال :

وينقسم ما خرج عن العادة على عشرة أقسام :

أحدهما : ما يخرج جنسه عن قدرة البشر ، كاختراع الأجسام وقلب الأعيان ، وإحياء الموتى فقليل هذا ، وكثير معجز لخروج قليلة عن القدرة ، كخروج كثيرة .

القسم الثاني : ما يدخل جنسه في قدرة البشر ، لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر ، كطبي الأرض البعيد في المدن القريبة ، فيكون معجزاً لخرق العادة .

القسم الثالث : ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر ، كالإخبار بحوادث الغيب .

القسم الرابع : ما خرج نوعه عن مقدور البشر ، وإن دخل جنسه في مقدور البشر ، كالقرآن في خروج أسلوبه أقسام الكلام ، فيكون معجزاً بخروج نوعه عن القدرة ، فصار جنساً خارجاً عن القدرة ، ويكون العجز مع القدرة على آتته من الكلام أبلغ في المعجز .

القسم الخامس : ما يدخل في أفعال البشر ، ويفضي إلى خروجه عن مقدار البشر ، كالبرء الحادث عن المرض ، والزرع الحادث عن البذر ، فإن برئ المرض المزمّن لوقته ، واستحصّد الزرع المتأكل قبل أوانه كان بخرق العادة معجزاً لخروجه عن القدرة .

القسم السادس : عدم القدرة عما كان داخل في القدرة ، كإنذار بعجزه عن الكلام ، وإخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون ذلك معجزاً بالعاجز ، ولا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز لنفسه ، وليس على يقين من عجزه .

القسم السابع : إنطاق حيوان أو حركة جماد ، فإن كان باستدعائه ، أو عن إشارته ، كان معجزاً له وإن خرق العادة ، لأنه ليس اختصاصه به بأولى من اختصاصه بغيره ، وكان من نوادر الوقت وحدوثه .

القسم الثامن : إظهار الشيء في غير زمانه كإظهار فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء

(١) الماوردي : علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، أفضى قضاء عصره ، من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . ولد في البصرة ، وانتقل إلى بغداد . وولي القضاء في بلدان كثيرة ، ثم جعل أفضى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي . وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء ، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خلاً أو يزيل خلافاً ، نسبت إلى بيع ماء الورد ، ووفاته ببغداد . من كتبه : أدب الدنيا والدين ، والأحكام السلطانية ، وأعلام النبوة ، والإقناع ، وقانون الوزارة وغيرها . انظر ، الأعلام : (٤ / ٣٢٧) .

في الصيف ، فإن كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكناً ، لم يكن معجزاً ، وإن لم يكن استبقاؤهما كان معجزاً سواء بدا بإظهاره أو طوّل به .

القسم التاسع : انفجار الماء وقطع الماء المتفجر ، إذا لم يظهر بحدوثه أسباب من غيره فهو من معجزاته لخرق العاد به .

القسم العاشر : إشباع العدد الكثير من الطعام اليسير ، وإرواؤهم من الماء القليل ، يكون معجزاً في حقهم ، غير معجز في حق غيرهم^(١) .

"والمؤمن الذي يصدق بالوحي لا يتردد في تصديق أي شيء ثبت وروده عن الرسول بالدليل القاطع ، لأن الله سبحانه واضح السنن ، والقوانين المعتادة ، قادر على أن يغير سنته وقانونه"^(٢) .

"ولا يظهر الله المعجزة إلا لئلي ، ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجزة مما يجعله دليلاً على صدقه في غير النبوة ، وإن كان فيه مطيعاً ، لأن النبوة لا يوصل إلى صدقه فيها إلا بالمعجزة ، لأنه مغيب إلا منه فاضطر إلى الإعجاز وإن نفذت ، وإن تشبه ، معجزات الأنبياء بغيرها"^(٣) .

قال تعالى : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾^(٤) .

"وما بعث الله رسولا في قوم إلا كان الجهل ناشراً ، والشر ملقياً بجرانه ، ولهذا كانت رسالته شاقة مضية ، وجهاده عنيفاً طويلاً ، ولذلك أيدهم سبحانه بالمعجزات لضمان نجاحهم"^(٥) .

معجزات الرسل :

إن الله سبحانه وتعالى لم يرسل رسولا إلا وقد أيده بالآيات الكونية ، والمعجزة أو

(١) أعلام النبوة ، ص : ٤٢ .

(٢) عقيدة المسلم وما يتصل بها . ص : ٢١٩ .

(٣) أعلام النبوة . ص : ٤٢ .

(٤) سورة غافر ، جزء من الآية : (٧٨) .

(٥) محمد ﷺ ، المثل الكامل ، محمد حاد المولى ، ص : ١٨ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، ١٣٨٨

المعجزات ، الخارجة عن مقدور البشر ، ليكون إظهارها على يديه — مع أنه من البشر —
دليلاً على أنه مرسل من عند الله^(١) . فكان :

إنجاء نوح — عليه السلام — والذين آمنوا معه في الفلك الذي صنعه بأمر ربه .
وإغراق الذين كفروا قال تعالى : { فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ }^(٢) .

وعدم حرق النار لإبراهيم — عليه السلام — قال تعالى : { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }^(٣) .

وإخراج صالح — عليه السلام — الناقة من الصخر . قال تعالى : { وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ }^(٤) .

وقلب عصا موسى — عليه السلام — ثعباناً : قال تعالى : { فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
حَيَّةٌ تَلْفُفُ مَاءً فَكُونَ }^(٥) .

وما ظهر على يدي عيسى — عليهم الصلاة والسلام — من إبراء الأكمة والأبرص ،
ونحو ذلك . قال تعالى : { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي
بُيُوتِكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }^(٦) .

"وأعظم معجزات النبي محمد ﷺ القرآن ، ارتفع مقامه ﷺ بهذه المعجزة ، واختص
بهذه الجديدة على وجه الزمان ، الباقية على كثر الأيام ، اختارها له جل شأنه ليظل لها الدليل
قائماً والإعجاز مستمراً"^(٧) .

"وقد كانت هذه المعجزة الخالدة العجيبة ، كافية للدلالة على صدقه ﷺ وشاهد على

(١) عقيدة المسلم وما يتصل بها . ص : ٢٢٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : (١٥) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : (٦٩) .

(٤) سورة هود ، الآية : (٦٤) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : (٤٥) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (٤٩) .

(٧) محمد ﷺ . المثل الكامل . ص : ١١٨ .

صحة رسالته ، ولكن الله عزَّها بمعجزات حسية ، ليزيد في إيمان المؤمن ويدحض من حجة الجاحد ، ويغل من عزب المعاند" (١).

وفي غزوة تبوك ، وقع للرسول ﷺ بعض المعجزات وخوارق العادات والإخبار بالمغيبات ، اذكر منها :

أنه في أثناء الطريق إلى تبوك اشتدت حاجة الجيش إلى الماء وكذلك رواحلهم " ظهرهم " ، فشكوا إلى النبي ﷺ ما يظهرهم من الجهد ، فتحين بهم مضيقاً ، فسار النبي ﷺ فيه فقال : مرؤوا باسم الله ، فمرؤوا باسم الله ، فمرؤوا باسم الله ، فمرؤوا باسم الله ، فجعل ينفخ بظهرهم ويقول : " اللهم احملهم عليها في سبيلك ، إئتك تحمل على القوي والضعيف ، وعلى الرطب واليابس في البر والبحر . قال : فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمته " (٢).

وشأن الطعام كشأن الماء ، قليل دائماً ومفقود أحياناً ، وقد جاع المسلمون في طريقهم وأصيبوا بعسرة في الماء حتى عطشوا عطشاً شديداً ، حتى هم بنحر بعض حمائلهم فقال عمر : " يارسول الله ، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ، ففعل ، فجاء ذو البر ببره ، وذو التمر بتمره ، وذو التواة بنواه ، فدعا عليها ، حتى ملأ القوم أزودهم " (٣).

وقد أخرج الرسول ﷺ أصحابه بهبوب الريح قبل أن تهب عليهم ، فقد قال ﷺ لأصحابه : " أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة ، فلا يقوم أحد ، ومن كان معه بعير فليقله ، فعقلوها ، وهبت ريح شديدة ، فقام رجل فألقته بجبل طيء " (٤).

وعندما ضلت ناقة رسول ﷺ ببعض الطريق فخرج الصحابة في طلبها وحاول أحد المنافقين أن يشكك نبوة رسول الله ﷺ ، فقال أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة ؟ فقال رسول الله ﷺ : إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ،

(١) محمد ﷺ . المثل الكامل . ص : ١١٨ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٥ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٤٢ .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٤٩ .

فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا وأتوه بها .^(١)

وعندما أرسل ﷺ خالد بن الوليد — رضي الله عنه — إلى أكيدر ملك دومة الجندل في أربعمئة من رجاله ،طمأنه بأنه رغم القوة الصغيرة التي سيقودها سيظفر بالملك أكيدر ، وسيأتي به أسيراً ، فقد قال الرسول ﷺ لخالد : ستجده يصيد البقر فتأخذه . وتحقق ذلك ؛ حيث نجح خالد — رضي الله عنه — من السيطرة على دومة الجندل دونما أي قتال يذكر^(٢) .
وقد بشر الرسول ﷺ أصحابه بعين تبوك قبل أن يصلوها ، وعندما وصلوها ، أخبرهم ﷺ أن هذا المكان سيكون جناناً ، فقد قال ﷺ : " إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها ، حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمسه من مائها شيئاً حتى آتي فجاؤها ، وقد سبقهم إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً وسبهما النبي ﷺ . وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاد فيها فجرت العين بماء منهمر ، حتى استقى الماء ، ثم قال : يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة أن ترى هاهنا قد مليء جناناً "^(٣)

وعندما لحق أبو خثيمة بالركب ، تنبأ الرسول ﷺ من بعيد به ، وأنه هو القادم من بعيد ، فقال : " كن أبا خثيمة "^(٤)

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك أخبر أصحابه بما خصه من خصائص نبوية . حيث قال : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأبما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغنم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة "^(٥) .

وقد أخبر ﷺ بالمغيبات فقال : " أعدد ستاً بين يدي الساعة ، موي ، ثم فتح بين المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة المال ، حتى يعطى الرجل ، مائة

(١) انظر ، السيرة النبوية : (٤٨٦/٣) .

(٢) انظر ، سيرة ابن هشام : (١٦٦/٤ - ١٦٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٤٥ .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٤٩ .

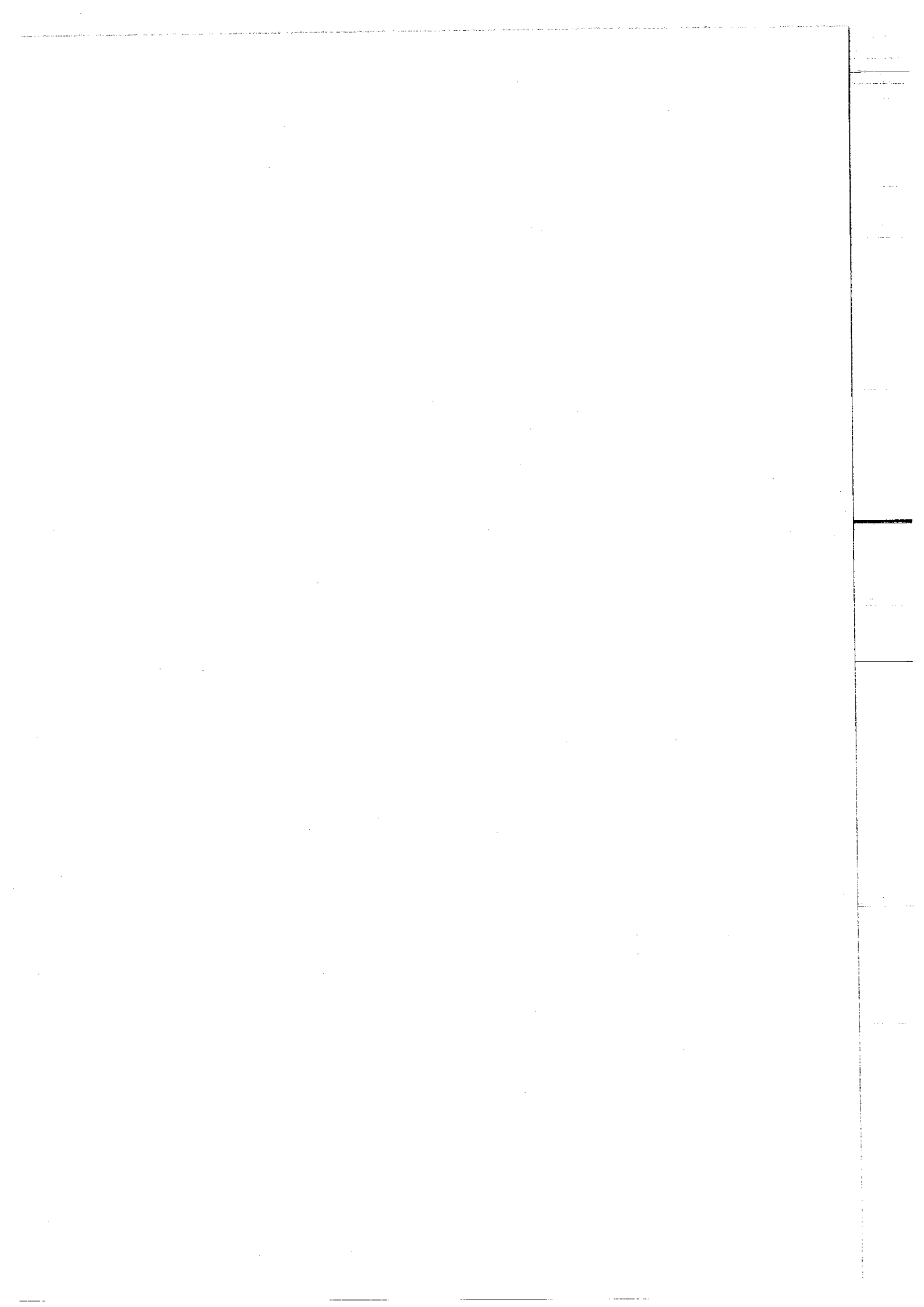
دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة ، تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثناً عشر ألفاً" (١)

"من هنا نرى أن المعجزة الحسبية تأثراً على الناس ولكن مع كل ما فيها من التأثير فيظل هذا التأثير محصوراً في الذين شاهدوها فقط ، ولم ينقل إلينا إلا خبرها ووجوب الإيمان بها ، ولا يعني ذلك أنه لا ينبغي للداعية اليوم أن يستدل بهذه المعجزات الحسبية خاصة وإنما لعبت دوراً هاماً في إقناع مجموعة من الناس عبر تاريخ البشرية خلال دعوة رسول الله ﷺ" (٢).

(١) سبق تحريجه ، ص : ٤٩ .

(٢) المعجزة : أثرها في الدعوة إلى الله ، نجادي عفت ليماني ، ص : ٧٩ ، بحث مكمل للماجستير بقسم الدعوة والاحتساب .

كلية الدعوة والإعلام ، بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .



المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع

Faint vertical text or markings along the right edge of the page, possibly bleed-through from the reverse side. The text is illegible.

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلّقة بالشريعة

الشريعة: "هي الطريقة الموضوعة للسير عليها . والمراد بها؛ التكاليف الظاهرة التي تؤدى بالجوارح. والتكاليف أنواع متعددة؛ أعظمها العبادات التي رسم الله حدودها وبيّن دقائقها؛ كالصلاة والصوم والزكاة والحج . وتلك فروض عينية واجبة الأداء على كل فرد يأتّم بتركها ويثاب على فعلها . وهناك فروض الكفاية؛ كالجهاد والعلم وأعمال الصناعة والزراعة وغيرها، وهي واجبة على المجموع إن أداها البعض سقطت عن الباقين ، وإن تركها الجميع أثموا جميعاً"^(١).

"والشريعة في الإسلام نظمت سائر علاقات البشر بالله وجعلتها أسساً لكافة العلاقات البشرية ، وهذا الإنسان تحيطه نظم الشريعة راسمة له المنهج السوي ، وطريق النجاة الحقيقي في الدنيا وفي الآخرة"^(٢).

"وجانب الشريعة يتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل السابق ، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء على المستوى الشخصي والأسري ، والمستوى العام ، فيشمل ما يسمى بنظام العبادة ، ونظام المعاملة والاقتصاد ، ونظام الأحوال الشخصية ، ونظام الحكم والسياسة ونظام الاجتماع ونظام الحسبة ، ونظام الجهاد ، وما إلى ذلك بما أوفت به كتب الفقه والأحكام"^(٣).

"والشريعة لا تنفك عن العقيدة لأن كليهما وجهان لعملة واحدة ، فمن دان بالشريعة وأنكر العقيدة فهو كافر ، ومن آمن بالعقيدة وأهمل الشريعة فهو غير سالك طريق الناجين عند الله"^(٤).

(١) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٢٥ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٢٦ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ١٨٣ .

(٤) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٢٦ .

"إنَّ العقيدة ثابتة بالأدلة القطعية ، وكذلك ما حُدِّد من عبادات الشريعة وما ثبت بدليل قطعي لا تغيير فيه . أما ما عدا العقيدة والشريعة « العبادات » ، فإن الشريعة قد وضعت له الأصول الثابتة ، والكليات العامة وتركت فروع التطبيق للناس ؛ لأن هذه الفروع تختلف باختلاف الزمان والمكان وترسمها المدارس الفقهية المختلفة"^(١).

(١) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٢٦ .

المطلب الأول :

مراعاة درجات تغيير المنكر

أولاً : الإنكار باليد

التغيير باليد : أقوى درجات تغيير المنكر وأعلاها ، والأصل في تغيير المنكر باليد قد ورد في الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

عندما كثر إبراهيم — عليه السلام — الأصنام بيده . قال تعالى : { وثأفه لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم يرجعون }^(١) .

وأحرق موسى — عليه السلام — العجل الذي عُبد من دون الله ونسفه بيده في اليم . قال تعالى : { وانظر إلى الملك الذي ظلت عليه عاكفاً لئحرقته ثم لئنسفته في اليم نسفاً }^(٢) .

ومن السنة :

ما ورد عن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال : " دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)^{(٣)(٤)} .

(١) سورة الأنبياء ، الآيات : (٥٧ — ٥٨) .

(٢) سورة طه ، الآية : (٨١) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : (٨١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) . ص : ١٥٥٣ ،

حديث رقم : (٤٧٢٠) .

وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : " كنت أسقي أبا عبيدة^(١) وأبا طلحة^(٢) وأبي ابن كعب^(٣) من فضيخ زهو^(٤) وتمر فجاءهم أت فقال : إن الخمر قد حرمت . فقال أبو طلحة : قم يا أنس^(٥) فأهرقها فهرقتها^(٦) . وفي رواية . فقال أبو طلحة : " يا أنس قم إلى هذه الجرة فاكسرها فقامت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت^(٧) .

(١) أبا عبيدة بن الجراح قيل اسمه عبد الله ابن عامر بن الجراح ، والصحيح أن اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب القرشي الفهري . شهد بدرًا مع النبي ﷺ وما بعدها من المشاهد كلها ، قيل هاجر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ، وهو الذي انتزع من وجه الرسول ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد فسقطت ثيابه . وكان لذلك أثر . وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة . وكان من كبار الصحابة وفضلانهم ، وأهل السابقة منهم — رضوان الله عليهم أجمعين — قال عنه رسول الله ﷺ : " لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " ، توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ١٨هـ بالأردن من الشام وما قبره ، انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٧١٠ — ١٧١١) ، الإصابة : (٣ / ٤٠٩ — ٤١٤) .

(٢) أبو طلحة الأنصاري اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد الأنصاري ، النجاري الخزرجي شهد العقبة ، ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة ، وروي أن رسول الله ﷺ قال لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل . وقيل إنه قتل يوم حنين عشرون رجلاً وأخذ أسلامه . قيل كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلف أبي طلحة ليرى مواقع النيل ، وكان طلحة يتناول بصدرة ليقى به رسول الله ﷺ ، ويقول نخري دون نخرك ، واختلف في وقت وفاته . فقيل توفي سنة ٣١هـ . وقيل سنة ٣٤هـ — وهو ابن سبعين سنة ، انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٦٩٨ — ١٦٩٩) .

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد النجاري الأنصاري ، أبو المنذر وأبو الطفيل ، سيد القراء ، كان من أصحاب العقبة ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، قال له النبي ﷺ : " ليهنك العلم أبا المنذر " ، وقال له : " إن الله أمرني أن أقرأ عليك " ، وكان قد عدَّ في السنة من أصحاب الفتيا . وهو أول من كتب للنبي ﷺ وأول من كتب في آخر الكتاب . مات سنة عشرين أو تسع عشرة ، وقيل مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين وهو أثبت الأقاويل . انظر ، الإصابة : (١ / ٢٧) ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٤٩٨) ، الاستيعاب : (١ / ٦٥ — ٦٦) .

(٤) فضيخ زهو : الفضيخ اسم للبسر إذا شدخ ونبد ، وأما الزهو : فهو البسر الذي يجر أو يفسر قسبل أن يترطب . انظر ، فتح الباري : (١٠ / ٤١) .

(٥) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة ، أو أبو حمزة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه . روى عنه رجال الحديث ١٢٨٦ حديثاً . مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات بها . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة . انظر ، الأعلام : (١ / ٣٦٦) ، تذكرة الحفاظ ، م ١ : (١ / ٤٤) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الأشربة ، باب : تحريم الخمر وهي من البسر والتمر ، ص : ٢١٧ ، حديث رقم : (٥٥٨٢) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : الأشربة ، باب : تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب : (٣ / ١٢٤٩) ، حديث رقم :

وعن عائشة — رضي الله عنها " أنها كانت اتخذت على سهوة^(١) لها سترأ فيه تماثيل ،
فهتكه النبي ﷺ وقال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله . قالت :
فجعلناه وسادة أو وسادتين "^(٢).

كما روت عائشة — رضي الله عنها — : " أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه
تصاليب إلا نقضه "^(٣).

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده
ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الجزية ويفيض المال
حتى لا يقبله أحد "^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " من رأى
منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف
الإيمان "^(٥).

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا
كان له من أمته حواريون وأصحاب . يأخذون بسنته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من
بعدهم خلوف ؛ يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو
مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك

(١) سهوة : تعددت معانيها : قيل هي صفة من جانب البيت ، وقيل الكوة ، وقيل الرف ، واليقين أن السهوة بيت صغير
علقت عليه الستر . انظر ، فتح الباري : (١٠ / ٤٠١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : نقض الصور ، ص : ١٢٨٠ ، حديث رقم : (٥٩٥٢) .

صحيح مسلم ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : تحريم تصوير صورة الحيوان : (٣ / ١٣٢٧) ، حديث رقم : (٢١٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : اللباس والزينة ، باب : نقض الصور ، ص : ١٢٨٠ ، حديث رقم : (٥٩٥٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : قتل الخزير ، ص : ٤٥٨ ، حديث رقم : (٢٢٢٢) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ : (١ / ١٢٢) ، حديث
رقم : (١٥٥) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر واجبان : (١ / ٧١) ، حديث رقم : (٤٩) .

من الإيمان حبة خردل" (١).

وعن أبي الهياج الأسدي - رضي الله عنه - قال : قال لي علي بن أبي طالب : "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ، أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته" (٢) .

فهذه الأحاديث وغيرها من النصوص التي تبين مشروعية إزالة المنكرات باليد ، على أية صورة كانت الإزالة مما يناسب ذلك المنكر إما تغييراً كلياً أو جزئياً .

أمثلة التغيير باليد :

قال الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - : "التغيير باليد : وذلك ككسر الملاهي ، وإراقة الخمر ، وخلع الحرير من رأسه عن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجرّ برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب ، وما يجري مجراه ، ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض" (٣) .

حكم إنكار المنكر

قال تعالى : { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } (٤) .

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : " وهذا واجب على كل مسلم ، وهو فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره ، والقدرة ، هو السلطان والولاية ، فذوو السلطان أقدر من غيرهم ، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ؛ فإن مناط الوجوب هو القدرة ؛ فيجب على كل إنسان بحسب قدرته" (٥) . قال تعالى : { فاتقوا

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الحث عن النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص : (١ / ٧١) ، رقم الحديث : (٥٠) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الجنائز ، باب : الأمر بتسوية القبر : (٢ / ٥٥٥) ، حديث رقم : (٩٦٩) .

(٣) إحياء علوم الدين : (٢ / ٣٣١) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٧١) .

(٥) مجموع الفتاوى : (٢٨ / ٦٦) .

الله ما استظمت^(١).

درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة :

إن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، لذا على الأمر بالمعروف والناهي أن يفقه المصالح الناتجة عن أمره ونهيه والمفاسد الناتجة عن ذلك ، وقد وضع ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث قال : " فإذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاومت ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ؛ فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به ؛ بل يكون محرماً إذا كان مفسدته أكثر من مصلحته ؛ لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة ، فمتى قدر الإنسان على اتباع المنصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر"^(٢) ، " وعلى هذا إن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما ، فتارة يصلح الأمر ، وتارة يصلح النهي ، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين ؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة"^(٣) . " وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً بحيث لا يتضمن الأمر بالمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه ، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه . وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق ، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم وثبته ، وإذا تركها كان عاصياً فترك الأمر الواجب معصية ، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية"^(٤) .

حالات المنكر عند الإنكار :

ذكر ابن القيم - رحمه الله - في أثناء حديثه عن المصلحة والمفسدة من الأمر

(١) سورة التغابن ، الآية : (١٦) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١٢٩ / ٢٨) . بتصرف .

(٣) المرجع السابق : (١٢٩ / ٢٨) .

(٤) المرجع السابق : (١٢٩ / ٢٨ - ١٣٠) .

بالمعروف والنهي عن المنكر النتائج المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحصرها في أربع حالات وهي كالتالي:

- "الأولى : أن يزول ويخلفه ضده .
 - الثانية : أن يقل وإن لم يزل بجملته .
 - الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .
 - الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .
- فالدرجتان الأوليان مشروعتان .
والثالثة : موضع اجتهاد .
والرابعة : محرمة"^(١).

ضوابط إزالة المنكر :

شروط وضوابط إزالة المنكر .

- على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يزن هذه الأمور . بميزان الشرع ثم يمضي لتنفيذ أمر الله تعالى . وهذه الشروط كالتالي:
- ١ — "أن يكون تغييره للمنكر خالصاً لوجه الله تعالى وليس هدفه من ذلك هو ردود فعل أو الانتقام أو التشفي أو نحو ذلك من حظوظ النفس .
 - ٢ — أن يتبع قواعد الشرع في ذلك بحيث يتأكد أن إنكاره هذا لن يخلفه منكر أشد منه فإن توقع ذلك توقف حتى تتضح له الأمور .
 - ٣ — أن يتحقق من هذا المنكر وأنه يستحق التغيير أو الإتلاف .
 - ٤ — أن لا يتجاوز الحدّ المشروع إن كان من المنكرات التي يمكن إتلاف بعضها وترك البعض الآخر .
 - ٥ — أن يباشر ذلك بنفسه إن تيسر ذلك أو يستعين بمن هو أهلاً لذلك"^(٢).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم : (٧ / ٣) ، دار الكتب الحديثة .

(٢) درجات تغيير المنكر ، عبد العزيز بن أحمد المسعود ، ص : ٥١٨ ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ —

وقد أنكر الرسول ﷺ بيده في غزوة تبوك ، "فقد أحرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار ، وأمر بهدمه ، وهو مسجد يُصلّى فيه ، ويذكر اسم الله فيه ، لما كان بقاءه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ، ومأوى للمنافقين ، وكل من كان هذا شأنه ، فواجب على الإمام تعطيله ، إما هدم وتحريق ، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له"^(١). وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار ، فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب ، وكذلك بحال المعاصي والفسوق ، كالحانات ، وبيوت الخمارين ، وأرباب المنكرات"^(٢). وبالتالي " ما يبنى باسم الإسلام ويراد به الكيد بالإسلام وأهله ، تجب إزالته كلياً؛ كي لا يخدع به أحد ، وحتى لا يتمكن أعداء الإسلام من الوصول إلى مآرهم من بنائه ، والسعي في إزالة الضرر واستئصال مسبباته قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية"^(٣).

وفي موقف كعب من إحراق كتاب ملك غسان في التنور ، فيه استئصال للضرر وتغيير للمنكر باليد . " والمبادرة إلى إتلاف ما يُحشى منه الفساد والمضرة في الدين ، وإن الحازم لا ينتظر به ولا يُؤخره"^(٤).

وهذا ما يُفترض أن يفعله الداعية تجاه المنكر من إزالته على الفور وبدون أي تردد أو تأجيل ، حتى لا ينتشر شره .

ثانياً : الإنكار باللسان

تغيير المنكر باللسان ، ينتقل إليه الداعية إذا عجز عن الإنكار باليد . وهذه الدرجة أيسر ولا شك من درجة تغيير المنكر باليد .

ودليلها :

حديث أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — المتقدم : " من رأى منكم منكراً

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم : (٣ / ٥٠٠) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م .

(٢) المرجع السابق : (٣ / ٥٠٠) .

(٣) البلاغ الأخير في سورة التوبة ، عبد الحميد طهماز . ص : ١١٤ ، بتصريف ، دار القلم ، دمشق ، ١٣١٢ هـ — ١٩٥٢ م .

(٤) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٨) .

فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه .. " (١)

وحديث ابن مسعود — رضي الله عنه — المتقدم : " فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ،
ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن " (٢)

مراتب تغيير المنكر باللسان :

ولتغيير المنكر باللسان مراتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يسلكها ؛
لأن الهدف الأساسي هو إصلاح الناس وإزالة المنكر وليس إيذائهم .
المرتبة الأولى :

" وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر — إما بالمباشرة أو التعريض حسب الموقف — أن
هذا لا ينبغي أو حرام وأنت لست ممن يفعل ذلك بالمقصد ، فأنت أرفع من ذلك .
ويبين له بالحكمة والرفق واللين حتى يقبل ولا ينفّر ، ويختلف الأسلوب من شخص
لآخر ومن وقت إلى وقت ، ولا بد في كل الحالات من التعريف باللين واللطف لا سيما إذا
كانت حال الواقع في المنكر مجهولة " (٣)

المرتبة الثانية : النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى .

" وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً ، أو فيمن أصر عليه بعد أن
عرف كونه منكراً ، أو فيمن أصرَّ عليه بعد أن عرف كونه منكراً ، كالذي يواظب على
الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه ، فينبغي أن يُوعظ ويُخوَّف
بالله وتُورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك ، وتُحكى له سيرة السلف الصالح وعباده
المتقين " (٤)

المرتبة الثالثة : الغلظة بالقول .

" وذلك يعدل إليه عند العجز باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ
والنصح ، وذلك مثل قول إبراهيم — عليه السلام — : { أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا

(١) سبق تخريجه ، ص : ١٣٤ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ١٣٤-١٣٥ .

(٣) درجات تغيير المنكر . ص : ٢٥ .

(٤) إحياء علوم الدين : (٢ / ٣٣٠) .

تقولون^(١)، لكن لا يسبّه بما فيه نسبة في الزنا ومقدماته ولا الكذب ، بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش^(٢) .

ولهذه المرتبة أدبان :

أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عن الضرورة والعجز عن اللطف .

والثاني : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ؛ بل يقتصر على قدر الحاجة^(٣) .

المرتبة الرابعة : التهديد والتخويف .

"وهذه المرتبة هي آخر المحاولات لنهيه باللسان ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل .

فيقال له : إن لم تنته لأضربنك ولأؤذيتك ، أو لأخبرن بك السلطات لتحبسنك وتعاقبك على فعلك . وهكذا يورد عليه بعض أساليب التخويف والتهديد ؛ ولكن ينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً وشرعاً ، حتى يعرف أنك صادق في تهديدك^(٤) .

يقول الغزالي — رحمه الله — : "والأدب في هذه المرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه ، كقوله : لأهبن دارك أو لأضربن ولدك ؛ بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام ، وإن قاله من غير عزم فهو كذب^(٥) .

فهذه هي مراتب الإنكار باللسان فعلى الناهي أن يسلك هذه المراتب عند فهمه مرتبة مرتين ولا ينتقل من مرتبة قبل أختها .

وفي غزوة تبوك تم الإنكار باللسان ؛ فقد "سأل الرسول ﷺ لما بلغ تبوك عن كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة : يارسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه فقال معاذ بن جبل : بسما

(١) سورة الأنبياء ، الآية : (٦٧) .

(٢) إحياء علوم الدين : (٣٣٠ / ٢) .

(٣) المرجع السابق : (٣٣٠ / ٢) .

(٤) درجات تغيير المنكر . ص : ٣١ .

(٥) إحياء علوم الدين : (٣٣١ / ٢) .

قلت ! والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً^(١).

فهذا حال المسلم ينتصر لأخيه المسلم ويحفظ غيبته بالإنكار ، فلا يسمح لأحد بالتعرض إليه ، ولا يسكت ويترك الإنكار خوفاً أو خجلاً أو مجاملة .

وأيضاً عندما قال المنافق زيد بن اللصيت مقالته : " أيزعم أن محمداً يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة ، فدلّهم الرسول ﷺ على مكانها وجاء بها أصحابه ، فقام عمارة بن حزم إلى زيد ، وأنكر عليه مقالته بشدة ، وقال له : اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبي"^(٢).

فالداعية ، يجب أن يردّ غيبة أخيه المسلم ، وينكرها بلسانه ، ولا يسكت لأي سبب من الأسباب ؛ لأنّ الأعراض أمرها خطير لذلك قرنت مع الدماء والأموال، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه"^(٣).

ثالثاً : الإنكار بالقلب :

إنّ الإنكار بالقلب هو المرتبة الثالثة والأخيرة من مراتب التغيير التي تجب على المسلمين ، " وهي مرتبة هامة وتجب على كل مسلم ومسلمة . وأنها لا تسقط عن المكلف؛ أي البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة بحال من الأحوال في كل زمان ومكان يحدث فيه منكر من المنكرات التي أنكرها الشرع الإسلامي ، ونهى عنها إذ لا يُعقل أن يقول إنسان : أنا لا أستطيع الإنكار بقلبي، والإنكار بالقلب فرض عين"^(٤) .

فقد سمع عن ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: "هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر؛ يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط من أحد ، فمن لم يعرفه

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) انظر، السيرة النبوية : (٤٨٦ / ٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله : (٤ /

١٥٧٧) ، حديث رقم : (٢٥٦٤) .

(٤) أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . عبده غالب عيسى ، ص : ٣١ ، دار ابن زيدون ، بيروت .

هلك" (١)، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة.

حقيقة الإنكار بالقلب :

في قوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم : "من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (٢).

حديث ابن مسعود المتقدم أيضاً عن الخلوف : "... ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك الإيمان حبة خردل" (٣). أي بعد الإنكار عليهم بالقلب .

بيان المراد بقوله ﷺ " وذلك أضعف الإيمان " :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : " مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان ، وليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل ، ولهذا قال : « ليس وراء ذلك » فجعل المؤمنين ثلاث طبقات ، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه ... " (٤).

والطريق الشرعي للإنكار بالقلب يكون كالاتي :

١ — " أن يبغض المسلم أو المسلمة بقلبه المنكر والمعصية التي رآها بعينه ، أو سمعها بأذنه بغضاً شديداً .

٢ — أن يتمنى المسلم أو المسلمة أن لو رزقه الله القوة ليزيل هذا المنكر بالطريقة الشرعية الصحيحة ، وبالفعل لو آتاه الله القدرة والقوة لأزال هذا المنكر فالراضي شريك لفاعلها في كل زمان ومكان" (٥).

والإنكار القلبي يجب أن يكون كاملاً ودائماً وبالنسبة لكل منكر .

(١) جامع العلوم والحكم . ص : ٣٨٩ .

(٢) سبق تخريجه : ص : ١٣٤ .

(٣) سبق تخريجه . ص : ١٣٤-١٣٥ .

(٤) مجموع الفتاوى : (٢٨ / ١٢٧) .

(٥) أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ص : ٣١ .

فائدته :

- ١- أنه أقل درجات الإنكار المطلوبة وبه يسلم المرء من العقوبة .
- ٢- أن هذا الإنكار القلبي يدل على عدم الرضا بالمنكر و كراهيته والنفور منه.
- ٣- حفظ حيوية القلب وصفاته ، فإن القلب يتأثر بكثرة المنكرات ، وقد يألفها إذا لم ينكرها، وتذهب حساسية القلب تجاهها فلا يتألم لرؤيتها .
- ٤- أن هذا الإنكار القلبي يعني الرفض للمنكر و التبرص به ، فصاحبه عازم على تغييره بمجرد استطاعته^(١).

أما الإنكار القولي والفعلي فيكون حسب الاستطاعة ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فأتوا الله ما استظمت ﴾^(٢) . وما جاء في الحديث الشريف المتقدم: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه فإن لم يستطع فليقلبه ، وذلك أضعف الإيمان "^(٣) .

• • " ويلاحظ هنا أن الثواب يكون كاملاً إن شاء الله تعالى إذا كان المحتسب ينكر المنكر بقلبه ويكرهه كراهية تامة ، ويفعل لإزالته بقدر استطاعته ؛ لأن الاحتساب القلبي واجب على كل مسلم في جميع الأحوال إذا سمع بمنكر أو رآه "^(٤).

وبعد العودة من غزوة تبوك ، نهي الرسول ﷺ عن كلام كعب وصاحبيه عقاباً لهم على تخلفهم ، وكان بلا شك عقاباً نفسياً أليماً ، فكانت قلوبهم تنكر هذا التخلف ، ويتضح ذلك من نظراتهم المؤتبة واللائمة لهم.

يقول كعب - رضي الله عنه - : " ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أصوله وضوابطه وآدابه . خالد بن عثمان السبت، ص : ٣٤٣-٣٤٤ .

(٢) سورة التغابن ، الآية : (١٦) .

(٣) سبق تخريجه . ص : ١٣٤ .

(٤) أصول الدعوة . ص : ١٩٧ .

الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي فسلمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام" (١) .

"فالذي يدلّ عليه الخبر ؛ أن الإنسان خلق ليألف مع غيره يتلمّس التشجيع النفسي من نظرات وملامح الوجوه ، ومظاهر الأقوال والجوارح التي تصدر عن الناس ، وأن الاستنكار النفسي يفعل في نفوس الأخيار مالا تفعله العقوبات بالنسبة للأشرار ، فالذين يستهينون بالاستنكار القلبي في قوله ﷺ : " فمن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . " (٢) مخطئون ، وما كان عقاب هؤلاء الثلاثة إلا استنكاراً قلبياً بدا في الوجوه والجوارح ولم يبد في القول ، وإن هذا الذي سنّه النبي ﷺ يجب على الدعاة اتباعه" (٣) ، حتى لا تنتشر المنكرات وتتفشى .
وبالتالي على الداعية أن يراعي هذه السنة ، ويستنكر على فاعل المنكر قدر استطاعته حتى تستيقظ ضمائرهم وتتألم نفوسهم ؛ لأن الرسول ﷺ قد فعل هذا مع ثلاثة من أصحابه أصابوا ذنباً يسيراً ، فكيف بمن يرتكب المعاصي والآثام ويجاهر بها للمفاخرة .

المطلب الثاني :

مشروعية الإنفاق في سبيل الله

حثّ الله سبحانه وتعالى على الإنفاق في سبيله ووعده المنفقين بالثواب والأجر الجزيل ، وكثرت التوجيهات القرآنية والنبوية التي تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله والإنفاق لتجهيز

(١) سبق تخريجه . ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه . ص : ١٣٤ .

(٣) خاتم النبیین ، محمد أبو زهرة : (٣ / ٩٧٤ - ٩٧٥) ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

الغزاة ، وصاحبت الدعوة إلى الجهاد دعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع .

"وقد تعددت آيات الإنفاق فكان عددها « ٥٧ » سورة ، تشمل « ٢٣٤ » آية شريفة ، وقد وردت بلفظ الزكاة أو بلفظ الصدقات أو بلفظ إطعام المساكين . ولو أن آية واحدة مثلاً تأمر بالإنفاق لكفى ، ولكن تكرار ذكر الإنفاق إما بالتطوع أو بالتلميح يؤكد مدى عناية القرآن الكريم بموضوع الإنفاق سواء أكان عاماً يتعلق بالدولة أم خاصاً يتعلق بالأفراد" (١) .

"ومن الجدير بالذكر أن سورة البقرة ، وهي أول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة ، اشتملت على « ٢٩ » آية خاصة بالإنفاق ، وكان هذا طبيعياً بعد أن وجد المسلمون الأرض الخصبة لنمو الإسلام وانتشاره في حين أن السور التي نزلت بمكة وتضمنت آيات الإنفاق ، لم تشمل كل منها إلا على عدد أصابع اليد من تلك الآيات ، وأما آخر سورة نزلت بالمدينة وهي سورة التوبة فقد اشتملت على « ٣١ » آية تتعلق بالإنفاق ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام الإسلام بالإنفاق بجانبه العام والخاص" (٢) .

"وقد أمر الله تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلة الأعداء حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة" (٣) . فقال سبحانه : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل توهبون به عدو الله وعدوكم } (٤) ؛ لأن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس في القرآن وقرينه ، بل جاء مقدماً على الجهاد بالنفس في كل موضع ، ولا ريب أنه أحد الجهادين . كما قال النبي ﷺ : " من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلَّف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا " (٥) .

"فيجب على القادر عليه ، كما يجب على القادر بالبدن ، ولا يتم الجهاد بالبدن إلا

(١) الإنفاق العام في الإسلام ، إبراهيم أحمد علي ، ص : ٦ - ٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٧ .

(٣) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٢٢) .

(٤) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل من جهَّز غازياً أو خلَّفه غير ، حديث رقم : (٢٨٤٣) ، ص :

بيذله ولا يتتصر إلا بالعدد والعدد ، فإنه إن لم يقدر أن يُكثِر العُدَد وجب عليه أن يمدَّ بالمال والعُدَّة ، وإذا وجب الحرج بالمال على العاجز بالبدن ، فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى"^(١). " إن العاجز بماله لا يعذر حتى يبذل جهده ، ويتحقق عجزه ، فإن الله سبحانه إثمًا نفى الحرج عن هؤلاء العجزة بعد أن أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) . فرجعوا ليكون لما فاتهم من الجهاد ، فهذا العاجز الذي لا حرج عليه"^(٢).

"والإنفاق في سبيل الله هو صنو الجهاد الذي فرضه الله على الأمة المسلمة ، وهو يكلفها النهوض بأمانة الدعوة إليه وحماية المؤمنين به ودفع الشرِّ والفساد والطغيان وتجريده من القسوة التي يسطو بها على المؤمنين ويفسد بها في الأرض ويصدِّها عن سبيل الله ويحرم البشرية ذلك الخير العظيم الذي يحمله إليها نظام الإسلام ، والذي يعدّ حرمانها منه جريمة واعتداء أشد من الاعتداء على الأرواح والأموال"^(٣).

"وسبب الإنفاق على المجاهدين ، أن أعمال التبر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من الكافر العنيد وبحراسة بيضة الدين . بل إقامة شعائر الإسلام مرهونة بحماية الثغور والحدود الإسلامية ، فالمال هو العصب الحساس لكل جهاد ، سواء أكان جهاد دعوة وتعليم ، أو جهاد قتال وسياسة"^(٤).

واعتبر الامتناع عن الإنفاق في سبيل الله إلقاء بالنفس في الهلكة :

قال تعالى : { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين }^(٥).

قال ابن كثير — رحمه الله — : " ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى

(١) زاد المعاد : (٤٨٩/٣).

(٢) المرجع السابق : (٤٨٩ / ٣) .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب : (٣ / ٤٥) ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

(٤) البذل والعطاء ، علي صالح المزاح ، ص : ٥٧ ، مكتبة المنار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (١٩٥) .

به المسلمون على عدوهم والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده" (١).

بل واعتبر الإنفاق في سبيل الله أصلاً من أصول البرّ :

قال تعالى : { ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } (٢).

ولقد أعدّ الله للذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله عذاباً أليماً :

قال تعالى : { والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم } (٣).

كما أن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته :

قال جل شأنه : { مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم } (٤).

وقد جعل الله الجهاد بالمال والنفس علامة إيمان الشخص، والدليل على صدق هذا الإيمان ، قوله تعالى : { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } (٥).

ولقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة :

قال تعالى : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } (٦).

(١) تفسير ابن كثير : (١ / ٢٣٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (١٧٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٣٤) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٦١) .

(٥) سورة الحجرات ، الآية : (١٥) .

(٦) سورة التوبة ، الآية : (١١١) .

وإنفاق المال يعتبر في الإسلام صفة من الصفات الدالة على الإسلام وعلى الإيمان

وعلى طاعة الله والقيام بأمره :

قال تعالى : { الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون }^(١).

وقوله تعالى : { الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون }^(٢).

وإذا كان الله جل شأنه قد فضّل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله على

المجاهدين في سبيل الله بأموالهم فقط ، فإنه وعد كلا الفريقين الحسنی :

قال تعالى : { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله

المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً وعد الله الحسنی وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً

عظيماً }^(٣).

كما دعا القرآن المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله ، ثم توعّد الممتنعين :

قال تعالى : { ها أتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني

وأتم الفقراء وأن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم }^(٤).

ويكفي المنفق ماله في سبيل الله أن المألأ الأعلى يدعون له بالمزيد من الخير كلما أنفق،

بخلاف البخيل المسك فإنهم يدعون عليهم بالهلاك :

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من يوم يصبح

العباد فيه إلا ملكان يتزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم

أعط ممسكاً تلفاً " ^(٥).

(١) سورة البقرة ، الآية : (٣) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٣) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (٩٥) .

(٤) سورة محمد ، الآية : (٣٨) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : قول الله تعالى : { فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى .

وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره لليسرى } . الليل : (٥ — ١٠) .

ولقد حث رسول الله ﷺ على الإنفاق في سبيل الله وعلى العيال :
عن ثوبان — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل دينار ينفقه الرجل دينار
ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله " (١).

و من أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله :
فعن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال : " يارسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال
رسول الله ﷺ : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في
شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره " (٢).
ويجهز عثمان — رضي الله عنه — جيش العسرة بثلاثمائة بعير تجهيزاً كاملاً
بأحلاسها وأفتائها في سبيل الله. وتصدق أحد فقراء الصحابة — رضي الله عنهم أجمعين —
بصاع تمر الذي يملكه ، حتى ينال الأجر.

"إن مكانة المال في دعم مسيرة الدعوة إلى الله كالعمود للسقف ، فمتى لم يكن هناك
بذل وإنفاق بسخاء ، فسيكون هناك توقف وتقهقر وفناء ، وما أهون الخلق على الله إذا هم
تركوا دينه والجهاد في سبيله" (٣).

وبهذا تظهر أهمية الإنفاق في سبيل الله ، فإنه أحد ركني الجهاد ، حتى عده بعض
العلماء أكد من الجهاد بالنفس .

والأمة الإسلامية يجب أن تتفوق على الأمم الأخرى في كل مجال نافع ، لأنها
أخرجت للناس لتهديهم وتقودهم إلى الله سبحانه ، وبالتالي فالأمة التي يبذل أبنائها أموالهم
في سبيل الله لنشر الدين هي أمة ناجحة وقوية .

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم

عنهم : (٢ / ٥٧٤) ، حديث رقم : (٩٩٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، ص : ٥٨٩ ، حديث

رقم : (٢٧٨٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضل الجهاد والرباط : (٣ / ١١٩٤) ، حديث رقم : (١٨٨٨) .

(٣) البذل والعطاء . ص : ٦٠ .

المطلب الثالث :

هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة.

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة ، هو مبدأ من مبادئ الولاء والبراء ، بل هو من أهم تكاليفهما لأنه يقوم على حب الله وحب ما يحبه الله ورسوله ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله .

الهجر :

في اللغة : " ضد الوصل ، هجره يهجره هجراً وهجراناً : صرمه ، وهما يهتجران ويتهجران والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض" (١).

" والهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب" (٢).

والهجر الشرعي نوعان :

أحدهما : بمعنى الترك للمنكرات .

والثاني : بمعنى العقوبة عليها .

فالأول : بمعنى الترك للمنكرات .

وهو المذكور في قوله تعالى : { وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها

فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم } (٣).

قال ابن كثير — رحمه الله — : " إي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم،

ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ويستهنأ ويتنقص بها،

وأقررتموهم على ذلك؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيه ، فلهذا قال تعالى : { إنكم إذا

(١) لسان العرب : (٢٥٠ / ٥) مادة هجر .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ٥٣٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية : (١٤٠) .

مثلهم { في المآثم " (١) .

وقال تعالى : { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين } (٢) .

قال القرطبي — رحمه الله — : "والخطاب مجرد للنبي ﷺ ، وقيل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو الصحيح ؛ فإن العلة سماع الخوض في آيات الله وذلك يشملهم وإياه ، ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه" (٣) .

وهذا الحجر من جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات ، عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — عن النبي ﷺ قال : " ... والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (٤) ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان ؛ فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ، ومن هذا قوله تعالى : { والرجز فاعجر } (٥) .

النوع الثاني : الحجر على وجه التأديب

"وهو هجر من يُظهر المنكرات ، يُهجر حتى يتوب منها ، كما هجر النبي ﷺ والمسلمون الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر وهجر نساءه شهراً ، ولم يهجر من أظهر الخير ، وإن كان منافقاً ، فهذا الحجر هو بمنزلة التعزير . والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات ، وفعل المحرمات كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع

(١) تفسير ابن كثير : (١ / ٥٦٧) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : (٢٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : (٥ / ٤١٧ — ٤١٨) . بتصرف .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ص : ١٦ ، حديث رقم : (١٠) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان تفاضل الإسلام وأي أمره أفضل : (١ / ٦٧) ، حديث رقم : (٤٠) .

(٥) سورة المدثر ، الآية : (٥) .

سلف الأمة التي ظهر أنها بدع^(١). ويفعله إذا عجز عن التغيير باليد واللسان فإذا أظهر الإنسان المكلف معصيته أو عرف بها وأصرّ عليها سواء أكانت هذه المعصية فعلية أم قولية أم اعتقادية فمن السنة هجره ، فالهاجر يثاب عليه ؛ لأنه من أجل الله تعالى^(٢).

وقد هجر النبي ﷺ كعباً وصاحبيه وأمر الصحابة بهجرهم خمسين يوماً . فقد ورد عن كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم : " أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة وغزوة بدر . قال : فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى ، وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى . وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين ، ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا . فلبث كذلك حتى طال عليّ الأمر ، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يُصليّ عليّ النبي ﷺ ، أو يموت الرسول ﷺ فأكون من الناس بتلك المترلة فلا يكلمني أحد منهم ، ولا يصليّ عليّ فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة^(٣) ... " (٤) .

فهذا الحديث يثبت هجر الرسول ﷺ لبعض الصحابة ، وهجر الصحابة لهم أي المتخلفين منهم ، وقد هجر النبي ﷺ نساءه لمدة شهر .

روي في الصحيحين عن أم سلمة — رضي الله عنها — : " أن النبي ﷺ حلف لا يدخل علي بعض أهله شهراً فلما مضى تسعة وعشرين يوماً غدا عليهن أو راح فقيل له ياني

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨ / ٢٠٣ - ٢٠٥) .

(٢) درجات تغيير المنكر ، ص : ٣٩ .

(٣) أم سلمة : أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية ، من أخطب نساء العرب ، ومن ذوات الشجاعة والإقدام ، كان يقال لها خطيبة النساء . وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه . وحضرت وقعة اليرموك سنة ١٣هـ . فكانت تسقي الظماء ، وتضمّد جراح الجرحى واشتدت الحرب فأخذت عمود خيمتها وانغمزت في الصفوف فصرعت به تسعة من الروم . وتوفيت بعد ذلك بزمان طويل ولها في البخاري حديثان . انظر ، الأعلام : (١ / ٣٠٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، تفسير سورة التوبة ، باب : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، ص : ٩٨٥ - ٩٨٦ ، حديث رقم : (٤٦٧٧) .

الله حلفت أن لا تدخل عليهن شهراً؟ قال: إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً^(١).
 كما هجرت عائشة — رضي الله عنها — ابن أختها عبد الله بن الزبير^(٢) — رضي الله عنها —
 — مدة. فقد روي عن عروة بن الزبير قال: "كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة
 بعد النبي ﷺ وأبي بكر، وكان أبر الناس بها وكانت لا تُمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله
 تصدّقت، فقال ابن الزبير: ينبغي أن يؤخذ على يديها، فقالت: أيؤخذ على يدي، عليّ
 نذر إن كلمته، فاستشفع إليها برجال من قريش، وبأخوال رسول الله ﷺ خاصة فامتنت،
 فقال له الزهريون أخوال النبي ﷺ منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث^(٣)، والمسور
 بن مخزومة^(٤)، إذا استأذنا فافتحم الحجاب، ففعل فأرسل إليها بعشر رقاب فأعتقهم، ثم لم
 تسزل تعتقهم، حتى بلغت أربعين، فقالت: وددت أني جعلتُ حين حلفتُ عملاً أعمله

(١) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهم. ص: ١١٤٤، حديث رقم: (٥٢).

صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: الشهر يكون تسعاً وعشرين: (٢ / ٦٢٧). حديث رقم: (١٠٨٥).

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد
 فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ. عُقب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن
 وخراسان والعراق، وأكثر الشام. وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه
 الحجاج الثقفي، في أيام عبد الملك ابن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حرباً
 أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو في
 عشر الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه في ذلك بأبي بكر. مدة خلافته تسع سنين. له في كتب
 الحديث (٣٣) حديثاً. انظر، أسد الغابة: (٣/٢٤٥-٢٤٧)، الأعلام: (٤/٢١٨).

(٣) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، كان ذا قدر كبير ومزلة عند
 الناس، وهو ابن خال النبي ﷺ وابن عم عبد الله بن الأرقم، أدرك النبي ﷺ، ولا تصح له رؤية ولا صحبة، وشهد
 الحكمين، وليس له ولا لأبيه هجرة، وكان ذا منزلة عند عائشة أم المؤمنين، روى عنه مروان بن الحكم وسليمان بن
 يسار وغيرهما. انظر، أسد الغابة: (٣ / ٤٣٩ — ٤٤٠)، الطبقات الكبرى: (٥ / ٧).

(٤) المسور بن مخزومة بن نوفل القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن. ولد بمكة بعد الهجرة بستين، وقدم به أبوه المدينة في عقب
 ذي الحجة سنة ثمان. وقبض النبي ﷺ والمسور ابن ثمان سنين، وسمع من النبي ﷺ أو حفظ عنه، وكان فقيهاً من أهل
 الفضل والدين لم يزل مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى وبقي بالمدينة إلى أن قتل عثمان، ثم
 انخسر إلى مكة فلم يزل بها حتى توفي معاوية، وفي أثناء حصار مكة لقتال ابن الزبير وذلك في عقب المحرم أو صدر صفر
 أصاب المسور حجر من حجارة المنحنيق وهو يصلي في الحجر فقتله، وذلك في مستهل ربيع الأول سنة أربع وستين،
 توفي وهو ابن اثنتين وستين سنة. انظر، الاستيعاب: (٣ / ١٣٩٩ — ١٤٠٠)، الطبقات الكبرى: (٥ / ٧)،
 أسد الغابة: (٣ / ٤٣٩).

فأفرغ منه" (١).

معتقد أهل السنة والجماعة في الهجر :

قال ابن تيمية — رحمه الله — في ذلك : "الهجر من العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سبيل الله ، وهذا يُفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله .
وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعادة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، ليجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته" (٢).

الضوابط الشرعية للهجر :

الضابط الشرعي للهجر هو : درء المفسد مقدم على جلب المصالح . قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : " هذا الهجر يختلف باختلاف المهجورين في قوتهم وضعفهم وقتلهم وكثرتهم ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشرّ وخفيته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع وأهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف (٣). ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومه ويهجر آخرين ، كما أن الثلاثة الذين خلّفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفّة قلوبهم ، ولما كان أولئك كانوا سادة مطاعون في عشائرتهم والمؤمنون سواهم كثير ، فكان في هجرهم عزّ الدين وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة وأخذ الجزية تارة ، لعل ذلك بحسب الأحوال والمصالح" (٤).

(١) صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : مناقب قريش ، ص : ٧٤١ ، حديث رقم : (٣٥٠٥) .

(٢) مجموع الفتاوى : (٢٠٨ / ٢٨ — ٢٠٩) . بتصرف .

(٣) المرجع السابق : (٢٠٩ / ٢٨) .

(٤) المرجع السابق : (٢٠٦ / ٢٨) .

مراتب المهجورين أو أقسام الناس بالنسبة للهجر :

تختلف منزلة الناس من حيث المعصية فبعضهم كافر أو يصل إلى درجة الكفر ، وبعضهم مبتدع ، وبعضهم عاص ، والمسلم يجب أن يكون موقفه منهم بحسب معصيتهم .
وأقسام الناس من حيث الهجر ، كالتالي :

الأول : "الكفر ، فالكافر إن كان محارباً فهو يستحق القتل والإرقاق ، وليس بعد هذين إهانة. وأما الذمي : فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضييق الطرق وترك المفاتحة بالسلام .

الثاني :

أ — المبتدع الذي يدعو إلى بدعته : فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمي ، وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر ؛ لأن شر الكافر غير متعد ، أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة ، فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد . فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد^(١) .

ب — "وأما المبتدع العامي : الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة ، بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقييح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض ، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه فالإعراض أولى ؛ لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقييحها شاعت بين الخلق وعم فسادها"^(٢) .

الثالث :

"وأما العاصي : بفعله وعمله لابعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغضب وشهادة الزور ، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض

(١) إحياء علوم الدين : (١٦٨ / ٣) . بتصرف .

(٢) المرجع السابق : (١٦٨٩ / ٢) .

عن معاملتهم؛ لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق" (١).

الرابع :

"ما يدبجو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيء أسباب الشر والفساد فهذا لا يؤدي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم ، فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه وهذا يقتضي الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام" (٢).

الخامس :

"الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مفارقة محظور يخصه ، فالأمر فيه أخف، ولكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف؛ فإن النهي عن المنكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أنه مُصْرٌّ ، فينصحه إن تحقق إن ذلك يمنعه ، وإن لم يتحقق فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هذا الأنفع . فأما الإعراض عن جواب سلامه والكفّ عن مخالطته حيث يعلم أنه يُصْرٌّ وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر حسب الحالة" (٣).

الهجر المحرم :

"الهجرة الشرعية؛ هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله . فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله ، وأن تكون موافقة لأمره ، فتكون خالصة لله صواباً . فمن هجر لهوى نفسه ، أو هجر هجرًا غير مأمور به كان خارجاً عن هذا وما أكثر ما تفعل النفوس ما تمواه ظانة أنها تفعله طاعة لله . والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث" (٤).

عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث

(١) إحياء علوم الدين : (٢ / ١٦٩) .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ١٦٩) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ١٧٠) .

(٤) مجموع الفتاوى : (٢٨ / ٢٠٧) .

يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ... " (١).

وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " لا تبأغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث " (٢).
وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : " تُفْتَحُ أبواب الجنة كل اثنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا " (٣).

"فهذا الهجر لحق الإنسان حرام ، وإنما رخص في بعضه ، كما رُخص للزوج أن يهجر امرأته في المضعع إذا نشزت ، وكما رُخص في هجر الثلاث فينبغي أن يُفَرَّقَ بين الهجر لحق الله ، وبين الهجر لحق النفس . فالأول مأمور به ، والثاني منهي عنه ؛ لأن المؤمنين أخوة " (٤).
"فيكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به ، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه ، إذ المراد تأديبه لا إتلافه " (٥).

"وإن هلال ابن أمية ومرارة قعدا في بيوتهما ، وكان يُصليان في بيوتهما ، ولا يحضران الجماعة ، وهذا يدل على أن هجران المسلمين للرجل عذر يبيح له التخلف عن الجماعة ، أو يقال : من تمام هجرانه أن لا يحضر جماعة المسلمين ، لكن يقال : فكعب كان يحضر الجماعة ولم يمنعه النبي ﷺ ، ولا عتب عليهما على التخلف ، وعلى هذا فيقال : لسمًا أمر المسلمون بهجرهم تركوا ، ولم يؤمروا ، ولم يُنْهَوْا ، فكان من حضر منهم الجماعة لم يمنع ومن تركها لم يُكَلِّمْ ، أو يُقال : لعلهما ضعفا وعجزا عن الخروج ، ولهذا قال كعب : وكنت أنا أجد القوم وأشبههم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين " (٦).

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الآداب ، باب : الهجرة ، ص : ١٣٠٢ ، حديث رقم : (٦٠٧٧) .

صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي : (٤ / ١٥٧٥) ، حديث رقم : (٢٥٦٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الآداب ، باب : الهجر . ص : ١٣٠٢ ، حديث رقم : (٦٠٧٦) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة ، باب : النهي عن الشحناء والتهاجر : (٤ / ١٥٧٧) ، حديث رقم : (٢٥٦٥) .

(٤) مجموع الفتاوى : (٢٨ / ٢٠٧) .

(٥) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٦) .

(٦) المرجع السابق : (٣ / ٥٠٧) .

"وفي إشارة الناس إلى النبطي الذي كان يقول : من يدلّ على كعب بن مالك دون نطقهم له تحقيق لمقصود الحجر ، وإلا فلو قالوا له صريحاً : ذاك كعب بن مالك ، لم يكن ذلك كلاماً له . فلا يكونوا مخالفين للنهي ، ولكن لفرط تحريهم وتمسكهم بالأمر ، ولم يذكره له بصريح اسمه"^(١) ، وأيضاً مبالغة في هجره والإعراض عنه .

وقول كعب — رضي الله عنه — : " وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول : هل حرّك شفّتي برّد السلام عليّ أم لا ؟"^(٢) ؛ " فيه دليل على أن الردّ على من يستحق الحجر غير واجب ، إذ لو وجب الرد لم يكن بدّ من إسماعه .
وأيضاً : ترك الإمام والحاكم ردّ السلام على من أحدث حدثاً تأديبياً له ، وزجرًا لغيره ، فإنه لم ينقل أنه ردّ على كعب ، بل قابل سلامه بتبسم الم غضب"^(٣) .

وقول كعب — رضي الله عنه — : حتى تنكرت لي الأرض ، فما هي بالتي أعرف ! . " هذا التنكير يجده الخائف والحزين والمهموم في الأرض ، وفي الشجر والنبات حتى يجده فيمن لا يعلم حاله من الناس ، ويجده في نفسه أيضاً فتتكر له نفسه كأنه هو ، ولا كأن أهله وأصحابه ، ومن يشفق عليه بالذين يعرفهم ، وهذا سرّ من الله لا يخفى إلا على من هو ميّت القلب." ^(٤) وهذا يدلّ على فائدة الحجر

مجالات الحجر في حديث كعب وصاحبيه :

جاءت عقوبة الحجر بطريقة تربوية فعالة في إصلاح نفسي اجتماعي لكعب وصاحبيه — رضي الله عنهم — حينما قال كعب في حديثه : "نهي رسول الله المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة"^(٥) . فكانت مقاطعة نفسية ودقيقة تشمل مجالات الحياة الاجتماعية التالية :

١ — الأسواق . يقول كعب : " فكننت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في

(١) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٨) .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

(٣) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٩) .

(٤) المرجع السابق : (٣ / ٥٠٩) .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

الأسواق ولا يُكلمني أحد" (١).

٢ — في المسجد حتى مع رسول الله ﷺ . يقول كعب : " وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرّك شفّتيه برّد السلام عليّ أم لا " (٢)

٣ — مع الأصدقاء والأقرباء في كل مكان . يقول كعب : " مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتاده وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليّ فسلمتُ عليه ، فوالله ما ردّ عليّ السلام فقلت له فنشدته ، فسكت فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتولّيتُ حتى تسورتُ الجدار " (٣) .

٤ — في المنزل ومع الزوجة . كان ذلك بعد مضي أربعين ليلة من الخمسين حيث يأتيه التوجيه النبوي : " أن اعتزل امرأتك ولا تقرها " (٤) . فأرسل كعب زوجته لتلحق بأهلها . ولقد أذن الرسول ﷺ لهلال بن أمية أن تبقى زوجته معه لخدمته ؛ نظراً لأنه رجل مسنّ ، لا يقوى على خدمة نفسه ، أمّا كعب فرجل شابّ .

" وقد أثمر هذا الحجر في كعب وصاحبيه . حتى تطهّرت قلوبهم وصفت نفوسهم ؛ لأن المقاطعة والحجر كان نوعاً من أنواع التأديب والزجر في صدر الإسلام ، وقد أثمر هذا اللون من التأديب ثمرته ووصل بكعب وصاحبيه إلى هذه الخاتمة السعيدة الموفقة .

وإن أضرّ شيء على أي مجتمع أن يجد فيه أهل الفسق والفجور ، وأهل الظلم والابتداع ، وأهل الاستهتار بالقيم الدينية والخلقية صدوراً رحية ونفوساً ترضى عن فعلهم ، بل وتحتضنهم ، ولو أن العصاة والمذنبين والمنحرفين عن الصراط المستقيم وجدوا من المجتمعات التي يعيشون فيها نبذاً لهم ومقاطعة وازدراء من الدعاة ومن المجتمع لكان هذا من أقوى العوامل الدافعة إلى أن يرشد الغاوي ويستقيم المعوجّ ، ويصلح الطالغ " (٥) .

(١) سبق تخريجه، ص: ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه، ص: ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص: ٥٩-٦٤ .

(٤) سبق تخريجه ، ص: ٥٩-٦٤ .

(٥) السورة النبوية في ضوء القرآن والسنة : (٢ / ٥١٦ - ٥١٧) .

المطلب الرابع :

أهمية التوبة من الذنوب في الدعوة إلى الله

معنى التوبة :

لغة : " الرجوع من الذنب ، وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً : أي أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة ، وتاب الله عليه : وفقه لها للتوبة . ورجل تَوَّابٌ : تائب إلى الله " (١) .
شريعاً : " ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة" (٢) .

من معاني التوبة في القرآن الكريم :

ورد لفظ التوبة في القرآن الكريم دالاً على معانٍ عدة منها :

١ — التوبة بمعنى الندم :

ومنه قوله تعالى : { توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم } (٣) .

وقوله : { وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون } (٤) .

٢ — التوبة بمعنى التجاوز :

ومنه قوله تعالى : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار } (٥) .

وقوله تعالى : { وتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ... } (٦) .

(١) لسان العرب : (١ / ٢٣٣) . مادة توب .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ٧٦ . مادة توب .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (٥٤) .

(٤) سورة النور ، الآية : (٣١) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١١٧) .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية : (٧٣) .

٣ — التوبة بمعنى الرجوع عن الشيء :

ومنه قوله تعالى على لسان موسى — عليه السلام — : { سبحانك تبت إليك }^(١).

"وقد ذكرت التوبة في القرآن الكريم بين دعوة إليها وترغيب فيها وثناء عليها ، ما يقرب من سبع وثمانين مرة"^(٢).

وحض الله تعالى المؤمنين عامة على التوبة لإدراك الفلاح ، فقال تعالى : { وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون }^(٣). وقال تعالى : { إن الله يحب المتطهرين }^(٤).
وقال تعالى : { وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تعملون }^(٥).

وحض رسول الله أمته على التوبة : فعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : "لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة واضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح"^(٦).

وعن أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله

يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع

(١) سورة الأعراف ، الآية : (١٤٣) .

(٢) التوبة إلى الله . معناها . حقيقتها . فضلها . شروطها . د . صالح السدلان ، ص : ١١ — ١٢ ، مطابع الأمل ، الرياض ،

ط ١ ، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .

(٣) التوبة ، أحمد البيهقي : (٣٢ / ١) ، دار السلام .

(٤) سورة النور ، الآية : (٣١) .

(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٢٢) .

(٦) سورة الشورى ، الآية : (٢٥) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : التوبة : ص : ١٣٤٦ ، حديث رقم : (٦٣٠٨) .

صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : في الحض على التوبة والفرح بها : (٤ / ١٦٧٢) ، حديث رقم : (٢٧٤٧) واللفظ لمسلم .

الشمس من مغربها" (١).

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة " (٢).

شروط التوبة :

قال النووي (٣) — رحمه الله — " قال العلماء : التوبة واجبة من ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدهما : أن يقلع عن المعصية .

الثاني : أن يندم على فعلها .

الثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربع ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها .

فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه ، وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه ، وإن كان غيبة استحلّه منها . ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحّت توبته — عند أهل الحق — من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي" (٤).

(١) صحيح مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب : (٤ / ١٦٧٨) ، حديث رقم : (٢٧٥٩) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الدعوات ، باب : التوبة ، ص : ١٣٤٦ ، حديث رقم : (٦٣٠٧) .

(٣) الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن الخزامي الحوراني الشافعي . صاحب التصانيف النافعة ، مولده في المحرم سنة ٦١٣هـ — . وقدم دمشق سنة ٦٤٩هـ — . ثم حج مع أبيه بالمدينة النبوية شهراً ونصف ومرض أكثر الطريق ، ودرس في إصلاح المنطق وأصول الفقه والعلوم الدينية ، وعلوم الفقه ، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية . تخرج على يده جماعة من العلماء ، وكان لا يُضَيِّعُ له وقتاً لا في الليل ولا في النهار حتى في الطريق ، من تصانيفه شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين والأذكار الأربعين والإرشاد . وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار ويكتب إليهم يخوفهم بالله . سافر الشيخ فزار بيت المقدس وعاد إلى نوى فمرض عند والده فحضرته المنية . فتوفي سنة ٦٧٦هـ — . انظر ، تذكرة الحفاظ : ٢م (٤ / ١٤٧١ — ١٤٧٣) .

(٤) رياض الصالحين من كلام سيد الصالحين ، ص : ١٨ ، مكتبة الغزالي ، بيروت ودمشق .

وأضاف بعض العلماء :

"أن تكون التوبة قبل أن يحضر الموت ، فإذا حضر الموت وبلغت الروح الحلقوم لم تقبل التوبة حينئذ . وأن تكون التوبة قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت الشمس من مغربها أقفل باب التوبة"^(١).

"وتصحّ التوبة الصادقة المستوفية لكل شروطها من كل الذنوب مهما كان شأنها فمن صدق في توبته غفر الله له ، ولو كانت ذنوبه من أكبر الكبائر ، كالكفر والإشراك به والقتل والسرقه"^(٢).

التوبة النصوح :

ذكرت التوبة النصوح وحققتها في قول الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... }^(٣).
قال ابن القيم — رحمه الله تعالى — عن التوبة النصوح : "وقد اختلفت عبارات السلف عنها ومرجعها إلى شيء واحد :

- فقد قيل : التوبة النصوح ؛ أن يتوب من الذنب ، ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع .
- وقيل : هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى ، مجمعاً على أن لا يعود فيه .
- وقيل : أن يستغفر باللسان ، ويندم بالقلب ، ويمسك بالبدن .
- وقيل : توبة نصوحاً: تنصحون بها أنفسكم .
- وقيل : يجمعها أربعة أشياء ؛ الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سبي الإخوان"^(٤).

(١) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (٢ / ٦٢٨) .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ٢٦٩) .

(٣) سورة التحريم ، الآية : (٨) .

(٤) مدارج السالكين : (١ / ٣١٦ — ٣١٧) .

وقال ابن كثير — رحمه الله تعالى — : "التوبة النصوح ؛ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفّه عما كان يتعاطاه من الدنئات .
وقال العلماء : التوبة النصوح ؛ هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه" (١).

وقيل : "التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه ، كتوبة كعب وصاحبيه" (٢).

أنواع التوبة :

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة.

فالواجبة : "هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور ، وهذه واجبة على جميع المكلفين، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى السنة رسله .

والمستحبة : هي التوبة من ترك المستحبات ، وفعل المكروهات فمن اقتصر على التوبة كان من فعل الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين كان من المقربين ، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين إما الكافرين وإما الفاسقين" (٣).

قال تعالى : { إِنَّمَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . إِنَّا عِندَنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسَلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } (٤) .
وقال تعالى : { فَمَنْ ظَلَمَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ } (٥) .

وجوب التوبة :

- (١) تفسير ابن كثير : (٤ / ٣٩٣) .
- (٢) الجامع لأحكام القرآن : (٧ / ٣٨٧) .
- (٣) التوبة إلى الله ومكفرات الذنوب ، أبو حامد الغزالي ، ص : ٣٩ — ٤٠ ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- (٤) سورة الإنسان ، الآيات : (٣ — ٦) .
- (٥) سورة فاطر ، جزء من الآية : (٣٢) .

قال القرطبي — رحمه الله — في بيان وجوب التوبة : "واتفقت الأمة على أن التوبة فرض عين على المؤمنين، لقوله تعالى : { وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون }^(١) .

وتصح التوبة من ذنب مع الإقامة على غيره من غير نوعه ، ولا فرق بين معصية ومعصية"^(٢) . "والتوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة : العلم والندم والترك"^(٣) .

"ووجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنها أحد ألبته . وظاهر الكتاب قد دل على هذا"^(٤) . "ولا يُتصور أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم — عليه السلام — وأما بيان وجوبها على الدوام ، وفي كل حال ؛ فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه ولا يُتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص ، وإنما يتفاوتون في المقادير . والإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات أصلاً ، وليس معنى التوبة تركها فقط ، بل من تمام التوبة بتدارك ما مضى ، وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه ، كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرأة الصقيلة ، فإن تراكمت الشهوات صار ريناً ، كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خبيثاً"^(٥) . كما قال تعالى : { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون }^(٦) .

أقسام الناس في دوام التوبة :

إن الناس ينقسمون بحسب التوبة ، لا بحسب المال والجاه ، هل هي توبة نصوح أم توبة كاذبة ، والناس في التوبة على أربع طبقات كما ذكر ذلك الإمام الغزالي — رحمه الله —
الطبقة الأولى : توبة ذي النفس المطمئنة :

أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره ، فيتدارك ما فرط معه أمره ،

(١) سورة النور ، الآية : (٣١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : (٩٠ / ٥) .

(٣) التوبة إلى الله ومكفرات الذنوب . ص : ٣٠ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٣٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص : ٣٦ — ٣٨ . بتصرف .

(٦) سورة المطففين ، الآية : (١٤) .

ولا يُحدث نفسه بالعود إلى ذنبه ، إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات واسم هذه
التوبة؛ التوبة النصوح . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في
عبادي وادخلي جنتي }^(١).

الطبقة الثانية : توبة ذي النفس اللوامة :

تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات ، وترك كبار الفواحش كلها ، إلا
أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه ، لا عن عمد وتجريد وقصد . قال تعالى : { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ لَنْ رُبِكَ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ }^(٢).

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ }^(٣).

الطبقة الثالثة : توبة ذي النفس المسولة :

أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلب الشهوة في بعض الذنوب ، فيقدم
عليها عن صدق وقصد وشهوة ، لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على
الطاعات ، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة . قال تعالى : { وَأَخْرَجُوا بِذُنُوبِهِمْ
خُلُقُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسِينَ }^(٤).

وقال تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }^(٥).

الطبقة الرابعة : توبة النفس الأمّارة بالسوء :

أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ، ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن
يحدث نفسه بالتوبة من غير أن يتأسف على فعله ؛ بل ينهمك انهمك الغافل في شهواته ،
فهذا من جملة المصرّين ، وهذه النفس الأمّارة بالسوء الفرّارة من الخير . قال تعالى : { وَأَنْ لَيْسَ

(١) سورة الفجر ، الآيات : (٢٧ - ٣٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية : (٣٢) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٣٥) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (١٠٢) .

(٥) سورة الشمس ، الآيات : (٧ - ١٠) .

للإنسان إلا ما سعى^(١).

وقال تعالى : { ولو ترى إذ الجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً^(٢)(٣) .

علامات قبول التوبة :

- ١ — أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها .
- ٢ — أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين . فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسول لقبض روحه . قال تعالى : { ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون^(٤) . فهناك يزول الخوف .
- ٣ — ومنها انخلاع قلبه ، وتقطعه ندماً وخوفاً ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها ، وهذا حقيقة التوبة ؛ لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه ، وخوفاً من سوء عاقبته ، فمن لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفاً ، تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق^(٥) .
- ٤ — "أيضاً كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء . ولا تكون لغير المذنب ، وتكسر القلب بين يدي الرب كسرة تامة ، قد أحاطت به من جميع جهاته ، وألقته بين يدي ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً ، فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة ، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته ويرجع إلى تصحيحها^(٦) .
- ٥ — "أن يخاف التائب في أمر لسانه : فيحفظه من الكذب والغيبة والنميمة .
- ٦ — أن يخاف في بطنه : فلا يأكل إلاّ حلالاً .
- ٧ — أن يخاف في أمر بصره : فلا ينظر إلى الحرام .

(١) سورة النجم ، الآية : (٣٩) .

(٢) سورة السجدة ، الآية : (١٢) .

(٣) التوبة إلى الله ومكفرات الذنوب ، ص : ١٥ — ٢١ . بتصرف .

(٤) سورة فصلت ، الآية : (٣٠) .

(٥) مدارج السالكين : (١ / ٢٠٣ — ٢٠٤) .

(٦) المرجع السابق : (١ / ٢٠٤ — ٢٠٥) . بتصرف .

- ٨ — أن يخاف في أمر سمعه : فلا يستمع إلى معصية .
٩ — أن يخاف في أمر يده : فلا يمدّها إلى الحرام .
١٠ — أن يخاف في أمر قدميه : فلا يمشي بهما إلى مواطن المعاصي بل إلى مواطن الطاعات .
١١ — أن يخاف في أمر طاعته : فيجعلها خالصة لوجه ، ويجتنب الرياء والسمعة والبغض من أجل الدنيا^(١) .

علامات التوبة المردودة :

- ١ — "ضعف العزيمة ، والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة ، وتذكر حلاوة مواقفه
٢ — طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب ، حتى كأنه قد أعطي منشوراً بالأمان . فهذا من علامات التهمة .
٣ — جمود العين ، واستمرار الغفلة ، وأن لا يستحدث بعد التوبة أعمالاًصالحة لم تكن له قبل الخطيئة"^(٢) .
"وبنو آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، الذين يُبادرون بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ، والخطأ ليس عيباً في الشخص إنما العيب والنقص هو البقاء على الخطأ والاستمرار عليه ، والذي يُنهي الخطأ ويزيل أثره هو التوبة ، وهذا من سماحة الإسلام ويسره ، والتوبة من الذنب لا تشعر بنقص على الشخص التائب"^(٣) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " وليست التوبة نقصاً بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق . كما قال تعالى : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(٤) . فغاية كل مؤمن هي التوبة"^(٥) .
وقال أيضاً—رحمه الله— : " وإذ قال قائل فالتوبة لا تكون إلا عن ذنب والاستغفار

(١) التوبة ، ص : ١١١ — ١١٢ . بتصرف .

(٢) مدارج السالكين : (١ / ٢٠٣) .

(٣) تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، ص : ٦١ .

(٤) سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٧٣) .

(٥) مجموع الفتاوى : (١٥ / ٥١) .

كذلك ، قيل الذنب الذي يضرّ صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة" (١).

"فالتوبة الصادقة هي الدواء الصحيح لذنب التخلف ، ولن يعالج الخطأ بخطأ ، ولن يعالج ذنب بذنب آخر ، فكانت توبة كعب وصاحبيه — درساً في ميدان السلوك والعمل" (٢). "فقد حولوا خطأهم إلى صواب ، وأصبح خطوهم طريقاً لتصحيح أحسن ورفعته أسمى ، وهذا هو المطلوب ، فكم من شخص أذنب وبكى ذنبه وخطيئته ، حتى محيت ذنوب خطيئته وارتقى في سلم الحسنات بسبب ما ناله من كثرة البكاء والندم والرجوع إلى الله ، ولعل هذا هو من أفضل ما نلمسه من درس عام في قصة الثلاثة الذين تخلفوا وخلفوا ثم أصبحوا قدوة بعد ذلك للصادقين بسبب توبتهم وصدقهم مع الله ومع رسوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (٣) قالها سبحانه وتعالى وختم بما قصتهم بعد أن شهد لهم بالتوبة ووعدهم بالمغفرة" (٤).

وقد مرت توبة كعب — رضي الله عنه — بعدة مراحل :

١— و تأتي أول آثار توبة كعب عندما ضاقت عليه وصاحبيه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه، فهذه هي حقيقة التوبة التي ذكرها الله في كتابه الكريم حيث قال : { حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه } (٥).
يقول سيد قطب (٦) — رحمه الله — في قوله (ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) :

(١) مجموع الفتاوى : (١٥ / ٥٤) .

(٢) تبوك . غزوة العسرة . شوقي أبو خليل . ص : ٨٦ ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (١١٩) .

(٤) تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . ص : ٦٢ — ٦٣ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١١٨) .

(٦) سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية مرشا في أسيوط ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م . وعمل في جريدة الأهرام ، وعيّن مدرساً للعربية فموظفاً في ديوان وزارة المعارف . ثم مراقباً فنياً للوزارة أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا ١٩٤٨ هـ — ١٩٥١ م . ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز وطالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلامية . وبنى على هذا استقالته ١٩٥٣ م في العام الثاني --

"فما الأرض ؟ إن هي إلا بأهلها ، إن هي إلا بالقيم السائدة فيها ، إن هي إلا بالوشائج والعلاقات بين أصحابها فالتعبير صادق في مدلوله الواقعي فوق صدقه في جملة الفني ، الذي يرسم هذه الأرض تضيق بالثلاثة المخلفين ، وتتقاصر أطرافها ، وتنكمش رقعتها ، فهم منها في حرج وضيق . (وضافت عليهم أنفسهم) :

فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم ولا تسعهم ، وتضغظهم فتكرب أنفاسهم" (١) ، " بسبب الهم والغم وبجانبة الأولياء والأحباء ، ونظر الناس لهم يبين الإهانة" (٢) ، حتى تيقنوا أن لا ملجأ يلجئون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه .

"إنها كلها دلائل على أن التوبة كانت من أعماق قلوبهم صادقة خالصة ! إنه الندم الذي غير في أعينهم الأرض وغير عليهم أنفسهم ومن حولهم من الناس وسقطوا في البكاء والحشية من الله ، وعلموا علم يقين ألا يقبل التوبة ولا يغفر الذنوب إلا الله سبحانه ، ولذلك أثمرت هذه التوبة ثمراً عظيمة جليلة" (٣) .

يقول كعب - رضي الله عنه - عن توبته : " فاجتنبنا الناس وتغيروا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق ولا يكلمني أحد" (٤) .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - تعليقا على قول كعب بن مالك - رضي الله عنه - حتى تنكرت لي الأرض ، فما هي التي أعرف : " هذا التنكر يجده الخائف والحزين والمهموم في الأرض ، وفي الشجر ، والنبات حتى يجده فيمن لا يعلم حاله من الناس ، ويجده

--للثورة وانضم إلى الأخوان المسلمين ، وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه ، فأعدم . وكتبه كثيرة مطبوعة متداولها منها : التصوير الفني في القرآن . ومشاهد القيامة في القرآن . في ظلال القرآن ، والمستقبل لهذا الدين ، ومعالم في الطريق . وغيرها . انظر : الأعلام (٣ / ١٤٧) .

(١) في ظلال القرآن : (٣ / ١٧٣٢) .

(٢) التفسير الكبير ، الفخر الرازي : (١٤ / ٢٢٤) ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٣) تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . ص : ٤٨ .

(٤) سبق تخرجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

أيضاً المذنب العاصي بحسب جرمه حتى في خُلُق زوجته وولده ، وخادمه ودابته ، ويجده في نفسه أيضاً ، فتنكّر له نفسه حتى ما كأنه هو ، ولا كأن أهله وأصحابه ، ومن يُشفق عليه بالذين يعرفهم ، وهذا سرّ من الله لا يخفى إلاّ على من هو ميّت القلب ، وعلى حسب حياة القلب ، يكون إدراك هذا التنكّر والوحشة ، وما لجرح بميت إيلام" (١).

"ومن المعلوم ، أن هذا التنكّر والوحشة كانا لأهل النفاق أعظم ، ولكن لموت قلوبهم لم يكونوا يشعرون به ، وهكذا القلب إذا استحکم مرضه ، واشتد ألمه بالذنوب والإجرام ، لم يجد هذه الوحشة والتنكّر ، ولم يحسّ بها ، وهذه علامة الشقاق ، وأنه قد أيس من عافية هذا المرض ، وأعياء الأطباء شفاؤه ، والخوف والهَمّ مع الريّة ، والأمن والسرور مع البراءة من الذنب" (٢).

٢ — نجد أن كعباً وأبا لبابة عندما وجدا فرصة للطاعة تقرّبا بها إلى الله ، حيث قدما أموالهما شكراً لله على قبول توبتهما .

ولابد من الاستمرار على الطاعة، فكعب قد أوجب على نفسه الصدق طيلة حياته ، فلا يحدث إلاّ صدقاً .

٣ — من أثر توبة كعب أن قال : "إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلاّ أحدث إلاّ صدقاً ما بقيت" (٣).

كما أن كعب لم يقنط من رحمة الله تعالى بالرغم من مرور خمسين ليلة وهو ينتظر الفرج فباب التوبة مفتوح ، مهما عظمت الذنوب أو تكاثرت المعاصي ، أو استحكمت الغفلات فلا ينبغي للعبد أن يقنط من رحمة الله تعالى وعفوه .

ورغب ابن القيم — رحمه الله — في استغلال وانتهاز الفرص للطاعات قبل فواتها فقال : "إن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة ، فالحزم كل الحزم في انتهازها ، والمبادرة إليها ، والعجز في تأخيرها ، والتسوية بها ، ولا سيما إذا لم يثق بقدرتها وتمكنه من

(١) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٦ - ٥٠٧) .

(٢) المرجع السابق : (٣ / ٥٠٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

أسباب تحصيلها ، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت ، والله سبحانه يُعاقب من فتح له باباً من الخير فلم ينتهزه ، بأن يحول بين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له ، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه ، حال بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك" (١) . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } (٢) . وقد صرح الله سبحانه بهذا في قوله : { وَقَلْبٌ أَقْدَتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ } (٣) . وقال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } (٤) . وقال تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٥) . وهو كثير في القرآن .

المطلب الخامس :

أهمية النية في قبول الأعمال

النية في اللغة :

"النية في اللغة تكون مصدرًا أو اسمًا من نويت وهي توجه القلب نحو العمل ، وليس من ذلك بشيء" (٦) . والنية أيضاً : "نوع من القصد والإرادة" (٧) . قال ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : "لفظ النية في كلام العرب من جنس لفظ القصد والإرادة، ونحو ذلك . والنية يُعبر عنها عن نوع من إرادة ، ويُعبر عنها عن نفس المراد ، تقول العرب : هذه نيتي ؛ يعني هذه البقعة التي نويت إتياها ، لكن من الناس من يقول : أنها أخص من الإرادة ، فإن إرادة الإنسان تتعلق بعمله وعمل غيره . والنية لا تكون إلا بعمله ،

(١) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٢ — ٥٠٣) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٢٤) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : (١١٠) .

(٤) سورة الصف ، جزء من الآية : (٥) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١١٥) .

(٦) المفردات في غريب القرآن . ص : ٥١٠ . مادة نأى .

(٧) جامع العلوم والحكم . ص : ١٠ .

فإنك تقول أردت من فلان كذا ، ولا تقول نويت من فلان كذا^(١) . "ولفظ النية يراد بها النوع من المصدر ، ويراد بها المنوي ، واستعمالها في هذا لعله أغلب في كلام العرب ، فيكون المراد إنما الأعمال بحسب ما نواه العامل ، أي بحسب منويه ، فإن كل متحرك بالإرادة لابد له من مراد"^(٢) .

ولفظ النية يجري كلام العلماء من نوعين :

"فتارة : يريدون بها تمييز عمل من عمل ، وعبادة عن عبادة . وتارة : يريدون بها تمييز معبود عن معبود ، ومعمول له عن معمول له"^(٣) .

"والنية محلها القلب باتفاق العلماء ، فإن نوى بقلبه ولم يتكلم بلسانه أجزأته النية باتفاقهم"^(٤) .

"ولذلك فالعمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء"^(٥) . "وقد اهتم العلماء على اختلاف تخصصاتهم بأمر النيات ، لأنها تشكل مباحث هامة في علم الأخلاق ، والفقه ، والأصول ، والتوحيد ، واعتنى بها شراح الحديث ومفسرؤا القرآن. ومما يدل على تعظيمهم لأمرها اعتناؤهم بالحديث الذي يعتبر الأصل في موضوع النيات حديث (إنما الأعمال بالنيات)^(٦) ، وقد تواتر النقل عن الأئمة الأعلام بعموم نفعه وعظم موقعه . واتفق العلماء على عدّه ربع الإسلام أو ثلثه أو نصفه ، وإن اختلفوا في تحديد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومدار الدين وفي تعليل كونها كذلك ، إلا أنهم اتفقوا جميعاً على أن حديث (إنما الأعمال) أحد قواعد الإسلام ، وأصل من أصوله"^(٧) .

(١) شرح حديث إنما الأعمال بالنيات ، ابن تيمية ، ص : ١٤ - ١٥ بتصرف ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٢) المرجع السابق . ص : ١٨ .

(٣) المرجع السابق . ص : ١٨ - ١٩ .

(٤) شرح حديث إنما الأعمال بالنيات ، ص : ٢٧ .

(٥) إحياء علوم الدين : (٤ / ٣٦٣) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى ، ص : ٢٧ ، حديث رقم : (٥٤) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإحارة ، باب : قوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنية " . (٣ / ١٢٠٤) ، حديث رقم : (١٩٠٧) .

(٧) مقاصد المكلفين أو النيات والعبادات ، عمر سليمان الأشقر ، ص : ٨٩ - ٩٠ . بتصرف ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

فضل النية وأهميتها للداعية :

لقد أشار القرآن الكريم إلى مساواة أصحاب الأعدار للمجاهدين إذا منعهم الضرر من المسير والحرب والطعان ، قال تعالى : { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم }^(١).

من أجل ذلك كان الرسول ﷺ مداوماً على عمله . ففيه روت عائشة — رضي الله عنها — قالت : قال رسول الله ﷺ : " أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ " ^(٢).

والنية محلها القلب فإذا صلح القلب صلح بقية الجسد ، وإذا فسد فسدت . فعن النعمان بن بشير — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " ^(٣).
"فإن القلب سيد الأعضاء ومليكتها ، وهو محل العقل والبصيرة ، ومناط التكليف ، وهو الأمر الناهي ، والأعضاء تطيعه طاعة الجند لقائدها ، وهو منها بمنزلة الراعي من الرعية ، والحاكم من المحكوم " ^(٤).

"والنِّيَّاتُ تُمَيِّزُ الأَعْمَالُ ، ففي كثير من الأحيان تتفق الأعمال في الصورة والمظهر ويتميز بعضها عن بعض بالنِّيَّاتِ ، فقد يكون الفعل الواحد من أعظم الطاعات إذا نوى به صاحبه نيةً صالحةً ، ويكون أعظم الذنوب إذا نوى به نيةً سيئةً ، كالساجد لغير الله فعلة من أعظم الذنوب .

والنِّيَّاتُ تُمَيِّزُ رتَبَ العِبَادَاتِ : فُتَمَيِّزُ الفُرُوضَ عن النوافل ، وتميز بين العبادات والعبادات ،

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : (٩٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : القصد والمداومة على العمل ، ص : ١٣٧٦ ، حديث رقم : (٦٤٦٥) .
صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين ، باب : لن يدخل الجنة أحد إلا بعمله : (٤ / ١٧٢٢) ، حديث رقم : (٢٨١٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، ص : ٢٦ ، حديث رقم : (٥٢) .

صحيح مسلم ، كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الخلال وترك الشبهات : (٣ / ٩٨٨) ، حديث رقم : (١٥٩٩) .

(٤) مقاصد المكلفين ، ص : ٩٧ — ٩٨ .

فغسل أعضاء الوضوء قد يكون قربة وقد يكون عادةً وتنظيفاً^(١).

وفي النية تربية على اليقظة والإرادة الواعية التي تخلص العمل لله ، وفيها جمع للهمة وإعمال للفكر ، وبالتالي يرتفع عن مستوى الحيوان . قال تعالى : { ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها . ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون }^(٢).

وبالنية الصالحة يثاب قاصد الفعل الخيّر وإن لم يصب المراد : عن معن بن يزيد — رضي الله عنه — قال : " كان أبي يزيد^(٣) أخرج دنائير يتصدق بها ، فوضعها عند رجل في المسجد ، فجئت بها فأخذتها ، فأتيته بها ، فقال : والله ما إياك أردت ، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال : لك ما نويت يا يزيد ، ولك ما أخذت يامعن^{(٤)(٥)} .

وإذا كانت نية الداعية صالحة يضاعف الله الأعمال اليسيرة ، فعن البراء — رضي الله عنه — يقول : " أتى النبي ﷺ رجل مقنّع بالحديد ، فقال يا رسول الله ، أقاتل أو أسلم ؟ فقال ﷺ : أسلم ثم قاتل ، فأسلم ثم قاتل ، فقتل ، فقال ﷺ : عمل قليلاً وأجر كثيراً^(٦) .

وبالنية الصالحة يبارك الله للداعية في الأعمال المباحة فيثاب عليها العبد فتحول الأعمال العادية التي تزول بمجرد الانتهاء منها إلى أعمال باقية وخالدة ، عن أبي مسعود

(١) مقاصد المكلفين . ص : ١٠١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٧٩) .

(٣) يزيد بن الأحنس بن حبيب بن حرة بن زغب بن مالك السلمى . وهو أبو معن بن يزيد السلمى ، قد بايع عند النبي ﷺ هو وابنه ووالده الأحنس . وعقد رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لواء من الألوية الأربعة التي عقدها لبني سليم وسكن يزيد الكوفة بعد ذلك هو وولده . وشهد هو ووالده وابنه بدرأ . انظر ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢٧٤) ، الاستيعاب : (٤ / ١٥٧٠) .

(٤) معن بن يزيد بن الأحنس السلمى . ثبت ذكره في صحيح البخاري . أنه قال : " بايعت النبي أنا وأبي وجدتي ، وخاصمت إليه فأفلحني ، وخطب علي فأنكحني " ، شهد هو وأبوه وجدته بدرأ ، وكان يزول الكوفة ، ودخل مصر ثم سكن دمشق ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس في سنة أربع وحمسين — ويقال إنه كان مع معاوية في حروبه — ، وقتل بمرج راهط . انظر ، الإصابة : (٦ / ١٩٢) ، الطبقات الكبرى : (٦ / ٣٦) ، الأعلام : (٨ / ١٩٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الزكاة ، باب : إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر ، ص : ٣٠٠ ، حديث رقم : (١٤٢٢) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : عمل صالح قبل القتال ، ص : ٥٩٣ ، حديث رقم : (٢٨٠٨) .

الأنصاري عن النبي ﷺ قال: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة" (١).
وعن سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال له: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في امرأتك" (٢).
وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: "إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ... " (٣).

كما أن عمل الداعية بغير نية كالجثة الهامدة التي لا روح فيها؛ حيث لا يقبل الله العمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله إلا بأمرين:
أحدهما:

أن يكون العمل في ظاهرة على موافقة السنة. وهذا هو الذي يتضمنه حديث عائشة — رضي الله عنها — عن النبي ﷺ قال: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" (٤).

الثاني:

أن يكون العمل في باطنه يقصد به وجه الله عز وجل، كما تضمنه حديث عمر — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (٥).

- (١) صحيح البخاري، كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، ص: ١١٧٤، حديث رقم: (٥٣٥١).
- صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج: (٢ / ٥٧٧)، حديث رقم: (١٠٠٢).
- (٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ص: ٢٧، حديث رقم: (٥٦).
- صحيح مسلم، كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث: (٣ / ١٠١٣)، حديث رقم: (١٦٢٨).
- (٣) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، ص: ١٣٨٠، حديث رقم: (٦٤٩١).
- صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتب ... (١ / ١١٠)، حديث رقم: (١٣١).
- (٤) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ص: ٥٦٣، حديث رقم: (٢٦٩٧).
- صحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور: (٣ / ١٠٨٢ — ١٠٨٣)، حديث رقم: (١٧١٨).
- (٥) صحيح البخاري، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى. ص: ٢٧. حديث رقم: (٥٤).

كما أن الأعمال البدنية المطلوبة شرعاً ، قد تتوقف بخلاف النية ، عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية " (١).

وقد تخلف رجال في غزوة تبوك ، كانوا يتحرقون شوقاً إلى صحبة الرسول ﷺ في تلك الغزوة ولكن حبسهم العذر . فأخبر الرسول ﷺ أن أولئك المتخلفين المعذورين يشاركونهم في الأجر ، ونص كلامه ﷺ فيهم : " إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم . قالوا يارسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر " (٢) ، وذلك لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كثواب الخارجين في الجهاد وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة عن القلب " (٣).

قال ابن القيم — رحمه الله — عن هذه المعية : فهذه المعية هي بقلوبهم وهممهم ، لا كما يظنه طائفة من الجهال أنهم معهم بأبدانهم ، فهذا محال ، لأنهم قالوا له وهم بالمدينة ؟ فقال : (وهم بالمدينة حبسهم العذر) ، وكانوا معه بأرواحهم ، وبادار الهجرة بأشباحهم ، وهذا من الجهاد بالقلب ، وهو أحد مراتبه الأربع : وهي القلب واللسان والمال والبدن (٤).

وقد صدق كعب بن مالك — رضي الله عنه — في نيته وإرادته على الطاعة ما بقي من عمره حيث قال : " وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت " (٥).

وبالتالي فإن على الداعية أن يستحضر النية في جميع الأوقات والأماكن والأحوال ، وأن يتغني الأجر من الله سبحانه وتعالى ولا يطلبه من الخلق .

-- صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : قوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنية " : (٣ / ١٢٠٤) . حديث رقم : (١٩٠٧).

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير ، ص : ٥٨٨ ، حديث رقم : (٢٧٨٣) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح : (٣ / ١١٨٢) ، حديث رقم : (١٨٦٤) .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٧ .

(٣) إحياء علوم الدين : (٤ / ٣٦٨) .

(٤) زاد المعاد : (٣ / ٥٠٠) .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

المبحث الثالث

الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق

P

المبحث الثالث

الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق

في اللغة :

الخلق لغة : " الدين والطبع والسجية" (١).

"والخلق والخلق في الأصل واحد ، لكن حُصَّ الخلق بالهيئات والأشكال والصور ، وحُصَّ الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة" (٢).

وفي الاصطلاح :

الخلق : " حال في النفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية ، وجمعه أخلاق ، والأخلاق ، علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن والقبح" (٣). قال الله تعالى لنيبه ﷺ : { وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ } (٤).

"وتمثل جانب الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة والسلوك المستقيم الذي جاء به الإسلام ، وبعث رسول الله ﷺ ليتممه أو يقرره ، والذي منه الإحسان الذي بينه ﷺ في حديث جبريل السابق ، لما سُئِلَ عن الإحسان ، قال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٥)، ويشمل هذا الجانب ما يُعرف بنظام السلوك أو نظام الأخلاق في الإسلام" (٦).

"وللأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه ، بل إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات ، فأفعال الإنسان إذن

(١) لسان العرب : (١٠ / ٨٦) .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٥٨ .

(٣) المعجم الوسيط : (١ / ٤٤٥) .

(٤) سورة القلم ، الآية : (٤) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان : (١ / ٤٦) . حديث رقم : (٨) .

(٦) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ١٨٤ .

موصولة دائماً بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب ؛ ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه ، لأن الفرع بأصله إذا صلح الأصل صلح الفرع ، وإذا فسد الأصل فسد^(١) . قال تعالى : { والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً }^(٢) .

"ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبيّن أن تغيير أحوال النفوس من سعادة وشقاء ويسر وعسر ، ورجاء وضيق ، وطمانينة وخلق ، وعزّ وذللّ كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات"^(٣) . قال تعالى : { إِنْ أَلَّ اللَّهُ لِيغَيِّرَ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }^(٤) .
 "ولما لأهمية الأخلاق للحياة الإنسانية في نظر الإسلام ، لذلك جعل الله الأخلاق مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، فيعاقب الناس بالهلاك في الدنيا والآخرة لفساد أخلاقهم"^(٥) .

قال تعالى : { ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا }^(٦) .

وقال تعالى : { بل اغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون }^(٧) .

وقال تعالى : { وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون }^(٨) .

ويكافئ الأبرار والصالحين بالجنة ، ويعاقب الفجار والأشرار بالجحيم :

قال تعالى : { إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم }^(٩) .

"وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى ؛ أن وزن الأفعال والتروك بميزان

(١) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان . ص : ٨٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٨م .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٥٨) .

(٣) أصول الدعوة . ص : ٨٠ — ٨١ .

(٤) سورة الرعد ، الآية : (١١) .

(٥) الأخلاق الإسلامية ، د . مقدار يالجن ، ص : ١٠٦ ، دار عالم الكتب ، الرياض . ط ٣ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م

(٦) سورة يونس ، جزء من الآية : (١٣) .

(٧) سورة الأحقاف ، الآية : (٣٥) .

(٨) سورة هود ، الآية : (١١٧) .

(٩) سورة الانفطار ، الآيتان : (١٣ — ١٤) .

الأخلاق، وصحة هذا الوزن أو فساده ، ومدى التزام الإنسان بمقتضاه ، وتنفيذه له ، كل ذلك يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها من حيث جودتها أو رداءتها ، ومدى رسوخها في نفسه وانصبغها بها وحماسه لها وغيرته عليها وشعوره بضرورتها إليه^(١) . " ومن أجل هذا أكد الإسلام على معاني الأخلاق المطلوبة وشوقه إليها ، وحث النفوس عليها ، وكررها وأعادها حتى يتذكرها المسلم دائماً وينصبغ بها ، فيكون أثرها واضحاً في سلوكه"^(٢) .

" كما أن الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ، فكما أن الفرد يضره ويفسد من أعماله أن يكون كاذباً مرئياً حسوداً شريراً ماکراً ، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع هذه الصفات في آحادها ، من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء الحث على الأخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشدداً على الاستمسك بها ؛ لأنها هي التي تُحقق الفوز بالنعيم الآخروي"^(٣) . " والفضائل التي أمر بها القرآن هي الفضائل الإنسانية الحقة التي أجمع الفلاسفة ودعاة الإصلاح في العالم على المناداة بها"^(٤) .

شمول الأخلاق :

"من خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الشمول ، ونعني به أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة ، فلا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق ولزوم مراعاة معاني الأخلاق مما لا نجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعيّة"^(٥) .

لزوم الأخلاق في الوسائل والغايات :

"إن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات ، فلا يجوز الوصول إلى

(١) أصول الدعوة . ص : ٨٠ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٨١ .

(٣) الأخوة الإسلامية ، عبد رب النبي أبو السعود ، ص : ٧٠ ، بتصرف ، دار التوفيق ، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠ م .

(٤) المرجع السابق . ص : ٧٠ .

(٥) أصول الدعوة . ص : ٩٠ .

الغاية الشريفة بالوسيلة الحسيسة ، ولهذا لامكان في مفاهيم الأخلاق للمبدأ الخيـث :
« الغاية تبرر الوسيلة » (١).

اتخاذ القدوة الحسنة (وخير القدوة على الإطلاق في شخص رسول الله ﷺ):
"إن المسلمين الأول اتخذوا الرسول ﷺ أسوتهم ، وعملوا في حياتهم على أن يطبقوا
سائر تعاليم الإسلام ، فظهرت أمانتهم في القول والعمل والمال ، ولم تبدل في حال ، وكانت
عفتهم عن سائر المحارم ، وكان صدقهم الثام ، وكان العدل يملأ حياتهم . وبذلك كان
كمالهم الذاتي مع أنفسهم ومع الناس" (٢).

" فإذا فات المسلم الآن رؤية رسول الله ﷺ ببصره فلن تقوته رؤياه ببصيرته
باستحضار سيرته العطرة وشمائله الكريمة وأخلاقه الفضيلة ، ولذلك فالداعية الذي يحرص
على التخلق بخلق الرسول ﷺ يقرأ سيرته ﷺ مراراً ويستحضر شخصه الكريم في ذهنه ،
وتصوّر نفسه في مجلس رسول الله ﷺ " (٣) . " ومن القدوة الحسنة في تضامنه استحضر سيرة
أصحابه الكرام المملوءة بالخير وجيل الأعمال الكريمة لا سيما سيرة الخلفاء الراشدين
والعشرة المبشّرة بالجنة وأصحاب بدر وأصحاب بيعة الرضوان وسائر المهاجرين
والأنصار" (٤).

" والجانب الأخلاقي من أبرز جوانب الدعوة الإسلامية ، وقد جعله الإسلام أساساً
لنيل أعظم الدرجات عند الله عز وجل . وإن الإنسان لينال بحسن خلقه ثواب الصائمين
القائمين تطوعاً وإن لم يصم وإن لم يقيم ؛ ذلك لأن المقصود من الصلاة والصيام هو تحصيل
الخلق الحسن واستفادة الفضائل والعمل بها ، وحيث يوجد حسن الخلق ، وطبع الإنسان على
الفضائل ، وعامل بها غيره فإن الله عز وجل يعطي صاحب الخلق الحسن أجر ما يفعله غيره
ليكتسب هذه الفضائل" (٥).

(١) أصول الدعوة . ص : ٩١ .

(٢) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها . ص : ٢٨ .

(٣) أصول الدعوة . ص : ١٠٠ .

(٤) المرجع السابق . ص : ١٠٠ .

(٥) تقنين الدعوة ، ص : ٣٧ .

"فالدين لا يصلح إلا بالأخلاق الفاضلة ، والمجتمع لا يقوم إلا على حسن الخلق ، والسياسة ركيظها حسن الخلق ، كذلك لا ينجح ولا يؤدي دوره إلا إذا ارتكز على حسن الخلق ، عندئذ نعرف قيمة الأخلاق ، وندرك مدى اهتمام الإسلام بهذا الجانب من جوانب الحياة"^(١). " وحيث إن الإسلام دعوة شاملة لجميع جوانب الحياة المختلفة ، وكلها قائمة على أسس أخلاقية كانت بعثته ﷺ تتميماً لمكارم الأخلاق ، وليس المقصود من حسن الخلق التحلي بالصفات الحميدة فقط ، ولكنه إلى جوار ذلك لابد أن يكون صاحبه متخلياً عن الرذائل ؛ لأن الصفات الحميدة قد يؤدي الإسراف في الاتصاف بها الوقوع في ضدها ، ولهذا قيل : إن الفضيلة وسط بين رذيلتين"^(٢).

الأخلاق والعقيدة :

"أسلوب القرآن في تربيته يقوم على أساس لا يتغير بتغير الزمان أو المكان ، إنه يقوم على أساس من إسلام الوجه لله ، فكل ما أمر به خير والالتزام به جميل وحميد ، وكل ما نهى عنه شر ، والوقوع فيه منكر وإثم عظيم . فإذا هناك رباط وثيق بين الأخلاق والعقيدة لو انحل هذا الرباط تخبطت الأخلاق وضلت السبيل"^(٣).

"ومما يؤكد الصلة الوثيقة بين الأخلاق والعقيدة آيات الكتاب الكريم التي ربطت بين الإيمان والعمل هذا الرباط المحكم ، وجعلت الفعل الصادر عن الإيمان انفعالاً للنفس بما ينبغي أن يكون فيفعل وبما لا ينبغي أن يكون فيترك ، فأصبحت تصرفات المسلم راسخة متشعبة الجذور محكومة بأخلاق إلهية سامية ، وأصبح الإيمان والإسلام كلاهما يعطي صورة الأخلاق القوية لمجتمع الإسلام"^(٤).

(١) تقنين الدعوة : ص : ٣٧ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٣٧ .

(٣) منهج القرآن في تربية المجتمع . د . عبد الفتاح عاشور ، ص : ١٨٠ ، مكتبة الناهي ، مصر ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ —

١٩٧٩ م .

(٤) المرجع السابق . ص : ١٨٣ .

الأخلاق والشريعة :

"إن الأخلاق هي الجانب التطبيقي للمسلم في سائر علاقاته ، والسمو بهذه العلاقات هو الهدف الأساسي للدين ؛ ولذلك فالعبادات المشروعة في دين الله أعمال مكررة من أجل أن يتعود فاعلها على الأخلاق الفاضلة ، ويتجنب الرذائل والمفاسد ، وآيات القرآن تُعبّر عن ذلك بوضوح"^(١).

"فالصلاة المشروعة الحقيقية: { تنهى عن الفحشاء والمنكر }"^(٢).

والزكاة للناس: { تطهرهم وتركّهم بها }"^(٣).

وفرض الصوم عليهم: { لعلكم تتقون }"^(٤).

والحج أعمال أخلاقية: { فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج }"^(٥).

وعلى هذا النحو يُرسم الإيمان وترسم العبادات أخلاق المسلم لأنها الهدف الأساسي من صنعائها للإنسان"^(٦).

وبالنظر إلى أحداث غزوة تبوك ؛ يمكن للدعاة استنباط الأخلاق الكريمة التي تمخّضت عن هذه الغزوة ، وهي كالتالي :

المطلب الأول :

الصبر.

في اللغة :

"الحبس والمنع"^(٧).

(١) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها . ص : ٢٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (٤٥) .

(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٠٣) .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٨٣) .

(٥) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٩٧) .

(٦) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٧ .

(٧) لسان العرب : (١ / ٤٣٨) . مادة صبر .

في الاصطلاح :

"حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش"^(١).

حقيقة الصبر :

"أنه خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"^(٢). "وهو قوة خلقية من قوى الإرادة ؛ تُمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشاق والآلام ، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع ، والسأم والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش ، والخوف والطمع ، والأهواء والشهوات والغرائز"^(٣).

فضل الصبر :

"وقد ذكر الصبر في : القرآن في نحو تسعين موضعاً . وهو واجب بإجماع الأمة . وهو نصف الإيمان ، فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر"^(٤). قال تعالى : { إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور }^(٥).

"ولهذا كان الصبر من الإيمان بمتلة الرأس من الجسد . ولا إيمان لمن لا صبر له . كما أنه لا جسد لمن لا رأس له"^(٦). والصبر ضياء للصابرين . فعن أبي مالك الأشعري — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " ... والصبر ضياء"^(٧).
"ومما يجلسو مكانة الصبر وشأنه ؛ أن الله تبارك وتعالى جعله من صفاته ، فالله جل"

(١) مدارج السالكين : (٢ / ١٥٥) .

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم ، ص : ١١ ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م

(٣) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها . عبد الرحمن الميداني : (٢ / ٢٩٣) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ —

١٩٧٩م .

(٤) مدارج السالكين : (٢ / ١٥٥) .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية : (٥) .

(٦) مدارج السالكين : (٢ / ١٥٣) . موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ١٩٦) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : فضل الوضوء : (١ / ١٧٢) ، حديث رقم : (٢٢٣) .

جلاله هو الصبور ؛ أي الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام والعقاب" (١).

والله تعالى مع الصابرين . قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٢).

وأخبرنا تعالى أنه يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . قال تعالى : { وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } (٣).

وتمدَّ سبحانه عباده الصابرين بالنصر والمدد . قال تعالى : { فإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَنَّةٌ صَابِرَةً يَتْلَبُوا سِتْرًا وَإِنْ

يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَتْلَبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٤).

وتعهد سبحانه بحفظ عباده من كيد الأعداء . قال تعالى : { وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَابِضْرَكُمْ كِيدَهُمْ

شَيْئًا } (٥).

ويوفي سبحانه الصابرين أجرهم بغير حساب . قال تعالى : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ } (٦).

وأكد سبحانه استحقاق الصابرين بدخول الجنة : { أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً

وَسَلَامًا } (٧).

كما أن صلوات الله ورحمته على الصَّابِرِينَ . قال تعالى : { ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } (٨).

حكم الصَّبر :

ينقسم الصَّبر بهذا الاعتبار إلى واجب ، ومحذور ، ومندوب ، ومحذور ومكروه ،

ومباح . والصَّبر الواجب ثلاثة أنواع :

- (١) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ١٩٦) .
- (٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٥٣) .
- (٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٤٦) .
- (٤) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٦) .
- (٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٢٠) .
- (٦) سورة الزمر ، جزء من الآية : (١٠) .
- (٧) سورة الفرقان ، الآية : (٧٥) .
- (٨) سورة البقرة ، الآيات : (١٥٥ — ١٥٧) .

أحدهما : الصَّبر على المحرمات .

والثاني : الصَّبر على أداء الواجبات .

والثالث : الصَّبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها .

وبالجملة :

فالصَّبر على الواجب واجب ، والصَّبر عن الحرام واجب وعليه حرام . والصَّبر على المستحب مستحبٌ وعنه مكروه ، والصَّبر عن المكروه مستحبٌ وعليه مكروه ، والصَّبر عن المباح مباح^(١) .

فضل الصَّبر :

"فضل الصَّبر آتٍ من أنه تعبير عن قوة الإرادة ، وعن كمال العقل ، والبعد عن الطيش والرعونة ، وتعبير عن الحكمة في معالجة مشكلات الحياة ، يضاف إلى ذلك أنه في مستواه الرفيع ثمرة من ثمرات الحياة ، وثمره من حكمته العظيمة في تصريف الأمور ، وامتحان عباده في هذه الحياة . وثمره من ثمرات الرضا عن الله فيما تجري به مقاديره"^(٢) ، "ولذلك كان الصَّبر ضياءً ، ويضاف إلى ذلك أيضاً أنه السلاح الأقوى الذي يُمكن صاحبه من إصلاح خصمه أو الظفر به ، وأنه أعظم خلق نفسي وضع موضع الابتلاء في ظروف هذه الحياة الدنيا"^(٣) .

ضرورة الصَّبر في الحياة :

"الصَّبر ضرورة في هذه الحياة ؛ فهو ضرورة لكل عمل نافع ؛ فكسب الرزق يحتاج إلى صبر ومعاملة الناس يحتاج إلى صبر ، والقيام بالواجبات ، والمستحبات يحتاج إلى صبر ، والكف عن المحرمات والمكروهات تحتاج إلى صبر ، والجهد في سبيل الله يحتاج إلى صبر ومفارقة شدائد الحياة ، ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر ، والدارسة

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين . ص : ٢٧ - ٢٨ . بتصرف .

(٢) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٢٩٥) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٢٩٥) .

والبحث العلمي والاجتهاد في استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية أمور تحتاج إلى صبر جميل ، فلا يقوم بها إلا كل صابر ، وكظم الغيظ والدفع بالتي هي أحسن تحتاج إلى حظ من خلق الصبر^(١).

"وخلق الصبر من الأسس العامة التي يرجع إليها مجموعة من الفروع والمفردات الخلقية المحمودة ، ويأتي في مقابل هذا الأساس خلق عدم الصبر ، وإليه ترجع مجموعة من النقائص الخلقية في السلوك الإنساني ، مثل سرعة التضجر ، وعدم التحمل ، والعجلة ، وسرعة الغضب ، وعدم الأناة ، وأشبه ذلك"^(٢).

يحتاج المسلم إلى الصبر في ثلاثة أحوال :

إحدهما :

قبل الشروع فيها بتصحيح النية والإخلاص وتجنب دواعي الريبة والسمعة وعقد العزم على توحيه المأمورية حقها .

الحالة الثانية :

الصبر حال العمل فيلازم العبد الصبر من دواعي التقصير فيه والتفريط ، ويلازم الصبر على استصحاب النية ، وعلى حضور القلب بين يدي المعبود ، وأن لا ينساه في أمره .

الحالة الثالثة :

الصبر بعد الفراغ من العمل ، وذلك من وجوه :

أ — أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله .

ب — أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها .

ج — أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، فإن العبد يعمل سراً

بيئته وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السر ، فإن تحدّث به نُقل إلى ديوان

(١) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (٢ / ٢٩٤) .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ٢٩٣) .

العلانية^(١). " والصبر وهو نوع سهولة يخفف على المبتلى بعض الثقل ، ويسهل عليه صعوبة المراد وهو الصبر لله ، وهو صبر المرادين ، فالصبر ثمرة التصبر ، وكلاهما محمود إذا كان لله وإنما يكون إذا كان بالله والله^(٢).

قال تعالى في الصبر به : { واصبر وما صبرك إلا بالله }^(٣).

وقال تعالى في الصبر له : { واصبر لحكم ربك }^(٤).

وفي الطريق إلى تبوك خرج الصحابة إلى الغزوة في شدة من الأمر في سنة مجدبة وحر شديد وعسرة من الماء والزاد ، فصبروا ولذلك سُمي الجيش بجيش العسرة ، عندما نفذت أزواد الجيش ، حتى هم بنحر بعض حمائلهم ، فقال عمر — رضي الله عنه — : " يارسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل ، فجاء ذو البريرة ، وذو التمر بتمره ، وذو النواة بنواه ، فدعا عليها حتى أن ملأ القوم أزودهم"^(٥). فصبر المسلمون وصمدوا وثبتوا وعانوا حتى أعانهم الله على ذلك وأثامهم بالأجر العظيم حتى وصلوا تبوك .

وصبر كعب — رضي الله عنه — على الابتلاء الذي أصيب به ، وابتلاه الله به هو وصاحبيه حينما تخلفوا عن تبوك ، حتى يتطهروا من لوثة المعصية ، فقد تعرض لألم نفسي عميق عندما غادر الجيش المدينة . يقول كعب — رضي الله عنه — في ذلك : " فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزني أي لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء"^(٦) .

ثم تعرض للهيم وصبر عندما علم بتوجه الرسول ﷺ إلى المدينة وكيف سيقابله ، وقد هداه الله ووفقه لالتزام الصدق . يقول كعب — رضي الله عنه — : " فلما بلغني أن رسول الله توجه قافلاً حضرتني همي ، وطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بماذا سأخرج من سخطه

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين . ص : ٥٦ .

(٢) طريق المحرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، دار الطبعة السلفية ومكبتها ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .

(٣) سورة النحل ، الآية : (١٢٧) .

(٤) سورة الطور ، الآية : (٤٨) .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٤٢ .

(٦) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

غداً^(١). وتعرض لمحنة هجر الرسول ﷺ والمسلمين له ولصاحبيه ، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وصبر على قسوة الهجر . يقول كعب — رضي الله عنه — في ذلك : " ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه . فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة " ^(٢) .

وتعرض أيضاً للامتحان عندما ابتلي بكتاب ملك غسان ليلحق به فصبر . قال كعب :
" فقلت لَمَّا قرأتها وهذا أيضاً من البلاء ، فيممت بها التنور ، فسجرتها " ^(٣) .

وعاهد كعب نفسه على الطاعة بالتزام الصدق طيلة حياته فصبر وصدق . يقول كعب — رضي الله عنه — : " فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث ، فقد ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ هذا ما أبلاني . والله ما تعمَّدتُ بعد ذلك إلى يومي هذا كذباً . وأني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت " ^(٤) .

وقد صبر رسول الله ﷺ على أذى المنافقين له حتى هموا بقتله وذلك برمييه من فوق ناقته من أعلى عقبه . وهكذا يتحلَّى خلق الصبر في هذه الغزوة وثمرته ليكون درساً للأجيال عبر الأزمان .

أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى :

الصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أهمِّ المهمات ، ومن أعظم الواجبات على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، والصبر وإن كان واجباً بأنواعه على كل مسلم ، فإنه على الدعوة إلى الله من باب أولى ، ولهذا أمر الله به سيِّد الدعوة وقُدوهم رسول الله — عليه الصلاة والسلام — قال تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ^(٥) . وقال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرُّسل ولا تستعجل

(١) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٤) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٥) سورة النحل ، الآيتان : (١٢٧ — ١٢٨) .

لحم { (١) } . وقال تعالى : { ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ مي المرسلين } (٢) .

فهذا سيد ولد آدم ﷺ قد أمره الله بالصبر واتباعه من باب أولى . والله عز وجل قد أوضح للناس أنه لا بد من الابتلاء ، والاختبار ، والامتحان لعباده وخاصة الدعوة إلى الله تعالى ؛ ليظهر الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق والصابر من غيره وهذه سنة الله في خلقه " (٣) ، قال سبحانه : { ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } (٤) . وقال عز وجل : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأوا أخباركم } (٥) .

وقد ذم الله عز وجل من لم يصبر على الأذى من أجل الدعوة إلى الله . فقال سبحانه : { ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل قنقه الناس كذابا لله ولئن جاء نصر من ربك ليقولنآ إنما كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين } (٦) .

ولهذا قال سبحانه : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء ووزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب } (٧) .

وقال تعالى : { ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب } (٨) (٩) .

وتبرز أهمية الصبر في الدعوة إلى الله عز وجل في عدة أمور منها :

"أن الصبر في مقام الدعوة إلى الله هو صفة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه

(١) سورة الأحقاف ، الآية : (٣٥) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٣٤) .

(٣) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي القحطاني . ص : ١٨٦ ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ —

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : (١ - ٣) .

(٥) سورة محمد ، الآية : (٣١) .

(٦) سورة العنكبوت ، الآية : (١٠) .

(٧) سورة البقرة ، الآية : (٢١٤) .

(٨) سورة آل عمران ، الآية : (١٧٩) .

(٩) مقومات الداعية الناجح . ص : ١٨٧ .

عليهم أجمعين ، ومدار نجاحهم فيها ، ولن يسعد الداعية بها كما سعدوا ويظفر فيها كما ظفروا إلا بالصبر والثبات ، ومثل من فقد الصبر والثبات كان كمن أراد السفر في البحر في غير مركب" (١).

"فخلق الصبر من الأركان الأساسية التي يجب أن يتحلّى بها الدعاة إلى الله وإلى كل حقّ وفضيلة بخلق الصبر ، فكل حامل لواء ودعوة لا يتحلّى بخلق الصبر محكوم عليه بالفشل ، ومحكوم عليه بعدم النجاح في تأدية رسالته ، وهذه سنة ثابتة من السنن التي يعرفها كل الدعاة الساجدين ، ولذلك كان الدعاة إلى الله من الأنبياء والمرسلين متحلّين بخلق الصبر في دعوتهم" (٢).

"والصبر يدعو المسلم عامّة والداعية خاصّة إلى عدم اليأس أو القنوط من رحمة الله تعالى مهما وجد من الناس إعراضاً ومهما قابله بالجحود والإنكار والرفض والسخرية والاضطهاد والتعذيب" (٣) . قال تعالى : { ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون } (٤).

ومن لوازم الصبر ترك العجلة في الوصول إلى ثمار الدعوة وترك استعجال الاستجابة ، ومن طبيعة البشر الاستعجال . قال تعالى : { وكان الإنسان عجولاً } (٥) . وقال : { خلق الإنسان من عجل } (٦).

"وخلق الصبر يُؤهل لمرتبة القيادة العامة وإمامة الدين ، وأحقّ بالتحلّي بخلق الصبر من يتصدى للقيادة العامة ، أو للإمامة الدينيّة ، وذلك لكثرة ما يتعرّض له من أمور تتطلب منه صبراً ، فإذا لم يصبر فشل وسقط من مرتبة القيادة أو الإمامة . وجعل الله الإمامة في الدّين موروثة بالصبر واليقين" (٧) . قال تعالى : { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا

- (١) هداية المرشدين . ص : ١٠٨ .
- (٢) الأخلاق الإسلامية، وأسسها : (٣١٦ / ٢) .
- (٣) المرجع السابق : (٣٢٠ / ٢) .
- (٤) سورة الحجر ، الآية : (٥٦) .
- (٥) سورة الإسراء ، جزء من الآية : (١١) .
- (٦) سورة الأنبياء ، الآية : (٣٧) .
- (٧) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٣١٤ / ٢) .

يوقنون^(١). وقال تعالى في صفات عباد الله : { واجعلنا للمتقين إماماً }^(٢).
 وإن بلوغ يوسف — عليه السلام — إلى مرتبة القيادة العامة قد كان مكافأة من الله
 له على ما كان منه من صبر وتقوى أهله خلق الصبر لبلوغ هذه المرتبة .
 والصبر ذو مقام كريم وخلق عظيم ، ولهذا قرنه الله بالقيم العليا في الإسلام ، ومن
 هذه القيم التي قرنه بها ما يأتي :

- قرنه باليقين : { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون }^(٣).
- وربطه تعالى بالشكر : { إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور }^(٤).
- وجمعه مع التوكل : { الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون }^(٥).
- وقرنه بالصلاة : { ... استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين }^(٦).
- وقرنه بالتقوى : { وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور }^(٧).
- وقرنه بالرحمة : { وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة }^(٨).
- وقرنه بالحق : { وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر }^(٩).

"كما أن الصبر سبب في حصول كل كمال ، فأكمل الخلق أصبرهم ، ولم يتخلف
 عن أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره ؛ فإن كمال الداعية بالعزيمة والثبات ، فمن لم
 تكن له عزيمة فهو ناقص ، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص ، فإذا
 انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل . ولهذا كان في دعاء الرسول ﷺ :

(١) سورة السجدة ، الآية : (٢٤) .

(٢) سورة الفرقان ، جزء من الآية : (٧٤) .

(٣) سورة السجدة ، الآية : (٢٤) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : (٥) ، سورة سبأ ، الآية : (١٩) ، سورة الشورى ، الآية : (٣٣) ، سورة لقمان ، الآية : (٣١) .

(٥) سورة النحل ، الآية : (٤٢) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (١٥٣) .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : (١٨٦) .

(٨) سورة البلد ، الآية : (١٧) .

(٩) سورة العصر ، الآية : (٣) .

" اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد " (١) . فشجرة العزيمة والثبات لا تقوم إلا على ساق الصبر " (٢) .

" وأمر الله رسول ﷺ بالثبات والصبر في مقام الدعوة إليه والصبر على ما كان يصيبه في الله من أذى المكذبين الجاحدين وقومه ، والافتداء في هذا الثبات بأولي العزم من الرسل " (٣) . قال تعالى : { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل } (٤) .

والداعية إذا صبر وثبت يكون من أهل العزم وأهل الصبر هم أهل العزائم . قال تعالى : { ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور } (٥) .

" وإذا كان الابتلاء مما قضت به سنة الله في الحياة ، فإن ابتلاء الدعوة إلى الله مما جرت به السنة الإلهية أيضاً ، فهم يُبتلون بأذى الكفرة والمارقين بالقول والكيد واليد " (٦) قال تعالى : { ولقد كُذِّبَتْ رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا نُبَدِّلُ لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين } (٧) . " لذلك فالصبر ضرورة للداعية ؛ وذلك أثناء مخالطة الناس والتعامل معهم ، فإذا كان الداعية يواجه المدعو فهو في حاجة إلى الصبر ، إذ قد يُمتحن الداعية ببعض المدعويين ، وهذا الامتحان والاختبار يتطلب من الداعية الصبر " (٨) . قال تعالى : { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً } (٩) .

(١) المسند : (١٠٣/٥) ، حديث رقم : (١٦٦٦) ، عن شداد بن أوس .

صحيح سنن الترمذي ، كتاب : الدعاء : (٤٤٣/٥) ، حديث رقم : (٣٤٠٧) .

(٢) طريق المحررتين وباب السعادتين . ص : ٢٤٨

(٣) هداية المرشدين . ص : ١٠٩ .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية : (٣٥) .

(٥) سورة الشورى ، الآية : (٤٣) .

(٦) أصول الدعوة . ص : ٣٥١ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية : (٣٤) .

(٨) صبر الداعية في ضوء دعوة نوح ، سعيد بن علي عسيري . ص : ٦٤ ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، المعهد العالي

للدعوة الإسلامية بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢هـ — ١٤٠٥هـ .

(٩) سورة الفرقان ، الآية : (٢٠) .

المطلب الثاني

الصدق

مفهوم الصدق :

"مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم ، وهو ضد الكذب"^(١).

قال الراغب الأصفهاني^(٢) — رحمه الله — : "الصدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً". ثم قال : والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً"^(٣).

وعرفه ابن القسيم — رحمه الله — فقال : "هو حصول الشيء وتمامه ، وكمال قوته ، واجتماع أجزائه"^(٤).

فضل الصدق :

للصدق فضل عظيم ، وثواب جزيل ، ومقام كريم ، ومما يدل على فضل الصدق ، وسمو منزلته ، وعلو مكانته ؛ أنه من خصائص أهل الإيمان والتقوى ، قال تعالى : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِتِينَ وَالصَّانِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفرةً وَأَجراً عظيماً }^(٥). فمن اتصف بهذه الصفات العظام وكانت لباسه وحليته فقد فاز .

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين ويلتزموا الصدق في كل الأحوال ؛ لأنه سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

(١) المعجم الوسيط: (١ / ٥١١) .

(٢) الراغب الأصفهاني : هو الحسين بن محمد بن الفضل ، أبو القاسم الأصفهاني ، أو (الأصبهاني) المعروف بالراغب . أديب من الحكماء العلماء . من أهل أصفهان . سكن بغداد ، واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي . من كتبه محاضرات الأدباء . والذريعة إلى مكارم الشريعة . والمفردات في غريب القرآن . وجامع التفسير ، والأخلاق ويسمى أخلاق الراغب . وغيرها . انظر : الأعلام (٢ / ٢٧٩) .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٢٧ .

(٤) مدارج السالكين : (٢ / ٢٦٧) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : (٣٥) .

الله وكونوا مع الصادقين }^(١).

وأخبر تعالى أن من صدَّقه فهو خير له . فقال : { فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم }^(٢) .
وأخبر تعالى عن أهل البرِّ ، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم : من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق فقال : { ولكن التبر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون }^(٣) .

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق . فقال : { ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويُعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم }^(٤) .

وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد ويُنجيه من عذابه إلا صدقه . قال تعالى : { هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم }^(٥) .

وأنعم على الصادقين بمعية النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين . قال تعالى : { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين }^(٦) .

والصدق طريق إلى الجنة ، كما أن الكذب طريق إلى النار . عن عبد الله — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : " إنَّ الصدق يهدي إلى البر وإنَّ البر يهدي إلى الجنة ، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً . وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار ، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً"^(٧) .

(١) سورة التوبة ، الآية : (١١٩) .

(٢) سورة محمد ، الآية : (٢١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٧٧) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية : (٢٤) .

(٥) سورة المائدة ، الآية : (١١٩) .

(٦) سورة النساء ، الآية : (٦٩) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : قول الله تعالى : { يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } . وما ينهى من

والكذب آية من آيات المنافق ، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " (١)

أهمية الصدق :

تحدث ابن القيم — رحمه الله تعالى — في هذا المقام حديثاً جيداً فقال :

"منها : عظم مقدار الصدق وتعليق سعادة الدنيا والآخرة ، والنجاة من شرهما به ، فما أنجى الله من أجه إلا بالصدق ، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب ، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ، فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (٢) .

وقد قسّم سبحانه الخلق إلى قسمين : سعداء وأشقياء ، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق ، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب ، وهو تقسيم حاصر مطرد ، منعكس ، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق ، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب. (٣) وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم ، وجعل علم المنافقين الذين تميزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم ، فجميع ما نعاه عليهم أصله الكذب في القول والفعل ، فالصدق : بريد الإيمان ، ودليله ، ومركبه ، وسائقه ، وقائده ، وحليته ، ولباسه ، بل هو لبه وروحه" (٤) .

والكذب : " بريد الكفر والنفاق ، ودليله ، ومركبه ، وسائقه ، وقائده ، وحليته ، ولباسه ، ولبه ، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد ، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطردهما أحدهما صاحبه ، ويستقر موضعه ، والله سبحانه أنجى الثلاثة بصدقهم ، وأهلك

-- صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : قبح الكذب وحسن الصدق وفضله : (٤ / ١٥٩٧) ، حديث رقم : (٢٦٠٧) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب ، باب : قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } . ص : ١٣٠٥ ، حديث رقم : (٦٠٩٥) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : خصال المنافق : (١ / ٧٨) ، حديث رقم : (٥٩) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١١٩) .

(٣) زاد المعاد : (٣ / ٥١٦ — ٥١٧) .

(٤) المرجع السابق : (٣ / ٥١٧) .

غيرهم من المخلفين بكذبهم ، فما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته ، ولا ابتلاء ببليّة أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده" (١) .

إذا "الصدق مقدمة لجميع أنواع الخير ، وهادٍ إلى ضروب البر ، ورادع عن التلبس بباطل القول والعمل ، ومنهج صاحبه من مواقف الخزي والعار وموروث أهله ثقة وكرامة وحسن أحواله ، ومراقبة لجانب الله سبحانه وتعالى فهو عنوان الشرف في الدنيا ، وجواز الرضا والقبول مع الآخرة ، وهو صيقل النفوس ، وجلاء الضمائر ، ودليل الشجاعة الأدبية" (٢) .

"إن الصدق بوصفه خلقاً ثابتاً في الفرد المسلم يعقد معان الروابط الاجتماعية ، فتتعدّد ثقة المجتمع ما يُحدّث به ، ويخبر عنه في مجال التاريخ والأخبار ، وفي مجال العلوم المختلفة ، وفي مجال المعاملات المادية والأدبية ، وفي مجال العهود والوعود والمواثيق ، ومتى انهارت في الفرد فضيلة الصدق انقطعت ما بينه وبين مجتمعه رابطة عظمى ، وغدا الناس لا يصدقونه فيما يقول ، ولا يثقون به فيما يُحدّث به أو فيما يعد فلا يكون إليه أمراً ، ولا يعقدون بينهم وبينه عهداً" (٣) .

مجالات الصدق :

أهم مجالات الصدق ثلاثة :

١ - الصدق في النية والقصد : « الإرادة » :

"ويرجع ذلك إلى الإخلاص ، وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلاّ لله تعالى ، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل" (٤) . ومتى حصل الصدق في القصد وتحقق الإخلاص أثمر ذلك عزيمة صادقة وإرادة ماضية ، فلا يتوانى الداعية الصادق عن المضي

(١) زاد المعاد : (٣ / ١٥٧) .

(٢) الخلق الكامل . محمد أحمد حاد المولى : (٣ / ١٠٧) . المطبعة العثمانية المصرية ، ط ١٠ ، ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

(٣) الأخلاق الإسلامية . وأسستها : (١ / ٣٠) .

(٤) إحياء علوم الدين : (٤ / ٣٨٨) .

في إيصال الحق والخير للناس يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ، يتعلم ويُعلم ، ويتوَّخَّى الحق والصدق أينما كان^(١).

٢ - الصدق في الأقوال :

"وذلك لا يكون إلا في الأخبار أو فيما يتضمن الأخبار وينبه عليه ، والخير ما يتعلق بالماضي أو المستقبل وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق ، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . والصدق في القول تعبير عن شخصية واضحة ، ومروءة وشهامة وكرم ، ولا يلجأ للكذب إلا لئيم الطبع خبيث النفس ، ضعيف الشخصية . وكمال صدق القول الاحتراز عن المعارض ، فقد قيل : (في المعارض مندوحة عن الكذب) .
وذلك لأنها تقوم مقام الكذب ، إلا أن في ذلك ما تمسُّ إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأحيان كالحذر من الظلمة ؛ وفي قتال الأعداء^(٢) .

أما في مجال الدعوة "فالحال كذلك ، فلا يدعو إلا على بصيرة ، ومعرفة بالحق ودليله، وبعد تبصّر وتفقه ، فالدعوة لا تصح إلا على بصيرة ، ولا يعظ الناس إلا بالصادق من القصص والأمثال ، ويتعد عن الكذب والدجل ، فدّين الله عز وجل مصدره الكتاب والسنة وفهم السلف لهما لا غير ، ومتى استبدل الداعية هذين المصدرين أي الكتاب والسنة فقد ضل سواء السبيل"^(٣).

٣ - الصدق في الأعمال :

"فيكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره ، فمخالفة الظاهر للباطن إن كان عن قصد سُمي رياء ، ويُفوت بها الإخلاص ، وإن كان عن غير قصد فيُفوت بها الصدق"^(٤). وصدق العمل للداعية : " فهو مطابقة الأقوال والأعمال للحق الذي يدعو إليه"^(٥).

(١) صفات الداعية . عبد الرب نواب الدين . ص : ١٣٢ - ١٣٣ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ،

وانظر: مقومات الداعية الناجح . ص : ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) إحياء علوم الدين : (٤ / ٣٨٨) . بتصرف .

(٣) صفات الداعية . ص : ١٣٣ .

(٤) المرجع السابق . ص : ١٣٤ ، وانظر: مقومات الداعية الناجح . ص : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٥) المرجع السابق . ص : ١٣٤ .

لقد مرَّ كعب — رضي الله عنه — بعدة مراحل تعرَّض فيها للابتلاء ليختبر الله صدقه :

أولاً :

تردد كعب — رضي الله عنه — هل يصدق الرسول ﷺ ، ثم وفَّقه الله وحفظه ، فصدق رسول الله ﷺ . يقول كعب : " فلماً بلغني أنه توجه فافلاً ﷺ حضرتي هم ، فطفقت أتذكر الكذب وأقول ماذا أخرج من سخطه غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلماً قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادماً زاح عني الباطل وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه " (١) .

ثانياً :

كاد كعب — رضي الله عنه — أن يقبل نصائح أقاربه بالكذب على رسول الله ﷺ ، ويُكذب نفسه فيهلك مع الهالكين فعصمه الله تعالى وحفظه . قال كعب : " وثار رجال من بنى سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلِّفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله مازالوا يُؤثِّبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي " (٢) .

ثالثاً :

نسى النبي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف فاجتنبهم الناس . " وهذا دليل على صدقهم وكذب الباقيين ، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب أما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر فدواء هذا المرض لا يعمل في مرض النفاق " (٣) .

رابعاً :

وفي إحراق كعب — رضي الله عنه — رسالة ملك غسان دليل على صدقه . يقول كعب — رضي الله عنه — عن مرسل ملك غسان : " حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه أما بعد : فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء فتيَّمت بها التنور

(١) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

فسجرتة بها" (١) .

خامساً :

أدرك — رضي الله عنه — بعد نزول توبة الله عليه فضيلة الصدق، ولذلك عاهد نفسه على التزام الصدق طيلة حياته، يقول كعب — رضي الله عنه — : " يارسول الله إن الله إنما يجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وإنِّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت" . ثم قال : " فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا" (٢) .

أثر الصدق في نجاح الدعاة :

للصدق آثاراً حميدة في حياة الدعاة ونجاح دعوتهم . ومن هذه الآثار ما يلي :

١ — " لا يخفى أن للصدق أثره البالغ في مسيرة الدعاة ، إذ يظهر الصدق في كلام الداعية ، وسمته ، ولهجته ، وحرارة عاطفته ، فيؤثر ذلك في المدعوين ، ويترك فيهم انطباعات عميقة بمصادقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها .

ولقد كان النبي ﷺ يُحدّث الذين يلقونه أول مرة فيقولون : والله ما هذا بوجه كذاب ولا بكلام كذاب! وإذا كان المسلم مطالب بالصدق في الأقوال والأعمال والمقاصد فلا جرم أن الدعاة إلى الله وهم صفوة المسلمين ، الصدق في حقهم ألزم وأوجب وأثبت" (٣) .

٢ — " وللصدق أثره الحميد في التآلف والتآزر والتوادد وتقارب القلوب ، على عكس الكذب الذي يفرس الضغينة ويرفع الثقة ويورث الريبة بفعل التلون والتغير وعدم الثبات الذي يتّصف به الكاذب ، ومن هذا المنطلق كان من لوازم الصدق ترك كل

(١) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) صفات الداعية . ص : ١٣٤ .

آفات اللسان كالهمز واللمز والقييل والقال وكثرة السؤال ، ومتى تألفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع فأمدته بالحياة . والنماء والبقاء ، ونمى في المجتمع كذلك الإيمان واستوثقت عراه" (١) .

٣ — "والصدق يزرع في النفوس الثقة والطمأنينة والراحة والأنس ، فيركن الناس إلى الدعوة الصادقين ويتقون فيهم وهم ويأمنونهم ، وتقوية هذه الرشائج بين الدعوة والمدعوين من أهم أسباب نجاح الدعوة ، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق على عكس الكذب ، ومتى وثق الناس في الداعية لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا له وقبلوا رشاده ، وحصل التواصل بينه وبينهم وهذه نعمة لا تقدر بثمن" (٢) .

المطلب الثالث

العدل

في اللغة :

"العدل ؛ ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور" (٣) .

في الاصطلاح :

العدل هو "القصد في الأمور ، وهو الإنصاف والمساواة بين الناس ، وهو الحكم بالاستواء ، وهو تحري المساواة والمماثلة بين الخصمين ، بأن لا يرجع أحدهما على الآخر بشيء قط" (٤) . "ومن أجل ذلك كان الميزان رمزاً لإقامة العدل" (٥) .

"ولقد صار العدل اسم من أسماء الله تعالى فهو الذي لا يميل به هوى فيجور في الحكم، ولفظ العدل أبلغ في الدلالة على صفة العدالة من لفظ العادل .

(١) صفات الداعية . ص : ١٣٤ — ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق . ص : ١٣٥ .

(٣) لسان العرب : (٤٣٠ / ١١) .

(٤) موسوعة أخلاق القرآن : (٢٢ / ١) .

(٥) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (٥٦٩ / ١) .

"وقد تكررت كلمة العدل بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم ، وقد يشير هذا التكرار ولو من ناحية المظهر على الأقل إلى عناية التزويل المجيد بالحديث عن العدل"^(١). "و غير القرآن الكريم عن العدل بثلاث كلمات هي : العدل والقسط والميزان"^(٢). "وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها : الصبر ، والعفة والشجاعة ، والعدل . ومنشأ جميع الأخلاق السافلة ، وبنائها على أربعة أركان : الجهل والظلم والشهوة والغضب"^(٣). "والعدل هو أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره ، وأحكام العدل وتطبيقاته ؛ إنما هي تنفيذ لما يقتضيه الحق"^(٤). "وهو مبدأ من المبادئ الأساسية في الإسلام ، وهو فضيلة باعتبار مقابلته لرذيلة الظلم وبه قامت السماء والأرض ، فلو كان شيء من موجودات العالم وأصوله زائداً على الآخرين أو ناقصاً عنه لم يكن منتظماً هذا النظام"^(٥). "والعدل لفظ عام يعني التوسط الذي هو سمة المسلمين ، وسمة أهل السنة والجماعة في الأمور كلها دون استثناء"^(٦).

"والإسلام دين العدالة وإذا كان لكل دين سمة فسمة الإسلام العدالة ، وميزان الاجتماع ، وبه يقوم بناء الجماعة وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم بالعدل لا بد أن ينهار مهما تكن قوة التنظيم"^(٧).

"والعدل في الإسلام شامل لكل شؤون الحياة ، والمسلم ملتزم به في كل ميادين حياته الروحية والمادية ، والعدل الحقيقي لا يُلتمس حقا في غير شرع الله تعالى الذي يمثله الإسلام إلى يوم القيامة ، لأن شريعة الله هي العدل"^(٨).

(١) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ٢٢) .

(٢) الأخلاق الإسلامية، وأسستها : (١ / ٥٦٩) .

(٣) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٤) . بتصرف .

(٤) الأخلاق الإسلامية، وأسستها : (٢ / ٢٩٤) . بتصرف .

(٥) تهذيب الأخلاق في الإسلام . د . عبد المقصود عبد الغني خيشة ، ص : ٦٧ ، دار الثقافة العربية ، مصر . القاهرة ،

١٤١٢هـ — ١٩٩١م .

(٦) من أخلاق الداعية ، سلمان بن فهد العودة . ص : ٣٨ ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١١هـ .

(٧) الدعوة إلى الإسلام . محمد أبو زهرة . ص : ٥٤ . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٢م .

(٨) تهذيب الأخلاق في الإسلام . ص : ٧١ .

"والعدالة في الإسلام مبدأ بارز ، يظهر هذا البروز في الأمر بها والحكم بين الناس بموجبها ، والالتزام بمقتضاها بالنسبة للقريب والبعيد ، والعدو والصديق ، وفي المحكمة والسوق ، وإدارة شؤون الدولة وفي البيت ، وحتى فيما يعطيه الأب لأولاده"^(١) .

ثم "إن تأكيد الإسلام على معاني العدل وضرورة الالتزام به والنهي عن الظلم ، وضرورة تجنبه ، تترتب عليه نتائج خيرة ؛ ذلك أن المجتمع الذي يشيع فيه العدل يحس أفراده بالاطمئنان على حقوقهم ؛ لأن القانون مع الحق ، وإن كان ضعيفاً ، لا مع المبطل وإن كان قوياً ، وبالعكس ذلك إذا شاع الظلم"^(٢) .

"والمجتمع العادل حيث يحرص الأفراد على بقاءه ورد الأعداء عنه ؛ لأهم يروونه كاليوم الذي يؤويهم فيكون هذا الحرب منهم عليه وبذل الجهد لبقائه سبباً لبقائه ، ولهذا قيل إن الدولة العادلة تبقى وإن كانت كافرة ، وإن الدولة الظالمة تفتى وإن كانت مسلمة ، ومن أجل هذا كله فقد قام المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام على معاني العدل والالتزام بها ، فما كان هناك ظلم ولا محاباة ولا إجحاف ، وإنما كان هناك العدل الصارم الذي يتساوى أمامه الشريف والوضيع"^(٣) .

"ولمَّا كان العدل والالتزام به من مقومات النظام الاجتماعي الإسلامي ، فإنَّ أيَّة شفاعة أو جهد يبذل لتعطيل سريان العدالة أو للانحراف بها عن مجراها المستقيم يُعتبر مما لا يجوز في شرع الإسلام"^(٤) . عن عائشة — رضي الله عنها — أن أسامة^(٥) كَلَّمَ النبي ﷺ في

(١) أصول الدعوة . ص : ٦٣ .

(٢) المرجع السابق . ص : ١١١ .

(٣) المرجع السابق . ص : ١١١ .

(٤) المرجع السابق . ص : ١١٢ .

(٥) أسامة بن زيد بن حارثة ، من كنانة عوف ، يقال له الحبّ بن الحبّ أمه أم أيمن مولاة رسول الله وحاضته على الإسلام ؛ لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً حمياً وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين . وهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة ، وأمره رسول الله ، قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، فكان مظفراً موقفاً . ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه ، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية ، فسكن المزه وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف ، في آخر خلافة معاوية . له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً . وفي تاريخ ابن عساکر أن رسول الله ﷺ استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر . انظر، الاستيعاب: (١/٧٥-٧٧) ، الأعلام: (١/٢٨١-٢٨) .

امرأة، فقال : " إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون الشريف ، والذي نفس محمد بيده ، لو فاطمة^(١) فعلت ذلك لقطعت يدها "^(٢).

ثم إن الله تعالى نهي عن الظلم وشدّد النكير عليه ، وتوعّد الظالمين ومن يساندوهم بالعذاب الأليم ، وحض على مقاومتهم ، ودعا إلى نصرّة المظلوم: قال تعالى : { ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً }^(٣).

وقال { إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم }^(٤).

وقال : { ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع }^(٥).

والظلم سبب مؤكد للعذاب : قال تعالى : { فأنزلنا على الذين ظلموا رجساً من السماء }^(٦).

ومما يدل على أهمية العدل ووجوبه ، أن الله تعالى نزه نفسه عن الظلم:

فقال تعالى : { وما أنا بظلام للعبيد }^(٧)، بل إن سبحانه حرّمه على نفسه ، فقد روى أبو ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادي ! إنّي حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً ، فلا تظالموا "^(٨).

(١) فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سيدة نساء العالمين ماعدا مريم بنت عمران . أمها خديجة بنت خويلد . وكانت هي وأم كلثوم أصغر بنات الرسول ﷺ . وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ . زوّجها من علي بن أبي طالب ، وكان سنّها يوم تزوّجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر في قول . وانقطع نسل الرسول ﷺ إلاّ منها ، وتوفيت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر، وهذا أصح ما قيل . وما روّيت ضاحكة بعد وفاة الرسول ﷺ حتى لحقت به ووجدت عليه وحداً عظيماً . كانت أول أهل رسول الله ﷺ لحوقاً به ، تصديقاً لقوله ﷺ ، قيل توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ، قيل كان عمرها تسعاً وعشرين سنة، وقيل ثلاثين، وقيل خمس وثلاثين ، انظر ، أسد الغابة : (٧ / ٢٣٨ — ٢٤٤) ، وتاريخ الصحابة . ص : ٢٠٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الحدود ، باب : إقامة الحدود على الشريف والوضيع ، ص : ١٤٣٤ ، حديث رقم ٦٧٨٧ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : (١٩) .

(٤) سورة الشورى ، الآية : (٤٢) .

(٥) سورة غافر ، جزء من الآية : (١٨) .

(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٥٩) .

(٧) سورة ق ، جزء من الآية : (٢٩) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم : (٤ / ١٥٨٣) ، حديث رقم : (٢٥٧٧) .

"وعلى هذا فإن الله تعالى عدل في أفعاله وعدل في حكمه وأفضيته فلا يظلم أحد"^(١) .
قال تعالى : { ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً }^(٢) . بل يقضى بالعدل والحق . قال تعالى : { وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون }^(٣) .

والعدل في الإسلام شامل لكل شؤون الحياة ، وهو كالآتي :

العدل في القول :

يأمر الله تعالى عباده بالعدل في القول ولا سيما مع الأقارب .
قال تعالى : { وإذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى }^(٤) .

العدل مع الأنفس والأقارب عند الشهادة :

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فإنه أول بما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً }^(٥) .

والعدل حين الإصلاح بين طائفتين متنازعتين من المؤمنين :

قال تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله }^(٦) .

العدل مع اليتامى :

قال تعالى : { وأن تؤمروا لليتامى بالقسط }^(٧) .

(١) تهذيب الأخلاق في الإسلام . ص : ٦٩ .

(٢) سورة طه ، جزء من الآية : (١١٢) .

(٣) سورة الزمر ، جزء من الآية : (٦٩) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : (١٥٢) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (١٣٥) .

(٦) سورة الحجرات ، الآية : (٩ — ١٠) .

(٧) سورة النساء ، الآية : (١٢٧) .

وقال تعالى : { وإن ختمت ألسنتهم في البياض فأنكحوا ما طاب لكم من النساء }^(١) .
وقال تعالى : { إن الذين يأكلون أموال البياض ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً }^(٢) .
العدل مع الزوجات :

قال تعالى : { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً }^(٣) .

ومن خاف من عدم العدل بين الزوجات فيكتفي بواحدة أو ما ملكت أيمانه : قال تعالى :
{ وإن ختمت ألسنتهم فلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم }^(٤) .

العدل بين الأولاد :

عن النعمان بن بشير — رضي الله عنهما — وهو على المنبر يقول : " أعطاني أبي عطية ،
فقال : عمرة بنت رواحة^(٥) : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ
فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، قال :
أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال : فرجع
فرد عطيته " ^(٦) .

العدل مع الأعداء :

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو
أقرب للتقوى }^(٧) .

العدل في الحكم والقضاء :

- (١) سورة النساء ، جزء من الآية : (٣) .
- (٢) سورة النساء ، الآية : (١٠) .
- (٣) سورة النساء ، جزء من الآية : (١٢٩) .
- (٤) سورة النساء ، جزء من الآية : (٣) .
- (٥) عمرة بنت رواحة : أخت عبد الله بن رواحة ، وهي أم النعمان بن بشير ، وهي التي سألت زوجها بشيراً أن يهب ابنها النعمان هبة دون أخوته . انظر ، أسد الغابة : (٢١٨ / ٨) .
- (٦) صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : الإشهاد في الهبة ، ص : ٥٣٧ ، حديث رقم : (٢٥٨٧) .
- (٧) سورة المائدة ، الآية : (٨) .

قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا }^(١).

وقال تعالى : { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }^(٢).

وقال : { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }^(٣).

العدل في الشهادة :

عند مراجعة النساء في شهور العدة . قال تعالى : { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }^(٤).

عند وصية عند الموت . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ }^(٥).

عند الكتابة . قال تعالى : { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ }^(٦).

العدل في الكتابة :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فليَمْلِكْ وَلِيهِ بِالْعَدْلِ }^(٧).

العدل في المكاييل والموازين :

(١) سورة النساء ، الآية : (١٠٥) .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٤٢) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (٥٨) .

(٤) سورة الطلاق ، الآية : (٣) .

(٥) سورة المائدة ، الآية : (١٠٦) .

(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٨٢) .

(٧) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٨٢) .

قال تعالى : { وأوفوا الكيل إذا كتمت وزنوا بالقسطاس المستقيم }^(١).

وقال : { وأوفوا الكيل والميزان بالقسط }^(٢).

وقد حذر شعيب — عليه السلام — قومه من الغش في المكيال والميزان .

فقال تعالى عنه : { ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير }^(٣).

وقال : { ويقوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط }^(٤).

لقد كان العدل هدف من الأهداف التي أرسل الله رسوله لإقامته بين الناس . قال

تعالى : { قد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط }^(٥).

"ولقد كان رسول الله ﷺ وهو نبي هذه الأمة ، وخاتم المرسلين بين الناس يحكم بالعدل ، وينفذه حتى ولو على نفسه ، فكان يعطي القود لأصحابه من نفسه ، ويحكم لهم بأن يتقوا منه"^(٦).

"والعدل في حقيقته صدق ورحمة ، فالذي لا يعدل بين الناس ليس صادقاً مع نفسه ولا مع الناس ، فلا ينصف المظلوم ولا يرحم الناس"^(٧).

"والعدل يوصف به الفرد كما يوصف به المجتمع ، وكما هو أساس الملك فهو أساس التعامل مع الجميع مع الضعيف قبل القوي ، مع الصغير قبل الكبير ، مع المعاهد والذمي مثل المسلم سواء بسواء ، وعلى كل من تولّى أمراً من شؤون المسلمين حاكماً أو أميراً أو نقر من المسلمين ، فمن أول واجباته العدل بين من يعول ، وبينهم وبين عامة الناس"^(٨).

"وكل علاقة إنسانية في الإسلام قامت على العدالة باعتبار الناس جميعاً سواء ، وإذا

(١) سورة الإسراء ، الآية : (٣٥) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١٥٢) .

(٣) سورة هود ، الآية : (٨٤) .

(٤) سورة هود ، الآية : (٨٥) .

(٥) سورة الحديد ، الآية : (٢٥) .

(٦) النظام السياسي في الإسلام . د . محمد عبد القادر أبو فارس ، ص : ٦٠ ، ١٩٨٠ م .

(٧) المرجع السابق ، ص : ٥٤ .

(٨) صفات الداعية المسلم . مصطفى الطحان . ص : ٢٢٠ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ —

كان هناك تفاضل بين الناس فبالأعمال الصالحة فقط ، دون النظر إلى جنسه أو لونه أو عرقه^(١). ومما يدل على أهمية العدل وأثره في حياة الناس " أنه يُمثّل دعامة رئيسية تستقيم بها أمور الناس في الحياة حتى ولو كانوا كافرين"^(٢) ، وتسير أمورهم في مسارها الصحيح ، وبه تطمئن النفوس إلى نيل حقوقها واستيفائها والوفاء بها ؛ "لأن القانون يكون مع الحق وإن كان ضعيفاً لا مع المبطل وإن كان قوياً"^(٣).

" كما يقضي على أسباب العداوة والبغضاء التي قد تتولد في النفوس نتيجة التنازع والتخاصم"^(٤)، "كما يعتبر من أقوى الدوافع التي تدفع الإنسان إلى السعي والإقدام على العمل بجدّ وإخلاص ومثابرة عليه ؛ وذلك لأن الفرد يعتقد إذا قامت الحياة في المجتمع على العدل أنّه يأخذ حقه كاملاً ، ويجني ثمرة جهده دون ظلم ، وهذا شأنه أن يدفعه إلى مضاعفة الجهد كي يزيد أجره ، وهذا بالتالي يؤدي إلى زيادة الإنتاج وتحقيق الرخاء للمجتمع"^(٥).

فالعدالة حق للأعداء كما هي حق للمسلمين ؛ وذلك لأن الإسلام دعوة إلهية جاءت لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله وإسعاد الإنسانية كلها في هذه الأرض بإقامة العدل"^(٦). "ولقد ألفت أعداء هذه الأمة وعرفوا حق المعرفة أن هذا الدين حين حكم في واقع الحياة ، لا يقرّ الظلم أبداً ، ويقف الحاكم المسلم يقيم العدل ، لا يقف في سبيله شيء ، لهذا كانوا يتركون حكامهم ، ويلجئون إلى الحكم الإسلامي إيماناً منهم بتراهته وعدالته"^(٧).

"فقد كانت أحوال إمبراطورية الروم مضطربة خاصة في بلاد الشام ، فقد كثر تدمير الناس من ظلم حكام الروم بإرهابهم بالضرائب ، لذلك أقبل كثير من القبائل العربية لحكم

(١) مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب والعلاقات الدولية والإنسانية . د . أبو بكر إسماعيل ميقا . ص : ٢٣ ،

مكتبة التوبة ، ١٤١٠هـ .

(٢) تهذيب الأخلاق في الإسلام . ص : ٦٨ .

(٣) أصول الدعوة . ص : ١١١ .

(٤) تهذيب الأخلاق في الإسلام . ص : ٦٨ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٦٨ .

(٦) مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب والعلاقات الدولية والإنسانية . ص : ٢٣ .

(٧) النظام السياسي في الإسلام . ص : ٥٦ .

الروم على اعتناق الإسلام"^(١).

ولذلك لما انتهى المسلمون إلى تبوك ، قدم إليه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وكتب له كتاباً ، كما صالح أهل جرباء وأذرح واتفق الطرفان على أن تدفع جزية كل عام ، وكتب لهم كتاباً^(٢) ، وصالح كذلك أهل دومة الجندل^(٣) . ولم يكره ﷺ أحداً من زعماء القبائل على الدخول في الإسلام .

"فالعدالة هي الميزان الذي يحدد به الإسلام العلاقات بين الناس في السلم والحرب ففي السلم يكون حسن الجوار قائماً على العدالة ، وكل العلاقات الإنسانية يحكمها ميزان العدل"^(٤).

"وإذا كان العدل سائراً في المجتمع الإسلامي على استقامة ووضوح ، فإن الإسلام ينتشر بنفسه بين أهل الذمة والمؤمنين في ديار الإسلام ، وتنتقل الأخبار إلى ديار الحرب ، فتمهد النفوس للإيمان حتى إذا حلّ المؤمن بها ، أزال عن القلوب ما بقي من غموض ، ورضخت العقول واستجابت النفوس ، والداعية العادل في معاملته مع الآخرين ، يكون ترجمة حيّة للإسلام ، وينظر إليه الناس وكأنهم يقرؤونه قرآناً"^(٥).

المطلب الرابع

التواضع

في اللغة :

التواضع : "التذلل والتخاشع"^(٦).

(١) الرسول القائد . محمود شيت خطاب ، ص : ٥٦ ، دار الفكر ، ط ٥ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

(٢) انظر ، سيرة ابن هشام : (١٦٥/٤ - ١٦٦) .

(٣) المرجع السابق : (١٦٧/٤) .

(٤) الدعوة الإسلامية : الوسائل والأساليب . محمد خير يوسف ، ص : ٨٢ - ٨٣ ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١٤١٤هـ -

١٩٩٣م .

(٥) المرجع السابق . ص : ٨٣ .

(٦) المعجم الوسيط : (١ / ١٠٤٠) .

في الاصطلاح :

التواضع : " هو إظهار التزل لمن يراد تعظيمه ، وقيل : تعظيم من فوقه لفضله" (١).
وحقيقة التواضع : " هو إلانة الجانب مع عزّة في النفس وإبائه للضميم . ومن التواضع
 عدم الافتخار بالآباء والأجداد ، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء" (٢).
 "فالتواضع من خير الخلال وأحبّ الخصال إلى الله وإلى الناس ، وهو موجب للرفعة
 وباعث على التآلف ، ومحقق للحب والود" (٣).
 وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتواضع للمؤمنين . قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من
 المؤمنين ﴾ (٤).

ومدح الله المتواضعين من عباده. فقال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾
 " أي بسكينة ووقار مع غير جبرية ولا استكبار" (٥).
 والمؤمنون يتواضعون فيما بينهم . قال تعالى : ﴿ أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴾ (٦).
 وقد أمر الرسول ﷺ أمته بالتواضع :
 عن عياض بن حمار — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " وإن الله أوحى
 إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد" (٧).
 وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال رسول الله ﷺ : " ما نقصت صدقة من مال وما زاد
 الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه" (٨).

- (١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١١ / ٣٤٩) .
 (٢) صفات الداعية . د . حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ، ص : ٥٧ ، دار إشبيلية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ —
 ١٩٩٦ م .
 (٣) المرجع السابق ، ص : ٥٧ .
 (٤) سورة الشعراء ، الآية : (٢١٥) .
 (٥) سورة الفرقان ، الآية : (٦٣) .
 (٦) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٥٤) .
 (٧) صحيح مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار
 : (٤ / ١٧٤٢) ، حديث رقم : (٢٨٦٥) .
 (٨) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : استحباب العفو والتواضع : (٤ / ١٥٨٨) ، حديث
 رقم : (٢٥٨٨) .

وعن أنس — رضي الله عنه — قال : قال ﷺ : " حقُّ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه " (١).

من تواضع الرسول ﷺ :

" وكان ﷺ هيناً المؤمنة ، لين الخلق ، كرم الطبع جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساماً ، متواضعاً من غير ذلّة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم ، خافض الجناح للمؤمنين لين الجانب لهم " (٢) .

وقد كان النبي ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم ، عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — " أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم ، وقال : كان النبي ﷺ يفعلهم " (٣) .

وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنتطق به حيث شاءت . فعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : " كانت الأمة (٤) من إماء أهل المدينة ، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ تنطلق به حيث شاءت " (٥) .

وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله . عن الأسود — رضي الله عنه — قال : " سألت عائشة — رضي الله عنها — : ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله — تعني خدمة أهله — فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة " (٦) .

وكان ﷺ يحب الدعوة ، ويقبل الهدية حتى ولو كانت قليلة . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : " كان النبي ﷺ يقول لو دعيت إلى ذراع — أو كراع — لأجبت ، ولو أهدني إلى ذراع أو كراع لقبلت " (٧) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : ناقة النبي ﷺ ، ص : ٦٠٦ ، حديث رقم : (٢٨٧٢) .

(٢) مدارج السالكين : (٣١٣ / ٢) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الاستئذان ، باب : التسليم على الصبيان ، ص : ١٣٣٤ ، حديث رقم : (٦٢٤٧) .

(٤) كناية عن المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل ، والأمة دون الحرّة ؛ حيث عمّم بلفظ الإمامة أي أمة كانت . انظر ، فتح الباري : (٥٠٦ / ١٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الكبر ، ص : ١٣٠١ ، حديث رقم : (٦٠٧٢) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج . ص : ١٥٢ ، حديث رقم :

(٦٧٦) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب : القليل من الهبة . ص : ٥٣٣ ، حديث رقم : (٢٥٦٨) .

"والتواضع إنما يصدق إذا كان عن قدرة ، أمّا إذا رغب الإنسان أو رهب أو خاف من شخص فذلّ له وانكسر معه ، فليس ذلك التواضع في شيء . وليس من التواضع إهمال العناية بمظهر الإنسان"^(١) . فمن التواضع: "طيب الحديث ، والتبسّم في وجه الناس ، والرفق بهم ، وعدم مواخذتهم بزلاتهم ، وتهذئة روعهم إذا فزعوا ، والتواضع يُمكن الدعاة من جمع الأنصار ويُحبّتهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم ، ويتأسون بأفعالهم ، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير ، والضعيف والقوي ، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع"^(٢) .

"والتواضع أحد الصفات الأساسية التي تساعد على المعاشرة الحسنة ؛ لأن المتواضع يعيش مقدراً لنفسه وللناس مقدراً من الآخرين ، ومن هذا المنطلق لا يبدو متعالياً قطّ ، ولا يكون وضعياً أبداً ، ويحسّ أن المساواة الأصلية هي الروح المسيطرة فيألف ويؤلف ، ويأنس ويؤتنس به إذا لزم الداعية بالتواضع اقترب من الناس ؛ لأن دعوته في حاجة إلى صلة مستمرة بهم ، وبالتالي يكون قريباً إلى قلوبهم وأرواحهم"^(٣) .

"كما أنّ من طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أنّهم ينفرون من المتكبر ، ويفلقون قلوبهم دون كلامه وإرشاده ، فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ، والداعية إلى الله لا يكون سبباً لنفور الناس من دعوة الحق"^(٤) .

وقد كان الرسول ﷺ في تواضعه مع أصحابه حيناً لينا ، وهو قدوة الدعاة في تواضعه ، فعندما تأخّر الرسول ﷺ في تبوك عن صلاة الفجر لانشغاله بالوضوء ، "فانتهى إلى القوم وقد قاموا في الصلاة يصلي بهم عبدالرحمن بن عوف ، وقد ركع بهم ركعة ، فلما أحس بالنسي ﷺ ذهب يتأخر ، فأوماً إليه فصلى بهم"^(٥) ، فالرسول ﷺ أدركهم وهم يصلون فصلى خلف عبد الرحمن بن عوف وأصر ﷺ على إكمال الصلاة خلفه ، مما يثبت تواضعه

(١) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ٧٥) .

(٢) صفات الداعية . ص : ٥٧ .

(٣) الدعوة الإسلامية : أصولها ووسائلها . ص : ٤٥٦ .

(٤) القدوة الحسنة . حسني إبراهيم حرار . ص : ٢٠ ، دار الضياء ، عمان ، الأردن ، ١ ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

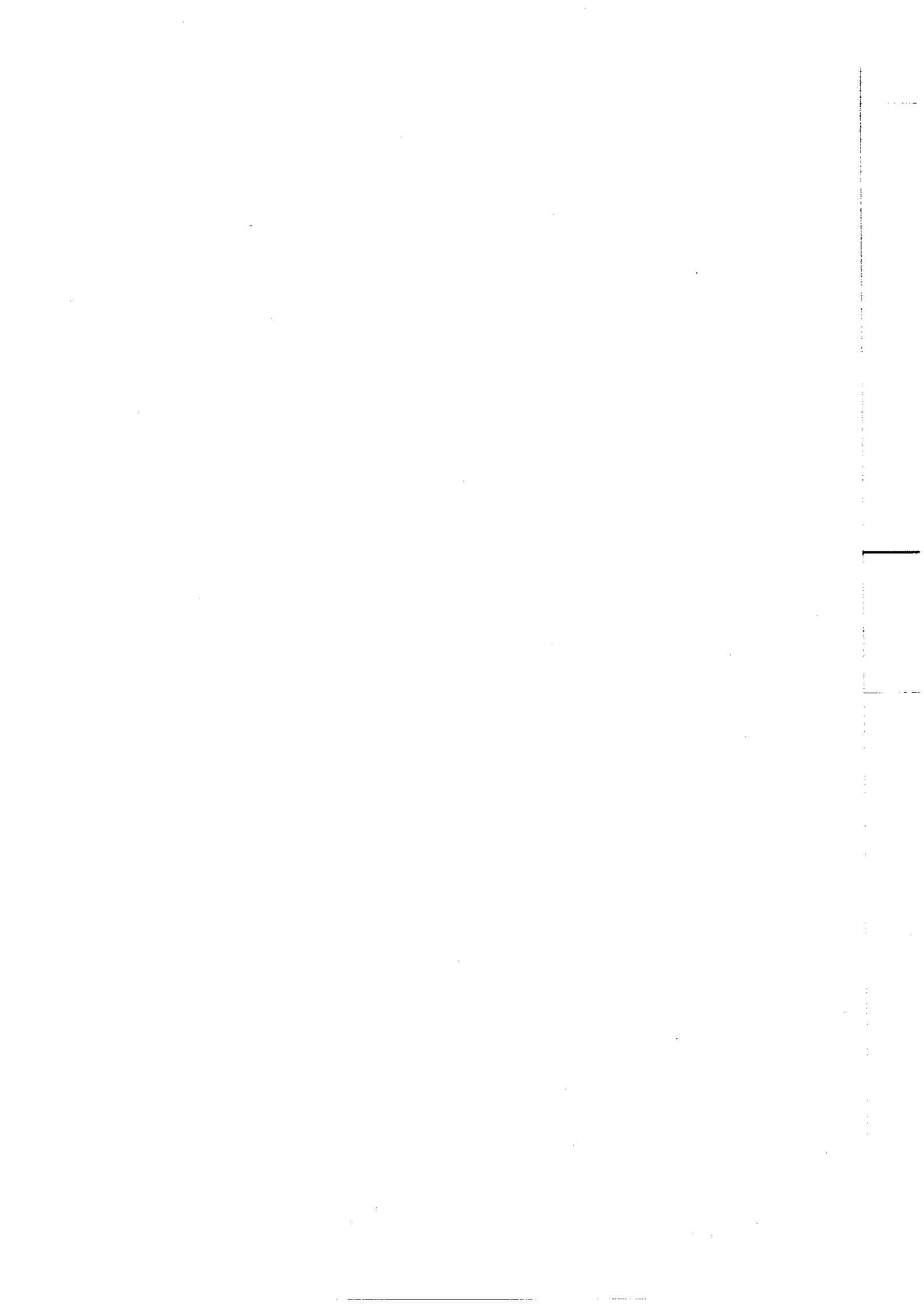
(٥) سبق تخريجه ، ص : ٤٥-٤٦ .

الجم. وقد كان من تواضعه ﷺ : أنه عندما تاب الله على كعب - رضي الله عنه - سلم عليه رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وقال له: "أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك" (١).

"فالتواضع يجعل الداعية محبوباً في قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم ، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح ، فالكبر يشكل جداراً وحاجزاً بين الداعية والناس ، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه" (٢).

(١) سبق تخريجه، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) صفات الداعية . ص : ٦٠ .



الفصل الثاني

الدروس الدعوية المتطقة بإعداد الدعاة

توطئة :

الداعية في اللغة :

"هو القائم بالدعوة ، واسم فاعل من دعا يدعو ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة ، فيقال عمن عُرف بالدعوة داعية" (١).

أما في الاصطلاح :

فالداعية؛ " هو المبلِّغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه" (٢).

وقد قال الله تعالى عن رسوله : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً } (٣) .

والدعوة وظيفة كل مسلم . قال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } (٤) .
والدعاة إلى الله هم القائمون مقام النبي ﷺ في الإنذار من بعده . قال تعالى : { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ } (٥) .

وهم النائبون عنه في التبليغ إتباعاً لأمره . قال ﷺ : " أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ " (٦) .
ومن صفات الدعاة أنهم من أحسن الناس قولاً . قال تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٧) .

وقد جعل الله القيام بالدعوة من صفات المؤمنين في قوله : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

(١) المعجم الوسيط : (٢٨٦ / ١) . مادة دعا .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٤٠ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : (٤٥ - ٤٦) .

(٤) سورة يوسف ، الآية : (١٠٨) .

(٥) سورة الرعد ، جزء من الآية : (٧) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . ص : ٤١ ، حديث رقم : (١٠٥) .

(٧) سورة فصلت ، الآية : (٣٣) .

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... }^(١).

"والداعية إلى الله وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يعمد إلى إعداد المدعوين ، وتربيتهم تربية تصقل فيهم الصفات التي أهلتهم للانضمام إلى ركب الدعوة ، وتنمية هذا المدعو لتنمية هذه الصفات تنمية طيبة .

وإنَّ جهد الداعية في هذا المجال جهد عظيم ، فهو سيضحي بوقته وبجهدته وبماله وبراحته ، وذلك من صميم ما يطلب من الداعية في كل مرحلة من مراحل الدعوة .

والداعية الواعي يختار لكل واحد من المدعوين أو مجموعة منهم ، النمط الملائم لهم من أنماط التربية ، إذ ليست هناك أنماط بعينها ، تُفرض على الداعية استخدامها"^(٢)، في مرحلة معينة .

"وإذا الداعية قد استكمل أهلية الدعوة إلى الله — من إعداد الدعاة وضرورة توفر الصفات اللازمة للدعاة — فقد استعد لها الاستعداد ، الذي يمكنه من أن يعرف غيره ، ويبلغه بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقاً وسلوكاً ومنهجاً ونظاماً"^(٣).

والرسول ﷺ كان قد أتمَّ إعداد الدعاة من صحابته ، وفي تحليهم بالصفات المناسبة على أفضل وجه حتى حملوا رسالة الإسلام في كل مكان . و نستشف ذلك من أحداث غزوة تبوك ضمن نطاق المبحثين التاليين لهذا الفصل :

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة .

المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة .

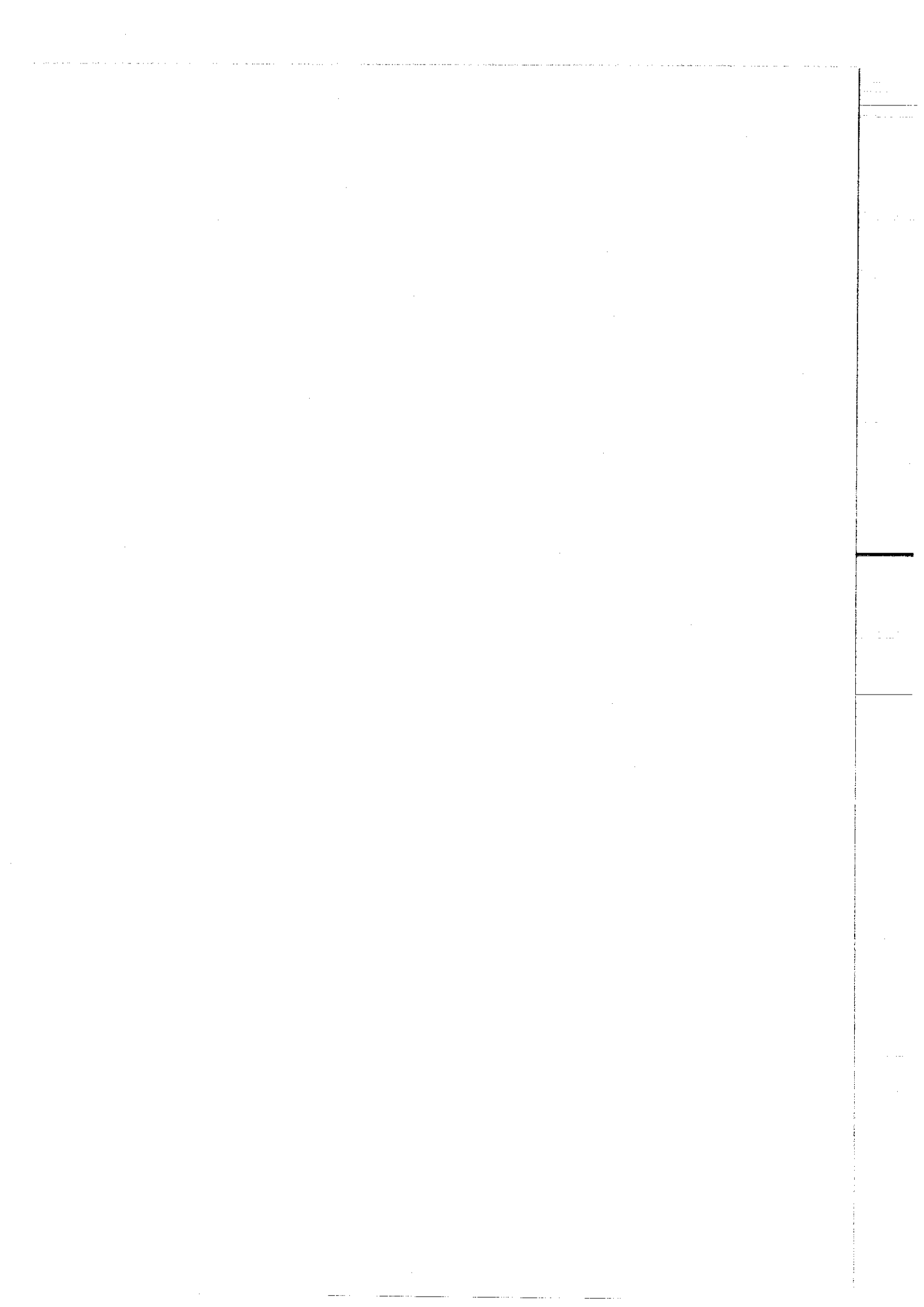
(١) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٧١) .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ٣٠٥) .

(٣) المرجع السابق : (١ / ٣١١) .

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة



المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلّقة بإعداد الدعاة

توطئة :

"لقد تعهد الرسول ﷺ بإعداد المدعو وربطه بالدعوة والداعية ربطاً وثيقاً ، أخوةً في الله ، وحباً فيه ، ثم تعهّد هذا المدعو لتربيته وفق منهج الإسلام في التربية والإعداد ، وهو منهج يستوعب كل جوانب الشخصية ، ويتعهدا بالنماء والاستقامة . و جوانب الشخصية هي : الجانب الروحي ، والجانب العقلي ، والجانب البدني ، والجانب الأخلاقي والسلوكي والاجتماعي ، تربية كل هذا الجوانب والجوانب الأخرى وفق منهج الإسلام . وهذا الإعداد والتربية يُعدّ المسلم ؛ للقيام بكل عمل ، يتطلبه منه الإسلام ، في أي مجال من مجالات الدعوة"^(١) .

"إن الله سبحانه وتعالى قد ربّى رسله جميعاً ؛ بالتعهد والإعداد ، قبل أن ينبئهم ويكلفهم بالرسالات ؛ وكثيراً ما عبّر القرآن الكريم عن فترة الإعداد والتربية والتعهد بقوله تعالى عن موسى — عليه السلام — : { ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين }^(٢) .

وقال تعالى في شأن يوسف — عليه السلام — : { ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين }^(٣) .

وعبّر القرآن الكريم أحياناً ، عن هذا التعهّد والتربية والإعداد بقوله تعالى : { وألقيتُ عليك حبة مني ولصنع على عيني }^(٤) .

(١) فقه الدعوة إلى الله . د . علي عبد الخليم محمود : (١ / ٢٢٥) بتصرف يسير ، دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م .

(٢) سورة القصص ، الآية : (١٤) .

(٣) سورة يوسف ، الآية : (٢٢) .

(٤) سورة طه ، الآية : (٣٩) .

"وَبَلُوغِ الْأَشَدِّ الَّذِي وَرَدَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ مَعْنَاهُ ؛ أَتَمُّ بَلُوغًا مِنْ تَعَهْدِ اللَّهِ لَهُمْ وَتَرْبِيَتِهِ وَإِعْدَادِهِ ، الْحَدِّ الَّذِي جَعَلَهُمْ أَهْلًا لِتَحْمِيلِ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَمَا يَتْرَبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَوَاجِهَةِ لِلنَّاسِ ، وَمَحَاوَلَاتٍ لِنَقْلِهِمْ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى .

وَالدَّعَاةَ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ تَعَاهَدَهُمْ وَرَبَاهُمْ وَأَعَدَّهُمْ سِوَاهُمْ ، لِحَمْلِ أَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ وَمَوَاجِهَةِ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، هَوْلَاءِ الدَّعَاةِ ، هُمُ الْقَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَتَعَاهَدُوا غَيْرَهُمْ ، وَيُرَبِّوهُمْ وَيَعْدُوهُمْ . وَهَذَا مِنْ أَقْرَبِ طَرِيقِ النِّجَاحِ بِإِذْنِ اللَّهِ" (١) .

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ رَبَّى صَحَابَتَهُ تَرْبِيَةً فَرِيدَةً مِنْ نَوْعِهَا ، ثُمَّ تَعَمَّقَتْ هَذِهِ التَّرْبِيَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ؛ خَاصَّةً وَأَمَّا آخَرُ غَزَوَاتِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَبِالتَّالِيِ يُمْكِنُ اسْتِنْبَاطُ وَاسْتِنْتِاجُ دُرُوسًا مُهِمَّةً فِي إِعْدَادِ الدَّعَاةِ .

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ٢٢٦) .

المطلب الأول :

تعاهد فئات معينة من الدعاة بالإعداد والتربية :

يعجز الفرد الواحد مهما أوتي من طاقات ومزايا أن يحيط بكل المهام ؛ ولذلك فلا بد أن يتولى الداعية بعض ما يستطيع الدعوة إليه ، ثم يستعين ببعض إخوانه لإكمال ما تبقى من الخطوات لكي يكون عضواً نافعاً في المجتمع ، ويتحمل مسؤولية الدعوة^(١) . ومن ثم يترى المدعو على الاهتمام بالدعوة وأمورها ، ويساهم في تخفيف العبء عن كاهل الداعية ، حتى لا يؤدي ذلك إلى خلل في الإعداد والتربية نتيجة لعدم قيام من لديه كفاءة في ذلك ، ولذلك كان لابد من استكمال النواقص في المدعوين قدر المستطاع .

وقد اختار النبي ﷺ الأشخاص الذين توسم فيهم الاستجابة للدعوة ، ثم تعهدهم بالتربية والإعداد وكان ﷺ يُقوم أخطاءهم ويوجههم للصواب ، حتى حملوا راية الدعوة من بعده ﷺ .

ومن أبرز مظاهر إعداد النبي ﷺ لصحابته ، وتنمية شخصياتهم القيادية والدعوية؛ اهتمامه ببعض الفئات الهامة في المجتمع، كالشباب:

وذلك باستقطاب فئات جديدة وصالحة وقوية ، وإعدادها دينياً واجتماعياً ، حتى تكون أهلاً لحمل مسؤولية الدعوة إلى الله ، وإعطاؤها الفرصة كي تتفوق وتنتج ، حتى لا تهدر طاقتها أو تستترف ، أو تتعثر وتشتت .

" فالشباب في كل أمة هم عمادها ، وعصبها ، وقادتها ، وثروتها . ويعتبر الشباب في أي أمة المصدر الأساسي لنهضتها ، والدَّرْع الواقى الذي تعتمد عليه — بعد الله — في الدفاع عن كيانها ، والذوذ عن حياضها . كما يعتبر مصدر التغيير الثقافي والاجتماعي ككل ، ويمتاز بالحماس والحيوية والطاقات الفتّاقة . فعملية الدعوة والإصلاح والقتال تحتاج إلى طاقات الشباب لصيرهم على الأذى"^(٢) . حيث لا يمكنهم القيام بها إذا شاخوا وهرموا .

(١) الدعوة الفردية . أهميتها ، حالاتها ، عوامل نجاحها ، صالح بن يحيى صواب . ص : ٦٣ ، ط ١ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩١ م ، الرياض .

(٢) المرجع السابق . ص : ٦٤ .

ومن مظاهر عنايته ﷺ بالشباب : تكليفهم بالأعمال الحساسة ، كحمل راية القتال ، فقد كان زيد — رضي الله عنه — يحمل راية بني عمرو بن عوف ، ومعاذ — رضي الله عنه — يحمل راية بني سلمة وحمل الراية العظمى الزبير بن العوام-رضي الله عنه- ، ورفع راية الأوس أسيد بن الحضير-رضي الله عنه- ، ولواء الخزرج أبي دجانة-رضي الله عنه. واستخلافه ﷺ الشباب ؛ فقد استخلف على المدينة محمد بن مسلمة وعلى أهله علي بن أبي طالب .

المطلب الثاني :

مراعاة مقومات من يصلح لتقديمه في شؤون المسلمين :

"يعدّ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من أهم أسباب نجاح الأعمال ، وتحقيق الأهداف . ويقوم هذا النجاح على أساس الموازنة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذي سيتولّى القيام بهذا العمل ؛ وبالتالي يمكن استغلال إمكانيات الأفراد أفضل استغلال مما يرفع من مستوى الكفاءة في تحقيق الأهداف والنتائج المرجوة" (١) .

"وكان ﷺ يُذكر أصحابه بأفضل ما فيهم من صفات ويغضّ النظر عما يعانونه من نواقص بشرية ، ويذكر أصحابه بأفضل ما فيهم ؛ وبذلك يبيّن الرجال ولا يحطّم الرجال ، وهذا يدل على معرفته ﷺ الدقيقة برجاله الأذكياء والأكفاء منهم ، ويختار لكل كفاء من الواجبات ما يحقق المصلحة على يديه ، وهذا الاختيار — أيضاً — يدل على ثقة النبي ﷺ بهم، ومعرفته باختيار الرجل المناسب في المكان المناسب" (٢) .

"وكان الرسول ﷺ يعرف أن من بين أصحابه شجعاناً مغاوير ، فكلفهم بواجبات تحتاج إلى الشجاعة . وكان ﷺ يعرف أن من بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي بسيط . فكلف كل واحد منهم بواجب يستطيع إنجازه ، وأنجزوا مهامهم بكل كفاءة

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ ، ص : ١١٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الرسول القائد . ص : ٤٤٢ ، بتصرف .

ونجاح^(١). وقد حرص الرسول ﷺ في غزوة تبوك على تعيين قادة جيشه تبعاً لشجاعتهم وإقدامهم وحنكتهم الحربية . وقد وفق ﷺ في اختيار قادته الأفاضل لحملة الأولوية والرايات .
وحينما أراد الرسول ﷺ أن يبعث بسرية من جيش تبوك لمقاتلة أكيدر دومة الجندل ،
اختار لقيادتها خالد بن الوليد لمعرفته بما لديه من حنكة ودهاء وشجاعة وإقدام تقتضيها تلك المهمة .

"وعندما أراد ﷺ أن يبعث رسله برسائله إلى الملوك ، كان يختار من أصحابه من لهم هيئة وعليهم جلال ووقار ، وفيهم جرأة وشجاعة ؛ وذلك لأنهم رسله إلى ملوك الأرض ، فإذا لم يكونوا كذلك لم تكن لسفارتهم عند الملوك مهابتها ، وكان الالتفات إليهم قليلاً ، والاستماع لهم نادراً ، وعندئذ تضيع الفائدة ، ولا يتحقق المطلوب"^(٢) . وقد توفرت هذه الصفات في دحية بن خليفة الكلبي ، مبعوث الرسول ﷺ إلى هرقل ، والذي قد أدى مهمته على أكمل وجه .

وكان ﷺ يحرص على اختيار الأفراد المناسبين لحفظ الأسرار ، فكان حذيفة بن اليمان عند حسن ظنه ﷺ ، حيث كان معروفاً بأنه شديد الكتمان لا يفشي سره لأحد .
كما استخلف الرسول ﷺ على أهله علي بن أبي طالب في المدينة ، لثقتهم به ، ولأنه فرد من آل البيت .

ويلاحظ أن تولي المهام في زمن الرسول ﷺ كان يعتمد على أساس التفوق في حفظ القرآن الكريم ، فقد كان زيد بن ثابت — رضي الله عنه — يحمل راية بني عمرو بن عوف ، لأنه أحفظهم للقرآن .

والداعية الفطن يستفيد من طاقات الأفراد وكفاءاتهم ، وخبراتهم ومميزاتهم ، ويضعها في المكان المناسب حتى تصبح في موقعها منتجة ومتفاعلة ومعطاءة .
وهكذا يكون وضع الرجل المناسب في المكان المناسب على أساس الموازنة بين متطلبات العمل وقدرات الأفراد .

(١) الرسول القائد . ص : ٤٤٢ .

(٢) القيادة والجندي في الإسلام . د . محمد السيد الوكيل : (٢ / ١١٨) . دار الوفاء ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ —

المطلب الثالث

التربية على الشعور بالمسؤولية

"كون الإنسان مسؤولاً ؛ أي مطالباً بالوفاء بالعهد ، وبالقيام بالواجب خير قيام ، فأصل هذا المعنى هو السؤال للمحاسبة في يوم الحساب . قال تعالى عن الكافرين : { وقفوهم إنهم مسؤولون }^(١) ؛ أي وقفوهم فلا بد من سؤالهم ومحاسبتهم على أعمالهم"^(٢) .

والمسؤولية : " استعداد فطري ، وهي المقدره على أن يلزم المرء نفسه أولاً ، والقدرة على أن يفى بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة ، فإذا أخذت بهذا المعنى الرحب ، لم تكن سوى سمة من السمات المميزة التي يأخذها الإنسان من جوهر ذاته"^(٣) .

والأنبياء — عليهم السلام — هم أعظم الخلق مسؤولية ، وقد أدوا رسالتهم على أكمل وجه ولهذا قال عز وجل لهم : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ }^(٤) .

وقد قام الرسول ﷺ بواجب المسؤولية تجاه الإسلام خير قيام ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، وأخذ الصحابة من بعده ﷺ هذه المسؤولية ، والشعور بالتبعية العظيمة وأحسنوا أداءها والقيام بها على أحسن وجه^(٥) .

ولذلك فالمسؤولية تشمل جميع الناس ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته . فالإمام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، ألا فكلُّكم راع وكلُّكم مسؤول"^(٦) .

"فهذا الحديث عام ، بينما ، يُؤكد مسؤولية كل إنسان عن أعماله التي ينبغي أن يرفع

(١) سورة الصفات ، الآية : (٢٤) .

(٢) الهادي إلى لغة العرب . حسين سعيد الكرمي : (٢ / ٢٩٩) ، دار لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١هـ — ١٩٩٩م .

(٣) دستور الأخلاق في القرآن . محمد عبد الله دراز . ص : ١٣٧ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٦٧) .

(٥) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله . ص : ٧١ . إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة . دار الدعوة ، الكويت . ط ٢ ،

١٤١٢هـ — ١٩٩١م .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : { قوا أنفسكم وأهليكم نارا } . التحريم . الآية : (٦) ، ص : ١١٣٩ ،

حديث رقم : (٥١٨٨) .

مستوى أدائها حتى تبلغ درجة واجباته"^(١). "وعلى ضوء هذا الحديث ، فالمسؤولية في الإسلام ذات شقين :

مسؤولية خاصة : تتصل بخاصة النفس ، وما يترتب حيالها من ثبات وتكاليف فردية .
ومسؤولية عامة : تتجاوز النفس إلى الناس والمجتمع ، وما يترتب عليها كذلك في هذا النطاق من أعباء ومهمات"^(٢) .

"وحمل المسؤولية ينشأ عن الثقة بالنفس وجرأة القلب ، أما الفرار من المسؤولية مع القدرة على احتمالها والكفاية فيها فهو دليل ضعف الذاتية وخور العزيمة . وبمقدار ما في المرء من ميل إلى حمل المسؤولية والتعرض للأخطار يكون حب الناس له والتفافهم حوله"^(٣) .
"وهذا الشعور بالمسؤولية يُرَبِّي في نفس الإنسان الوعي واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق ، وعدم الاستسلام للأهواء ، والعدالة والبعد عن الظلم والبغي ، والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشؤونه"^(٤) .

والصحابة — رضوان الله عليهم — عندما أمرهم الرسول ﷺ بالاستعداد لغزو الروم ، في تلك الظروف الصعبة من مشقة الطريق وشدة الحر والجوع ، لم يتهربوا من مسؤولية القتال ، ولم ينتحلوا الأعذار للتخلُّص من الواجب ، كما فعل المنافقون بل رَوَّضوا أنفسهم على تحمُّل المسؤوليات والقيام بالواجبات من غير تردد أو إحجام .

وعندما أمر الرسول ﷺ بمقاطعة كعب — رضي الله عنه — وصاحبيه ، وهجرهما ، شعر المجتمع المسلم آنذاك بالمسؤولية الكاملة والمشاركة للمقاطعة والهجر .

وكذلك عندما كلف الرسول ﷺ بعض أصحابه بأعمال القيادة أو الاستخلاف أو المراسلة تحمَّلوا المسؤولية بكل ثقة وكفاءة، وجرادة واقتدار .

"فالشعور بالمسؤولية أمر لا بد منه ؛ لكل داعية نذر نفسه لله ولرسوله ولدينه ، وبناءً على ذلك يتحرك في هذه الحياة بمقدار ما يحمله من مسؤولية ؛ لأن حياة الداعية هي التحرك

(١) صفات الداعية المسلم . ص : ٢٥ .

(٢) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله . ص : ٨٩ .

(٣) الخلق الكامل : (٣ / ٤٦٤) .

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . عبد الرحمن النحلاوي . ص : ٣٦ ، دار الفكر ، ط ١ ،

في هذه الحياة بمقدار ما يحمله من مسؤولية ، كما أن حياة الداعية هي التحرك للإسلام لا القعود ولا الهمود" (١) .

"والداعية المسؤول لا ينتظر التكاليف الدعوي لينهض بالأعباء والمسؤوليات ؛ إنما تتولد في أعماقه شعور فطري بالمسؤولية ، ويجري في عروقه إحساس رباني بالتكليف ، وبالتالي يكون متكيفاً مع كل ما يناط به من أعمال ، مستعداً لتنفيذ كل ما يكلف به من مهمات في حدود الطاعة ، فيحسّ بإحساس رباني بعظمة التكاليف وأعباء المسؤولية فيقوم بأدائها خير أداء" (٢) .

المطلب الرابع :

الابتلاء من سنن الله

الابتلاء :

لغة :

"الاختبار والامتحان، والبلاء يكون في الخير والشر" (٣) ، كما قال تعالى : { ونبلوكم بالشر والخير فتنة } (٤) .

وقيل : "البلاء يكون حسناً ويكون سيئاً ، وأصله المحنة ، والله عزّ وجلّ يبلو عبده بالصفح الجميل ليمنحه شكره ، ويبلوه بالبلى التي يكرهها ليمتحن صبره" (٥) .

الألفاظ المقاربة للمصطلح أو لها علاقة بها :

الفتنة : " وتأتي بمعنى الاختبار والامتحان ، كما أنها تأتي بمعانٍ أخرى كالإضلال" (٦) .

(١) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله . ص : ٧١ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٦٩ . بتصرف .

(٣) لسان العرب : (١٤ / ٨٤) .

(٤) سورة الأنبياء ، جزء من الآية : (٣٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : (١ / ٣٨٧) .

(٦) لسان العرب : (١٣ / ٣١٧) .

قال تعالى : { فإنكم وما تعبدون . ما أتم عليه بفاتنين . إلا من هو صال الجحيم }^(١).

الحنة : بمعنى التصفية والتهديب"^(٢) كما قال تعالى : { أولئك الذين امتحن الله قلوبهم }^(٣).

وتأتي بمعنى: "الاختبار"^(٤) . كما في قوله تعالى : { إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن }^(٥).

الخلاصة : " أن كلمات الابتلاء والحنة والفتنة تشترك في معنى الامتحان والاختبار ، كما أن بعضها قد تتضمن معاني لا يتضمنها آخر"^(٦).

"إن طريق الدعوة مليء بالابتلاءات الدعوية ؛ وهي الأذى الذي يلحق بالدعوة واتباعها عموماً نتيجة الصراع بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان"^(٧) . والله عز وجل لا يخلق شيئاً عبثاً ولا يقدر أمراً سدى سبحانه وتعالى . قال تعالى : { وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لacey . لو أردنا أن نتخذ لهما لآخذناه من لدنا إن كنا فاعلين }^(٨).

"وإذا كان الابتلاء مما قضت به سنة الله في الحياة ؛ فإن ابتلاء الدعاة إلى الله مما جرت به السنة الإلهية أيضاً ، ولقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخضع الدعاة لصنوف من الاختبارات الشاقة ، ولا تصل الجماعة المؤمنة إلى تحقيق أهدافها إلا مروراً بالابتلاء " . قال تعالى : { ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }^(٩).

"إن الابتلاء سنة العقائد والدعوات ، إذ لا بد من بلاء ومن أذى في الأموال والأنفس ، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام ؛ لأنه الطريق الموصل إلى الجنة ، عن أنس بن مالك —

(١) سورة الصافات ، الآيات : (١٦١ — ١٦٣) .

(٢) لسان العرب : (٤٠١ / ١٣) .

(٣) سورة الحجر ، جزء من الآية : (٣) .

(٤) لسان العرب : (٤٠١ / ١٣) .

(٥) سورة المتحنة ، جزء من الآية : (١٠) .

(٦) السرائد : (دروس في التربية) . مازن بن عبد الكريم : (١٠ / ١) ، دار المتكلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨١ —

١٩٩٨ م .

(٧) الابتلاءات والحن . محمد عبد القادر أبو فارس ، ص : ٤١ ، بتصريف ، دار التوزيع ودار الفرقان ، عمان ، الأردن .

(٨) سورة الأنبياء ، الآيات : (١٦ — ١٧) .

(٩) سورة العنكبوت ، الآيات : (١ — ٣) .

رضي الله عنه قال : قال ﷺ : " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " (١) .
 إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل الدعوة وتنهض بتكاليفها ،
 ولا يصبر على ذلك إلا أولو العزم الأقوياء " (٢) . قال تعالى : { وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم
 الأمور } (٣) .

"ولا بدّ من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كي تعزّ على نفوسهم بمقدار
 ما أدوا في سبيلها من تكاليف ، والتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعزّ به العقيدة في
 نفوس أهلها قبل أن تعزّ في نفوس الآخرين " (٤) .

"والابتلاء يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها في بوتقة الألم فيصفو
 عنصرها ويضئ ، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية ، فتتألأ حتى في أعين أعدائها
 وخصومها ، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا كما وقع " (٥) . قال تعالى : { تلبون في أموالكم
 وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً } (٦) .

"إن الله قد وضع الابتلاء ليكشف المجاهدين ويتميزوا ، وتصبح أخبارهم معروفة ،
 ولا يقع الالتباس في الصفوف ، ولا يبقى مجال الخفاء أمر المنافقين ولا أمر الضعاف
 الجزعين " (٧) . قال تعالى : { ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب .. } (٨) .
 "وإن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم ، قيّض لهم الأسباب التي
 يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم لطغيانهم ومبالغتهم في أذى المؤمنين " (٩) . قال تعالى :
 { وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين } (١٠) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها : (٤ / ١٧٢٤) ، حديث رقم : (٢٨٢٢) .

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢١٩) . بتصرف .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : (١٨٦) .

(٤) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢٢١) . بتصرف .

(٥) في ظلال القرآن : (٢ / ٢١٨ - ٢١٩) .

(٦) سورة آل عمران . جزء من الآية : (١٨٦) .

(٧) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢٢٢) .

(٨) سورة آل عمران جزء من الآية (١٧٩) .

(٩) زاد المعاد (٣ / ١٩٩) .

(١٠) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٤١) .

"إنَّ الابتلاء يجعل لدى الدعاة قوة احتمال على مواجهة الصعاب لكثرة إجراء الابتلاء عليهم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمن كمثل الخامة^(١) من الزرع حيث أتها الرياح كفاً^(٢) ، فإذا اعتدلت تكفاً بالبلاء"^(٣).

"وإعداد المؤمن وتربيته ليكون جندياً في دعوة الله لا يتفلت؛ إنها التربية على الانضباط، وكظم الغيظ، والتحلي بالصبر، وهذه التربية لا تكون إلا من خلال معاناة في الميدان"^(٤).

"والابتلاء يربط بين المؤمنين بعضهم ببعض برباط عقلي وعاطفي؛ إذ بالابتلاء تصل عقول المؤمنين إلى حقيقة البناء الإسلامي المتراص، وإن الابتلاء يعطي هذا قوة وصلابة، وإن الذين يبتلون من أجل إيمانهم إنما يسهمون بأعز ما يملكون من النفس والمال والأهل والأوطان"^(٥).

"ثم إن الشدائد تستجيش مكنون القوى ومدخور الطاقة، وتفتح في القلوب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا عمّت مطارق المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب، عندئذ تلتجئ إلى الله وحده"^(٦).

"وحين يتلي الله تبارك وتعالى أناساً ويصبروا ينالون من المكافأة والرفقة عند الله تبارك وتعالى، فيكون هذا حافزاً للمؤمنين أن يصبروا ويصابروا ويتحملوا كما صبروا أولئك المؤمنون حقاً، فنالوا الرضا والقبول والرضوان والنعيم المقيم في الآخرة"^(٧).

"والنفوس تكسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك

(١) الخامة : بالخاء المعجمة ، وتخفيف الميم : وهي الطاقة الطرية اللينة أو الغضة أو القضية ، أو الخامة : الزرع أول ما ينبت على ساق واحد . انظر، فتح الباري : (١٠ / ١١١) .

(٢) كفاً : بفتح الكاف والمهزة أي أمالتها . انظر، المرجع السابق : (١٠ / ١١١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرضى . ص : ١٢٢٧ ، حديث رقم : (٥٦٤٤) .

صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم . باب : مثل المؤمن ومثل الكافر كشجر الأرز : (٤ / ١٧١٦) ، حديث رقم : (٢١٠٩) .

(٤) الابتلاء والمحن في الدعوات . ص : ١٣٧ .

(٥) قواعد الدعوة إلى الله . ص : ٨٣ .

(٦) طريق الدعوة في ظلال القرآن ، ص : ٢٢٢ .

(٧) الابتلاء والمحن في الدعوات . ص : ٣٩ .

عن جدّها في سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد بها ربها مالكتها وراحمها كرامته ، قيّض له من الابتلاء والامتحان ما يكون وراء ذلك المرض العائق عن السير الخيِّث إليه" (١).

"إنّ المتبلى في الظروف الحرجة يتجه كلية إلى ربه يسأله الثبات على الطريق ، وهزيمة العدو، وإنّ الابتلاءات التي تصيب المؤمن ويصير عليها سبب لتطهيره من السيئات . قال تعالى : { وليبحص الذين آمنوا } (٢) ؛ أي تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس" (٣). فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ، ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفر الله بها من خطاياها " (٤).

"وقد هيأ الله سبحانه وتعالى لعباده منازل في دار كرامته ، لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلاّ بالبلاء والمحنة ، فقيّض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هم من جملة أسباب وصولهم إليها" (٥).
والابتلاء وسيلة لدخول الجنة لمن صبر . قال تعالى : { أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } (٦).

"واستخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون ، فهم عبيده حقاً ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية" (٧).

(١) زاد المعاد : (٣ / ١٩٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية جزء من الآية : (١٤١) . .

(٣) زاد المعاد : (٣ / ٢٠٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : المرضي ، باب : ما جاء في كفارة المرضي ، ص : ١٢٢٧ ، حديث رقم : (٥٦٤١) -

(٥٦٤٢) .

صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : ثواب المؤمنين فيما يصيبه من مرض أو حزن : (٤ / ١٥٨٢) ،

حديث رقم : (٢٥٧٣) .

(٥) زاد المعاد : (٣ / ١٩٨) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (١٤٢) .

(٧) زاد المعاد : (٣ / ١٩٨) .

"وإنَّ الابتلاءَ من شأنه أن يَنْقَى النفوسَ من الشوائبِ ، والقلوبَ من الرِّياءِ ، والعملَ من الشُّركِ ، ويوجِّهها نحو الإخلاصِ ، بل يصهرها في بوتقة الإخلاصِ ، بحيث تبتغي في قولها وعملها رضا الله تبارك وتعالى وثوابه"^(١).

والحنَّة من أهم عوامل التكوين والاختبار في الإسلام ، وقد لا يكون للتكوين النظري قيمة ما لم تشترك فيه عوامل الشدة والبلاء .

١ — وقد تعرض كعب — رضي الله عنه — لحنَّة الابتلاء في صدق الحديث ، منذ خروج الرسول ﷺ من المدينة . وتخلّفه فيها ، بدأ — رضي الله عنه — يعد نفسه لحنَّة الصدق وعند قدوم الرسول ﷺ المدينة جلس كعب بين يدي الرسول ﷺ ، فقال له : " ما خلّفك ، ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ فقال كعب : بلى وإني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عليّ ، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتكَ حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله عني " . حتى قال كعب بعد نزول التوبة عليه : " فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك إلى يومي هذا كذباً"^(٢) .

٢ — وقد تعرض كعب — رضي الله عنه — لحنَّة الهجر . حيث هجره الرسول ﷺ وصحابته الكرام — رضوان الله عليهم . يقول كعب — رضي الله عنه — : " ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلّف عنه فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي الأرض ، فما هي بالتي أعرف"^(٣) .

٣ — أيضاً قد تعرّض — رضي الله عنه — لحنَّة أخرى ، وهي حنَّة الثبات والصمود والولاء والإخلاص ، وذلك عندما جاءه مبعوث ملك غسان برسالة يدعو فيه للانضمام إليهم ، يقول كعب — رضي الله عنه — عندما قرأ الرسالة : « فالحق بنا نواسك .

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيمنت بها التنور فسحرتها " (١) .

٤ — ثم امتحن — رضي الله عنه — برفاق السوء . يقول كعب — رضي الله عنه — : " وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤتّبوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك . قال : فوالله ما زالوا يؤتّبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي " (٢) .

٥ — ثم امتحن — رضي الله عنه — برفاق زوجته عنه بأن يعتزها ولا يقرها . يقول كعب — رضي الله عنه — فقلت لامرأتي : " الحقني بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر " (٣) .

وهكذا واجه كعب — رضي الله عنه — الابتلاءات والامتحانات الواحدة تلو الأخرى نتيجة تخلفه عن غزوة تبوك، وماذا إلا ليكون درساً للمؤمنين في الصبر على الابتلاءات ومقاومتها والتغلب عليها .

والإيمان بحاجة إلى الحنة لسيرغوره وإدراك مداه ، فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد ساعة العسرة ، وقد عانى المسلمون وهم في طريقهم إلى تبوك العديد من المشاق والآلام من شدة الجوع والعطش والحرق ومشقة الطريق وبعده ، حتى هموا بنحر إبلهم ليرتووا من مائها ويأكلوا من لحمها .

" وإن من طبيعة الطريق أنه طريق طويل شاق بعيد المراحل ، كثير العقبات ، فلا بد أن يوطن الداعية نفسه على الصبر الجميل والنفس الطويل ، ويوقن أنه قد يموت دون رؤية النصر ، حسب أنه سار في الطريق ، ومات وهو فيه ؛ فإن أيقن الداعية ذلك فلن يتعجل قطف الثمار قبل أوانها " (٤) .

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٤) من ركائز الدعوة . د . مجدي الهلالي . ص : ٢١٥ ، دار البشير للثقافة والعلوم الإنسانية ، طنطا ، مصر ، ط ، ١٤١١

"فقد لا يتحقق النصر والتمكين في كل جيل ، وقد يتحقق شيء منها يسير ، أو شيء كثير ، وذلك بمقدار ما يبذله الدعاة من جهود وتضحيات وصبر ومصابرة" (١) .
"فوقت النصر يحده الله تعالى بعلمه للغيب حتى يكون الدعاة قد أعدوا أنفسهم إعداداً يليق بحمل هذه الرسالة" (٢) .

"وقد يخطر اليأس من النصر والتمكين ببال الدعاة ، وهذه من أخطر النتائج لهذه المحنة، ولكن من سنن الله تعالى هزيمة الباطل وجيوشه ، فمهما طالت حياة الباطل فإنها جولة ما تلبث أن تنقضي وتملك ويكون هلاكها غير للآخرين" (٣) .

المطلب الخامس :

الاهتمام بالإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله

"تقوم أية معركة على ركيزتين أساسيتين : الرجال والسلاح ، فالرجال هم عدة الحرب ، والسلاح هو القوة التي يعتمد عليها الرجال ، ولهذا فإن كافة الجهود التي تبذل قبل خوض أية معركة تستهدف إعداد الرجال وتجهيز السلاح اللازم" (٤) ؛ "ولأن القتال يحتاج إلى قوة الجندي المعنوية فإن السلاح يبقى مشلولاً ما لم يجد اليد الحاذقة ، والعقل المدبر الذكي والنفس المؤمنة الشجاعة الواثقة في النصر . ولذلك فإن الرسول ﷺ كان يهتم بالمقاتلين مادياً ومعنوياً ، وكان يتولاهم بهذا الإعداد المستمر والتهيئة لخوض معارك الجهاد في كل حين ، وأدوا الواجب بأعلى كفاءة وفي كل الظروف مهما كانت عصيبته" (٥) .

والإسلام يُربِّي المجتمع على حب الجهاد ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار هذه الأمة لتلك المهمة . قال تعالى : { وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من

(١) المصطفى من صفات الدعاة . عبد الحميد البلالي : (٢ / ٧٦) ، دار الدعوة ، الكويت ، ط ٥ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ .

(٢) المرجع السابق : (٣ / ٧٩) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ١٢٠) .

(٤) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ . محمد فرج . ص : ٦٤١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م .

(٥) الإسلام والحرب ، أبو لبابة حسين ، ص : ٥٣ ، دار اللواء ، الرياض ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

حج { (١) .

كما أنه يُعَـرِّف مفهوم الموت بالنسبة للشهداء فهم ليسوا أمواتاً بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا يعطي المسلمون قوة دافعة تدفعهم للقتال . قال تعالى : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون } (٢) .

والقتال في الإسلام عبادة لأنه في سبيل الله . قال تعالى : { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً } (٣) .

"وقد جاءت جميع الآيات والأحاديث التي جاءت مشتملة على ذكر فضل القتال والمقاتلين ، ومترلة الشهداء عند الله ، وبيان ما أعده لهم من الفضل ، والتكريم نجدها جميعاً تهدف إلى شحن القلوب ، وتعبئتها" (٤) .

والإسلام يُعدّ المسلمين الإعداد المعنوي الكامل عن طريق الصلة الدائمة بالله والتمسك بقيم الإسلام وبوضوح الهدف من القتال ، واختيار أعداء الإسلام وتأكيـد أن النصر ليس غاية في ذاته ثم التحريض على القتال واختيار القائد الكفاء للمعركة" (٥) .

ومن خلال غزوة تبوك ، نجد أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يُعدّ جيشه الإعداد المناسب لمواجهة الروم في عقر دارهم ، " وكانت مواجعتهم تتطلب إعداداً مادياً ومعنوياً ، فهم يُمثّلون أمام عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم من قبل ، فجموعهم كبيرة وأسلحتهم عتيـدة ، ودرايتهم بالحرب كبيرة ، وقدراتهم القتالية وفيرة .

ومن الأسلحة المعنوية: التحريض على القتال ، وذلك يجعل المقاتلين يفهمون أسباب المعركة والدوافع إليها والنتائج المترتبة على النصر أو الهزيمة" (٦) . ولذلك ندب رسول الله ﷺ

(١) سورة الحج ، الآية : (٧٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : (١٦٩ — ١٧٠) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (٧٦) .

(٤) أضواء على التربية في الإسلام ، علي القاضي ، ص : ١١٨ ، ط ١ ، دار الأنصار بالقاهرة ، ١٤٠٠ — ١٩٧٩ م .

(٥) المرجع السابق . ص : ١٠٩ .

(٦) المرجع السابق : ص : ١٢٤ .

الناس إلى الخروج ، وبعث إلى مكة وإلى القبائل العربية يستنفرهم ويحرضهم على القتال ، وآثار فيهم روح الجهاد في سبيل الله لمقاومة العدو^(١).

وقد عاتب القرآن الكريم المؤمنين الذين تباطؤوا . بقوله : { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اتقوا في سبيل الله إتأقتم إلى الأرض أراضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل }^(٢).

وقد طالبهم القرآن الكريم بأن ينفروا شباناً وشيوخاً وأغنياء وفقراء ، بقوله : { اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون }^(٣).

وحثهم ﷺ على النفقة ورغبتهم في البذل والإنفاق في سبيل الله . فقال : " من جهز جيش العسرة فله الجنة "^(٤) ، فسارع أغنياء الصحابة وفقراؤهم إلى تقلم الأموال وضربوا أروع ألوان التضحية والبذل ، وتكاثر الراغبون في الجهاد على رسول الله ﷺ ييغون الظهر والنفقة حتى لم يبق لديه شيء ، وعندما لم يجد فقراء الصحابة عند الرسول ﷺ ما يحملهم عليه رجعوا وهم سيكون أسفاً وحزناً على ما فاتهم من الأجر والثواب في الجهاد ؛ لذلك فقد رفع الرسول ﷺ من معنوياتهم ، حيث قال ﷺ عنهم : " إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا يارسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر "^(٥) .

" وخرج رسول الله ﷺ في جيش كثيف يزيد عن الثلاثين ألفاً ، يتقدمهم عشرة آلاف فارس في مشهد مثير يستولي على المشاعر ، ويشهد به القلوب ، ويثير العزائم "^(٦).

"ثم سار الرسول ﷺ إلى تبوك وأعطى القادة الألوية والرايات ؛ لكي يرفع روح الفريق في الجيش وفي وحداته ؛ لأنها تبت في نفوس الأفراد الفخر والاعتزاز بالانتماء ؛ ولذلك تطبق جميع الأمم هذا المبدأ "^(٧).

"وقد رفع الرسول ﷺ من معنويات أصحابه بتكليفهم ببعض الأعمال القتالية البسيطة

(١) انظر، السيرة النبوية: (٣/ ١٥٥-١٥٦) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٣٨) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٤١) .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٢٩ .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٧ .

(٦) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: (٢ / ٤٩٧) .

(٧) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٢٧ .

التي تكون فرصة النجاح فيها أكثر من غيرها ، كقيادة خالد بن الوليد لمقاتلة أكيدر دومة الجندل ؛ وذلك لكي يزيلوا من نفوسهم عوامل الرهبة والخوف والتردد ، ويغرسوا فيهم الثقة في قدراتهم القتالية" (١) .

وكان ﷺ يعلم أهمية الدعاء في رفع الروح المعنوية ، فقد كان ﷺ كثيراً ما يتوجه إلى الله تعالى في غزواته يستلهمه السداد والعون والنصر ويستلهمه الفرج عند اشتداد الكرب .

"وقد دعا ﷺ للجيش عندما توجه إلى تبوك عندما جهد جهداً شديداً ، من قلة الظهر وشدة الجوع والعطش والحر ، حتى نحروا رواحلهم ليشربوا ماءها ويأكلوا لحمها" . فقال عمر يارسول الله: لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل ، فجاء ذو البر بیره ، وذو التمر بتمره، وذو النواة بنواه، فدعا عليها، حتى أن ملأ القوم أزودهم" (٢) ، فدعا لهم ﷺ ببركة الزاد فبارك الله لهم به . كما سأل الله المطر لهم فأمطرت وارتوتوا ، ودعا للإبل أن تنشط عندما جهدت فنشطت ، حيث قال ﷺ : "اللهم احملهم عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف ، وعلى الرطب واليابس في البر والبحر" (٣) حتى جعلت تنازعهم أزمته . "فالدعاء من أهم الوسائل المعنوية لتقوية الروح المعنوية ، حيث يجد الداعي لروحه غذاءً ولنفسه دواءً ، يدعم كيانها ، ويقوي بنياها ، ويجعلها تتغلب على كل ما يؤثر فيها فلا يتسرب إليها اليأس" (٤) .

وعندما أصاب الجيش التعب والإعياء ، أراد الرسول ﷺ أن يرفع من روحهم المعنوية فيشوقهم بقرب الوصول إلى تبوك؛ ليحمسهم وينشطهم، حيث قال لهم : " إنكم ستأتون غداً — إن شاء الله — عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار" (٥) .

والداعية يحرص على رفع الروح المعنوية لدى المدعو حتى يندفع في أداء واجبه على أكمل وجه كما أنه يزوده ويدعمه بالإعداد المعنوي حتى يقوي عزمته للدفاع عن عقيدته ، ويحمل كلمة الله .

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص : ٢٦٥ .

(٢) سبق تخريجه، ص : ٤٢ .

(٣) سبق تخريجه، ص : ٥٥ .

(٤) الاستشفاء بالدعاء ، إبراهيم محمد حسن الجمل ، ص : ٢٥ ، دار الفضيلة.

(٥) سبق تخريجه، ص : ٥٣ .

المطلب السادس :

حسن معالجة الأخطاء

"كل البشرية في هذه الدنيا لا تخلو حياتهم جميعاً من الأخطاء والذنوب — ما عدا الأنبياء معصومون من الزلل في مجال الرسالة — والخطأ قدم موجود في كل زمان ومكان"^(١). قال تعالى : { وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم }^(٢).

وكل إنسان يخطي لأنه مفطور على الخطأ والنسيان . قال تعالى : { ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا }^(٣) . وعن أبي ذر الغفاري — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله تجاوز عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"^(٤) . وعن أبي عباس — رضي الله عنهما — عن النبي ﷺ قال : " إن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"^(٥).

"والخطأ ضرورة لا بد منه لكل إنسان ، إذ أنه بدون الخطأ لا يعرف الصواب ، وبدون الشر لا يهتدي إلى الخير ، على أن السيئات تمحى إذا تاب الإنسان المخطئ توبة صادقة ، فقد وعد الله المخطئ عند شعوره بالخطأ وعزمه على الرجوع عن ذنوبه أن يتقبل منه توبته ويفقر له ذنوبه"^(٦). فقال تعالى : { ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً }^(٧).

"وكان الرسول ﷺ يستعرض خطأ الفرد ، ولو كان خاطرة في النفس ، أو لفظة

(١) الصراع بين الحق والباطل . سعد صادق محمد . ص : ٧٤ . منشورات دار اللواء ، الرياض ، ط ٤ ، ١٣٩٨هـ —

١٩٧٨ م .

(٢) سورة الأحزاب ، جزء من الآية : (٥) .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٨٦) .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المكره والناس : (٢ / ٢٢٤) ، حديث رقم : (٢٠٤٣) .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المكره والناس : (٢ / ٢٢٤) ، حديث رقم : (٢٠٤٥) .

(٦) الصراع بين الحق والباطل . ص : ٧٤ .

(٧) سورة النساء ، الآية : (١١٠) .

تحركت بها الشفاه ، أو عملاً مارسته الجماعة ، وفي كل حادثة لم يكن الخطأ يمر دون علاج وإصلاح ، وتوجيه وتصحيح ، حتى تُرد الأمور إلى نصابها ، وتؤخذ العبرة والعظة " (١) .

وقد كان ﷺ لا يبادر إلى التوبيخ أو العقاب ، قبل أن يستفهم ويستعلم المخطئ عن سبب خطئه ، والدافع الحقيقي لارتكاب مثل هذا الخطأ ، ثم بعد ذلك يصدق في عذره الذي أبداه . يقول كعب — رضي الله عنه — : " فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ، ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى " (٢) . ثم أمر المسلمين بهجر المخلفين الثلاثة بعد أن استمع ﷺ إلى أعذارهم .

" ويعالج الإسلام قضية التخلف بالعقاب النفسي الذي أخذ المسيء وحده بذنبه ، دون أن يلحق بغيره من الأبرياء أي عقاب " (٣) .

" كما أن الدرس العظيم الذي يمكن أخذه من هذه المقاطعة ، هو لزوم مقاطعة كل من أساء إلى عقيدته ، ومقدساته ، خاصة في أوقات الشدائد والمحن " (٤) .

" ثم إن القضية ليست قضية أشخاص أخطوا فأناوبوا ، بمقدار ما هي قضية نظام إلهي يستهدف مجرد الردع عن مثل تلك القضية ، وفتح أبواب التطهير من آثارها للذين امتحنوا نظير ذلك الموقف " (٥) .

" وإن مجرد أخذ هؤلاء الصفوة بالعقوبة ثم تداركهم بالصفح والتوبة آية أخرى على الاستمرار على صالح العمل ، وخصائص الإيمان الصحيح ، فلا تخفف سابقة التضحية من عواقب المعصية إلا أن تتطهر القلوب من أضرار الذنوب بتوبة نصوح تؤكد لها حرقة الندم على ما فات والتصميم القاطع على الإقلاع فيما هو آت " (٦) .

" كما أن العقوبة إذا وقعت على المخطئ عادت عبرة في نفس غيره ، فحجزته عن أن

(١) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية . عدنان النحوي ، ص : ١٥٩ ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) الرسول القائد . ص : ٤١١ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٤١٤ .

(٥) مجلة الوعي الإسلامي ، محمد المنذوب ، ص : ٦ ، الكويت ، العدد : ٢٢ ، شوال ١٣٨٦ هـ — ، يناير ١٩٦٧ م .

(٦) المرجع السابق . ص : ٦ .

يَهْم بما همَّ به المعاقب خشية العقوبة ؛ بل إنها عبرة للمعاقب نفسه فما يعود غالباً إلى ارتكاب خطأه مرة أخرى" (١).

ومن مبادئ الداعية في تعامله مع إخوانه من الدعاة والمدعوين ، أنهم بشر غير معصومين ، بل الخطأ محتمل من الجميع ، ما عدا الأنبياء — هم معصومين في مجال تبليغ الرسالة — والمؤمن قد يعتري إيمانه ضعف في بعض الأحيان ، فعلى الداعية أن يصبر على تربية المدعوين ، ومعالجة أخطائهم بالحكمة" (٢). كما لا بد من مراعاة حق الصحابة في الدعوة والتعليم ، والمجاهدة لنصرة الحق ، ولذلك لا ينبغي جحود ذلك الحق ونكران ذلك الفضل ، بالطبع فيهم إذا أخطوا . "فإن كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وقد فتح الله باب التوبة أمام المذنبين ، ومن الخطأ تعبير المذنب بذنبه وتذكيره به بعد التوبة منه" (٣) ؛ لأن وجود الأخطاء أمر طبيعي نظراً للضعف البشري ؛ ولكن المستنكر تكرار الخطأ وعدم الإفادة من التجارب السابقة" (٤) ، "ومن العيب أيضاً الإصرار على الخطأ والتمادي في الغي" (٥) .

كما لا ينبغي أن يُعطى خطأ الغير أكبر من حجمه ، فالذي يحمل الإنسان على الخطأ أحياناً قد يحمل غيره أحياناً أخرى" (٦) .
 "ولذلك ينبغي على الداعية أن لا يجعل الخطأ عقدة تقتل المذنب ، أو استهتاراً يُميته ، ولكنه بالتوجيه يصبح تربية بناء ، وعزماً ورضاءً ، وخفقة ورجاءً ، فيظل يلقي الرعاية من إخوانه حتى ينهض" (٧) .

(١) الخلق الكامل : (٣ / ٣١٨) .

(٢) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ، ص : ١٦١ .

(٣) تأملات تربوية في فقه الدعوة الإسلامية ، موسى إبراهيم موسى . ص : ٢٦ ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط ١ ،

١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٥٥ .

(٥) تقنين الدعوة . ص : ٣٩ .

(٦) تأملات تربوية في فقه الدعوة الإسلامية . ص : ٢٦ . يتصرف

(٧) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٥٥ .

المطلب السابع :

الإعداد والأهبة

"إعداد الشيء واعتداده واستعداده وتعداده، إحضاره ، وسمي ذلك العدة . قال تعالى: { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة }^(١) .

- والعدة : ما أعددت له حوادث الدهر من المال والسلاح .
- والعدة : ما أعددت لأمر يحدث مثل الأهبة . يقال : يقال : أعددت للأمر عدته .
- والاستعداد للأمر : التهيؤ^(٢) .

" والإعداد والاستعداد خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم ، وجانب من هدي النبي ﷺ ، وإن من شأن الإنسان البصير المتخلق بأخلاق الخير وخصال البر ، أن يحسب حساب الغد"^(٣) .

وأمر الله عباده المؤمنين أن يستعدوا لدفع العدوان والشر ، ولحفظ الأنفس ورعاية الحق والفضيلة . قال تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون }^(٤) .

"فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ؛ ويخص رباط الخيل ؛ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة ، ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيحدث مع الزمن لخاطبتهم بمجهولات محيرة — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — والمهم هو عموم التوجيه"^(٥) . ومن هنا كانت الآية تدعو المسلمين إلى اتخاذ القوة والعمل على بنائها وإعدادها .

"ومنطوق الآية لا يعني أبداً إحازة الاعتداء، فالإسلام لا يسمح بالاعتداء ، ولا يعني

(١) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٤٦) .

(٢) لسان العرب : (٢٨٤ / ٣) . مادة أعد .

(٣) موسوعة أخلاق القرآن : (٧٦ / ٦) .

(٤) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٥) في ظلال القرآن : (١٥٤٣ / ٣) .

الميل إلى الحرب والحرص عليها ؛ إنما يعني الاستعداد الذي يمكن أن يُطلق عليه اسم السلم المسلح الذي يهدف إلى الإرهاب ، بمعنى إيجاد الرهبة والخوف ، والاضطراب في نفس العدو" (١).

"وهذا يعني أن الإعداد للحرب ليس لإشباع شهوة الحرب ؛ وإنما هو لإرهاب العدو حتى يتزجر ، فلا تحدّثه نفسه بالحرب حين يرى القوة الرائدة له ، ومن هنا يرى أن الإسلام دين سلام يعد للحرب حتى تجتمع له القوة للمكنة له من النصر والغلب" (٢).

ففي قوله : { ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } (٣).

"فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء العصية المسلمة في الأرض الظاهرين منهم ، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم ، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم ، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله لله" (٤).

وحدود التكليف بإعداد القوة ؛ هي في قوله : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة } . "هي حدود الطاقة إلى أقصاها" (٥) ، "وليس المقصود بإعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء ، وفريضة الجهاد لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة إن ذلك أمر يطول ، وقد لا يجيء أبداً" (٦).

"ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً ، وكان النظام الإسلامي يقوم على أساس التكامل ، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله" (٧) . قال تعالى : { وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون } (٨).

وفي غزوة تبوك استنفر الرسول المسلمين لقتال الروم شيوخاً وشباناً ، وأخبرهم عن وجهته

(١) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ . ص : ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص : ١٣٢ .

(٣) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٤) في ظلال القرآن : (١٥٤٢ / ٣) .

(٥) المرجع السابق : (١٥٤٢ / ٣) .

(٦) موسوعة أخلاق القرآن : (٨٠ / ٦) .

(٧) في ظلال القرآن : (١٥٤٢ / ٣) .

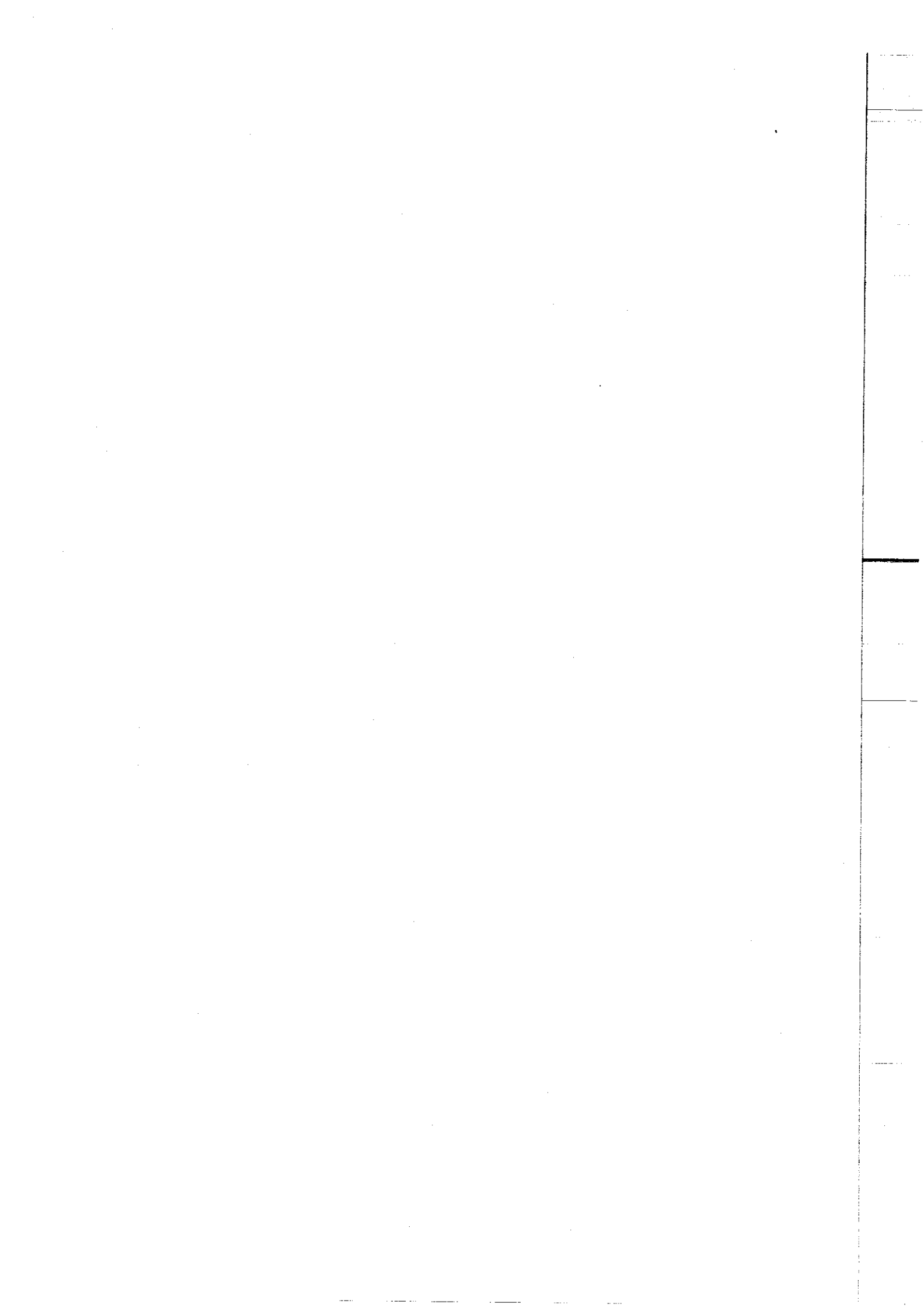
(٨) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

خلافاً لعادته حيث لم يور في هذه الغزوة لبعده المسافة وطول الطريق وشدة الحر والجوع والعطش، وأمر الرسول بإعداد الأهبة عملاً بالأخذ بالأسباب ، نظراً لضخامة جيش الروم ، وكثرة حشودهم، وتحصنهم بالسلاح والعتاد ، ومعرفتهم الطويلة بفنون القتال والسجال، فحضر الصحابة على الإنفاق في سبيل الله لإمداد الجيش وإكمال عدته ، ووعد من يجهز جيش العسرة بالجنة ، حتى جهز عثمان -رضي الله عنه- ثلث مؤونة الجيش ، ولما انتهوا من استعداداتهم، خرج الرسول ومعه زيادة من ثلاثين ألف مجاهد، بقوة لا تماثل قوة الروم ولاتوازيها ، إنما استمدوا قوتهم من إيمانهم بالله ، فأرهبوا جيوش الروم ، حتى تراجعوا إلى داخل حدودهم و لاذوا بالفرار إلى حصونهم. وإعداد العدة والاستعداد للقتال من باب الأخذ بالأسباب ، ولا ينافي تمام التوكل على الله ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالأخذ بالأسباب . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١). والرسول ﷺ أعظم الخلق توكلأ على الله يعد العدة ، ويهيئ الأسباب الملائمة في جميع غزواته لخوض الحرب ، كما يتخذ كافة الاحتياطات اللازمة لسلامة الجيش .

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة



المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة

نظراً لاختلاف المؤلفين في علم الدعوة في تسمية ما يجب أن يتحلى به الداعية إلى الله حتى يكون أهلاً للقيام بالدعوة .

فمنهم من أدرجها تحت مسمى أخلاق الداعية ، ومنهم من سماها آداب الداعية ومنهم من ذكرها تحت مسمى صفات الداعية .

ونظراً للتشابه الظاهري في المدلول بين هذه المعاني . كان لا بد من التفريق بين هذه

المعاني، بالتعريف :

الخلق "بالضم وبضمين : السجية، وهو ما خلق عليه الإنسان من الطبع .

وحقيقته : أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المتصفة بها مترلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"^(١).

والصفة : "هي من كلمة وَصَفَ يَصِفُه وَصْفًا وَصِيفَةً ، والهاء في هذه عوض عن الواو نعتة وهذا صريح في الوصف والنعت مترادفان .

وقيل : الوصف مصدر والصفة الحلية . والصفة : الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته"^(٢)

والآداب : "جمع أدب وهو الذي يتأدب به الأديب من الناس سُمِّيَ أدباً ؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح . والأدب : الظرف وحسن التناول "

وبالتالي لعل الأقرب إلى مسمى ما يتحلى به الداعية وما يتسم به من خلال في هذا المبحث

هو صفات الداعية^(٣) ؛ لأن الصفة ذات فروع متعددة وشاملة ، والإنسان له صفات

أخلاقية ، وسلوكية ونفسية وعقلية ... إلخ .

(١) تاج العروس : (٦ / ٣٣٧) . فصل الخاء من باب القاف . مادة خلق .

(٢) المرجع السابق : (٦ / ٣٦٦ - ٣٦٧) . بتصرف ، فصل الواو ، باب : الفاء - مادة وصف .

(٣) لسان العرب : (١ / ٢٠٦) .

" كما أن الصفة ليس مرجعها الفطرة والسجية ، ولكن مرجعها الرغبة في تحصيلها واكتسابها والبحث في مظانها" (١) ؛ لأن الإنسان يولد ومعه بعض الصفات الموروثة من والديه كالخلقة وبعض الذكاء وسرعان ما يكتسب من بيئته صفات أخرى : كبعض التقاليد واللغة وغيرها، والصفات الموروثة لا تستبدل ، وإنما تنهذب ، بواسطة بيئة الشخص ، وترقى بسبب العلاقات والمؤثرات الاجتماعية التي يعيشها . والداعية واحد من الناس يرث صفات ويكتسب صفات أخرى" (٢).

"ولما كانت الدعوة إلى الله عمل الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — واتباعهم ، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل ، وتكون دعوته مثمرة" (٣) ؛ "لأن هذه الصفات لازمة للداعية إلى الله بحيث لا يستطيع أن يمارس عمله في الدعوة إذا فقدتها ، فهي أساسية في تكوين الدعاة" (٤).

"وإن أهلية الدعاة إلى الله قضية كبرى ، تشغل بال كل من يتصدى للعمل الدعوي في كل عصر من العصور ، إنها شغلت رسول الله ﷺ نفسه ، فكان يختار من يكلفهم بالدعوة ويوصيهم وينصحهم ويعلمهم ، ثم يبعثهم إلى حيث ينوبون عنه في التبليغ والدعوة إلى الله" (٥) . "وإن حمل الدعوة إلى الناس وجعلهم يؤمنون بها ويتقنون ويتأثرون ، ومن ثم يلتحقون ويعملون ويجاهدون ، عملية صعبة وشاقة وتحتاج إلى قدرات ومتطلبات مختلفة ومن توفرت فيه هذه الصفات أو أكثرها كان داعية موفقاً ناجحاً قادراً على استيعاب الناس واستقطابهم حول الإسلام وحول الدعوة" (٦).

ومن خلال أحداث غزوة تبوك وما يتعلق بها من آيات وأحاديث يمكن استنباط بعض

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ٨٤٥) .

(٢) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٣٤ . بتصرف .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ١٥٥ .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ٨٤٥) .

(٥) المرجع السابق : (٢ / ٢٨١) .

(٦) الاستيعاب في حياة الدعوة والدعاة ، فتحى يكن . ص : ١٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ —

الصفات التي تم الدعاء في مجال دعوتهم ، ويمكنها منها التأثير في المدعوين ، والوصول بهم إلى طريق الحق والصواب والهداية والرشاد . وهذه الصفات تنقسم إلى عدة أقسام :

المطلب الأول : (الصفات الإيمانية) : كالإخلاص ، والثقة بالله وبنصره ، والمحبة .

المطلب الثاني : (الصفات الأخلاقية) : التحلي بفضائل الأخلاق واجتناب رذائلها ، مطابقة قول الداعية لفعله .

المطلب الثالث : (الصفات النفسية) : الثبات ، الحذر ، قوة الإرادة ، حفظ السر .

المطلب الرابع : (الصفات السلوكية) : الحلم ، الجمع بين الرفق والشدّة مع المدعوين ، التضحية .

المطلب الخامس : الحرص على هداية المدعوين .

المطلب الأول :

الصفات الإيمانية .

الإيمان : " هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً ، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان"^(١).

"والإيمان العميق يجعل الداعية المسلم يتيقن بأن الإسلام الذي هداه الله إليه وأمره بالدعوة إليه ، حق خالص لأنه هدى الله وما عداه باطل وضلال قطعاً . فإيمان الداعية العميق ثابت لا يتزعزع مهما صادفته محنة أو شدة ، ومهما كانت حاله من ضعف وقلة ، ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة ، وبالتالي لا يضعف إيمانه لانصراف الناس عنه وعدم إجابتهم له"^(٢)؛ "ولكنه يجعل إيمانه عميقاً على التفرغ الكامل لمولاه ، والارتباط المطلق به ، والتوكل الراسخ عليه ، والتسليم التام لكل ما يأتي به من غير ارتياب أو حرج لتكون الدعوة بذلك في قوله وفعله"^(٣).

"والإيمان ذخيرة حية نابضة لا تنفد في مدّها الإنسان بالقوة والصبر والطمأنينة ، والأمس في معركة الحياة المليئة بالحركة والصراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، ومن يحيا في رحاب الإيمان يعيش حياته في رؤية واضحة ، فيدرك سنة الله في خلقه وقضاء الله وقدرته . فتطمئن بذلك نفسه ؛ لأنه يوقن أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"^(٤)؛ ولأنه يعتقد من سويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله ، وأن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها ، كما أنه يعتقد من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله سبحانه معه يراه ويسمعه ويعلم سره ونجواه . ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فيتحرر من رقبة

(١) الفوائد . ابن القيم . ص : ١٠٧ ، مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) أصول الدعوة . ص : ٣٣٣ - ٣٣٤ . بتصرف .

(٣) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٤١ .

(٤) صفات الداعية النفسية . عبد الله علوان . ص : ٦-٧ . بتصرف ، دار السلام ، القاهرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ —

صراع الحياة"^(١). "ومن المعلوم يقيناً أن الإيمان بالله الواحد الأحد حين يتغلغل في النفوس ، وتحالط بشاشته القلوب ، هو أول سلاح يتسلح به المؤمن الداعية في مواجهة صراع الحياة ، وفي مجاهدة مغريات الدنيا . فبدون الإيمان يبطل كل سلاح ، ويبطل كل إعداد ، وتبطل كل ذخيرة"^(٢). "وهو ذخيرة حية نابضة لا تنفذ في مدها الإنسان بالقوة والصبر والطمأنينة والأمل"^(٣).

"والإيمان هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الإنسان ، فالإيمان بالله يجعل المؤمن في شوق دائم للعمل بما يرضيه ، ويحرك في قلبه عوامل الخير ليحقق غايته ، ويحبب إليه العبادة بالشكل الذي يرضاه ويتقبله"^(٤)، "فيدفع الإيمان صاحبه إلى تحقيق غايته التي آمن بها ، وإلى إخلاص العمل ليحصل غايته التي يعمل لها"^(٥).

"والإيمان بالله سبحانه وتعالى هو القاعدة الصلبة التي ينطلق من خلالها الداعية في ميدان دعوته في معترك حياته ، فكلما كان إيمان الداعية قوياً وعملياً كان نشاطه ، وبذله وتضحيته في سبيل نشر دعوته أكثر"^(٦).

"وبقدر إيمان الداعية بدعوته ، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ، ينجح في دعوته وبقدر ضعف هذا الإيمان والنظر إليها بأنها مهمة ثانوية يتهاون فيها ويتكل فيها على غيره ، ويتعثر في طريقه ويعطيها من فضل وقته"^(٧). وقد ظهرت آثار الإيمان التالية :

(١) صفات الداعية النفسية . ص : ٢ - ١٠ . بتصرف

(٢) المرجع السابق . ص : ٦ .

(٣) من صفات الداعية . محمد لطفي الصباغ . ص : ٦ . بتصرف . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١هـ -

(٤) أسس الدعوة وآداب الدعاة . محمد السيد الركيل . ص : ٩٣ ، دار الوفاء ، مصر ، ط ٣ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٥) السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين . فوزي سالم عفيفي . ص : ١٩٠ ، وكالة المطبوعات ، الكويت .

(٦) صفات الداعية . د . حمد العمار . ص : ٢٥ . مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيلية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ -

— ١٩٩٦ م .

(٧) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ١٥٥ .

١- الإخلاص لله تعالى :

في اللغة :

الإخلاص : " هو الصفاء من الكدر والشوائب" (١) .

وفي الاصطلاح :

"تعريفات العلماء للإخلاص متقاربة ، مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه" (٢) .

- فقيل : الإخلاص ؛ " تصفية العمل عن كل شوب يشوب العمل" (٣) .
- وقيل : حقيقة الإخلاص ؛ " التبري عن كل ما دون الله تعالى" (٤) .
- وقيل : الإخلاص ؛ " أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده ، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة" (٥) .

والإخلاص هو الدين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها. قال تعالى : { وما

أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } (٦) .

"وبالتالي بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تناسباً وتوافقاً : فالإخلاص يهدف إلى

تخليص القصد المتوجه إلى الله تعالى من الخلاص والفساد الذي يراحمه ويخالطه ، بحيث يتصفى القصد لله عزَّ وجلَّ دون سواه في جميع العبادات" (٧) .

وأمر عزَّ وجلَّ خاتم النبيين ﷺ بالإخلاص . فقال تعالى : { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق

فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا الله الدين الخالص ... } (٨) .

(١) مختار الصحاح . ص : ٨٤ .

(٢) مقاصد المكلفين . " الإخلاص " . عمر الأشقر ، ص : ١٦ ، دار النفائس ، عمان ، الأردن ، ط ٣ ، ١٤١٥ هـ -

١٩٩٥ م .

(٣) مدارج السالكين : (٢ / ٩٣) .

(٤) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٥٥ ، كتاب الحياء ، مادة خلص .

(٥) مقاصد المكلفين لرب العالمين ، " أو النيات في العبادات " . ص : ٣٥٧ .

(٦) سورة البينة ، الآية : (٥) .

(٧) مقاصد المكلفين . " الإخلاص " . ص : ١٨ .

(٨) سورة الزمر ، الآيات : (٢ - ٣) .

وقال تعالى : { قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه }^(١).

فالإخلاص هو الفارق بين الإيمان والنفاق ؛ وهو شرط صحة الإيمان للتخلص من النفاق ، ولهذا قال تعالى : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين }^(٢).

وقال تعالى : { ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن }^(٣).

وقال تعالى : { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }^(٤).

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : " الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " ^(٥).

وعن سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ له : " إنك لن تُخلف فتعمل عملاً تبغى به وجه الله ، إلا ازددت به درجة ورفعة " ^(٦).
وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه : وذكر الجاهد وقارئ القرآن والمتصدق بماله ، والذين يفعلون ذلك رياء

(١) سورة الزمر ، الآية : (١٤) .

(٢) سورة النساء ، الآيات : (١٤٥ — ١٤٦) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (١٢٥) .

(٤) سورة الأنعام ، الآيات : (١٦٢ — ١٦٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . ص : ٥٩٤ ، حديث رقم : (٢٨١٠)

صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله : (٣ / ١٢٠٢) ،

حديث رقم : (١٩٠٤) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : رثي النبي ﷺ . ص : ٢٧٢ ، حديث رقم : (١٢٩٥) .

مسلم ، كتاب : الوصية ، باب : الوصية بالثلث : (٣ / ١٠١٣) ، حديث رقم : (١٦٢٨) .

ليقال فلان شجاع وفلان قارئ وفلان متصدّق" (١).

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال : رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركه وشركه " (٢).

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم " (٣).

ومما يدل على أهمية الإخلاص ضرورة إحضار النية في كل عمل من الأعمال في فقد قال ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (٤).

وقد ذكر الفضيل بن عياض (٥) — رحمه الله — شروط العمل الصالح كي يكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى . فقال بعد قوله : { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور } (٦) قال : " هو أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي ، وما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنّة ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : من قاتل للرياء والسعنة استحق النار : (١٢٠٣ / ٣ — ١٢٢٣) ، حديث رقم : (١٩٠٥) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرفائق ، باب : من أشرك في عمله غير الله : (١٨١٠ / ٤) ، حديث رقم : (٢٩٨) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله : (٤ / ١٥٧٧) ، حديث رقم : (٢٥٦٤) .

(٤) صحيح البخاري — باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة ولكل امرئ ما نوى — ص ٢٧ حديث رقم ٥٤ ، صحيح مسلم — كتاب الإمارة — باب قوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنية) ، (١٢٠٤ / ٣) حديث رقم ١٩٠٧ .

(٥) الفضيل بن عياض : الإمام القنوة أبو علي التميمي الربوعي المروزي ، شيخ الحرم . روى عنه خلق كثير ، سكن مكة ، وكان إماماً ربانياً صمدانياً قانتاً ثقة كبير الشأن . قيل ولد الفضيل بسمرقند ونشأ بأبيورد . وقيل ولد بخراسان وسمع بالكوفة ثم تبعه ونزل مكة . وكان لا يقبل جوائز الدولة . توفي يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة . وقد نيف على الثمانين . انظر ، تذكرة الحفاظ : (١ / ٢٤٥ — ٢٤٦) ، الطبقات الكبرى : (٥ / ٥٠٠) .

(٦) سورة الملك ، الآية : (٢) .

ثم قرأ قوله تعالى : { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً }^(١) .

"فلا يتم الإخلاص إلا بالصدق ، ولا الصدق إلا بالإخلاص ، ولا يتمان إلا بالصبر"^(٢) .

والإخلاص روح الدين ولباب العبادة ، وأساس أي داع إلى الله ، فإذا غاض هذا المعنى أو تضائل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام في الدنيا ولا في الآخرة .

وفي أعمال الحياة المعتادة قد يكون الإخلاص شرطاً لإتقانها وتجويدها وضمان ثمرتها ؛ ولكن في ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة"^(٣) .

"والإخلاص أهم مظاهر الصدق في القول والعمل ، وهو الذي يحرك في نفس الإنسان كريم البواعث ، ونيل الحوافز ، فلا يتحرك إلى العمل لهوى خسيس أو غل دنيء أو رياء ، بل يتحرك طلباً لرضا الله سبحانه ، وحباً في عمل الخير"^(٤) .

"وإخلاص النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين يرتفعان بمتزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة"^(٥) .

"وإذا استمر المخلص على مجاهدة النفس والتغلب على وساوس الشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء يصبح الإخلاص في أعماله كلها خلقاً وعادة دون أن يجد في ذلك أي تكلف أو مجاهدة"^(٦) .

"وقد يعجز الإنسان عن عمل الخير الذي يصبو إليه ، لقلة ماله أو ضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يدفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين ، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين ؛ لأن بُعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم ، وهذا ما حدث مع البكائين ، حينما قدموا إلى الرسول ﷺ يطلبون الرحلة ، فلم يستطع ﷺ

(١) سورة الكهف ، الآية : (١١٠) .

(٢) مدارج السالكين : (٢ / ٨٨ - ٨٩) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٨٨ - ٨٩) .

(٤) مع الله . محمد الغزالي . ص : ٧٠ ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٥) موسوعة أخلاق القرآن : (٢ / ١٩٣) .

(٦) خلق المسلم ، محمد الغزالي . ص : ٧٠ ، دار القلم ، دمشق ، ١٣ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٧) صفات الداعية النفسية . ص : ١٢ .

تجنيدهم ، فغادروا وهم ييكون ، ونزل فيهم قرآناً يتلى" (١) .
ولم ينسهم الرسول ﷺ من عظيم الثواب والأجر ، ولذلك نوه بإيمانهم وإخلاصهم
فقال ﷺ للجيش السائر : " إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا
معكم، قالوا : يارسول الله وهم بالمدينة ، قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر" (٢) .
وفي موقف كعب — رضي الله عنه — من إحراقه لكتاب ملك غسان في التنور دلالة
على إخلاصه لله ورسوله .

"وفي موقف هدم مسجد الضرار وإحراقه ، يتبين أن بناء الأعمال يجب أن يكون على
أساس الإخلاص لله تعالى وخشيته وتقواه وطلب رضاه ، أما إذا كان أساس الأعمال الغش
والكذب والنفاق فإنَّ أساسه ساقط منهار" (٣) .

"والإخلاص فريضة على كل عابد وهو في محرابه يتعامل مع ربه فحسب ، فإذا اتصل
الأمر بالدعاة فهو فريضة الله وعقده أوثق" (٤) .

"ويستجلى الإخلاص عند الداعية في أن لا يريد من دعوته إلا وجه الله فلا يريد أن
يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة ، ولا يهمله كثيراً أن يكون مرفوعاً أو أن يكون مغموراً بين
الناس ، ولا يبالي بالناس ولا بثنائهم ولا يسعى أبداً لكسب إعجابهم ومحبتهم ومدحهم
واحترامهم ، وأن يُسرَّ إذا تحقق الخير على يدي غيره كما يُسرَّ لو تحقق على يديه" (٥) .

وعلاوة الإخلاص : " الانفعال بالدعوة والتحمس لها ، وبذل أقصى الجهد في تبليغها ذلك ؛
لأن من أخلص الشيء أعطاه كل ما يملك فماله ووقته وجهده وفكره ، وكل إمكاناته لا بد
أن تكون في خدمة الدعوة وتحت تصرفها . وأن تكون دعوته هي شغله الشاغل الذي لا
يصرفه عنه صارف مهما عظم ، ولا ينتظر من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً وهذا هو سر قول

(١) خلق المسلم ، ص : ٧١ .

(٢) سبق تخريجه . ص : ٥٧ .

(٣) البلاغ الأخير في سورة التوبة . ص : ١١٢ .

(٤) مع الله . ص : ٢٠٤ .

(٥) من صفات الداعية . ص : ٤٤ .

الأنبياء لأقوامهم . { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى }^(١) ، إنما ينتظرون مثوبة الله وعظم أجره"^(٢) .

قال الشيخ ابن باز — رحمه الله تعالى — عن ضرورة صفة الإخلاص في الداعية : « على الداعية أن يكون مخلصاً لله عز وجل لا يريد رياءً ولا سمعة ولا ثناء الناس ، ولا حمدهم ؛ إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عز وجل . كما قال سبحانه : { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة }^{(٣)(٤)} .

"إن العلل الناشئة عن فقدان الإخلاص كثيرة ، وهي إذا استفحلت استأصلت الإيمان ، وإذا قلت تركت به تُلماً شتى ينفذ منها الشيطان"^(٥) .

وعلى هذا فعلاج الإخلاص : " كسر حظوظ النفس ، وقطع الطمع في الدنيا ، والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على القلب ، فإذا ذاك يتيسر الإخلاص"^(٦) .
ولذلك فالداعية الذي يبالغ في حمل نفسه على الإخلاص ، ويروضها على اجتناب الرياء ، والحذر من مكائد الشيطان ، وحبائل الهوى ، ويتعد عن العجب بالفعل ، ولا يعبأ بما يسعى إليه الكثيرون من لذة واستيلاء ، والفرح بالاستبعا"^(٧) .

(١) سورة الشورى ، الآية : (٢٣) .

(٢) أسس الدعوة . ص : ١٠٩ . بتصريف .

(٣) سورة يوسف ، جزء من الآية : (١٠٨) .

(٤) فضل الدعوة إلى الله وحكمها . وأخلاق القائمين لها . ص : ٣٢ ، من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة والدعاة ، ط ١ ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة مركز شؤون الدعوة .

(٥) خلق المسلم . ص : ٧٨ .

(٦) إحياء علوم الدين : (٣٨٠/٤) .

(٧) من صفات الداعية . ص : ٤٩ .

٢- محبة المدعوين

في اللغة :

يقال : " حبيبت فلاناً ، بمعنى أحببت حبة قلبه ، والحب نقيض البغض والحب ، والوداد والمحبة . والمحبة : اسم الحب" ^(١) . " والمحبة هي إرادة ما تراه أو تظنه خيراً" ^(٢) .
 " والمحبة ؛ هي تلك الصفة النبيلة ، والفضيلة الجليلة التي ترفع صاحبها على الدوام إلى محبة كل جميل والميل إلى كل كريم ، والمحبة التي تعد خلقاً من خلق القرآن المجيد هي تلك الصفة التي تجعل صاحبها منفتح القلب والعقل لتمجيد ما يستحق التمجيد ، وتأييد ما يستحق التأيد ، وفي قمة درجات هذه الصفة تأتي محبة الله تعالى أثراً ، ثم محبة رسوله ﷺ ، ثم محبة المؤمنين والمستقيمين ، ثم محبة كل ما هو جميل طهور" ^(٣) .

قال تعالى في محبة المؤمنين لبعضهم البعض : { والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا .. } ^(٤) . وقال تعالى : { إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخواناً } ^(٥) .

وقد جعل الله محبة المرء لأخيه المسلم من الإيمان ، عن أنس — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يقذف في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" ^(٦) .

وقد جعل الرسول ﷺ التحابب ثمرة من ثمرات الإيمان ، حيث روى عنه أبي هريرة —

(١) لسان العرب : (٢٨٩ / ١ — ٢٩٠) . بتصرف .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٠٥ .

(٣) موسوعة أخلاق القرآن : (٣٤ / ٢) .

(٤) سورة الحشر ، جزء من الآية : (٩) .

(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٠٣) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، ص ١٧ ، حديث رقم : (١٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال من اتصف به وجد حلاوة الإيمان : (٦٨ / ١) ، حديث رقم :

رضي الله عنه — عن النبي ﷺ أنه قال : "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا" (١) .

كما جعل المحبة بين المسلمين أساس عام من أسس مكارم الأخلاق الاجتماعية . عن أنس — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ أنه قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٢) .

"وإن الشعور بالمحبة نحو الآخرين من الأسس العامة التي ترجع إليها مجموعة من الفروع والمفردات الخلقية الحمودة . وخروج الإنسان من إطار محبته لنفسه إلى محبة الآخرين الذين هم في الدائرة الأعم الأشمل إنما هو ارتقاء خلقي كريم ، ومن شأن الشعور بالمحبة نحو الآخرين السلامة من كثير من الأمراض الخلقية الخبيثة" (٣) . عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (٤) .

"فالمؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير ، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد" (٥) .

"وفي إطار المحبة العاقلة نلاحظ أن مشاعر المحبة العامة التي كانت تملك قلب الرسول ﷺ تجاه أصحابه ، لقد كانت مشاعره الكريمة نابعة من أخلاقه العظيمة ﷺ وهي المحركة لكثير من عواطفه وتصرفاته" (٦) .

والرسول ﷺ يحب كعب بن مالك فهو عضو رئيسي في المجتمع المؤمن لا سيما وقد كان

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان باب : بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها : (١ / ٧٤) ، حديث رقم : (٥٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، (١ / ٦٩) ، حديث رقم (٤٥) .

(٣) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٢٣٩) . بتصرف .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم . ص : ١٢٩١ ، حديث رقم : (٦٠١١) .

صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم : (٤ / ١٥٨٧) ، حديث رقم : (٢٥٨٦) .

(٥) جامع العلوم والحكم . ص : ١٤٥ .

(٦) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٢٤٧) . بتصرف .

أحد أركان بيعة العقبة الثانية" وحين سلك الرسول ﷺ مع كعب وصاحبيه أسلوب الحجر والمقاطعة النفسية والاجتماعية القاسية أراد بهم خيراً حيث قبل ظاهرياً اعتذار المنافقين رغم علمه بأنهم كاذبون ، أما كعب وصاحبه -رضي الله عنهم- فلم يقبل اعتذارهم. وتتجلى محبة الرسول ﷺ المرئي لكعب في سياق هذه المواقف :

أ — عندما سأل عنه باسمه عندما وصل إلى تبوك حيث قال ﷺ : " ما فعل كعب ؟ " (١) .
 ب — عندما أعرض عن الهجوم عليه بغير دليل عندما افتقده . وذلك عندما قال الرسول ﷺ : " ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة : يارسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه فقال معاذ بن جبل . بثسما قلت : والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ " (٢) .

ج — عندما قابل الرسول ﷺ بعد عودته من تبوك يقول كعب : فلما سلمت تبسم تبسم المغضب . ثم قال : " تعال فحجت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلقتك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ " (٣) .

د — يقول كعب عن النبي ﷺ أثناء المقاطعة : " ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني " (٤) .

ه — عند انتهاء فترة المقاطعة ووصول البشرى إلى كعب ، يقول كعب : " فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك " (٥) .

وأيضاً تتجلى محبة الرسول ﷺ لأصحابه عندما رأى القادم من بعيد : « كن أبا خيثمة » (٦) . وكذلك تتجلى محبة الصحابة لكعب — رضي الله عنه — أنه بعد نزول

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٦) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

توبة الله عليه وعلى صاحبيه إذ هو على ظهر البيت إذ سمع صوت صارخ من أعلى جبل سلع بأعلى صوته "يا كعب بن مالك أبشر" (١) ، ثم ذهب الناس يُشترُّون صاحبيه فكان الصوت أسرع من الرجل الذي ركب الفرس . وكان العقاب والحجة والمقاطعة والرعاية من الرسول ﷺ لكعب وصاحبيه.

"إن شعور الداعية بمحبته نحو المدعويين اتجاه كرم نحو الارتباط بهم ، ومشاركتهم في السراء والضراء ، فالحجة تسعد صاحبها قبل أن تسعد الآخرين ، كما أن الحجة يرافقها في النفوس طمأنينة وقناعة ورضى ، فالذين يحبون الخير للناس يعيشون في سعادةقلبية مستمرة". (٢)

٣- الثقة بنصر الله

مفهوم الثقة :

"وثق وثقت به أثق ثقةً : سكنت إليه واعتمدت عليه" (٣).

"إن الثقة بالله خلاصة التوكل ولله ، كما أن سواد العين أشرف ما في العين . قال تعالى لأم موسى : { فإذا خفت عليه فأتقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني } (٤) . إن فعلها هو عين ثقته بالله تعالى ، إذ لولا كمال ثقته برها لما ألقته بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء ، تتلاعب به أمواجه وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف" (٥).

"وقوة ثقة المسلم بالله تعالى في وعده ، وكمال الرجاء في حصول الفائدة ، مهما طال به العلاج وعظمت المصائب ؛ فإنه متى تمكن ذلك من نفسه انبعثت همته وقوي نشاطه . فعدا يظهر مؤمناً بأن الباطل زهوق ، ولا بد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل ، فإن دولة الباطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها ، ودولة الحق هي الثابتة بذاتها لا يُغلب أنصاره ماداموا معتصمين

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها : (٢ / ٢٤٠) . يتصرف .

(٣) المفردات في غريب القرآن . ص : ٥١١ - ٥١٢ .

(٤) سورة القصص ، الآية : (٧) .

(٥) مدارج السالكين : (٢ / ١٤٢) .

به مجتمعين عليه" (١).

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه سيد الداعين إلى الله تعالى ؛ لم يشن عزمه عن الدعوة إلى الله تعالى عناد وأهل الغنى والضلال والعناد ، ومقابلتهم له بالإنكار وإيقاع الأذى به وأصحابه المجاهدين المخلصين ، بل تابروا عليها ، وفي نهاية الأمر كان الظفر لهم والنصر حليفهم ، وحقق الله تعالى لهم ما وعد ، قال تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ (٢).

والرسول ﷺ لم يشن عزمه عن قتال الروم ؛ رغم ضخامة جيش الروم ، وقوة عتادهم وعدتهم ، كما لم يثنه الحر والجوع والعطش وطول الطريق عن مواصلة السير لقتال الروم ، وما ذلك إلا لقوة يقينه بنصر الله ، وثقته بالغلبة على عدوه ، وبالفعل عندما سمع جيش الروم بقدوم الجيش الإسلامي ، تركوا مواقعهم على الحدود ، وزحفوا إلى داخل بلادهم .

ثم إن كعب — رضي الله عنه — كان على ثقة تامة برحمة الله له ، حيث لم ييأس من عفو الله تعالى عنه وصاحبيه ، رغم طول مدة الهجر ، وجفوة الناس لهم .

"والداعية لا ييأس أبداً ، فلا يتسرب اليأس إلى قلبه الموصل بالله ، وإنما يدخل قلوب الكافرين المنقطعة صلتهم بالله" (٣). قال تعالى : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين ﴾ (٤) . ومع اعتماد الداعية على الله في جميع أموره فإنه يثق بربه ثقة كاملة بأن يحفظه وينصره ، لأنه ينصر دينه بالدعوة إليه .

(١) هداية المرشدين. ص : ١٠٣ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : (١٧١ — ١٧٣) .

(٣) أصول الدعوة ، ص : (٣٤٥) .

(٤) سورة يوسف ، جزء من الآية : (٨٧) .

المطلب الثاني

الصفات الأخلاقية :

١- التحلي بفضائل الأخلاق واجتناب رذائلها :

الخلق :

قيل : " هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية . فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة ، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة ، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون بحسب العادة وآثارها في السلوك" (١).

وقيل : " إن حسن الخلق : بذل الندى ، وكف الأذى ، واحتمال الأذى" (٢).

وقيل : " أن يكون سهل العريكة، لين الجانب ، طلق الوجه، قليل النفور ، طيب الكلمة" (٣).

وقيل : " الخلق ؛ التحلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل" (٤).

وحقيقته : " المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانسراح صدر" (٥).

"وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان ، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها : الصبر والعفة والشجاعة والعدل ، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة ، ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبنائها على أربعة أركان : الجهل والظلم والشهوة والغضب" (٦).

"والأخلاق الذميمة : يولد بعضها بعضاً ، كما أن الأخلاق الحميدة يولد بعضها بعضاً ، وكل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميين ، وهو توسط بينهما وطرفاه خلقان ذميمان ، فإن النفس

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها : (٧ / ١) .

(٢) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٤) .

(٣) أدب الدنيا والدين ، الماوردي ، ص : ٢٣٧ ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ط ٤ ، ١٣٩٣هـ —

١٩٧٣ م .

(٤) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٤) .

(٥) مجموع الفتاوى : (١٠ / ٦٥٨) .

(٦) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٤) .

متى انخرقت عن التوسط انخرقت إلى أحد الخلقين الذميين ولا بد . وصاحب الخلق الوسط : مهيب محبوب ، عزيز جانبه ، حبيب لقاؤه" (١) .

والخلق الحسن صفة نبينا محمد ﷺ الذي قد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى : { خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلین } (٢)(٣) .

هكذا كان خلقه ﷺ قال أنس — رضي الله عنه — : " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً " (٤) .

وأخبر الرسول ﷺ أن البرّ هو حسن الخلق . عن النّوّاس بن سمعان — رضي الله عنه — قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " (٥) .

" وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله ؛ وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام ولهذا قابله بالإثم " (٦) .

وقد سئلت أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — عن خلق الرسول ﷺ فقالت : " كان خلقه القرآن " (٧) .

وكان الرسول ﷺ يحث على على حسن الخلق . فقد روى عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : " إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً " (٨) .

(١) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٥) . بتصرف .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٩٩) .

(٣) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٠) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصر : (١ / ٣٨٢) ، حديث رقم : (٦٥٩) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تفسير البر والإثم : (٤ / ١٥٧٢) ، حديث رقم : (٢٥٥٣) .

(٦) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٢) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض مطولاً (١ / ٤٣٢) ، حديث رقم : (٧٤٦) .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ ، ص : ٧٥١ ، حديث رقم : (٣٥٥٩) .

صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب : كثرة حياته ﷺ : (٤ / ١٤٤٤) ، حديث رقم : (٢٣٢١) .

وقد شهد أعداء الرسول ﷺ له بحسن أخلاقه :

فقد سأل هرقل أبا سفيان^(١) عن الرسول ﷺ فقال : " ... ماذا يأمركم ؟ قال أبو سفيان : يقول : اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ... ، ثم سأله هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكر أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .. " (٢) .

وكان أبو ذر^(٣) — رضي الله عنه — لما بلغه مبعث النبي ﷺ قد قال لأخيه : " اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق " (٤) .
والرسول ﷺ وهو سيد الدعاة خير من امتثل بحسن الخلق قبل بعثته وبعدها . " فقد سماه قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة " (٥) .

" ولا ريب والرسول ﷺ صفوة أولو العزم من الرسل ، وسلالة ولد آدم ، وفريد في البشرية كلها ولا غرو ، فقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث هو إلى الناس

(١) أبو سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي . ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشرف قريش في الجاهلية وكان تاجراً يجهر التجارة بماله وأمواله قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم وكان يخرج أحياناً بنفسه . كان أفضل قريش في الجاهلية رأياً ثلاثة منهم أبي سفيان ، أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله ﷺ حينما وأعطاه من غنائمها ، وقال ﷺ في فتح مكة من دخل داره فهو آمن ، شهد حينما مسلماً وفقت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور حتى فقت عينه الأخرى يوم اليرموك أصابها حجر فشدخها العمى ، ومات سنة ٣٣ هـ في خلافة عثمان ، وقيل سنة ٣٢ هـ ، وقيل سنة ٣٤ هـ ، ودفن بالقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وقيل ابن بضع وتسعين سنة . انظر ، الاستيعاب : (٤ / ١٦٧٧ — ١٦٨٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الوحي ، باب : كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ . ص : ١٣ — ١٤ ، حديث رقم : (٧) .

(٣) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن حنادة ، كان من كبار الصحابة ، قدم الإسلام ، ثم انصرف بعد إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم النبي ﷺ المدينة . قال النبي ﷺ عنه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر . روى أحاديث عن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ يرحم أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده ، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في سنة اثنتين وثلاثين وعليه الأكثر ، ويقال إنه صلى عليه عبد الله بن مسعود بالربذة . انظر ، الإصابة : (٧ / ١٢٥ — ١٢٩) ، الاستيعاب : (٤ / ١٦٥٢ — ١٦٥٥) ، الطبقات الكبرى : (٤ / ٢١٩ — ٢٣٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : حسن الخلق وما يكره من الخلق . ص : ١٢٩٤ .

(٥) السيرة النبوية : (١ / ٢٤٩) .

كافة، لذلك جمع الله له ما تفرق من خلق المصطفين الأخيار"^(١) .

وعند النظر إلى غزوة تبوك يستنتج الدعاة الأخلاق الكريمة التي ترتبت عن هذه الغزوة ومن شواهدنا :

- تواضع الرسول ﷺ حينما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ، عندما تقدم ليوم الناس بالصلاة .
 - صبره ﷺ على أذى المنافقين له وللمؤمنين ، ومحاولتهم التشكيك بنبوته ، ومحاولتهم قتله برمييه من أعلى العقبة .
 - وحلمه ﷺ عن حاول الغدر به ، أو إلحاق الأذى به .
 - عدله ﷺ وإنصافه مع أصحابه مثل كعب — رضي الله عنه — وصاحبيه ، حين أمر بمقاطعتهم ومجرهم حينما تخلفوا عن الجهاد ، وعدله ﷺ مع أهل الكتاب من النصارى عندما دفعوا الجزية وتكاتب معهم على المواثيق والعهود .
 - محبته ﷺ لكعب — رضي الله عنه — ومقابلته له بالسرور وبطلاقة الوجه وطيب الكلام، مع تهنته بتوبة الله عنه و محبة الرسول ﷺ لأصحابه وتفقدته لهم وسؤاله عنهم .
- إلى غير ذلك من أخلاقه الكريمة التي أثرت في المدعوين فحببتهم للدعوة وقربتهم منها، أو حببتهم في أصلها فلا يؤذونهم ، ولا ريب .

"وربما تغير حسن الخلق والعطاء إلى الشر والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة ، ومن أسباب ذلك : الولاية ، والعزل ، والغنى ، والهموم ، والأمراض ، وعلو السن ، والفقر، هذه سبعة أسباب إذا أحدثت سوء الخلق كان عاماً ، وهناك سبب خاص يحدث سوء الخلق وهو البغض الذي ينفر منه الناس"^(٢) .

"وإن أخلاق الإسلام هي الحق ، والثبات على الحق دين ، والداعية يثبت على أخلاق الإسلام والتنازل عن أي خلق من أخلاق الإسلام تحت الظروف خسارة كبيرة لهذا

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : (٢ / ٦٧٢) . بتصرف .

(٢) أدب الدنيا والدين . ص : ٢٣٩ — ٢٤٠ . بتصرف .

الذي تنازل ، وخسارة في الدنيا ؛ حيث يفقد بين الناس احترامه وتقديره وهيبته ، وخسارة للدعوة التي يمثلها وينصب من نفسه وخلقه أنموذجاً لها ، وخسارة له في دينه يوم القيامة" (١).

"الخلق الحسن في الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات ، ومن أعظم القربات ، ومن أولى الواجبات التي ينبغي أن يتَّصف بها الدعاة ، ولا بد منها لكل داعية يرغب فيما عند الله تعالى ، ويرغب في نجاح دعوته وظهور ثمراتها ؛ فإن الدعاة إلى الله تعالى أشد حاجة من غيرهم لمعرفة الخلق الحسن وتطبيقه على أنفسهم في جميع مجالات الحياة طلباً لحصول الآثار العظيمة النبيلة في مجتمعاتهم كما حصل في صدر الإسلام" (٢).

والخلق الحسن ضروري للداعية في جميع أموره الخاصة والعامة ، والرسول ﷺ كان يدعو ربه بأن يُحسِّن خلقه وهو ذو الأخلاق الحسنة ، وأن يهديه لأحسنها . وكان يقول من ضمن دعائه لصلاة الليل : " واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت " (٣).

وذو الأخلاق يُعدّ من أحسن الناس وخيارهم مطلقاً . قال الرسول ﷺ : " إن من أختياركم أحسنكم خلقاً " (٤).

"وصاحب الخلق الحسن ، يسهل عليه إدراك المطالب ، وتلين له برفقه وتحيبه إلى الخلق المصاعب" (٥).

"والخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام ، والهداية والاستقامة، ولهذا من تتبع سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان يلزم الخلق الحسن في سائر

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ٨٩٧) . بتصرف .

(٢) مقومات الداعية الناجح ، ص : ٣٣٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه : (١ / ٤٤٩) ، حديث رقم : (٧٧١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ص : ١٢٩٤ ، حديث رقم : (٦٠٢٩) .

صحيح مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : كثرة حياته ﷺ : (٤ / ١٤٤٤) ، حديث رقم : (١٣٢١) .

(٥) الرياض الناضرة والحدائق الثيرة الزاهرة ، عبد الرحمن السعدي . ص : ٩٠ ، منشورات المؤسسة السعيدية ، الرياض .

أحواله ، وخاصة في دعوته إلى الله تعالى ، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا^(١) ؛ وذلك لأن حسن الخلق يجيب الداعية إلى الناس جميعاً حتى أعدائه ، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم وكل من جالسه أو خالطه وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه السامية بإذن الله . ومن لم يتخلق بالخلق الحسن من الدعاة ينفر الناس من دعوته ، ولا يستفيدون من علمه وخبرته ، لأن من طبائع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم ، أو يبدو منه احتقارهم واستصغارهم ولو كان ما يقوله حقاً^(٢) .

ولذلك فقد كان ﷺ يوصي جميع دعاته الذين يرسلهم للدعوة بحسن الخلق وقد أوصى معاذاً حينما بعثه إلى اليمن بذلك فقال له : " وخالقت الناس بخلق حسن "^(٣) .
"وهكذا يكون حسن الخلق باب خير على الداعية ودعوته ، وعلى الفكرة وحاملها ، وعلى المنهج والملتزمين به "^(٤) .

٢- مطابقة القول للعمل

مطابقة الداعية قوله عمله : " بمعنى لا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه ؛ بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به ، ولا ينهى عن الشيء ما لم يكن هو أول تارك له ليفيد وعظه ويثمر إرشاده . فأما إن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر وهو واقع فيه فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الإصلاح "^(٥) .
ولذلك ذمَّ الله أمثال هؤلاء :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }^(٦) .

(١) مقومات الداعية الناجح . ص : ٣٤٠ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٣٤١ .

(٣) صحيح سنن الترمذي ، للترمذي ، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ، باب : ما جاء في معاشره الناس ، أبواب البر والصلة : (٣ / ٣٣٩) ، حديث رقم : (٢٠٥٣) . وقال محققه: هذا حديث حسن صحيح ، ط ٣ ، ١٣٩٨ - ١٩٨٧ - دار الفكر .

(٤) الدعوة إلى الله : الرسالة الهدف الوسيلة ، ص : ٣٦٢ .

(٥) هداية المرشدين . ص : ٩٠ .

(٦) سورة الصف ، الآية : (٣) .

وقد ندد سبحانه وتعالى هؤلاء بأسلوب آخر :

فقال تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تلون الكتاب أفلا تعقلون }^(١).

وقال تعالى على لسان شعيب - عليه السلام : { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله... }^(٢).

وقال تعالى : { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا... }^(٣).

قال ابن حزم^(٤) - رحمه الله - : " فرض على الناس تعلم الخير والعمل به ، فمن جمع بين الأمرين فقد استوفى الفضيلتين معاً ، ومن علمه ولم يعمل به ، فقد أحسن في التعليم ، وأساء في ترك العمل به ، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به ، وهو الذي لا خير فيه أمثل حالاً وأقل من آخر ينهى عن تعلم الخير ، ويصد عنه ، ولو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه منه شيء ، ولا أمر بالخير إلا من استوعبه لما ينهى أحد عن شر ، ولا أمر بخير بعد النبي ﷺ وحسبك بمن أدى رأيه إلى هذا فساداً وسوء طبع وذم حال"^(٥).

قال مالك بن دينار^(٦) - رحمه الله تعالى - : " إن العالم إذا لم يعمل بعمله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا"^(٧).

"فإن من حث على التحلي بفضيلة وهو عاطل عنها ، أو أمر بالتحلي عن نقيصة وهو ملوث بها لا يقابل قوله إلا بالرد ، ولا يعامل إلا بالإعراض والإهمال ؛ بل يكون موضع حيرة

(١) سورة البقرة ، الآية : (٤٤) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٨٨) .

(٣) سورة الجمعة ، جزء من الآية : (٥) .

(٤) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، الفارسي الأصل . الأموي اليزيدي القرطبي الظاهري ، صاحب التصانيف . كان قد ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ، وسمع من خلق كثير ، وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ

(٥) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ابن حزم ، ص : ٩٤ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩م — ١٩٧٩م .

(٦) مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي في البصرة . انظر ، الأعلام : (٥ / ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٧) إحياء علوم الدين : (١ / ٦٣) .

البسطاء ومحل سخرية في نظر العقلاء ، وكذلك الداعية إذا خالف قوله . أما الائتثار بما سيأمرهم به أولاً والتخلق بما يدعو إليه فهو أوقع في نفوس السامعين وأقرب إلى إذعان الراغبين" (١).

قال أبو حامد الغزالي — رحمه الله — " إن هداية الغير فرع للاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة ، والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ، ومتى يستقيم الظلّ والعود أعوج" (٢).

وأما عن ما لهم في الآخرة :

فإنه يتعجب أهل النار بوجود هذا الداعية بينهم ، وقد كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، عن أسامة — رضي الله عنه — قال عن النبي ﷺ : " يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلان ، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية" (٣).

قال ابن القيم — رحمه الله — : " علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له" (٤).

قال الشعبي (٥) — رحمه الله — : " يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من

(١) هداية المرشدين. ص : ٩٠ — ٩١ . بتصرف .

(٢) إحياء علوم الدين : (٦٣ / ١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأهل مخلوقه . ص : ٦٨٨ — ٦٨٩ ، حديث رقم : (٣٢٦٧).

صحيح مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله : (٤ / ١٨١١ — ١٨١٢) ، حديث رقم : (٢٩٨٩) .

(٤) الفوائد . ص : ٦١ .

(٥) الشعبي : علامة التابعين أبو عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي من شعب همدان ، كان مولده في أثناء خلافة عمر سنة ١٧ هـ — عام حلوله فيما قيل . كان إماماً حافظاً فقيهاً متفناً ثباتاً متقناً . وهو أكبر شيخ لأبي حنيفة . وأقام بالمدينة هارباً من المختار أشهراً ، فسمع من ابن عمر وتعلم الحساب ، وشهد وقعة الجمامم مع ابن الأشعث ، ثم نجا من سيف الحجاج ، وعفى عنه ، وولي قضاء الكوفة ، أدرك خمسمائة من أصحاب الرسول . انظر ، تذكرة الحفاظ . م : (١ / ٧٩-٨٤) . بتصرف ، والأعلام : (٤ / ١٨-١٩) .

أهل النار ، فيقولون ما أدخلكم النار ، وإنما أدخلنا الله الجنة بفعل تأديكم وتعليمكم ، فيقولون: إنما كنا نأمر بالخير ولا نفعله ، وننهى عن الشر ونفعله" (١) .
وقال حاتم الأصم (٢) : "ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه ، وهلك هو" (٣) .

وعندما نهي الرسول ﷺ عن محادثة كعب وصاحبيه ، كان قوله ﷺ مطابقاً لفعله ، حيث لم يتحدث كعباً عندما جاءه . وفي ذلك يقول كعب — رضي الله عنه — واصفاً هذا الموقف الأليم : " وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي ، هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا " (٤) فكان الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — يرون أفعال الرسول ﷺ تطابق أقواله ؛ ولذلك كانوا من أحرص الناس على الاحتذاء بحذوه ﷺ والاهتداء بهديه . فكانوا جميعهم قدوة لبعضهم في موافقة القول بالعمل ، يقول كعب — رضي الله عنه : " فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا .. إلى أن يقول فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد " . ثم يقول : " حتى إذا طسال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبب الناس إليّ فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ عليّ السلام ، فقلت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم" (٥) .

قال الشيخ ابن باز — رحمه الله تعالى — عن أهمية مطابقة القول للعمل بالنسبة للداعية : " ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي ؛ بل يجب أن يكون عليها الداعية العمل بدعوته ، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه أو ينهى

(١) إحياء علوم الدين : (١ / ٦٣) .

(٢) حاتم الأصم : حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم ، زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مُلَوَّن في الزهد والحكم ، من أهل بلخ ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتح ، وكان يقال له : لقمان هذه الأمة . انظر ، الأعلام : (٢ / ١٥٢) .

(٣) إحياء علوم الدين : (١ / ٦٣) .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

عنه ثم يرتكب. هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك" (١).

لما يترتب على ذلك من مفسد كثيرة ، " حيث إن مخالفة الداعية قوله لفعله يصير سبباً للمعصية ؛ لأن الناس يقولون لولا أن هذا الداعية مطلع على أنه لا أصل لهذه التخويفات ، لما أقدم على المناهي فيكون داعياً لهم إلى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي ، كما يصير كلامه معزل عن القبول ، وهذا تناقض لا يليق بالعقلاء" (٢).

"إن ثبات الداعية حتى النهاية أمر لا يعلمه إلا الله فمن يرد الله فتنه قلبه فلن يملك له أحد من الله شيئاً ؛ ولكن مما لا شك فيه أن هناك معينات تعين الداعية على الثبات في الطريق منها :

١ — دوام اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ وسؤاله الثبات والدخول عليه من باب الذل والانكسار والإكثار من الدعاء وبالأخص : " اللهم يامصرفِّ القلوب صرفِّ قلوبنا على طاعتك" (٣) .

٢ — معرفة طبيعة الطريق : فمن طبيعته أنه طريق طويل شاق بعيد المراحل كثير العقبات ، فلا بد أن يوطن نفسه على الصبر الجميل والتفكير الطويل" (٤).

(١) فضائل الدعوة إلى الله وحكمها . وأخلاق القانمين . ص : ٣٤ .

(٢) هداية المرشدين . ص : ٩٢ . بتصرف .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : القدر ، باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ، (٤ / ١٦٢٣) ، حديث رقم : (٢٦٥٤) .

(٤) من ركائز الدعوة ، ص : ٢١٣ — ٢١٥ . بتصرف .

المطلب الثالث :

الصفات النفسية

١_أخذ الحذر :

الحذر في اللغة : " الخفية والتحرز والتهيُّظ ، ورجل حذر : أي مستيقظ ومتحرِّز ومتأهب لما يخاف أن يفاجأ به من مكروه" (١).

و في الاصطلاح: "هو تنبه الانفعال لما ينذر بالخطر أو الأذى قبل وقوعه" (٢) .

"وبتعريف الحذر يتبين لنا أنه يقوم على أساس المعرفة وأخذ الحيطة ، والإنسان الحذر يعرف ضرر المكروه المتوقع حصوله ، فيخاف من وقوعه خوفاً يدفعه إلى أخذ الحيطة والتحرز ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه أو لدفعه إذا وقع أو لتقليل أضراره وأذاه ، فهو ليس بخوف مشوب باستسلام وقيود وانخلاع الفؤاد، واضطراب الفكر وتشوش البال قبل الوقوع، وهذا حذر محمود ، وهو من صفات أهل الإيمان والعقل السليم لا من صفات أهل الحماقة والجهالة" (٣).

وقد كرر القرآن الكريم الدعوة إلى الحذر واليقظة ليكون الحذر والحيطة سمة من سمات المسلم بصفة عامة ، وعلامة مميِّزة من علامات الداعية بصفة خاصة .

قال تعالى : { وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأنتعكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً } (٤).

"وهذه الآية الكريمة تدلّ دلالة صريحة وقاطعة على وجوب أخذ الحذر ؛ بل وتبيّن للمسلمين كيفية الحذر مما يدل على أهميته ، فالأمر بأخذ الأسلحة ، والأمر بأن يكون بعض

(١) لسان العرب : (١٧٥/٤) بتصرف .

(٢) الخلق الكامل : (٤٢/١) .

(٣) أصول الدعوة : (٤٤٨ - ٤٤٩) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (١٠٢) .

المسلمين وراء المصلين يحموهم من العدو ، وتقسيم المسلمين إلى طائفتين طائفة تصلي وطائفة تحرس ، والأمر بأخذ الحذر ، وبيان أن الكفار يرغبون أن يترك المسلمون الحذر وأخذ أسبابه حتى يستأصلوا المسلمين مرة واحدة كل ذلك دليل على وجوب الحيطة والتحرز وأخذ الحذر من المكروه المتوقع^(١).

قال الإمام القرطبي — رحمه الله تعالى — : (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) . " هذا وصاة بالحذر وأخذ السلاح لثلاث ينال العدو أمله ويدرك فرصته "^(٢).

ثم قال رحمه الله : (ودّ الذين كفروا) : " أي تمنى وأحب الكافرون غفلتكم عن أخذ السلاح ليصلوا إلى مقصودهم ؛ فبين الله تعالى بهذا وجه الحكمة في الأمر بأخذ السلاح ، وذكر الحذر في الطائفة الثانية دون الأولى ؛ لأنها أولى بأخذ الحذر "^(٣).

ثم قال : (وخذوا حذركم) : " أي كونوا متيقظين ، وضعتم السلاح أو لم تضعوه ، وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال وترك الاستسلام ؛ فإن الجيش ما جاءه مصاب قطّ إلا من تفرط في حذر "^(٤).

وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانقروا ثبات أو انفروا جميعاً .. }^(٥). " هذا خطاب للمؤمنين وأمرهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع ، وأمر لأهل الطاعة بالقيام بإحياء دينهم ، وإعلاء دعوتهم ، وأمرهم الله تعالى أن لا يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى يتحسسوا ما عندهم ويعملوا كيف يردون عليهم ، فذلك أثبت لهم "^(٦).

علاقة الحذر بالتوكل على الله :

إن الحذر والتيقظ من الأسباب ومباشرة الأسباب لا تنافي التوكل . ولا يجوز التعلق بالأسباب لأن الأسباب والمسببات بيد الله وحده .

(١) أصول الدعوة ، ص : ٤٥٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : (٥ / ٣٧١) .

(٣) المرجع السابق : (٥ / ٣٧٢) .

(٤) المرجع السابق : (٥ / ٣٧٣) .

(٥) سورة النساء ، الآية : (٧١) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : (٥ / ٢٧٣)

قال القرطبي — رحمه الله — : " وهذا قول عامة الفقهاء ، أن التوكل على الله هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض ، وأتباع سنة ﷺ في السعي فيما لا بد من الأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى ولا يتم التوكل مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب والالتفات إليها بالقلوب ، فإنها لا تجزئ ، نفعاً ولا تدفع ضرراً ؛ بل السبب والمسبب فعل الله تعالى ، والكل منه وبمشيئته ؛ ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الأسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم" (١) .

وقد كان الرسول ﷺ سيد المتوكلين قد باشر الأخذ بالأسباب في هجرته (٢) . ودخل مع صاحبه أبي بكر إلى الغار أخذاً بالحيلة والحذر ؛ ولكن اعتماده ما كان على ما باشره من أسباب وإنما كان اعتماده على الله وحده ، ولهذا لما شعر أبو بكر بالقلق على حياة الرسول الكريم كما أخبرنا ﷺ وظهر عليه الحزن ؛ من أجل رسول الله ﷺ قال له الرسول الكريم كما أخبرنا الله : { ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } (٣) ، فكان نظر رسول الله واعتماده على معية الله لهما بالنصر والحفظ والتأييد لا على ما باشره من الأسباب" (٤) .

أنواع الحذر :

الحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعية المسلم ، فهناك الحذر من المعاصي ، والحذر من الأهل والولد ، والحذر من اتباع الهوى ، والحذر من الأعداء ، وقد برز أخذ الحذر بوضوح في أحداث غزوة تبوك ، على النحو التالي :

(١) الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ١٨٩) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، ص : ٨١٦ — ٨١٧ ، حديث رقم : (٣٩٠٥) .

ويمكن أن نستنتج من هذا الحديث التدابير الأمنية للحذر والتي أخذ بها النبي ﷺ لضمان نجاح هجرته ، فقد قام بالسرية السامة لستحركه ، حيث لم يخبر أحداً بعزمه حتى ساعة الصفر . والحذر الشديد حيث جعل علي بن أبي طالب ينام في فراشه . والخروج في وقت يغلب فيه المجوع حتى لا يتبه إليه أحداً ، أخذ معه رفيقه ليونس وحشته . والخروج من ظهر البيت وليس من بابه الرئيس . والاتجاه إلى غار ثور في غير طريق المدينة للتصويه والبقاء فيه ثلاثة أيام . والحصول على أنباء القوم أولاً بأول وتعيين أمين في ذلك . وتأمين الطعام والماء أثناء وجودهما بالغار . وطمس آثار أقدام ورواحل الذين يأتون للغار ممن لهم مهمات . وإعداد الرواحل القوية وإحضارها في وقت مناسب . والاستعانة بالمشركين في سبيل أمن الهجرة .

(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٤٠) .

(٤) أصول الدعوة . ص : ٤٥٣ .

١- الحذر من الأعداء :

يحذر الله سبحانه وتعالى رسوله وعباده المؤمنين بضرورة أخذ الحذر والحيطه من أعدائهم وخاصة المنافقين . قال تعالى : { هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أي يؤفكون }^(١).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : (فاحذرهم) لها وجهان :

• أحدهما : فاحذرهم ممايلتهم لأعدائك وتحذيلهم لأصحابك .

• والثاني : فاحذرهم أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم^(٢).

"فهؤلاء المنافقين يعتبرون حلقة اتصال خفية بين دول الكفر ، ودول الإيمان فهم قوم يظهرون الإيمان والولاء لدولة الإسلام ، ويطنون الكفر والعداء لها . ومن أجل هذا يصنعون كل أساليب الجاسوسية للإيقاع بأمة الإسلام"^(٣).

والرسول ﷺ لم يكن ليأمن المنافقين أو يصدّقهم ؛ ولذلك كان يعمد إلى التورية في غزواته حتى لا ينتهي الخير إلى الأعداء .

وفي غزوة تبوك أخذ الرسول ﷺ ، مبدأ الحذر والحيطه من الأعداء باتخاذ العدة اللازمة لمواجهة الروم ، خاصة وقد جمعوا جمعهم لمواجهة المسلمين والقضاء عليهم ؛ و الإسلام يُحذّر من الاستهانة بالعدو ، حتى لا تتعرض الأمة الإسلامية للخطر أو الزوال بفعل هجوم العدو .

كما أن الروم كانوا يرسلون عيونهم للتجسس ، حتى يتعرفوا على أخبار المجتمع الإسلامي ودولته الفتية ، ثم يقوموا ببذر الشائعات ، واستغلال الفرص للتفرقة بين المسلمين وتفكيك المجتمع الإسلامي ، وقد وصلتهم أنباء كعب - رضي الله عنه - وهجر الرسول ﷺ والمسلمين له ، فأرسلوا بنبطي من عندهم ممن يقدم بالطعام لبيعه بالمدينة ويسأل عن كعب - رضي الله عنه - ويدفع له كتاباً من ملك غسان يُطّيب فيه خاطره ويدعوه فيه للحاق بهم مما يدل على أن الروم كانوا يصطادون في الماء العكر ، لمحاولة التفرقة بين المسلمين .

(١) سورة المنافقون ، جزء من الآية : (٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : (١٨ / ١٢٦) .

(٣) صفة النفاق وذم المنافقين . ص : ٧ .

كما كان أبو عامر الفاسق وهو في بلاد الروم يرأسل المنافقين ليعرف أخبار الرسول ﷺ والمسلمين؛ ولأن المنافقين يكنون العداوة للرسول ﷺ وللمسلمين ، فكانوا يثبون الإشاعات بين المسلمين ليشطوهم عن القتال .

وقد حاول المنافقون إلقاء الرسول ﷺ من أعلى العقبة ليقتلوه ، وهذا يؤكد على أن الداعية بحاجة إلى أن يتبها لما يحاك حوله من مؤامرات ، وما يلصق به من تمم ، وأن يحذر من المنافقين وغيرهم من الأعداء ولا يثق بقولهم .

"كما يحتاج الداعية إلى الحذر وخاصة إذا كان في مجتمع كافر ، حيث أن الملائم يكيّدون للداعية ويعرقلون سعيه في نشر الإسلام ، أو يريدون البطش به ، وقد يكون الأخذ بالحذر في هذه الحالة وأمثالها واجباً عليه ، لأن تركه قد يفضي إلى التهلكة ، وقطع جهاد الداعية في سبيله ، وإلقاء النفس بالتهلكة مع إمكان الاحتراز ؛ وبالتالي الأخذ بالأسباب واجب لما يتبع ذلك من نشر الإسلام خيراً كثيراً يفوت إذا هلك بسبب ترك الحذر ؛ فيلزمه الحذر لهذه الغاية"^(١) .

٢- الحذر من المعاصي :

قال تعالى : { ويحذركم الله نفسه }^(٢) . أي "يحذركم الله عقابه بأن تباشروا المعاصي وما يسخط الرب جلّ جلاله فيحلّ عليكم عذابه أو تفقدوا نصره وتأييده وحفظه"^(٣)؛ "لأن من آثار المعاصي: قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار"^(٤) .

(١) أصول الدعوة . ص : ٤٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (٢٨) .

(٣) أصول الدعوة . ص : (٤٥٣) .

(٤) الفوائد . ص : ٣٢-٣٣ .

وعندما أمر الرسول ﷺ صحابته مقاطعة كعب - رضي الله عنه - وصاحبيه وهجرانهم ، وقدم رسول ملك غسان بالرسالة إلى كعب ، وسأل عنه ، أشار الصحابة إلى بيت كعب دون الكلام دلالة على حذرهم من الوقوع في الإثم .
وفي إحراق كعب - رضي الله عنه - كتاب ملك غسان في التنوير بسرعة دلالة على حذره من معصية الله والخوف من فتنة الدين . وبعد نزول توبة الله على كعب - رضي الله عنه - وصاحبيه . عاهد كعب نفسه بالتزام الحذر من الوقوع في إثم معصية الكذب طيلة حياته . حيث يقول : " إن الله إنما يجاني بالصدق ؛ وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . إلى أن قال : ما تعمّدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقيت " (١) .

" وبالتالي فالداعية إلى الله يحذر أن يحلّ عليه غضب الله ، أو يقطع عنه مدده ، وعونه وحفظه وتأنيده ولهذا فهو دائم التعلق بالله شديد الحذر من الوقوع فيما يغضب الله تعالى " (٢) .

٣- الحذر من اتباع الهوى :

يُحذّر الله تعالى نبيه ﷺ أن يفتنه أهل الكتاب أو يتبع شيئاً من أهوائهم ؛ لأنّ النبي ﷺ هو المثل الأعلى في الخضوع لأمر الله ، والبعد عن مخالفته في قليل أو كثير ، فيقول الله تعالى :
{ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصببهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون } (٣) .

فاتباع الهوى يؤدي بصاحبه إلى الانحراف عن الحق والصدود عنه ، وذلك ؛ « لأنّ الهوى هو الدافع القوي لكل طغيان ، ولكل تجاوز ، وكل معصية ، وهو أساس البلوى ، وينبوع الشر ، وقلّ أن يؤتى الإنسان إلاّ من قبل الهوى " (٤) .

وفي موقف كعب من إحراقه لكتاب ملك غسان ما يدل على أنه خشي على نفسه من أن يفتنه أهل الكتاب أو يتبع شيئاً من أهوائهم ، ولذلك بادر بإحراق الكتاب فوراً .

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) أصول الدعوة . ص ٤٥٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : (٤٩) .

(٤) في ظلال القرآن : (٦ / ٣٨١٩) .

"وبالتالي فالداعية لا بد أن يحذر من الانزلاق إلى متابعة الهوى وترك الحق بحجة سواد المستجيبين قبول الدعوة وانتشارها ، فإن الدعوة إلى الله ليست بحاجة إلى تكثير سواء اتباعها عن طريق الخيانة وإرضائهم بالباطل وبما يسخط الله" (١).

٤- الحذر من الأهل والولد :

يَحذِّرُنَا اللهُ سبحانه وتعالى من العدو غير الظاهر ، وهم الأهل والولد ، مما يظنهم الإنسان سنداً له وعوناً فإذا هم أحياناً سبباً في خسارته أو بواره ، فيكون فعل أهله مثل فعل أعداءه . وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } (٢).

ووجه عداوتهم كما يقول ابن العربي المالكي (٣) - رحمه الله - : " هذا يبين وجه العداوة؛ فإن العدو لم يكن عدواً لذاته ؛ وإنما كان عدواً بفعله ، فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ، ولا فعل أقبح من الخيلولة بين العبد وبين الطاعة" (٤).

وقيل في سبب نزول الآية : " أن عوف بن مالك الأشجعي (٥) ، شكاً إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده ؛ فزلت" (٦). الآية.

عن سيرة بن أبي فاكهه - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : " إن الشيطان قعد لابن آدم في أطرقة، فقعد له بطريق الإسلام فقال له : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

(١) أصول الدعوة . ص : ٤٥٤ .

(٢) سورة التغابن ، الآية : (١٤) .

(٣) ابن العربي : هو العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشيلي ، ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ورحل مع أبيه إلى المشرق وسمع العلوم من علمائها ، وجمع وصنّف وبرع في الأدب والبلاغة وذاع صيته ، وكان متبحراً في العلم ، ثاقب الذهب ، كريم الشمائل ، كثير الأموال ، ولي قضاء إشبيلية وكان ذا شدة وسطوة ، ثم عزل . فأقبل على التصنيف ونشر العلم ، وصنّف في الحديث والفقه والأصول وعلم القرآن والأدب والنحو والتواريخ . واتسع حاله . ومدحته الشعراء ، توفي بغاس في ربيع الآخر سنة ٥٤٣ هـ ، انظر ، تذكرة الحفاظ . م ٢ : (١٣٩٥/٤ - ١٣٩٦) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : (١٨ / ١٤١) .

(٥) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، مختلف في كنيته ، قيل أبو عبدالرحمن ، وقيل أبو محمد ، وقيل غير ذلك . قيل أسلم عام خمير ، ونزل حمص ، وقال غيره شهد الفتح وكانت معه راية أشجع ، وسكن دمشق ، ومات سنة ثلاث وسبعين . انظر ، الإصابة : (٧٤٢/٤) ، الطبقات الكبرى : (٢٨٠ / ٤) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : (١٨ / ١٤٠) .

فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال له : أتهاجر وتذر أرضك وسمائك إنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر . ثم قعد له على طريق الجهاد ، وهو جهاد النفس والمال ، وقال له : أتجاهد فتقتل ، فتكبح المرأة ، ويقسم المال ؟ فعصاه فجاهد ، فقتل فحقّ على الله أن يدخله الجنة " (١) .

" وعود الشيطان يكون بوجهين :

• أحدهما : يكون بالوسوسة .

• والثاني : أن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب ، لذلك قال الله تعالى : { وَيَضْمَلْهُمْ قِرْنَاهُمْ فَرِينُوا لِمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } (٢) .

والحذر على النفس يكون بوجهين : إما لضرر في البدن ، وإما لضرر في الدين ، وضرر الدين يتعلق بالآخرة ، فحذر الله العبد من ذلك وأنذر به " (٣) .

وبعد أن سار الرسول ﷺ إلى تبوك ، وتأخر أبو خيثمة عن الركب ، عند ذلك قرر اللحاق برسول الله ﷺ فوجد امرأته في عريشها وقد رشتاه بالماء البارد ، فحلف ألا يدخل عريش واحدة منهما حتى يلحق برسول الله ﷺ وطلب منهما أن يهيا له الزاد فهياتاه له ، فخرج في طلب رسول الله ﷺ بعد أن خشي على نفسه من فتنة أهله وولده ، وقد أدرك الرسول ﷺ حين نزل بتبوك ، فقال الرسول ﷺ حينها : كن أبا خيثمة (٤) .

وعندما أمر الرسول ﷺ كعباً وصاحبيه باعتزال نساءهم بعد مضي أربعين ليلة من الخمسين . خشي كعب على نفسه من أن يفتن بزوجه فيقرها ، و لأنه رجل شاب ، التزم الحذر ، لذلك أمرها أن تلحق بأهلها حتى يقضي الله في أمره .

" فعلى الداعية التزام الحذر من جهالة الأهل والولد وتثيبتهم له عن الجهاد في سبيل الله والدعوة ، فهم مجبنة مبخلّة " (٥) .

وعموماً فالداعية الكيس الفطن لا بد أن يلتزم الحذر بجميع أنواعه في مجال حياته ، وفي

(١) المسند : (٢٥ / ٣١٥ - ٣١٦) ، حديث رقم : (١٥٩٥٨) . قال محقق المسند : وهذا الحديث إسناده قوى .

(٢) سورة فصلت ، الآية : (٢٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : (١٨ / ١٤٢) .

(٤) انظر ، زاد المعاد : (٤٦٣ / ٣) .

(٥) أصول الدعوة . ص : ٤٥٤ .

بجمال دعوته حتى لا يضعف تحت أي مؤثر من المؤثرات التي قد تصرفه عن الدعوة، أو عن القيام بواجباتها تجاه المدعوين .

٢- قوة الإرادة :

"الإرادة في الأصل؛ قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، وجعل اسماً لتزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يُفعل أو لا يُفعل"^(١).

"وهي الرغبة الأكيدة في بلوغ هدف ما ، وإنما تكون بقوة النفس ، وصلابتها لكي تدفع إلى العمل المنتج ، فهي إذن رضا النفس واطمئنانها ، ويُعبّر عن قوة الإرادة أيضاً بالتصميم"^(٢) . "والإرادة تشمل العزيمة والهمة والقوة ويدخل في معناها أيضاً الصبر ؛ لأن الإرادة بدون صبر لا تسمى إرادة"^(٣).

"هذا وللإرادة نوعان من العمل : فقد تكون دافعة وقد تكون مانعة . فتارة تدفع الإنسان إلى عمل كأن تحمله على القراءة أو التأليف أو الخطابة ، وتارة تمنع القوى عن المسير وتقصرها عن العمل"^(٤).

"فالإرادة مخالفة العادة ، وهي ترك عوائد النفس وشهواتها ورعوناتها وبطالاتها"^(٥).
والإرادة هي قوة من القوى ، فهي المحرك للإنسان ، وعنها تصدر جميع الأعمال الإرادية"^(٦). "والإرادة قوة دائبة العمل ، تمكن الإنسان من مواصلة طريقة يوماً بعد يوم نحو الهدف المنشود، وهي تغلب على العقبات التي تصادف سعي الإنسان إلى الهدف المنشود"^(٧).
قال الله تعالى : { قل كل يعمل على شاكلته }^(٨).

"فالمريد الصادق المحب لله يعمل ما هو اللائق به على شاكلته والمناسب له ، فهو يعمل

(١) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٦ ، كتاب الرأء . مادة ورد .

(٢) العمل والقيم الخلقية في الإسلام . د . أحمد ماهر البقري . ص : ٢٤٢ ، المكتب الجامعي الحديث .

(٣) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله . ص : ٤٩ .

(٤) الهمة العالية . معوقاتها ومقوماتها . محمد إبراهيم محمد . ص : ٢٣٥ ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤٢٠هـ .

(٥) مدارج السالكين : (٢ / ٣٥٣) .

(٦) الهمة العالية . ص : ٢٣٥ .

(٧) مرشد الدعاة ، محمد عمر الخطيب ، ص : ٢٢٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

(٨) سورة الإسراء ، الآية : (٨٤) .

إرادته وما هو الأليق به والأنسب لها" (١).

"والإرادة القوية إرادة تقدم على ما قصدت مهما كلفتها من المشاق ولا تحجم أمام العقبات التي تعترضها ، وإنما تبذل ما في وسعها لتذليلها ، ولا شيء عندها أصعب من عدولها عن قصدتها . والمقصود بالإرادة القوية ؛ إنما هي إرادة التوجه إلى الخير ، فمن أفضل ما يمدح به الرجال أن يتوجه بعزمه القاطع إلى إظهار حق ، وإقامة مصلحة" (٢).

وقد حاول زعماء قريش أن يثنوا الرسول ﷺ عن دعوته إلى الله فقال رسول الله ﷺ :
" يا عمّ والله لسو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته" (٣).

"فباستطاعة الإنسان أن يصل إلى ما يريد إذا توجه لأمر قد عرف فائدته ومنفعته ، وأنه يستحق الجهد والتعب وإذا تعود الإنسان على مخالفة نفسه شهواتها ، تولّد لديه بهذا الميدان قوة الإرادة" (٤) ، "وهذه الإرادة هي سر النجاح في الحياة ، وهي عنوان عظماء الرجال الذين إذا أزمعوا أمراً لم يثنهم عنه شيء بل يسلكون إليه كل سبيل ويركبون له كل صعب وذلول" (٥).

وقد تعرّض كعب — رضي الله عنه — وصاحبيه لمحنة الهجر من الرسول ﷺ ومن المجتمع ومن امرأته، ولو لم يكن يتمتع بقوة الإرادة وضبط النفس لما استطاع الصمود في وجه هذه المحنة العصبية وخاصة بعد مجيء مبعوث ملك غسان يطلب منه اللحاق بهم في الشام ،

(١) مدارج السالكين : (٢ / ٣٥١) .

(٢) مرشد الدعاة . ص : ٢٢٤ .

(٣) أبو طالب : هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، أبو طالب ، والد علي — رضي الله عنه — وعم النبي ﷺ وكافله ومربيّه ومناصره . كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ، ومن الخطباء العقلاء الأباة . وله تجارة كسائر قريش . نشأ النبي ﷺ في بيته ، وسافر معه إلى الشام في صباه . ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ أقرباؤه (بنو قريش) بقتله فحمّاه أبو طالب وصدّهم عنه ، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام ، فامتنع خوفاً من أن يعيره العرب بتركه دين آبائه ، ووعد بنصرته وحمّيته ، وفيه نزلت الآية : { إنك لا تهدي من أحببت } . واستمر على ذلك إلى أن توفي ، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة . وفي الحديث : (ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب) . مولده ووفاته بمكة . انظر ، الأعلام : (٤ / ٣١٥) .

(٤) سورة ابن هشام : (١ / ٢٩٩) .

(٥) مرشد الدعاة . ص : ٢٢٢ .

حتى كان أئمةً إنسانياً للتربية النفسية في قوة الإرادة .
وفي تعرّض المسلمين المقاتلين للجوع والحر والعطش أثناء الطريق مع بعد المسافة ،
وتصميمهم على مواصلة الطريق في تلك الظروف الصعبة والشاقة لمواجهة الروم ومقاتلتهم
لدليل قوي على تلك الإرادة الفولاذية التي كانوا يتمتعون بها .
"وقوة الإرادة هي ركن من أركان شخصية القادة والدعاة ، بما تُدلل الصعاب ، وبما
تُحلّ المشكلات ، وبما تجتاز العقبات ، وقادة الإسلام هم أحوج الناس إلى إرادات قوية ،
تُزأ بالمحن والخطوب"^(١) وتقاوم العثرات والنكبات.

٣- حفظ السر :

في اللغة :

السر : من سرر ، والإسرار خلاف الإعلان . قال تعالى : { يعلم ما يسرون وما يعلنون }^(٢) .
والسر : هو الحديث المكتوم في النفس . قال تعالى : { يعلم السر وأخفى }^(٣) .
وأسررت إلى فلان حديثاً : أفضيت إليه في خفية . قال تعالى : { وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه
حديثاً }^{(٤)(٥)} .

"والقدرة على حفظ السر للذات أو الغير ، هو ضرب من أعظم ضروب الاحترام
لنفس ، وقد ورد في القرآن الكريم الأمر بحفظ السر اثنتين وثلاثين مرة في صور مختلفة تعني
كتمان أمر ما"^(٦) . وكتمان سر رسول الله ﷺ خلق رفيع لدى أهله وصحابه عن عائشة —
رضي الله عنها قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ :
مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثاً فبكت ، فقلت لها : لم
تسكين ؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كالاليوم فرحاً أقرب من حزن ،

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢١٦) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : (٧٧) .

(٣) سورة طه ، الآية : (٧) .

(٤) سورة التحريم ، الآية : (٣) .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٢٨ ، كتاب السين . مادة سرر .

(٦) الأخلاق في الإسلام . د . عبد اللطيف محمد العبد . ص : ٢٠١ ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة .

فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها" (١).

وقد وقف أبو بكر — رضي الله عنه — موقف الأمين من سر رسول الله ﷺ كما هو شأنه ، فقد عرض عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ابنته حفصة (٢) على أبي بكر وعثمان — رضي الله عنهما — فلم يديبا رغبة في الزواج . وخطبها الرسول ﷺ . عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما قال : " .. ، لقي أبو بكر عمر بن الخطاب فقال أبو بكر : لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال عمر : قلت : نعم . قال أبو بكر : فإنه لم يعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ ، إلا أنّي كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها" (٣) .
وفي الصحيحين أن أنس بن مالك (٤) — رضي الله عنه — قال : " أسر إليّ النبي ﷺ سرّاً ، فما أخبرت به أحداً بعده ، ولقد سألتني أم سليم (٥) فما أخبرتها" (٦) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ص : ٧٦٢ ، حديث رقم : (٣٦٢٣) .

صحيح مسلم : كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل بنت النبي ﷺ : (٤ / ١٥١٤) ، حديث رقم : (٢٤٥٠) .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين هي أم المؤمنين . وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة ، وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة فانقضت عدتها ، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد عائشة في السنة الثالثة للهجرة وهو الراجح ، وقيل أمّا ولدت قبل المبعث بخمس سنين ، طلقها رسول الله ﷺ ثم ارتجعها وذلك أن جبريل قال له : "ارجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة" . ماتت حفصة لما بايع الحسن معاوية وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين . وقيل بل بقيت إلى سنة خمس وأربعين . انظر ، الإصابة : (٧ / ٥٨٣) ، الاستيعاب : (٤ / ١٨٠ - ١٨١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : عرض الإنسان ابنته ، وأخته على أهل الخير . ص : ١١٢٦ - ١١٢٧ ، حديث رقم : (٥١٢٢) .

(٤) أنس بن مالك بن النضر ، الإمام أبو حمزة الأنصاري النجاري المدني ، خادم الرسول ﷺ وله صحبة طويلة وحديث كثير وملازمة للنبي ﷺ منذ هاجر إلى أن مات . وكان آخر من مات من الصحابة . روى عدداً كثيراً من الأحاديث . مات ستة ثلاث وتسعين سنة ، وقيل مات سنة ٩١ هـ وقيل سنة ٩٢ هـ ، وقيل سنة ٩٠ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٤٤) ، أسد الغابة : (١٩٢ - ١٩٥) .

(٥) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية النجارية ، أم أنس بن مالك ، اختلف في اسمها ، كانت مع مالك بسن النضر . والد أنس بن مالك في الجاهلية . ففضب عليها وخرج إلى الشام ومات هناك . ثم خطبها أبو طلحة الأنصاري وهو مشرك ورفضته فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه ، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ ، وروت عنه أحاديث . روى عنها ابنها أنس . وكانت من عقلاء النساء . انظر ، أسد الغابة : (٧ / ٣٦٧ - ٣٧٧) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الاستئذان ، باب : حفظ السر ، ص : ١٣٤٣ . حديث رقم : (٦٢٨٩) .

"ولا يتم كتمان السر إلا بالصبر ، من أجل هذا فهو من فروع خلق الصبر ، كما أن له صلة بقوة الإرادة المستندة إلى صحة العقل وسلامة الرأي ، والصبر من قوة الإرادة ، كما أنه مظهر من مظاهر الأمانة ، ومظهر مظاهر الصبر معاً"^(١).

"ويكون الكتمان فضيلة إذا كان في أمر ينبغي كتمانها وعدم إفشائها ؛ لأن المصلحة المعقولة والمشروعة تقتضي بكتمانها ، وهو عندئذ فضيلة خلقية ، ومن ذلك كتمان مقدار القوة والخطط الحربية من الأعداء ، وهو فضيلة خلقية يرتبط بها النجاح والظفر ، وقد يكون بضدها الخيفة والهزيمة"^(٢).

ومن الكتمان المحمود ما جاء عن يعقوب — عليه السلام — عندما أوصى ابنه يوسف — عليه السلام — أن يكتُم رؤياه عن أخوته حتى لا يكيدوا له . قال تعالى : ﴿ قال يا بني لا تنصص رؤياك على أخوتك فكيدوا لك كيداً ﴾^(٣).

قال ابن بطلال — رحمه الله تعالى — : "الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة ، فأكثرهم يقول : إنه إذا مات لا يلزم من كتمانها ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون فيه غضاضة . ثم علق ابن حجر — رحمه الله — على هذا القول فقال : "الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح ، وقد يستحب ذكره ، ولو كرهه صاحب السر ؛ كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك ، وإلى ما يكره مطلقاً وقد يجرم . وهو الذي أشار إليه ابن بطلال ، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بتركه القيام به ، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أنه يفعل ذلك"^(٤).

"وحفظ أسرار الناس مشروط بأن لا يؤثر على حق الله أو حق المسلمين ، فإذا كان مؤثراً على شيء من ذلك ، كان من الخيانة لحق الله أو لحق المسلمين ، ومن الأسرار التي يجب حفظها وعدم إفشائها ما يكون بين الرجل وامرأته"^(٥).

(١) الأخلاق الإسلامية، وأسستها : (٢ / ٣٤٣) .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ٣٤٣) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٥) .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١١ / ٨٥) .

(٥) الأخلاق الإسلامية، وأسستها : (٢ / ٣٤٥) .

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : " إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها " (١).

" وينهى الإسلام من دخول السر في جانب العلم حتى ينتفع به عامة المسلمين ، ولا سيما إذا كان علماً متصلاً بالدين " (٢).

قال بعض الحكماء : " سرّك من دمك ، فإذا تكلمت به فقد أرقته " (٣).

ومن صفات أمين السر ، كما قال الإمام الماوردي — رحمه الله تعالى — : " اعلم أن من الأسرار مالا يُستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم ، واستشارة ناصح مسالم ، فليختر العاقل لسره أميناً ، إن لم يجد إلى كتمه سبيلاً ، وليتحرّى أن يكون ذا عقل صاد ، ودين حاجز ، ونصح مبذول ، وود موفور ، وكتوماً بالطبع ، وليحذر كثرة المستودعين لسره ، فإن كثرتهم سبب الإذاعة وطريق إلى الإشاعة " (٤).

وقد كان النبي ﷺ يودع سره عند من يثق به ، وقد أخرج النبي ﷺ حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — بأسماء المنافقين الذين أرادوا قتله والتخلص منه ، بطرحه ﷺ من على ظهر ناقته من أعلى العقبة ، وقد احتفظ حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — بهذا السر طيلة حياته ، ولذلك كان يُلقب بصاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره .

قال ابن القيم — رحمه الله تعالى — : " ولم يكن عمر — رضي الله عنه — ولا غيره يعلم أسماء المنافقين ، وكان إذا مات الرجل وشكّوا فيه يقول عمر : انظروا فإن صلّي عليه حذيفة وإلا فهو منافق " (٥).

وهذا يدل على دقة الرسول ﷺ في اختيار الرجل المناسب لحفظ الأسرار وعدم بثها ، وثقته به بعدم نشرها .

" وهذا الموقف يُعلّم الدعاة السرية ، حتى يضع الداعية سره عند رجال يحفظون السر ويُقدّرون خطورة إفشائه ، فلا يتحدثوا مع أصدقائهم بشيء من هذه الأسرار ، وخاصة

(١) صحيح مسلم ، كتاب : النكاح ، باب : تحريم إفشاء سر المرأة : (٢ / ٨٥٩) ، حديث رقم : (٤٣٧) .

(٢) الأخلاق في الإسلام . ص : ٢٠٢ . بتصرف .

(٣) أدب الدنيا والدين : ص : ٢٩٥ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٢٦٩ — ٩٦٧ . بتصرف .

(٥) زاد المعاد : (٣ / ٤٧٩) .

الأسرار العسكرية ، أو الأسرار التي تهدد كيان الأمة ومستقبلها ، أو الأسرار التي تؤدي إلى إلحاق الأذى بأعراض المسلمين وأموالهم ودمائهم"^(١).

"والداعية إذا اشتهر بالعقل والعلم وحفظ السر والأمانة ، فإن نفوس الناس تطمئن إلى الإفضاء بأسرارهم إليه ، فيجعلونه مرجعاً لهم في حل مشاكلهم الفردية والجماعية التي يتحرّجون من الإسرار بها إلا لمن يثقون به غاية الثقة ، وبالتالي يكون محل تقديرهم واحترامهم"^(٢).

٤ - الثبات :

لغة:

الثبات : " هو دوام الشيء ، وهو ضدّ الزوال . والرجل الثابت هو الفارس الشجاع"^(٣).
والثبات المقصود هنا : " هو الثبات على الحق والتواصي بالاستمسك بموجباته كلها ، مهما بلغت التضحيات في سبيل ذلك"^(٤).

"والثبات خلق من أخلاق القرآن الكريم ، نحتاج إليه أشد الاحتياج ؛ لأن طريق العبادة و الطاعة طويل لا بدّ من ثبات واستقرار ، وطريق العمل والسعي الحميد في الحياة طويل ، لا بد من ثبات واستقرار ، وطريق الأبطال وتحقيق الآمال الكريمة والنضال طويل لا بد له من ثبات واستقرار ، ولذلك نادى الله جلّ جلاله عباده الأخيار بقوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }"^{(٥)(٦)}.

"وقد أحرر الله تبارك وتعالى عباده بأن الثبات صفة كريمة من صفات المؤمنين ،

(١) في ظلال السيرة النبوية في غزوة أحد . محمد عبد القادر أبو فارس ، ص : ٢١ ، دار الفرقان ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩.

(٢) صفات الداعية الناجح ، صالح محمد العليوي ، ص : ٧١ ، بتصرف ، دار القاسم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ٩٦) .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ٢١٠) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (٢٠٠) .

(٦) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ٢١٠) .

تتحقق لهم عن طريق الاهتداء بهدي القرآن المجيد ، والإقبال على طاعة الله والاعتصام بحبله وهداه . قال تعالى : { قل نزلّه روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين }^(١) .
وقال تعالى : { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء }^(٢) .

كما أخبر الحق سبحانه بأنه قد منّ على رسوله ﷺ بنعمة الثبات ، وإثما تحقق الثبات لرسول الله بفضل الله ، قال تعالى : { وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك }^(٣) .
وقال تعالى : { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً }^(٤) .
وموقف الجهاد من المواقف التي تحتاج إلى الثبات والالتجاء إلى الله . قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون }^(٥) .

فالمسلم يحتاج إلى الثبات ، لأنه كثير التقلب والتحول ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن بقلب واحد يقبها حيث يشاء . ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " ^(٦) . والتقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن التي تواجه المسلم أو توجه إليه ، والقلوب تتأثر بما حولها ، والنفوس فيها الهوى والشهوة ، فقد تؤثر الدنيا ، وقد يفرها الغرور وقد تغفل " ^(٧) .

"فالإيمان ليس كلمة تقال باللسان ، إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال ، فلا يكفي أن يقول الناس : آمنا وهم لا

(١) سورة النحل ، الآية : (١٠٢) .

(٢) موسوعة أخلاق القرآن : (٩٦ / ١) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : (٢٧) .

(٤) سورة هود ، جزء من الآية : (١٢٠) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : (٧٤) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : (٤٥) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : القدر ، باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء : (٤ / ١٦٢٣) ، حديث رقم :

(٣٦٥٤) .

(٨) معالم الشخصية الإسلامية ، عمر سليمان الأشقر . ص : ٤١ . مكتبة الفلاح ، الكويت — ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .

يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرّضوا للفتنة ، فيشتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصره خالصة قلوبهم . قال تعالى : { أم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون }^{(١)(٢)}.

ففي غزوة تبوك كان نصر الله عظيماً للمسلمين ، إذ انحسر الروم بعد أن بلغهم ما عليه المسلمون من قوة وثبات ، وقد أدركوا من قبل أنه لا قبل لهم بمقاومة جند يوثرون الموت في سبيل الله على الحياة .

كما ثبت كعب — رضي الله عنه — وصاحبه طوال فترة المقاطعة والمهجر إذ لم ييأس من رحمة الله ومن فرجه لهم .

وثبت — رضي الله عنه — في محنته في الحق عندما جاءه كتاب ملك غسان ليدعوه فيها للانضمام إليهم حيث أحرقه على الفور وتخلص منه، فثبت على مبدأه في صدق موالاته لله ورسوله وإخلاصه ومحبته لله ولرسوله ، فلم يتردد أو يتزعزع لحظة واحدة في خيانة الله ورسوله، بل تضاءلت في عينيه المطامع والتطلعات الزائفة ، وفي سبيل هذا المبدأ ثبت واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فظفر .

" والداعية الثبت ، يكون ثابتاً على الحق لا يميل عنه لسبب ، ولا يتنازل عن بعضه لأي سبب كذلك ؛ لأن الثبات على الحق أمر صعب " ^(٣).

" ولذلك فلا بدّ للداعية أن يكون قلبه متجرداً عن غير الله ، متخلياً عن كل شائبة تحول بينه وبين الله أو بينه وبين الحق ، متخطياً كل عقبة تعوق وصوله إلى الحق والخير والهدى " ^(٤).

(١) سورة العنكبوت ، الآيات : (١ — ٢) .

(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١ / ٢٢٣) .

(٣) فقه الدعوة الفردية ، علي عبد الحليم محمود ، ص : ٢١٠ ، دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م .

(٤) المرجع السابق . ص : ٢١٠ .

المطلب الرابع :

الصفات السلوكية

١- الحلم :

• في اللغة: "الأناة"^(١).

• في الاصطلاح: "ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب"^(٢).

"فيظهر معها الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب أو الباعثة على التعجل في العقوبة"^(٣). "ويشتمل الحلم على المعرفة والصبر والأناة والثبت ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة"^(٤).

"ولما كان الحلم هو أحد فروع الصبر ، جاء في أسماء الله الحسنى اسم الله الخليم"^(٥). وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم . كقوله تعالى : { ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم }^(٦).

"والحلم خلق من أخلاق القرآن الكريم . وقد ذكر في القرآن نحو عشرين موضعاً . كما أنه من أخلاق الأنبياء ؛ حيث أن جميع الأنبياء والمرسلين من أعظم الناس حِلماً مع أقوامهم في دعواتهم إلى الله ولم يُسم بالحلم في كتابه أحداً إلا نبيه وخليله إبراهيم — عليه السلام — فقال : { إنَّ إبراهيمَ حلِيمٌ أوَّاهٌ منيبٌ }^(٧). وإسحاق ذبيحهُ ، حيث قال : { فبَشِّرناه بغلام حلِيم }^{(٨)(٩)}.

" ولما كان سيدنا رسول الله محمد إمام النبيين ، وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه

(١) مختار الصحاح ، ص : ١٥٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٢٩ ، كتاب الحياء . مادة حلم .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابن حبان البستي ، ص : ٢٠٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ .

(٤) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٣٢٣) .

(٥) المرجع السابق : (٢ / ٣٢٣) .

(٦) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٥) .

(٧) سورة هود ، جزء من الآية : (٧٥) .

(٨) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ١٨٥ — ١٨٦) . بتصرف .

(٩) المرجع السابق : (١ / ١٨٦) .

عليهم أجمعين ، كان من الطبيعي أن يوضع إمام الإمامة الخلقية بين هؤلاء الكرام^(١) .
قال تعالى : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين }^(٢) . وقال تعالى : { ولو كنت فظاً غليظ
القلب لانفضوا من حولك }^(٣) .

قال تعالى : { فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين }^(٤) ، ولذلك جعله الله من صفات المؤمنين .
قال تعالى : { والكاذمين الفيلظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين }^(٥) .

قال أبو حاتم البستي^(٦) — رحمه الله تعالى — : " ما ضُمَّ شيء إلى شيء هو أحسن من
حلم إلى علم ، ولو كان للحلم أبوان ، لكان أحدهما العقل والآخر الصمت"^(٧) .
"والحلم فضيلة خلقية لا اعتداله ، ومسايرته لمقتضى العقل السليم والآثار النافعة المفيدة
الخيرة التي تترتب عليه"^(٨) . "فخلق الحلم هو توسط بين الغضب والمهانة ، وسقوط النفس ،
وإذا انحرفت عن خلق الحلم انحرفت ؛ إما إلى الطيش والترف والحدّة والخفّة ، وإما إلى الذل
والمهانة والحقارة"^(٩) . "ففرق بين من حلمه حلم ذل ومهانة وحقارة وعجز ، وبين من حلمه
حلم اقتدار وعزة وشرف"^(١٠) .

(١) موسوعة أخلاق القرآن : (١ / ١٨٦) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٩٩) .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٤) سورة المائدة ، الآية : (١٣) .

(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٣٤) .

(٦) الحافظ الإمام العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي ، صاحب التصانيف . كان على قضاء
سمرقند زماناً ، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم ، صنّف الصحيح ، والتاريخ ،
وكتاب الضعفاء ، وفقّه الناس بسمرقند . قال الحاكم : كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ
ومن عقلاء الرجال ، ورحل في طلب العلم الحديث والعلم من نيسابور ثم بخارى ثم ورد نيسابور سنة أربع وثلاثين وسار
إلى قضاء نسا . ثم انصرف إلى نيسابور وبني الخانقاه ، ثم خرج من نيسابور إلى وطنه سجستان عام أربعين ، وكانت
الرحلة إليه لسماع كنه . مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مائة ، وهو في عشر الثمانين . انظر ، تذكرة الحفاظ ،
م ٢ : (٣ / ٩٢٠ — ٩٢٢) .

(٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . ص : ٢١٣ .

(٨) مدارج السالكين : (٢ / ٢٩٥) .

(٩) المرجع السابق : (٢ / ٢٩٥) .

(١٠) المرجع السابق : (٢ / ٢٩٦) .

"كما يوجد ارتباط إيجابي قوي بين الحلم والعقل ؛ وذلك لأن العقل السوي هو الذي يعقل صاحبه عن الاندفاع وراء عواطفه وغرائزه أو وراء انفعالاته وشهواته" (١).

قال أبو حاتم البستي — رحمه الله — : "العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ؛ فإن صعب ذلك عليه فليتحالم ، لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم" (٢).

"فالحلم من الصفات التي يفطر عليها بعض الناس ، وقد يكتسبها بعضهم اكتساباً ، والواجب على من فطر عليها أن يتعهدا حتى لا تذبذبا ، وأن يُنميها حتى لا تموت ، وعلى من لم يفطر عليها محاولة اكتسابها والتخلق بها ، وذلك في مقدور الإنسان وطاقته" (٣) ؛ ولذلك مدح الرسول ﷺ الأشج بن عبد القيس (٤) على حلمه وأناته ، فقال : " إن فيك خصلتين يجبهما الله ورسوله ؛ الحلم والأناة" (٥).

"وليس المراد بالحلم السكوت على الهوان والاحتقار ؛ فإن المؤمن عزيز كريم يأبى الضيم ويرفض الذل ، وإنما يكون الحلم على جهل جاهل ، وسفه سفه" (٦).

وقد بلغ الرسول ﷺ في حلمه وعفوه مع من آذاه بقول أو فعل الغاية المثلى . ففي غزوة تبوك لم ينتقم الرسول ﷺ من المنافق الذي حاول تشكيك المؤمنين بنبوة الرسول ﷺ حينما ضلت ناقته ، حيث قال : " أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ! " (٧)

كما لم ينتقم ﷺ من المنافقين الذين أرادوا قتله وذلك برمييه من أعلى العقبة وهو فوق ظهر ناقته . ولم ينتقم من المنافقين الذين اعتذروا عن القتال ، ومحاولتهم تشييط المؤمنين عن القتال ،

(١) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٣٢٥ — ٣٢٦) .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . ص : ٢١٠ .

(٣) أسس الدعوة وآداب الدعاء . ص : ١٠٢ .

(٤) الأشج العبدي ، يقال له أشج بن عبد القيس ، ويقال له أشج بني عمرو مشهور بلقبه هذا ، واسمه المنذر بن عمرو ، كان الأشج سيد قومه ، قدم ومن معه عبد القيس في السنة العاشرة ، فقال الرسول ﷺ له ما قال في الحديث . انظر ، الإصابة : (١ / ٨٧) ، الاستيعاب : (١ / ١٤٠) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه ، والسؤال عنه

وحفظه وتبليغه من لم يبلغه : (١ / ٥٣ — ٥٤) ، حديث رقم : (١٧) .

(٦) أسس الدعوة وآداب الدعاء . ص : ١٠٢ .

(٧) انظر ، السيرة النبوية : (٣ / ٤٨٦) .

بصعوبة القتال في الحر، وليس ذلك عن ضعف الاستسلام منه ﷺ ، وإنما الحكمة في نفسه ، حتى لا يقال إنَّ محمداً يقتل أصحابه ، خاصة وهم حديثي عهد بالإسلام ، لاسيما والرسول ﷺ بحاجة إلى تأليف قلوبهم على الإسلام .

قال ابن تيمية — رحمه الله تعالى — مبيناً أهمية الحلم للدعاة : " ولا بد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الرفق ، ولا بد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإنه لا بد أن يحل له أذى ، فإن لم يصبر ويحلم كان ما يفسد أكثر مما يصلح" (١) . " ولا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه ، حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه" (٢) .

" والدعاة عادة ما يتعرضون لطبقات مختلفة من الناس ، منهم الخلق المهذب ، ومنهم الشرس العنيد وبالحلم يستطيع الداعية أن يلقي هؤلاء ، وأن يفسح صدره للجميع ، ويعامل كل منهم بالقدر الذي ينفعه ويستفيد منه" (٣) . " حيث يستطيع الداعية أن يعالج أمراض النفوس وهو هادئ الشخص ، مطمئن القلب ، لا يستفز الغضب ، ولا يستثيره الحمق فتتفر منه القلوب ، وتشمئز منه النفوس ، فلو كان الداعية سيئ الخلق جافياً قاسي القلب فأغلظ عليهم في القول تفرقوا عنه ، وانصرفوا من حوله ، فحرموا الهداية بأنوار دينهم فعاشوا وماتوا جهلاء وذلك هو الشقاء وهو سببه وعلته" (٤) .

والداعية إلى الله يستطيع أن يتصف بالحلم ليكون حليماً ، وذلك بعلاج الغضب إذا حلَّ به . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس الشديد بالصُّرعة" (٥) ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٦) . ولا شك أن الغضب يهدم

(١) الخسبة في الإسلام ، ص : ٢٨١ — ٢٨٢ — تحقيق : محمد زهري النجار ، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لابن تيمية ، ص : ٣٠ ، دار الكتاب الجديد ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦ م .

(٣) أسس الدعوة ، وآداب الدعاة : ص : ١٠٢ .

(٤) هداية المرشدين ، ص : ٩٤ .

(٥) الصُّرعة : بضم الصاد المهملة وفتح الراء : الذي يصرع الناس كثيراً بقوته ، والهاء للمبالغة في الصفة . انظر ، فتح الباري :

(٥٣٥ / ١) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الخذر من الغضب ، ص : ١٣٠٩ ، حديث رقم : (٦١١٤) .

صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل من يملك نفسه عند الغضب : (٤ / ١٥٩٨ — ١٥٩٩) ،

حديث رقم : (٣٦٠٩) .

الحلم وينافيه ، روى أبو هريرة — رضي الله عنه — أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال : " لا تغضب ، فردد مراراً . قال : لا تغضب " (١) .

٢- الجمع بين الرفق والشدة مع المدعوين .

في اللغة :

الرفق : " ضد العنف " (٢) .

وفي الاصطلاح : " هو لين الجانب بالقول والفعل ، والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف " (٣) .
" فالرفق من فروع خلق الصبر والرحمة ؛ لأن الرفق في الأمور وفي معاملة الناس ، لا يكون إلا بضبط الناس عن الاندفاع لعوامل حب العنف والقسوة " (٤) .

قال تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } (٥) .
" وبين اللطيف الخبير سبحانه وتعالى أن الناس ينصرفون عن أن يكون جافياً قاسياً مهما عظم شأنه وكثرت فضائله " (٦) .

قال تعالى : { فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك } (٧) .
وقد أمر الله عز وجل نبيه الكريمين موسى وهارون — عليهما السلام — بإلانة القول لفرعون أثناء دعوتهما له . قال تعالى : { اذعبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى } (٨) . " فدعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، ص : ١٣٠٩ ، حديث رقم : (٦١١٦) .
صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل من يملك نفسه عند الغضب : (٤ / ١٥٩٩) ، حديث رقم : (٢٦١٠) .

(٢) لسان العرب : (١١٨ / ١٠) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٠ / ٤٦٤) .

(٤) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٢ / ٣٣٧) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١٢٨) .

(٦) من صفات الداعية اللين والرفق ، د . فضل إلهي ، ص : ١٣ ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .

(٧) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٨) سورة طه ، الآيتان : (٤٣ — ٤٤) .

وأنجح" (١). وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بالمجادلة بالتي هي أحسن في الدعوة . قال تعالى: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن } (٢).

إن الرفق يزين الأمور ، وفقدانه يشينها . عن عائشة — رضي الله عنها — عن النبي ﷺ قال : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يترع من شيء إلا شانته " (٣) .
كما أن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه . فقد روت عائشة — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال : " يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه " (٤).

وقد أوصى النبي الكريم ﷺ من بعثهم بالتيسير والتبشير . عن أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه — قال : " لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل قال لهما : يسِّرا ولا تعسِّرا ، وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا " (٥) . ولم يكن الأمر النبوي الكريم هذا خاصاً بأبي موسى الأشعري ومعاذ — رضي الله عنهما — عند بعثهما إلى اليمن ، بل كانت سنته المباركة عند بعثة أحداً من أصحابه أن يترفق بالمدعويين . عن أبي موسى — رضي الله عنه — قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره ، قال : " بشِّروا ولا تنفِّروا ، ويسِّروا ولا تعسِّروا " (٦) .

"ولابد من هذه الثلاثة : العلم والرفق والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده . وإن كان من الثلاثة لابد أن يكون مستصحياً في هذه الأحوال " (٧) .
وقد كان الرسول ﷺ رفيقاً بكعب — رضي الله عنه — رحيماً بحاله ، فعندما قرّر كعب أن

(١) تفسير ابن كثير : (٣ / ١٥٤) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب : (٤ / ١٥٩٠) ، حديث رقم : (٢٥٩٤) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب : (٤ / ١٥٩٠) ، حديث رقم : (٢٥٩٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : قول النبي ﷺ : " يسروا ولا تعسروا " وكان يجب التخفيف والتسري على

الناس ، ص : ١٣١٠ ، حديث رقم : (٦١٢٤) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الأمر بالتيسير وترك التنفير : (٣ / ١٠٩٣) ، حديث رقم : (١٧٣٣) .

(٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص : ٣٠ .

يتصدق بماله كله ، عندها لم يسمح له بذلك ، رفقاً بحاله .
وعندما اقترب الرسول ﷺ إلى المدينة ، لم ينسُ أهل الأعدار في المدينة ، فساواهم في الأجر بالمجاهدين ، رفقاً بحالهم وبضعفهم .

ولا يفهم مما سبق ذكره أن الدعوة بالرفق واللين هي الصورة الوحيدة للدعوة ، بل هناك أحوالاً يُعدل فيها عن الرفق واللين إلى الغلظة والشدة :

فإذا انتهكت حرمانات الله وآن وقت إقامة الحدود ، أو ظهر عناد أو استخفاف واستهزاء بالدعوة ، أو بدرت مخالفة الشرع عمن لا يُتوقع منه ذلك ، ففي تلك الأحوال يُلجأ إلى الدعوة بالقسوة والشدة^(١) ، عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل فيه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله عز وجل"^(٢) .
وعندما ضاعت ناقة الرسول ﷺ حاول أحد المنافقين التشكيك بنبوة الرسول ﷺ فأخبر ﷺ صحابته بمكان الناقة ، فأتوا بها .

ولذلك استخدم عمارة بن حزم — رضي الله عنه — القسوة والشدة مع ذلك المنافق حيث غلظ عليه ومنعه من مرافقته في الراحلة ورفض مصاحبته .

" ورسول الله ﷺ حين يتعامل مع ثلاثة من صحابته رضوان الله تعالى عليهم تعاملاً يختلف ، فقد قبل أعذار المنافقين ووكل سرائرهم إلى الله واستمع إلى أعذار الثلاثة الذين تخلفوا عن الذهاب معه إلى الغزوة ، ثم لمَّا لم يذكروا أعذاراً تبيح لهم التخلف ، أمر الله الناس بمحاربتهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت"^(٣) ، ولمدة خمسين يوماً ، وعندما نزلت توبة الله عليهم بدل الرسول ﷺ تعامله معهم من الشدة إلى اللين؛ لأن الموقف يقتضي الشدة معهم ؛ و اللين لا يحقق الفائدة المرجوة من معاقبتهم وإشعارهم بخطئهم ، فالشدة أسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية يستعمل في وقته الضروري والمناسب ، والقوة والشدة على شمولهما تعم أخذ المسلمين على طريق الحق بقوة النظام والحدود والتعزيز ،

(١) من صفات الداعية اللين والرفق ، ص : ٤٣ .

(٢) صحيح مسلم — كتاب الفضائل — باب قرب النبي ﷺ من الناس وتركهم به . (١٤٤٧/٤) حديث رقم (٢٣٢٨) .

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله . د . زيد بن عبد الكريم الزيد ، ص : ٩١ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

وتعمل القتال بعد تخير النظم والحكومات بين الإسلام أو الجزية أو الحرب ، وهذه القوة والشدة هي التي دُعي المسلمون إلى إعدادها والتمسك بأسبابها^(١) . في قوله تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم }^(٢) .

"فالإرهاب للأعداء أحد الآثار الإيجابية المترتبة على وجود القوة حتى قبل استعمالها"^(٣) . فيلزم إظهار القوة عند أخذ الأهبة والاستعداد لقتال الأعداء ، " بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة "^(٤) . " وهذه القوة تُعدّ حتى ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي ، وأن تُحطّم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها طبقة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها ولا تعترف بالوهية الله وحده"^(٥) .

والرسول ﷺ قد أعد العدة اللازمة للقتال وإرهاب الأعداء ، وفعلاً تحقق هذا الإرهاب للروم، حيث تراجعت جيوش الروم إلى داخل بلادهم ، حتى يتجنبوا مواجهة قوات المسلمين وجيوشها المؤمنة . " وفي ذلك دعامة مؤثرة ؛ لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه ؛ بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب "^(٦) ؛ ولذلك لما وصل المسلمون إلى تبوك قدم زعماء القبائل المجاورة للتحالف مع الرسول ﷺ .

"واعتبار القوة وسيلة من وسائل الهداية ليس فيه تجاوز على وسيلة الإقناع بالكلمة ، ولكن ما يترتب على ذلك هو تحديد الأسلوب القتالي بهذا الاعتبار حتى لا تنفصل الحركة القتالية عن هدف الهداية"^(٧) .

وخلاصة القول : "أن الرفق والغلظة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الدعاة إلى الله ، فمتى كان الداعية حكيماً رقيقاً عرف كيف يتصرف في المواقف ويعالجها بما يناسب

- (١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، علي بن صالح المرشد ، ص : ١٤٨ ، مكتبة لنا ، دمنهور ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- (٢) سورة الأنفال ، الآية : (٦٠) .
- (٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ١٤٩ .
- (٤) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٢٢) .
- (٥) في ظلال القرآن : (٣ / ١٥٤٣) .
- (٦) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٢٦٢ .
- (٧) حكمة الدعوة ، رفاعي سرور ، ص : ٧٩ ، مكتبة وهبه ، القاهرة .

فيعرف الموقف الذي يستحق التخليط والتعنيف ، والموقف الذي يستحق الرفق والتلطف بالمدعو وتوجيهه وتعليمه بما يناسب حاله وموقفه وخير ما يعين على ذلك النظر في سيرة رسول الله ﷺ وهدى السلف الصالح — رضي الله عنهم — " (١) .

٣- التضحية .

في اللغة :

" التضحية : ما ضحيت به " (٢) .

في الاصطلاح :

" هو التبرع بالنفس ، أو العمل ، أو الموقوف ، أو المال ، دون مقابل مادي في الدنيا ، وإنما في مقابل أخروي ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى ومثوبته " (٣) .

وقد بشر الله الباذلين والمضحيين بأنفسهم وأموالهم في سبيله بإعطائهم درجة الفوز والخلود والنعيم المقيم في الجنة . قال تعالى : { الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون } (٤) .

والجهاد للعدو في سبيل الله كذلك فقال سبحانه : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } (٥) .

{ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الكافرين } (٦) .

" والأمة التي تبذل أنفس أبنائها وأموالها في سبيل الله أمة ناجحة ؛ لأنها تملك مع

(١) صفات الداعية الناجح . ص : ٤٦ .

(٢) لسان العرب : (٤٧٦ / ١٤) .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (٥٨٦ / ٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٢٠) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١١١) .

(٦) سورة التوبة ، الآية : (٢٤) .

إيمانها وقوة صلتها برها ركني البقاء في الأرض" (١).

" ورأينا في سيرة الرسول ﷺ ، وفي تاريخ الصحابة ، والتابعين — رضوان الله عليهم — مادانت لهم الدنيا بهذه السرعة النسبية ، وفي تاريخ الحضارات إلا بما قدّموا من تضحيات. فعلى قلتهم عدداً وكثرة عدّوهم ، تحمّلوا المشاق والصبر على الأذى في سبيل العقيدة ، ورخص في أعينهم كل غال ونفيس ، فقدّموا أنفسهم وأموالهم بعد أن جادوا بها لا يريدون لها ثمناً إلا من الله تعالى يوم القيامة " (٢) . والمسلم القادر على أن يبذل ويضحى من أجل دينه ، هو الذي يقوم على عاتقه البناء وهو الذي يسهم في تحقيق الأهداف .

وقد ضرب المسلمون في غزوة تبوك أروع الأمثلة في التضحية من أجل الدين ، فقد تنافسوا بتقدم أموالهم في سبيل الله ، الغني منهم والفقير كل حسب استطاعته ، حتى جهز عثمان — رضي الله عنه — ثلث الجيش ، وتصدق أحد فقرائهم بصاع التمر الذي يملكه. كما ضحوا بأنفسهم في هيب الحر ومشقة السفر ، مع قسوة الجوع والعطش ، حتى كادوا ينحرون إبلهم ليشربوا مائها ويأكلوا لحمها ، وضحوا بالراحة والظلال والماء البارد ونضج الثمار. " فالتضحية ملازمة للجهاد في سبيل الله ، إذ لا جهاد بدون تضحية" (٣).

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى تضحيات كثيرة حتى تستمر ، " فإذا قدّم العاملون في الدعوة فائض جهودهم ، وفائض أوقاتهم ، وفائض أموالهم ، فهذا الفائض ليس تضحية حقيقية ، وإنما هو فائض ، وحسبه هذه التسمية ؛ والأصل أن التضحية تكون بالأساس لا بالفائض" (٤).

" والدعوة إلى الله تحتاج أيضاً إلى دعاة يُجرّدوا أنفسهم من الهوى ، وأن ينفضوا أنفسهم من بهرج وزينة ، وأن يبذلوا المال برضا وسخاء ، ويبذلوا العافية والصحة والسهر والتعب والمسير المضني لرفع دعوة الله ، وإذا دعت الحاجة إلى بذل الروح" (٥).

(١) الجهاد في سبيل الله ، حقيقته وغايته ، عبد الله بن أحمد القادري : (١ / ٤٧٦) بتصرف ، دار المنارة ، جدة ، ط ٢ ،

١٤١٣هـ — ١٩٩٢م .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ٥٥٥) . بتصرف .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٥٨٦) .

(٤) المرجع السابق : (٢ / ٥٨٦) .

(٥) الصفات اللازمة للدعاة . ص : ٧٨ .

المطلب الخامس :

الحرص على هداية المدعوين

في اللغة :

حرص على الشيء : " اشتدت رغبته فيه . وحرص على الرجل : أشفق وحدّ في نفعه وهدايته " (١).

والداعية إلى الله حريص على تبليغ الناس دعوة الله ، وتعليمهم أمور دينهم وتفقيهم من أن كتمان العلم غير جائز ، لذلك فقد منع الله من أتاه علماً في قوله : { تبيينه للناس ولا تكتمونه } (٢) " أن يكتمه " (٣).

ووعده الله بالأجر الكبير والثواب الجزيل لمن حرص على هداية الناس واهتدى على يديه أحد من المدعوين . فقد قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب — رضي الله عنه — لما أعطاه الراية يوم خيبر (٤) : " فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم " (٥) (٦).

كما أن من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله ، فعن أبي مسعود — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله " (٧) .

(١) المعجم الوسيط : (٦٦ / ١) .

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٨٧) .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (٧٨٣ / ٢) . بتصرف .

(٤) خيبر : وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام . انظر ، فتح الباري بشرح صحيح

البخاري : (٥٣٠ / ٧) .

(٥) حمر النعم : بسكون الميم وفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة ، وكانت مما تفاخر العرب بها . انظر :

المرجع السابق : (٥٤٦ / ١٠) . بتصرف .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ص : ٨٨٠ ، حديث رقم : (٤٢١٠) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب غيره ، وخلافه في أهله بخير : (٣ /

١١٩٧) ، حديث رقم : (١٨٩٣) .

وبين الرسول ﷺ أنه لو اتبعه أكثر من واحد فله مثل أجورهم كلهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً " (١) .
كما أن حرص الدعوة إلى الله على تبليغ دين الله هو الوظيفة الأولى لهم ، وقد حرص الأنبياء عليهم السلام على هداية الناس .

فقد بعث الله عزَّ وجلَّ نوحاً — عليه السلام — إلى قومه يدعوهم فيها إلى الله تعالى فلبث ألف سنة إلا خمسين سنة . قال تعالى : { وقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً } (٢) . وخلال هذه الفترة الطويلة استمر — عليه السلام — في الدعوة إلى سبيل ربه من غير كلل ولا ملل مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المتاحة في ذلك :
قال تعالى : { قال رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فزاراً واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم اني دعوتهم جهاراً ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً } (٣) .

وقد حرص إبراهيم ويعقوب — عليهما السلام — على الدعوة إلى الله حتى آخر أيام حياتهما ، ووصيا أبنائهما من بعدهما بالاستسلام لله تعالى . قال تعالى : { ووصى بها إبراهيم ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنت مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبني ما عبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون } (٤) .

كما حرص يوسف — عليه السلام — على دعوة صاحبيه إلى عبادة الله رغم ظروف سجنه ظلاماً في ذلك الوقت .

قال تعالى : { يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها

(١) صحيح مسلم ، كتاب : العلم ، باب : من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة : (٤ / ١٦٣٦) ،

حديث رقم : (٢٦٧٤) .

(٢) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (١٤) .

(٣) سورة نوح ، الآيات : (٥ — ٩) .

(٤) سورة البقرة : الآيتان : (١٣٢ — ١٣٣) .

أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون { (١) } .

وكما دعا الأنبياء أقوامهم إلى الله تعالى وحرصوا على هدايتهم ، كذلك خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حيث حرص ﷺ على دعوة قومه إلى الله تعالى حتى كاد أن ينفطر قلبه حسرة عليهم . وجاء القرآن الكريم يذكر أهل مكة بحرص الرسول ﷺ على هدايتهم .

فقال تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } (٢) .

وقال تعالى : { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } (٣) .

وقال تعالى : { إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل } (٤) .

وعن جابر — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب (٥) والفراش (٦) يقعن فيه ، وهو يذهن عنها ، وأنا آخذ (٧) بحجزكم (٨) من النار وأنتم تفلتون (٩) من يدي " (١٠) .

ولقد انتاب الرسول ﷺ شعور بالحزن وبالهم والغم لانصراف الناس عنه وعدم استجابتهم له؛

(١) سورة يوسف ، الآية : (٤٠) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١٢٨) .

(٣) سورة يوسف ، الآية : (١٠٣) .

(٤) سورة النحل ، الآية : (٣٧) .

(٥) الجنادب : جمع جندب ، والجنادب هو الصرار الذي يشبه الجراد ، وقال أبو حاتم : الجنادب على حلقة الجراد ، له أربعة أجنحة كالجراد ، وأصغر منها ، يطير ويصر بالليل صراً شديداً ، وقيل غيره . انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم : (٤٥٥ / ١٥) .

(٦) الفرش : هو الذي يطير كالبعوض . وقال غيره : ماتراه كصغار البق يتهافت في النار ، انظر ، المرجع السابق : (١٥ / ٤٥٥) .

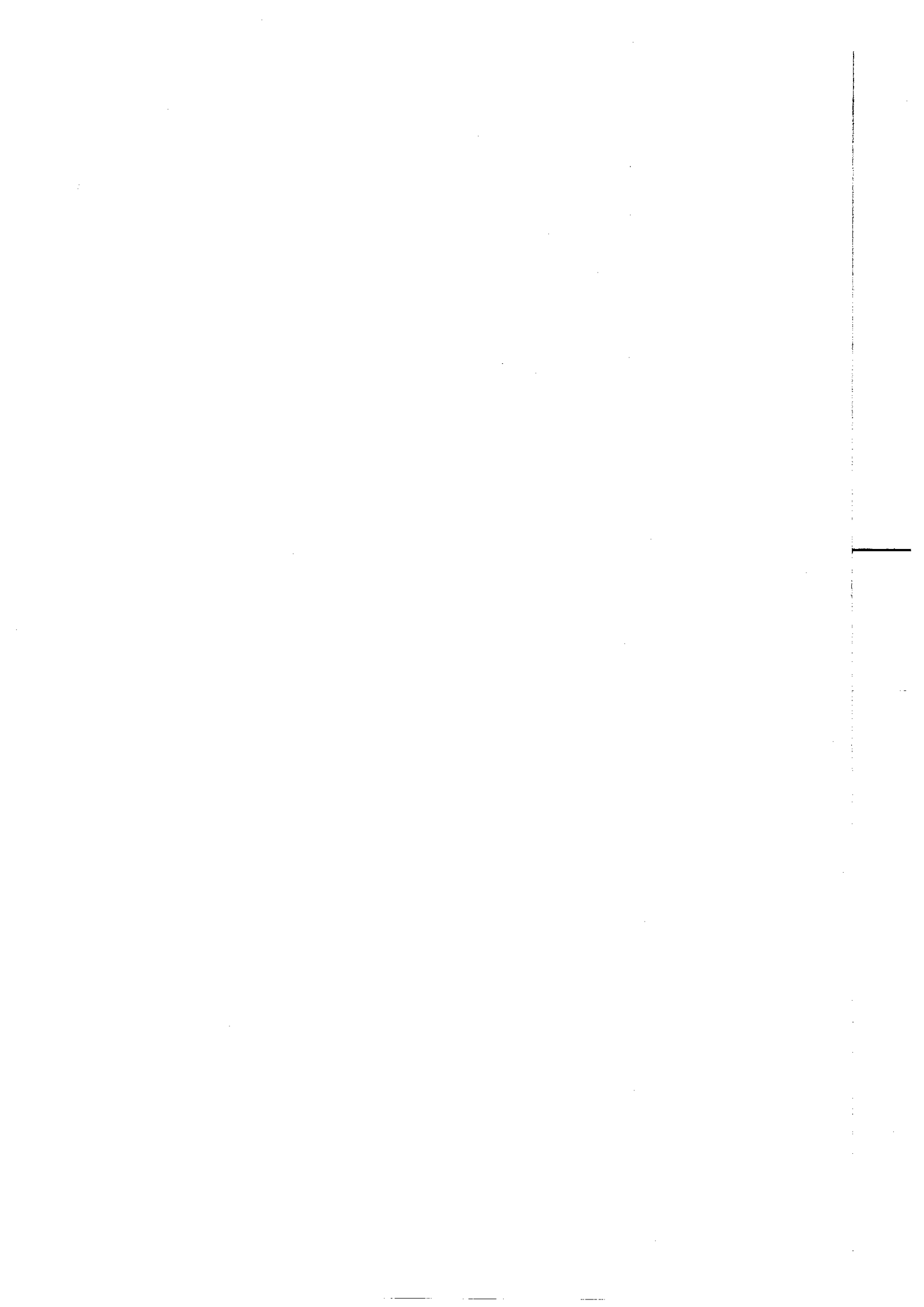
(٧) آخذ : روي بوجهين ؛ أحدهما : اسم فاعل بكسر الخاء ، وتنوين الذال ، والثاني : مثل مضارع بضم الذال بلا تنوين . والأول أشهر ، وهما صحيحان . انظر ، المرجع السابق : (٤٥٥ / ١٥) .

(٨) يحجزكم : الحجز : جمع حجرة ، وهي مقعد الإزار والسراويل ، انظر ، المرجع السابق : (٤٥٥ / ١٥) .

(٩) تفلتون : روي بوجهين ؛ أحدهما : بفتح التاء وتشديد اللام . والثاني : ضم التاء وإسكان الفاء وكسر اللام المخففة ، وكلاهما صحيح . يقال : "أفلت مني" و "تفلت مني" : إذا نازعتك العلبة والهرب ثم غلب وهرب . انظر ، المرجع السابق : (٤٥٥ / ١٥) .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : شفقة النبي ﷺ على أمته من الفتنة في تحذيرهم عما يضرهم : (٤ / ١٤٢) ،

حديث رقم : (٢٢٨٥) .



الفصل الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة

- . المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة .
- . المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة .

لأنه يحب للناس الهداية .

قال تعالى : { فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً }^(١) .

وقال تعالى : { ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون }^(٢) .

وقال تعالى : { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون }^(٣) .

وقال تعالى : { يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم }^(٤) .

وقد خاطب الله رسوله ليخفف عنه ما هو فيه بأن الهداية بيده سبحانه . قال تعالى : { ليس

عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء }^(٥) .

وقد عرض القرآن الكريم مشاعر الأنبياء الذين تنقطع قلوبهم حسرة وألماً على

مواقف أعدائهم المعرضين عن دعوتهم ، وهذا يدل على حرص أنبيائهم لهم ، ورغبتهم في

إنقاذهم من العذاب . قال تعالى : { إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم }^(٦) .

"وحيثما ننظر إلى سيرة المصطفى ﷺ نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال

ودعا جميع أصناف الناس ، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له .

نجده — عليه الصلاة والسلام — يدعو فوق الجبل ، وفي المسجد ، وفي الطريق ، والسوق ،

وفي منازل الناس في المواسم ، وحتى في المقبرة . كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر .

وفي الأمن والقتال ، وفي صحته ومرضه ، وحيثما كان يزور أو يزار"^(٧) .

وكان يوجه دعوته إلى من أحبوه ، ومن أبغضوه وآذوه ، ومن استمعوا دعوته ، ومن

أعرضوا عنها ، وبعث الرسائل والرسول إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكن من الذهاب إليهم .

(١) سورة الكهف ، الآية : (٦) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (١٢٧) .

(٣) سورة فاطر ، الآية : (٨) .

(٤) سورة المائدة ، الآية : (٤١) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (٢٧٢) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية : (٥٩) .

(٧) المحرص على هداية المدعوين في ضوء النصوص وسير الصالحين . د . فضل إلهي . ص : ١٨ — ١٩ ، إدارة ترجمان

واستمر عليه الصلاة والسلام في أداء هذه المهمة مشمراً عن ساعديه ، باذلاً كل ما في وسعه مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله حتى لحق بالرفيق الأعلى^(١).

وفي غزوة تبوك كتب الرسول ﷺ كتابه إلى هرقل مع دحية الكلبي يدعوه فيها إلى الإسلام وقد بعث هرقل مبعوثه ليتقصى أخبار الرسول ﷺ وعندما قدم التنوخي مبعوث هرقل إلى الرسول ﷺ حرص ﷺ على دعوته للإسلام فسأله عن أصله ، ثم عرض عليه الإسلام . فاعتذر ورفض .

وقد حرص ﷺ على دعوة القبائل المجاورة لتبوك ، عندما أتاه زعمائها، حيث دعاهم إلى الله تعالى ، ثم خيّرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال ، فاختاروا دفع الجزية . وكتب ﷺ لهم كتاباً .

" حقيقة إن الداعية لا بد أن يُشعر المدعو بأنه لا يتعالى عليه أو يتميز دونه ، بل هو حريص عليه يتمنى له كل الخير ؛ لأن حرص الداعية مفتاح من مفاتيح القلوب التي يفتح بها الله قلب من يحب من عباده ، فإذا به هو أذن مصغية لما يسمع"^(٢) . " وحقيقة إن الداعية ليتألم وهو بشر مثلهم يرجو الثمرة حين يبذل الجهد ، فيحزن من إعراض الناس عن دعوته ، لكنه لا بد أن يعلم حقيقة كثيراً ما تغيب عن الدعاة ألا وهي أن الداعية عليه أن يضع البذرة ولا ينتظر الثمرة فهو يحرص على بذرته ويرعاها ويبذل الجهد للمحافظة عليها ، أما الثمرة فهي من عند الله سبحانه إن شاء جعل لها أرضاً نقية قبلت الماء فأنبت الكلاً والعشب الكثير، وإن شاء جعلها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً. وصدق الله إذ يقول : { إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل }^(٣) . وقال تعالى : { طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى }^(٤) ، فليس في الدعوة شقاء إنما فيها شفاء"^(١).

(١) الحرص على هداية المدعويين . ص : ١٨ - ١٩ .

(٢) الدعوة قواعد وأصول ، جمعه أمين عبد العزيز ، ص : ٦١ بتصرف ، دار الدعوة ، مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .

(٣) سورة النحل ، جزء من الآية : (٣٧) .

(٤) سورة طه ، الآيات : (١ - ٣) .

الفصل الثالث

الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعوين

**المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة
أحوال المدعوين.**

**المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بأثر التربية
النبوية في المدعوين .**

الفصل الثالث

الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو

توطئة :

المدعو :

« من توجه إليه الدعوة ؛ وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى »^(١). قال تعالى : { وما أرسلناك إلا كافة للناس }^(٢). وقال تعالى : { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً }^(٣).

" فجميع بني البشر في كل عصر ومكان هم المدعوون إلى الدخول في الإسلام ، وهم الذين يتوجه إليهم الدعاة ليدعوهم إلى سبيل الله إذا لم تكن الدعوة قد بلغتهم ، أو ليدعوهم إلى الرجوع إلى الإسلام إذا كانوا قد انحرفوا عنه ولم يلتزموا بتطبيق مبادئه القويمة"^(٤).

"وهذا العموم بالنسبة للمدعوين لا يستثنى منه أي إنسان مخاطب بالإسلام ومكلف بقبوله والإذعان له ، وهو البالغ العاقل مهما كان جنسه ونوعه ومهنته وإقليمه وكونه ذكراً أو أنثى ، إلى غير ذلك من الفروق بين البشر؛ ولذلك كان من آمن بمحمد ﷺ العربي كأبي بكر ، والحبشي كبلال ، والرومي كصهيب^(٥)،

(١) الدعوة قواعد وأصول . ص : ٦٢ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ١٦٩ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : (٢٨) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : (١٥٨) .

(٥) الدعوة إلى الله على بصيرة . د . عبد النعيم محمد حسين . ص : ١٢٣ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٥ .

— ١٩٨٤ م .

(٦) صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو بن عقيل ، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار ، وأمه عربية ، وكان أبوه سنان بن مالك أو عمه عاملاً لكسرى على الأبله ، وكانت منازلهم بأرض الموصل ، فأغار الروم على تلك الناحية فسبت صهيياً وهو غلام صغيره فنشأ بالروم فصار ألكن ، فابتاعه رجل من كلب ثم قدم به مكة ، فاشتراه عبد الله بن جندعان التيمي منه فأعتقه فأقام معه بمكة إلى أن هلك ، كان يكنى أبا يحيى ، وكان من المستضعفين بمكة الذين يعذبون في الله ، وعندما =

والفارسي كسلمان^(١) ، والمرأة كخديجة^(٢) ، والصبي كعلي بن أبي طالب ، والغني كعثمان بن عفان ، والفقير كعمّار ، وعلى هذا فالدعوة عامة لجميع البشر ، وليست خاصة بجنس دون جنس أو طبقة دون طبقة أو فئة دون فئة^(٣) . ولهذا يخاطب القرآن البشر بصفاتهم الآدمية : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ }^(٤) . وقوله : { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ }^(٥) .

"وبالتالي فالداعية عليه أن يفقه عموم دعوته إلى الله وعلى إيصالها لكل من يستطيع الوصول إليه"^(٦) .

==أراد الحجر إلى المدينة ترك ماله ، حتى تخلى قريش سييله فبلغ النبي ﷺ فقال : "ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع" ، ونزلت فيه : { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد } . شهد بديراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي صهيب في شوال سنة ٣٨هـ ، وهو ابن سبعين سنة ودفن بالقيع . انظر ، الطبقات الكبرى : (٣ / ٢٢٦ - ٢٢٩) ، الاستيعاب : (٢ / ٧٣٢ - ٧٣٣) ، الإصابة : (٣ / ٤٤٩ - ٤٥١) .

(١) سلمان الفارسي صحابي من مقدميهم ، كان يسمى نفسه سلمان الإسلام ، أصله من مجوس أصبهان ، عاش عمراً طويلاً ، ورحل إلى الشام ، فالموصل ، فنصيبين ، فعمورية ؛ وقرأ كتب الفرس والروم واليهود ، وقصد بلاد العرب ، فلقية ركب من بني كلب ، فاستخدموه ، ثم استعبده وباعوه ، فاشتراه رجل من قريظة فحماه به إلى المدينة ، وعلم سلمان بخير الإسلام ، فقصد النبي ﷺ بقاء وسمع كلامه ، ولازمه أياماً وأبى أن يتحرر بالإسلام ، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه ، فأظهر إسلامه . وكان قوي الجسم ، صحيح الرأي ، عالماً بالشرايع وغيرها . وهو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق ، في غزوة الأحزاب ، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار كلاهما يقول : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : " سلمان منا أهل البيت" . وجعل أميراً على المدائن ، فأقام فيها إلى أن توفي ، وكان متصديقاً زاهداً ، له في كتب الحديث ٦٠ حديثاً . انظر ، تاريخ الصحابة ، ص : ١٦ ، الاستيعاب : (٢ / ٦٠٢ - ٦٠٥) ، أسد الغابة : (١ / ٣٧٧ - ٣٧٨) . الأعلام : (٣ / ١٦٩ - ١٧٠) .

(٢) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، القرشية الأسدية أم المؤمنين . زوج النبي ﷺ أول امرأة تزوجها وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين . لم يتقدمها رجل ولا امرأة . تزوجت مرتين قبل الرسول ﷺ وأنجبت منهما مرتين ، وتزوجها رسول الله ﷺ وعمره حينئذ خمس وعشرون سنة . وكان عمرها أربعين سنة وأقامت معه أربع وعشرين سنة ، وولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم ، قبل أن ينزل عليه الوحي ما عدا إبراهيم ، قال رسول الله ﷺ : " خير نساء العالمين مريم بنت عمران بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد " توفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام . وكان موتهما في رمضان ، وعمرها خمساً وستين سنة . انظر ، أسد الغابة : (٧ / ٨٨ - ٩) .

(٣) أصول الدعوة . ص : ٣٧٣ .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢١) .

(٥) سورة الأعراف ، جزء من الآية : (٣١) .

(٦) أصول الدعوة . ص : ٣٧٣ .

المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين

المبحث الأول

مراعاة أحوال المدعوين

تتميز الدعوة الإسلامية ، بمراعاتها أحوال المدعوين بشكل شامل ، لم تتوفر لغيرها من الدعوات ؛ لأنها دعوة ربانية ، فترعى فيهم الجوانب الوجدانية والعقلية ، والنفسية والاجتماعية، وغير ذلك من جوانب ، وهذه الجوانب يمكن استنباطها من أحداث غزوة تبوك وهي كالآتي :

المطلب الأول :

ما يتعلق بمراعاة أحوال المدعوين .

أولاً : ما يتعلق بمراعاة أحوال المدعوين من الناحية الإيمانية

"وذلك بفتح باب التوبة أمام المدعوين ، والتغاضي عن زلاتهم السابقة ، وقد تاب الله عليهم، وإشعارهم بأن رحمة الله وسعت كل شيء . قال تعالى : { فقل سلام عليكم كب ربكم على نفسه الرحمة }^(١)، فالتوبة هي الباب المفتوح لكافة الناس أجمعين"^(٢).

" والتوبة الصادقة هي التوبة النصوح؛ وهي أن يندم على ذنبه وأن يعزم عزمًا صادقاً جازماً على عدم العودة له بعد أن يقلع عن ذلك الذنب ، وكلما كان أقوى إيماناً كان أكثر فعلاً للحسنات لتذهب السيئات ، ويفرح أشد الفرح بتوبة نفسه من ذنبه "^(٣).

"وإن في قصة كعب بن مالك — رضي الله عنه — الذي تخلف عن غزوة تبوك لمثلاً يحتذى في هذا الشأن ، وقد نوه الله سبحانه بتوبته وتوبة صاحبيه بصفة خاصة بعد أن نوه بتوبته على النبي والمهاجرين والأنصار الذين باشروا الغزوة ؛ تسلياً للمتخلفين الثلاثة الذين أرجأهم الله مدة طويلة ابتلاءً لهم وامتحاناً لصدقهم ، وتربية لهم ولغيرهم من المؤمنين، قرأهم

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٥٤) .

(٢) السلوك الاجتماعي بين الدين وعلم النفس . ص : ٢٠٥ .

(٣) الجهاد في الإسلام ، حقيقته وغايته : (٧٣ / ٢) .

سبحانه في توبته عليهم وباشروا الغزو ليسلهم وليرفع من شأنهم بسبب صدقهم وتوبتهم النصوح^(١). كما قال تعالى : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم }^(٢).

ثانيا : مراعاة أحوال المدعويين من الناحية العقلية .

الحرص على عدم إكراه الناس على قبول الإسلام ، وإقناعهم بقبول الحق قبل إلزام الناس به ، فمتى اقتنعت عقولهم به انشروحت صدورهم للدخول فيه ، والرسول ﷺ لم يرغم أحداً على الدخول في الإسلام ما لم تقتنع عقولهم .
ولذلك راعى ﷺ عند عرض دعوته لمبعوث هرقل أن لا يكرهه على قبول دعوته ؛ بل ترك له حرية الاختيار ، فاختر أن يبقى على دينه .

وكذلك عندما عرض دعوته ﷺ على زعماء القبائل لم يرغمهم ﷺ على الدخول في الإسلام بل خيرهم بين خيارات ثلاث : إما الإسلام أو الجزية أو القتال ، فاختراروا دفع الجزية .

ثالثاً : مراعاة أحوال المدعويين من الناحية النفسية .

مراعاة الإشفاق على المخطئ ، وعدم مقابلة خطأه بالتعنيف أو التشنيع أو التنقيص منه ؛ لأن ذلك يؤدي إلى تحقير المدعو ، وإهانة شخصيته وتحطيم نفسيته ، وقد يؤدي به ذلك إلى الإصرار على الخطأ والاستمرار والتماذي فيه . والرسول ﷺ قد راعى هذه الأمور مع كعب وصاحبيه ، حيث أشعر ﷺ كعباً بفداحة خطئه لتخلّفه عن الغزوة عندما سلم على الرسول ﷺ بعدما رجع من تبوك ، فتبسم الرسول ﷺ تبسم المغضب ، ولكن لم يعنفه أو يحتقره ، بل استفسر منه عن سبب تخلّفه فقط ، حيث قال له : « ما خلّفك ، ألم تكن قد اتبعت ظهرك »^(٣) وبعد ما سمع الرسول ﷺ إجابته ، فهمي المسلمين عن مكالمته هو وصاحبيه حتى تاب الله عليهم .

(١) الجهاد في الإسلام . حقيقته وغايته : (٧٣ / ٢) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١١٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

وقد حرص الرسول ﷺ على رفع الروح المعنوية لدى المدعوين ؛ حيث "تعتبر الروح المعنوية العالية للنفس من أهم الدوافع إلى الإخلاص والإيجابية والحماسة في العمل ، وفي مجالات الاستعداد والتدريب والحراسة وغيرها من أسباب إعداد القوة وهي بلا شك مطلب حيوي للنفس" (١) . فقد رفع الرسول ﷺ من الروح المعنوية لدى المجاهدين عند اقتراحهم من تبوك ليحمّسهم ، حيث قال لهم ﷺ : " إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ... " (٢) .

كما رفع الرسول ﷺ الروح المعنوية لدى المتخلفين عن الجهاد من أهل الأعذار حيث ساواهم بالأجر مع المجاهدين . حيث قال ﷺ : " إن بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم ، قالوا يارسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة حبسهم العذر" (٣)

واهتم الرسول ﷺ برفع الروح المعنوية لدى كعب — رضي الله عنه — بالتسليم عليه بعد توبة الله عنه ، وتلقاه بالبشر ، حيث كان وجهه ﷺ يبرق من السرور ، وقال ﷺ لكعب — رضي الله عنه — : " وأبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك " (٤) .
وراعى الرسول ﷺ حال كعب ونفسيته حال توبة الله عليه حيث لم يكلفه بما لا يطيق ، فعندما قرر كعب التصديق بكامل ماله ، فقال له ﷺ : " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ؛ وذلك رفقاً بحاله " (٥) .

وقد حرص الرسول ﷺ على مراعاة المؤثرات النفسية عند بعض المدعوين مثل الحقد، حيث تمكن الحقد من قلوب المنافقين ؛ فقادهم للكيد للإسلام ولرسوله ﷺ وللمسلمين . "فالحقد هو العداوة الدفينة في القلب ، والعداوة هي كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٢٥١ .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٧ .

(٤) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

الشخص المكروه إلى إفائه وإغائه من الوجود ، وهذه العداوة لا حد لها في قلب الحاقد إلا إفضاء المحقود عليه وإغائه من الوجود" (١).

"إن الحقد والضغينة شعبة من شعب النفاق ؛ لأن قلوب المنافقين التي أعماها الحسد والبغض لا يمكن أن تحمل حباً للمؤمنين وإن بدا هذا في كلامهم وأقسموا مظهرين الجدل في صدورهم ، وأكلت الضغينة كل معاني الخير من نفوسهم فيتحسرون على كل فرصة لا يستطيعون الكيد فيها للإسلام والمسلمين" (٢).

وهذا ما حدث مع المنافقين الذين أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ وهم في طريق العودة من تبوك إلى المدينة ، حيث أعماهم حقدهم فعدروا برسول الله ﷺ وأرادوا قتله برمييه من أعلى العقبة من فوق ظهر ناقته ، غير أن الله ألقى في قلوبهم الجبن والروع ، وسلمه الله ونجاه من كيدهم وشورهم . " وتلك طبيعة المنافقين حقدوا على رسول الله ﷺ بغير ذنب أو جريرة ، بالتأمر على الإسلام والمسلمين بالانتقام من شخص رسول الله ﷺ زعيم الإسلام والمسلمين" (٣). ولم يعاقبهم الرسول ﷺ على فعلتهم الشنعاء به ، ليس عن ضعف منه ﷺ - وحاشاه- ولكنه يتألف قلوبهم لدين الله حتى لا ينفروا منه.

"ولا يمكن تصور أن الداعية يحقد على أحد لما لآفة الحقد من نتائج وخيمة وآثار سيئة على الفرد والمجتمع على حد سواء ؛ ولكن الداعية بشر قد يختصم مع قرينه فيقع من حيث يحتسب أو لا يحتسب في صائل الحقد ، ولذلك لا بد أن يتذكر الداعية أن الحقد من أمراض القلوب التي تتنافى مع حقيقة الإيمان ، ومقتضيات الإسلام ، وأن يعقل أنه أمام العامة والخاصة قدوة ، وصاحب القدوة لا يتصف بخلق ذميم ، وآفة بغیضة ، وأن يُعمق في نفسه عقيدة القضاء والقدر حتى لا يحقد عليه خصومه" (٤).

رابعاً : مراعاة أحوال المدعوين من الناحية الاجتماعية

"الإسلام يهتم ببناء المجتمع بناءً يتناسب مع عظمة الدعوة التي جاء بها ، ولما كان الإسلام

(١) الأخلاق الإسلامية . وأسسها : (١ / ٧٢٢) .

(٢) المنافقون وشعب النفاق . حسن عبد الغني . ص : ٨٠ ، دار الثقافة - قطر ط ٢ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٣) المرجع السابق . ص : ٨٠ .

(٤) عقبات في طريق الدعوة : (١ / ٦٠٩ - ٦١٠) .

مهتماً بإقامة الدولة على الأسس التي تكفل له تحقيق العدالة الاجتماعية ، حتى يكون الناس أخوة متحابين ، ولهذا رُدَّهم عزَّ وجلَّ إلى أب واحد ، وأم واحدة" (١) .
قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (٢) .

وتتضح مراعاته ﷺ لأحوال المدعوين الاجتماعية في الأمور التالية :

١ — مراعاته تعميق روح الأخوة :

"فالأخوة رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام ، مع كل فرد تربطه وإياه أواصر العقيدة الإسلامية وركائز الإيمان والتقوى مما يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة تجاه أخيه المسلم" (٣) . قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (٤) .

وقد تعهَّد الرسول ﷺ المدعوين بالرعاية والاهتمام ؛ فقد كان يتفقدهم ويسأل عن أحوالهم حتى يطمئن عليهم .

فعندما وصل ﷺ إلى تبوك وبينما هو جالس في القوم تفقد كعباً — رضي الله عنه — فقال : " ما فعل كعب ؟ " (٥) .

وتفقد ﷺ أبا خيثمة ، فعندما رأى قادماً من بعيد قال ﷺ « كن أبا خيثمة » (٦) .
وأيضاً تفقدته وسؤاله أبارهم الغفاري عمن تخلف من بني غفار وأسلم ، فأخبره عنهم ، فقد قال ﷺ وهو يسأله : " ما فعل النفر الحمر الطوال الشطاط ، فحدثه بتخلُّفهم ، ثم قال : ما فعل النفر السود الجعاد القصار فأخبره عنهم " (٧) .

وقد فرح ﷺ لتوبة الله على كعب وصاحبيه ، حتى كان وجهه يبرق من السرور .

(١) تفنين الدعوة . ص : ٢٩ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : (١٣) .

(٣) الأخوة الإسلامية . عبد الله ناصح علوان ، ص : ٥ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .

(٤) سورة الحجرات ، الآية : (١٠) .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٦) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٧) انظر ، سيرة ابن هشام : (١٦٩/٤-١٧٠) .

٢ — تأليفه بالعفو موضع الانتقام :

فارسول ﷺ لم ينتقم لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حدود الله وحرماته ، وقد حاول المنافقون قتله ﷺ ، ولم ينتقم منهم ، ففضل ﷺ تأليف المدعويين بالعفو عنهم موضع الإساءة حتى تلبس قلوبهم وتمتدي ، وحتى لا يقال عنه أن محمداً يقتل أصحابه فينفر منه الناس .
٣ — تكليفهم بالأعمال المهمة :

كالقيادة العسكرية لبعض السرايا ، كسرية خالد بن الوليد ، وتعيينه القواد حملة الأولوية والرايات ، واستخلافه علي بن أبي طالب على أهله ومحمد بن مسلمة على خلافة المدينة ، وإمامة ابن أم مكتوم الصلاة بالمسلمين من أهل الأعذار .

٤ — استشارتهم وتقدير رأيهم فيما يصلح من الأمور :

ومن ذلك استشارته أصحابه ﷺ بالبقاء في تبوك أو مغادرتها . فأشار عليه عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — بالمغادرة .

٥ — مراعاة كبراء القوم من أصحاب المكانة الاجتماعية العالية :

وذلك بأن يهتم بكبراء القوم وخاصة لمن كان منصبه ومكانته قد يكون مانعاً لاستجابة دعوة الحق ، وفي إسلامه إسلام خلق كثير من وراءه ، ولذلك فقد كان ﷺ يتألف كبراء القوم بالهدايا ، فقد قبل ﷺ هدية أكيدر ، وهدية يحنة بن رؤبة رجاء أن يهتديا فيسلما، فيتبعهما قومهما .

٦ — مراعاة أصحابه حال وقوع الخطأ منهم :

بعدم التشهير بهم أو وصمهم بالعيب والجهل؛ فالرسول ﷺ قبل عذر المنافقين ووكّل سرائرهم إلى الله ، ولم يقبل عذر كعب — رضي الله عنه — وصاحبيه ، ومع ذلك لم يقسم عليهم ، أو يعنفهم أو يزرهم ، بل اكتفى بإظهار الغضب ونهى عن محادثتهم .

٧ — مراعاة حال ضعف الإنسان وهرمه وعجزه :

فعندما أمر الرسول ﷺ الثلاثة الذين خُلّفوا باعتزال نساءهم جاءت امرأة هلال بن أمية ، فقالت : يا رسول الله : " إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن

أخدمه ، قال : لا ، ولكن لا يقربك ، قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا" (١) ، فأذن لها الرسول ﷺ بالبقاء مع زوجها للقيام بخدمته .

من خلال العرض السابق تبين لنا اهتمام النبي ﷺ بمراعاة كافة الجوانب لدى المدعويين ، كل ذلك من أجل أن تثمر الدعوة وتؤتي أكلها ، وإذا كان النبي ﷺ اهتم بأحوال المدعويين فإنه كان يعرض حقوق المدعويين فقام بإبلاغهم الدعوة في كل الأحوال وأرسل الرسل والكتب ، وبذل الدعوة لكل الناس ، ولم يكره أحداً على قبول الإسلام وكان يتعرف على الناس لتسيير دعوتهم ، كما كان يتفقد أحوالهم ، ويخالطهم كل ذلك برز من خلال تحليل أحداث الغزوة وسأعرض الآن بإيجاز لحقوق وواجبات المدعو .

المطلب الثاني : حقوق المدعويين .

أولاً : أن يقصد المدعو أو يرسل إليه .

"من حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى ، أي الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى ولا يجلس الداعية في بيته وينتظر مجيء الناس إليه ، وهكذا كان يفعل الداعية الأول نبينا الكريم ﷺ ، يأتي مجالس قريش ويدعوهم ويخرج إلى القبائل في منازلهم في موسم قدومها مكة ، ويدعوهم ويذهب إلى ملاقاته من يقدم إلى مكة ويدعوهم ، فقد كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم ؛ ويدعو قبائل العرب إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يُصدّقوه ويمنعوه حتى يتبين لهم الله به" (٢) .

وكان ﷺ يقف على منازل العرب ، فيقول : " يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدّقوا بي ، وتمنعوا بي ، حتى أبين عن الله ما بعثني به" (٣) .

(١) سبق ترجمته ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٢) سورة ابن هشام : (٢ / ٧١) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٧٢) .

ولم يكتف ﷺ بدعوة أهل مكة ومن كان يأتيها إنما ذهب إلى خارجها ، فقد ذهب إلى الطائف يدعو أهلها ، "فقد خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنفعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده ، ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم أخوة ثلاثة ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، ثم رفضوا دعوته ، فقام ﷺ من عندهم" (١).

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ : " هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، ... " (٢).

ولم يكن خروجه ﷺ للدعوة إلى منازل الناس وأماكن تجمعاتهم في المرحلة المكية فحسب ، بل استمر على ذلك حتى بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، فقد قصد الناس أفراداً وجماعات ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله بن أبي ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً ، فانطلق المسلمون يمشون معه ، - وهي أرض سبخة (٣) - فلما أتاه النبي ﷺ فقال : إليك عني والله لقد آذاني نثن حمارك . فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك ، ... " (٤).

(١) سيرة ابن هشام : (٦٧ / ٢) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ، ص : ٦٨٢ - ٦٨٣ ، حديث رقم : (٣٢٣١) .

صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : ما يلقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين : (١١٣٤ / ٣) ، حديث رقم : (١٧٩٥) .

(٣) سبخة : بفتح المهملة وكسر الموحدة بعدها معجمة : أي ذات أسباخ ، وهي الأرض التي لا تثبت وكانت تلك صفة الأرض التي مر بها الرسول إذ ذاك ، انظر ، فتح الباري : (٣٥٢ / ٥) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الصلح ، باب : ما جاء في الإصلاح بين الناس ، ص : ٥٦٢ ، حديث رقم : (٢٦٩١) . صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : في دعاء النبي ﷺ ، وصيره على أذى المنافقين : (١١٣٦ / ٣) ، حديث رقم : (١٧٩٩) .

والرسول ﷺ أتى الناس في أماكنهم ، فقد ذهب مع أصحابه إلى بيت كبير لليهود يدعوهم إلى الإسلام ، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : " بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس^(١) ، فقام النبي ﷺ فناداهم : يامعشر يهود أسلموا تسلموا . فقالوا : بلغت يا أبا القاسم . فقال : ذلك أريد . ثم قالها الثانية . فقالوا : قد بلغت أبا القاسم . ثم قال الثالثة ، فقال : اعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وإني أريد أن أجليكم ، فمن وجد بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ولرسوله "^(٢).

سبب إتيان الداعية مدعويه :

سبب ذلك يرجع إلى عدة وجوه :

الوجه الأول : " أن وظيفة الرسول الكريم ﷺ التبليغ . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }^(٣) . وقال تعالى : { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين }^(٤) .

وهذا التبليغ قد يستلزم نقلة الرسول ﷺ إلى مكان من يُراد تبليغه لاحتتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه أو أنها وصلته بصورة غير صحيحة ، ولكن لم ينهض فيأتي إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه ، فلأجل هذه الاحتمالات كان الرسول ﷺ يأتي إلى أماكن الناس لتبليغهم الدعوة إلى الله "^(٥).

الوجه الثاني : " شفقتة ﷺ على عباد الله وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر ، كل ذلك كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم ويبلغهم الدعوة إلى الله "^(٦).

(١) بيت المدراس : بكسر الميم وآخره مهملة مفعول من الدرس . والمراد به كبير اليهود . ونسب البيت إليه ؛ لأنه هو الذي

كان صاحب دراسة كتبهم ؛ أي قراءتها . انظر ، فتح الباري : (١٢ / ٢٣٣) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الإكراه ، باب : في بيع المكروه ونحوه في الحق وغيره ، ص : ١٤٦٦ ، حديث رقم : (٦٩٤٤) .

مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب : إجلاء اليهود من الحجاز : (٣ / ١١٢) ، حديث رقم : (١٧٦٥) .

(٣) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٦٧) .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : (١٨) .

(٥) أصول الدعوة ، ص : ٣٧٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٣٧٥ .

الوجه الثالث : " أن البعيد عن الإسلام قلبه مريض ، ومريضى القلوب لا يعرفون مرضهم ولا يحسون به فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه فلا بد من إخبارهم بمرضهم من قبل الرسل الكرام ولا ينتظرون مجيئهم إليهم ليخبروهم ، بل يذهبون إليهم ويخبرونهم بالمرض والعلاج ؛ لأن من أعراض مرضهم إعراضهم عن الدعوة والمجيء إلى صاحبها " (١).

وإذا لم يستطع الداعية لظروف انشغاله الوصول إلى المدعو ، يمكنه إرسال من يستطيع تبليغ تلك الرسالة الدعوية ، وقد أرسل الرسول ﷺ الدعوة إما إلى أقوامهم أو إلى أقوام آخر ، عند ما لم يتمكن من الذهاب إليهم ، فقد أرسل ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلمهم أمور دينهم ، وكذلك أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن .

وعندما توجه الرسول ﷺ إلى تبوك كان يقصد من وراء جهاده نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء البلاد، وعند وصوله إليها أرسل مرسوله دحية بن خليفة الكلبي برسالة إلى هرقل في حمص يخبره فيها بين ثلاث : إما أن يتبعه على دينه أو يعطيه ماله على أرضه ، والأرض أرضه ، أو يلقي إليه الحرب . وأيضاً أرسل ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ، فأتى به خالد - رضي الله عنه - أسيراً وقدم به إلى الرسول ﷺ فاختر أكيدر دفع الجزية ، كما اختار أهل أيلة وأهل جرباء وأذرح ومقنا المصالحة ودفع الجزية .

ثانياً : بذل الدعوة لكل الناس :

" لا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به فلا يدعوه ؛ لأن من حق كل إنسان أن يدعى ، وقد يكون هذا الذي لا يُقيم له الداعية وزناً سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه . وهكذا كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه " (٢).

" وإن رسول الله ﷺ كان كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمح بقدام يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما

(١) أصول الدعوة ، ص : ٣٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٣٧٦ .

عنده" (١). "فلما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز وعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على القبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فقال لهم ﷺ : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا . فلما قدموا المدينة إلى قومهم ، ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ" (٢).

" فرسول الله ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم عدد قليل بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة ، ولم يقل في نفسه الكريمة : أي أمل في هؤلاء ، ثم إن أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأول إلى الإسلام في المدينة . فالداعية الذي يهتدي بهدي رسول الله ﷺ لا يستهين بأحد فيزهد في دعوته فقد يكون الخير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيراً الآن" (٣).

والرسول ﷺ لم يستهين بمبعوث هرقل ، وهو مبعوث فقط وليس بزعيم ، " حيث سأله ﷺ عن أصله ، فقال أنا أحد تنوخ . فقال ﷺ : هل لك في الإسلام الحنيفة ملة أبيك إبراهيم؟ فقال : إني رسول قوم ، وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليه" (٤). و"بالتالي فمن حق المدعو على الداعية أن يتلطف به حين يدعو إلى الإسلام وأن يحترمه فلا يستصغر شأنه ، ولا يستهين به ؛ لأن من حق كل إنسان أن يدعى ، وقد يفتح الله عليه فيصير بعد دعوته داعية ذا وزن كبير في خدمة الإسلام والدعوة إليه ، فهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ" (٥).

(١) سيرة ابن هشام : (٧٤ / ٢) .

(٢) المرجع السابق : (٧٦ / ٢ - ٧٨) بتصرف .

(٣) أصول الدعوة . ص : ٣٧٦ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٣٧٦ .

(٥) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ١٢٧ .

" وقد بذل الرسول ﷺ جهده في دعوة الناس إلى دين الله للناس جميعاً فدعا المشركين واليهود والنصارى . وإن المتأمل في غزوة تبوك والتي هي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ يجدها كلها دعوة لأهل الكتاب ، فتارة تتمخض فيها الدعوة صريحاً ، وتارة تكون الدعوة إلى دين الله ضمناً" (١). والرسول ﷺ قد دعا النصارى من أهل الكتاب إلى دين الله في غزوة تبوك دعوة صريحة ، وذلك أنه لما وصل إلى تبوك أرسل إلى قيصر عظيم الروم يدعوه إلى الله عز وجل . وأرسل كتاباً إلى يحنة وأتاه يحنة ، وعقد معه صلحاً وكتب له كتاباً ، كما عقد وهو في تبوك الصلح على دفع الجزية مع أهل جرباء وأذرح.

ثم بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل وجاء به أسيراً وحقق له دمه ﷺ وقبيل منه الجزية ، وكما أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى هرقل يدعوه إلى دين الله فقد دعا أيضاً مبعوث هرقل إلى الإسلام.

وكان من أهم ما اشتملت عليه غزوة تبوك من دعوة النصارى من أهل الكتاب إلى دين الله ضمناً ؛ " أن إظهار قوة المسلمين أمام الأعداء من أهل الكتاب منهج من مناهج دعوتهم إلى الدخول فيه ، ويتمثل ذلك في غزوة تبوك؛ من حيث أنها كانت في ساعة العسرة كما سماها الله فكان من المناسب إظهار قوة الإسلام والمسلمين وشجاعتهم وتحملهم المشاق وصبرهم مما يلاقونه في سبيل ذلك أمام الروم والعرب المنتصرة، حتى يعلموا مشاق إظهار دينهم أمام أعدائهم ، وحتى يعلموا أن النصر حليفهم وأن الله ناصرهم" (٢) .

"وكذلك عقده الصلح مع يحنة وأهل جرباء وأذرح ودومة الجندل كل ذلك دعوة إلى الله ضمناً لما في دفع الروم الجزية من إظهار الولاء للمسلمين ولقوة الإسلام حيث استحکم على جزيرة العرب وزحف إليهم" (٣) .

وعلى هذا فالداعية مطالب ببذل الدعوة لكل الناس جميعاً ، دون تفریق أو تمييز أو

(١) منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب . د . محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي : (٢ / ٤٤٥ - ٤٤٧) بتصرف .

مكتبة أمين محمد أحمد سالم ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ٤٤٧ - ٤٤٨) .

(٣) المرجع السابق : (٢ / ٤٤٨) .

تفاضل بينهم ، لأن الهداية بيد الله ، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ .

ثالثاً : عدم إكراه المدعو على قبول الدعوة :

"إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية إقناع بعد البيان والإدراك ، وليست

قضية إكراه وغضب وإجبار ، قال تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }^(١) .

وفي ظل هذا المبدأ « لا إكراه في الدين » يتجلى تكريم الله للإنسان ، واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك الأمر لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد"^(٢) .

"وكما يتخذ الإسلام سبيل الإقناع في الدعوة يترك للناس حرية الاختيار ، فمن شاء

آمن ومن شاء اتخذ سبيلاً آخر وتحمل مصير ما اتجه إليه ، وهذا ما يفهم من قول الله لنبيه ﷺ
ولكل من يتصدى للدعوة إلى الإسلام"^(٣) . { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكفره

الناس حتى يكونوا مؤمنين }^(٤) . وقوله : { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر }^(٥) .

"والدعوة الإسلامية أخذاً من كتاب الله لا تخالف سنة الله من حيث ترك الناس وما

يختارون لأنفسهم عن طريق النظر والافتناع ، والداعية ليس مسؤولاً أمام ربه إلا عن مهمة

الرسالة ، وليس مطالباً بإيمان الناس حتى يسمح له بإكراههم والعنف عليهم ، ثم إن كتاب الله

مصدر الدعوة الإسلامية لا يحترم إيمان المكروه ، ولا يترتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء

فكيف يأمر بالإكراه أو يبيحه ، والإكراه لا يزرع عقيدة القلب وإنما يحمل على الإذعان

في الظاهر دون إيمان في الوجدان"^(٦) . و"الإكراه لا يتفق مع طبيعة الدين الذي يحتاج إلى

إخلاص شامل للظاهر والباطن معاً ، ولو كان الإكراه يفيد مع الظاهر فإنه لا يمكن تصوره

مع الباطن مطلقاً ، ومن هنا كانت الحرية الدينية ضرورة من ضرورات الدعوة"^(٧) .

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٥٦) .

(٢) في ظلال القرآن : (١ / ٢٩١) . بتصرف .

(٣) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٤٠ . بتصرف .

(٤) سورة يونس ، الآية : (٩٩) .

(٥) سورة الكهف ، الآية : (٢٩) .

(٦) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٤٠ . بتصرف .

(٧) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٢٧ .

العلوم الآتية :

- علم التاريخ : فدراسة سير السابقين يعطي فهماً لطبائع البشر ، ويعتبر وسيلة مؤثرة في نفوس المدعوين .
 - علم الجغرافيا : وذلك لكي يفهم الداعية طبيعة البيئة وأعمال السكان لأهميتها في التكوين المزاجي والفكري للناس .
 - علم النفس الاجتماعي : كي يعرف الداعية هوى الناس وميولهم واتجاهاتهم ، ومدى تأثيرها وتأثيرها في المجتمع .
 - المعرفة بلغة المدعوين : حتى يكونوا أقدر على السماع وأقوى على الفهم^(١) .
- "فالداعية الناجح هو الذي يفهم المدعوين فهماً تاماً ، ويعلم الطرق التي توصله لإقناعهم بفكرته ، والطرق التي تربطهم دائماً به ، وتجعلهم يحسون به ولا يستطيعون الاستغناء عنه"^(٢) .

خامساً : تفقد المدعوين

- التفقد :** "تطلب ما غاب من الشيء ، وتطلب ما فقدته"^(٣) .
- قال تعالى في حكم التزويل : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ لَا أَرَى الْهَدَىٰ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ }^(٤) .
- ومن الرعاية وحسن التفقد ، أن يكون الأخ في حاجة أخيه المسلم . فعن ابن عمر — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يُسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته "^(٥) .
- وكسان الرسول ﷺ يتفقد أصحابه ويطلع على أحوالهم وأوضاعهم ، ويسأل عن

(١) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٤٦٩ — ٤٧٠ . بتصرف .

(٢) قواعد الدعوة إلى الله . ص : ٤٣٢ . بتصرف .

(٣) لسان العرب : (٣ / ٣٣٧) .

(٤) سورة النمل ، الآية : (٢٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الإكراه ، باب : يجمل الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه . ص : ١٤٦٨ ، حديث رقم : (٦٩٥١) .

صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم : (٤ / ١٥٨٤ — ١٥٨٥) ، حديث رقم :

(٢٥٨٠) .

والد

يرغ

فاخ

على

رابعاً

بالد

والاقتا

حيز

ذكر وأثر

وال

عن أ

قالوا: نة

نألوا: بلر

و

تقدم إلى

بلاد أنز

بد الدعوة

ة الحجرات

ابن هشام

رى : بك

. انظر

مرضاهم ، ويعمل على حل مشكلاتهم ، كل هذا يساعده على كسب ثقتهم .
 وكان الرسول ﷺ يتفقد أصحابه ويسأل عن تخلف منهم ، فقد جعل الرسول ﷺ يسأل أبارهم الغفاري — رضي الله عنه — عنهم ويقول : " ما فعل النفر الحمر الطوال النطاط ؟ فحدثه بتخلفهم ، ثم سأل : ما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ " (١).
 وتفقد الرسول ﷺ شخصاً آخر من المؤمنين الصادقين ، وهو أبو خيثمة الأنصاري ، فإذا بشخصه قادمة من بعيد ، ويقول : « كن أبا خيثمة » (٢) . فكان هو ، بعد أن تخلف ثم تدارك أمره ، ولحق بركب الرسول ﷺ فأدركه فغتم .
 وتفقد الرسول ﷺ كعب بن مالك فقال : " ما فعل كعب " (٣) . ولم يتفقد ﷺ أحداً من المنافقين ، فلقد تكشفت قلوبهم الحاقدة الشامتة علانية .
 "إذاً القائد الذي يرعى مصالح جنده ويتفقد أحوالهم ويشفق عليهم يكون قائداً محبوباً من جنده ، وهم أيضاً يجتهدون في طاعته ، وتفقد أحواله ويحبونه ويكرمونه ، وبدون ذلك التفقد والعناية لا يحصل من جنده على الحب والطاعة والتقدير" (٤).
 "والداعية في تعامله مع مدعويه يتفقدهم ولا ينشغل عنهم بأمره أو حياته الشخصية؛ بل يتفقد أحوالهم ، ويزورهم ويصاحبهم حتى يزداد معرفة بهم وقدرة على توجيههم" (٥) ، وهذا يوثق العلاقة بين الطرفين .

سادساً : مخالطة المدعويين وعدم الانعزال عنهم .

المخالطة : " من الخلط ، والمختلط بالناس المتحجب ، ويكون للذي يتملقهم ويتحجب إليهم " (٦) .

" والدعوة إلى الله من واجبات الإسلام ، ومن وسائل مخالطة الناس ، فتكون المخالطة

(١) انظر ، سيرة ابن هشام : (١٦٩/٤ - ١٧٠) .

(٢) انظر ، زاد المعاد : (٤٦٣/٣) .

(٣) سبق نخرجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

(٤) الجهاد في سبيل الله ، حقيقته وغايته : (١٦ / ٢) .

(٥) فقه الدعوة الفردية . ص : ٥٠ .

(٦) لسان العرب : (٢٩٤ / ٧) .

واجبة ؛ لأن ما يؤدي الواجب إلا به فهو واجب . والواقع أن طبيعة الإسلام تقتضي المخالطة ، فالإسلام ليس معنى خاصاً بالفرد ؛ بل هو أيضاً عمل المسلم خارج نفسه . ورسول الله ﷺ قد أكرمه الله بالنبوة وأمره بالتبليغ عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم إلى الله ويحذّرهم مما هم فيه وكذلك فعل أصحابه الكرام ، خالطوا الناس وبنوا فيهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ من العلم والدين ^(١) .

" فالإنسان مدني بالطبع ، لا بد له من أن يعيش مع الناس ، والناس لهم إرادات وتصورات ، واعتقادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبه ، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب ، ومن وجه آخر ؛ فلا بد له من الناس ومخالطتهم ، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم . ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسر من الألم المترتب على موافقتهم ^(٢) . " ومن يخالط الناس مخالطة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحسن معاملتهم ، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة ، والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان ولكل حال مقال ^(٣) .

عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ^(٤) . " قال ابن تيمية — رحمه الله — : " إن الخلطة تارة تكون واجبة أو مستحبة ، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة ، وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها ، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها ، فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا ، وما هو الأصلح في كل حال ، فهذا يحتاج إلى نظر خاص ^(٥) .

(١) الدعوة الإسلامية. أصولها ووسائلها . ص : ٣٦٥ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ابن القيم : (٥٤١ / ٢) . دار ابن زيدون — بيروت — لبنان .

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام محمد ابن إسماعيل الكحلاني : (٢١٠ / ٢) . دار الفكر .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة : (٧٣ / ٤) . حديث رقم : (٢٦٢٥) .

سنن ابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : الصبر على البلاء : (٤٣١ / ٣) ، حديث رقم : (٤٠٣٢) .

(٥) مجموع الفتاوى : (١٠ / ٤٢٥ — ٤٢٦) . بتصرف .

"فالداعية يختلط بالناس ؛ لأنه معهم تكون دعوته ، ولهم نشرها ، وبهم يحقق نصرها وفوزها، وهذا الاختلاط ضروري للداعية ؛ لأنّ الداعية أخ للناس استظهر عليهم النصح والتوجيه" (١).

" كما أنّ الداعية الذي يعيش مع الناس ويخالطهم ، يجد أمامه مجالات رحبة وميادين واسعة لتحصيل الأجر والثواب ، أما الذي يعيش منفرداً أو منعزلاً ، فإنّه يحرم من هذه الميادين وتلك المجالات ، وذلك الأجر" (٢).

" كما أنه يحرم من الخيرات وتلك التجارب « في الدعوة مع الناس » ، ويبقى طوال حياته ضيق الأفق ، قاصر النظر ، لا يعرف كيف يواجه أبسط المشكلات ، فضلاً عن أمهاتها" (٣).

" وفي مخالطة الداعية للناس القدرة على الاهتمام بهم ، والانفعال بأمورهم ، وقضاياهم؛ ذلك أنّ من فقد هذه الصفة لا يستطيع أن يقوم بمهامه في الدعوة ، وتلك سلبية تباعد بينه وبين تحقيق شيء من أهدافه في هذا المجال" (٤).

" كما أنّ في المخالطة الطريق التي يعرف بها المسلم إبعاد ومعالم شخصيته من كمال أو نقص ، قوة أو ضعف ، فيستكمل وتقوى نواحي النقص والضعف" (٥).

" وكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة ، وفواته من آفات العزلة ، فمن فوائد المخالطة هي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدّب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب ، وإماتته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال واعتبارها" (٦). " كما أنّ كل اعتزال من الأمة يفوّت جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو يضعف جانب الدفاع عن الإسلام أمام خصومه فهو جريمة فلا يقبل من

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها . ص : ٤٤٧ .

(٢) الرائد : (١ / ١٠٦) .

(٣) المرجع السابق : (١ / ١٠٩) .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ٥٥١) .

(٥) الرائد : (١ / ١٠٢) .

(٦) إحياء علوم الدين : (٢ / ٦٣٦) .

صاحبه عذر" (١). " ودعاة الباطل لا يفتوا لحظة عن العمل ، بهدف أن تتحول الأرض إلى
بؤرة من الشر والفساد ولا يكون ذلك إلا إذا فرَّ أهل الحق من الميدان واعتزلوا" (٢).

" ومادام الداعية يحب في الله ويغض في الله ، فهو يرفض مصاحبة وموادة العصاة
والفساق والمعرضين عن أوامر ربه ، ومع ذلك فهو لا ينفك عن دعوتهم إلى الله والدعاء لهم
بالهداية والرحمة والرشاد" (٣).

وكعب — رضي الله عنه — بعد مقاطعة الرسول ﷺ له ولصاحبه لم يقعدحيس
البيت مثل صاحبيه ، بل كان يخرج من البيت ، ويصلي مع الجماعة ، ويطوف في الأسواق ،
ولا يكلمه أحد . يقول كعب : " وأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبيكان وأما أنا
فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في
الأسواق ولا يكلمني أحد . وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول
هل حرك شفثيه برد السلام علي أم لا .. " ، إلى أن قال : " فبينما أنا أمشي بسوق المدينة
إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن
مالك فطفق الناس يشيرون له ... " (٤) .

" ومعنى ذلك أن الداعية مطالب بأن لا يعتزل الناس إلا في الفتنة ، ومطالب بأن يعمل على
ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم" (٥). " وما روي عن بعض التابعين من استحباب العزلة
لكراهية المخالطة فهو أمر يتعلّق بأحوال طارئة وظروف استثنائية ؛ لأنّ وجوب الدعوة إلى
الله أمر ثابت في الشرع ، والمخالطة هي المقدمة إلى الدعوة" (٦) .

" فقد يخدع الشيطان الداعية ويمكر به ؛ إذ قد يأمر الداعية بانقطاعه في مسجد أو
زاوية أو رباط ، ويجبسه هناك ، وينهاه عن الخروج ، ويقول له متى خرجت تبدلت للناس ،
وللشيطان في ذلك مقاصد ، حتى يترك الناس ، ويترك من الواجبات والمستحبات والقربات

(١) خلق المسلم . ص : ١٩٨ .

(٢) الرائد : (١٠٧ / ١) .

(٣) أصول الدعوة . ص : ٣٦٦ .

(٤) سبق تخرجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٥) فقه الدعوة إلى الله : (٥٥١ / ٢) .

(٦) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها . ص : ٣٦٥ .

ما يقربه إلى الله ، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه ^(١) .
" كما أن استنكاف الداعية عن الاختلاط بالناس بحجة بعدهم عن الإسلام وسوء أخلاقهم ، وكثرة انحرافهم ، من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيداً ، ويوسع الهوة بين هؤلاء وبين الإسلام " ^(٢) .

المطلب الثالث :

واجبات المدعو

أولاً : الانقياد للحق والطاعة :

"إذا كان من حق المدعو أن يؤتى ويدعى ، أو يرسل إليه ، وأن لا يُستهان به ولا يُستصغر شأنه ، فإن عليه أن يستجيب إذا ما دعي إلى الله ، لأنه يُدعى إلى الخير والحق ، ويستجيب لنداء ربه جل جلاله" ^(٣) ، " وأن ينصاع إلى الحق ، إذا تبين له ، وأن يهرع إلى الخير ، إذا دعي إليه ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادة اعتادها أم جهلاً أم كبراً وما إلى ذلك" ^(٤) ؛ " فالله قد أعطى الإنسان عقلاً يميز به ويتبين ما ينفعه وما يضره ، وما هو خير وما هو شر ، ثم لما كان هذا العقل بحكم خلق الله له عاجزاً في أحيان كثيرة عن التمييز بين الخير والشر أرسل الله الرسل ، وطالب الله سبحانه أمة الدعوة جميعاً بأن يستجيبوا للرسول محمد ﷺ ؛ لأنه يدعوهم إلى ما يحييهم في الدنيا حياة طيبة ، ويعطيهم في الآخرة رضا الله ^(٥) . فقال لهم : { يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون } ^(٦) .

ويقول تعالى في وصف المؤمنين : { إنما كان قول المؤمنين إذا ما دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا

(١) إغائة اللهفان من مصاديد الشيطان : (١ / ١٢٩) .

(٢) الاستيعاب في حياة الدعوة والدعاة . ص : ١١١ .

(٣) أصول الدعوة . ص : ٣٧٦ .

(٤) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ١٢٨ .

(٥) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٠٢٧) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : (٢٤) .

سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون }^(١).

والناس ليسوا سواء في الاستجابة إلى الحق والطاعة ؛ فمنهم السريع جداً في الاستجابة ومنهم البطيء جداً ، ومنهم بين هذين الحدين في درجات كثيرة جداً^(٢) .
 وكعب - رضي الله عنه - بعد أن غادر الرسول ﷺ إلى المدينة أحس بفداحة خطئه الذي وقع فيه من التخلف عن الجهاد ؛ ، ولذلك بعد مجيء الرسول ﷺ من الغزوة إلى المدينة ، ومعرفة الرسول ﷺ منه بأنه ليس له عذر في التخلف إلا من التساهل والتراخي والتسوية ، فمى ﷺ المسلمين عن محادثته ، فاستجابوا جميعاً لذلك النهي . ولذلك ظل كعب - رضي الله عنه - وصاحبه يبكون ألماً وحسرة وندماً على تخلفهم ، فبدلوا سيئاتهم بالחסنات والطاعات ، حتى نزلت توبة الله عليهم جميعاً بعد خمسين يوماً من الهجرة ، فكانوا مثلاً في انقيادهم للحق ولطاعة الله .

ثانياً: العمل على تطبيق منهج الإسلام :

والمقصود بذلك : أن يلتزم المدعو في اعتقاده وعمله بممارسة الإسلام ممارسة عملية في نفسه ، وسلوكه ، وأخلاقه وقوله وعمله ، وفي مجال بيته ومجتمعه . قال تعالى : { ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر }^(٣) . فالمدعو لكي تتكامل فيه صفات المسلم المستنير ، ولكي يؤدي الواجبات الملقاة على كاهله ، بالصورة التي تعفيه من المسؤولية أمام الله يوم القيامة ، وأمام نفسه وقد انصاع إلى الحق والخير ، وأمام المجتمع المسلم فإن لزاماً عليه أن ينخرط في سلك العاملين بهذا الدين ، المطبقين لمنهجه ، ونظامه في مرافق الحياة^(٤) . " بل إن عليه أن يقبل على هذا التطبيق برغبة وحماس وفرح ؛ لأنه بهذا التطبيق ، قد استجاب لما يحبه في الدنيا من حياة طيبة ، ولما ينجيه في الآخرة من عذاب النار ، والإيمان لا يكون إيماناً إلا

(١) سورة النور ، الآية : (٥١) .

(٢) أصول الدعوة . ص : ٣٧٧ .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٠٤) .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ١٠٣٦) .

إذا صدق العمل" (١).

وكعب — رضي الله عنه — دعا نفسه إلى تطبيق منهج الإسلام بعد توبة الله عليه بالتزام الصدق ما بقيت له الحياة وأن يحفظه الله على ذلك . يقول كعب — رضي الله عنه — : " إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ... " (٢).

" فواجب على المدعو ، بعد أن يهديه الله إلى الإسلام ، ويهديه إلى صراط الله المستقيم أن يقوم بحق الإسلام ، فيقيم سلوكه وسائر أمور حياته على منهج الإسلام ، وأن يعبد الله على النحو الذي أمرنا به ويثبه في محكم كتابه ، وعلى لسان خاتم أنبيائه ، ورسله ﷺ حتى يكون من عباد الله الصالحين " (٣) .

"وبالتالي فالمدعو مطالب بأن يدخل في دين الإسلام إن كان من غير المسلمين بمجرد أن يتبين له الحق، ومطالب بأن يكف عن المعصية ، وارتكاب الأخطاء ، حتى يخرج من ذلها وإثمها إن كان من المسلمين العصاة والمخطئين ، ليستمتع بعز الطاعة ، وعظيم أجرها عند الله، ومطالب بأن يستمر على طاعته ، وأن يستزيد منها ، ومن فعل الخير ، إن كان من المسلمين الطائعين " (٤) . إن " المدعو مطالب بذلك كله وهذا هو واجبه الذي لا محيد عنه إلا همزات الشياطين من الإنس أو الجن ، أو بإغلاق القلب والعقل عن تقبل الحق عناداً أو كبرياء ، ومن يفعل ذلك بعد أن يتبين له الحق ، فإنه يسيء إلى نفسه ، وإلى مجتمعه الذي يعيش فيه ، ويسيء إلى مستقبله مع الله ، لأنه لن يفلت من عقاب مخالفة الرسول ﷺ سواء أكانت مخالفة ببقائه على الكفر ، أم مخالفة ببقائه على المعصية والخطأ " (٥).

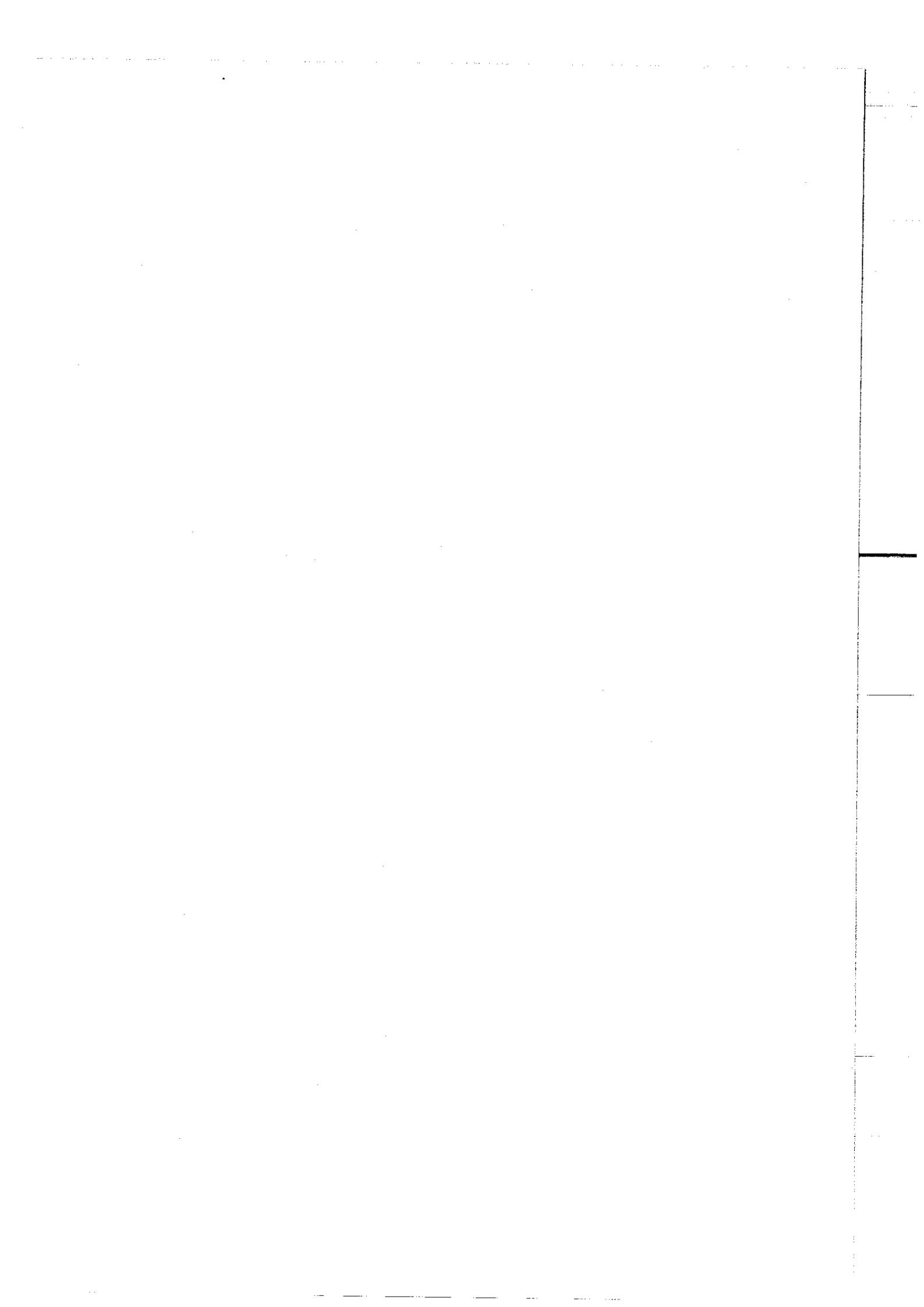
(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ١٠٣٦) .

(٢) سبق تحريجه ، ص : ٥٩ - ٦٤ .

(٣) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ١٣٠ .

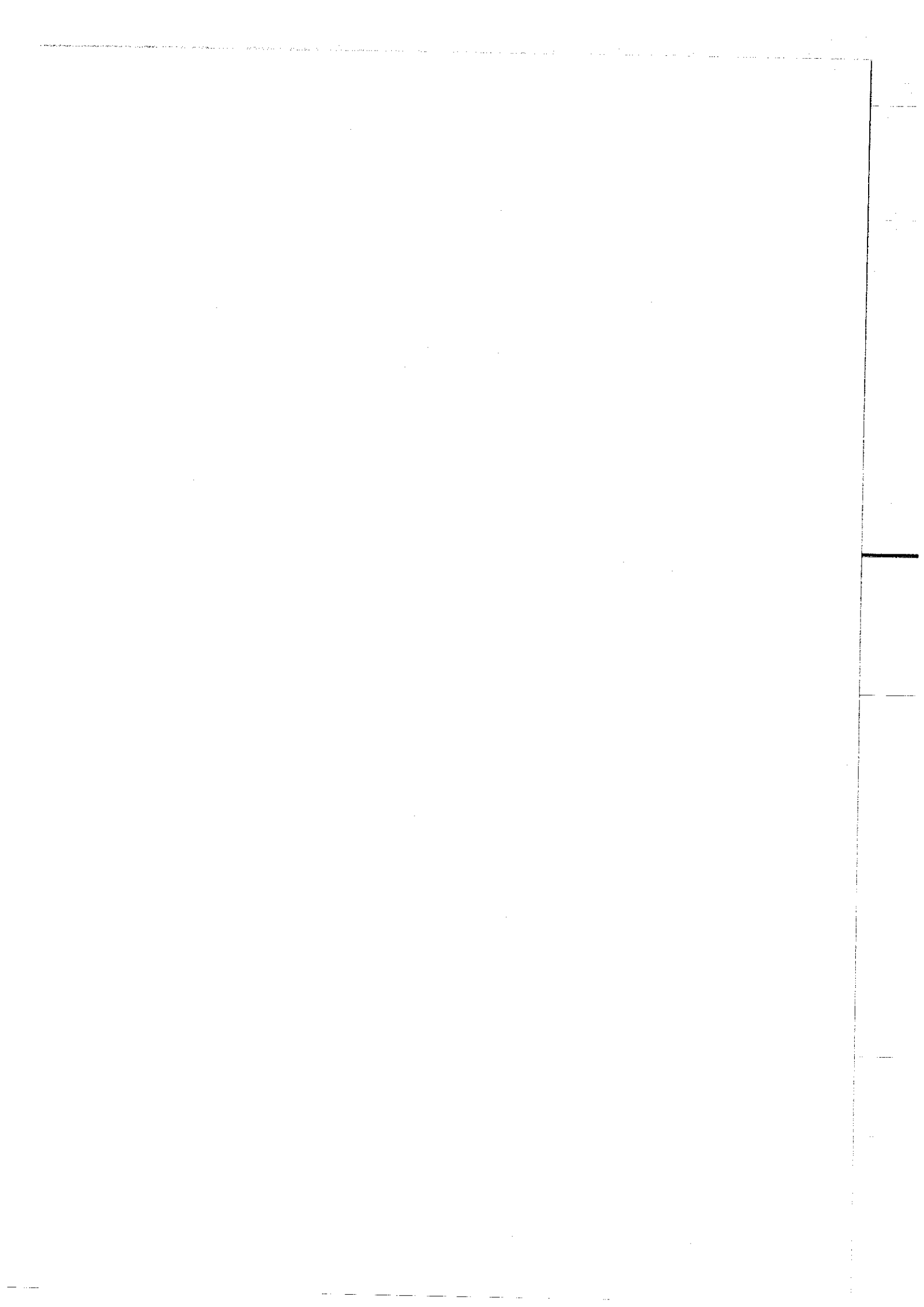
(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٢ / ١٠٢٨) .

(٥) المرجع السابق : (٢ / ١٠٢٨) .



المبحث الثاني

**الدروس الدعوية المتعلقة
بأثر التربية النبوية في المدعوين**



المبحث الثاني

أثر التربية النبوية على المدعوين

إن سيرة الرسول ﷺ مع أصحابه نموذج يحتذى به الدعاة ، وتطبيق عملي لهذه الدعوة. " لقد كان لهم أسوة حسنة يحرصون عليها الحرص كله ، والأسوة خير مرشد على أنه لم يكلمهم إلى ذلك فحسب ؛ بل كان يتعهدهم بالإرشاد إلى الخلال الحميدة ، ويعرّفهم على الأخذ بها ويشجّع المحسن منهم ولو بالكلمة الطيبة حتى تصير ملكاً وخلقاً" (١).

" واقتدى به أصحابه — رضوان الله عليهم — فكانوا من بعده نماذج حية للإسلام ، فاستسلم لها الأعداء واقتفى أثرها العقلاء ، ولقد استطاع الرسول ﷺ بأسلوبه الحكيم ومنهجه القويم ، أن يوحد من قوم ضاربين في الجهالة متنافرين في الطباع متفاوتين في الاتجاه والأخلاق ، خير أمة أخرجت للناس" (٢).

" وقد كان ﷺ يرقب بعين بصيرته أحوال المجتمع ، فإذا رأى خللاً أصلحه ، وإذا أبصر ظاهرة عُزلة عاجلها ، وإذا رأى آفة رهينة استأصلها ، وإذا رأى تقاعساً عن جهاد قاومه. وهكذا يبقى المجتمع بأفراده وجماعاته مجتمعاً متوازناً معتدلاً متكاملماً سوياً لا عوج فيه ولا التواء" (٣) ؛ " بل يكفي هذه الفئة الربانية الصالحة فحراً وشرفاً أنها حين التزمت الإسلام وترسخت على الحق ، وتشربّت روح الدعوة والعمل في سبيل الله ، وتخرّجت من مدرسة التربية في الإيمان ، بقيت ثابتة على مبدئها ومحافظة على عهدها ، ومستقيمة على سلوكها وأخلاقها ، فلا تتأثر بإغراء ، ولا تفتن بدنياً ولا تنحرف مع تيار ، ولا تنحرف عن الجادة ، بل يصدق عليها" (٤). قوله تعالى : { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه

(١) هداية المرشدين . ص : ٤٤ .

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ١٩٩ .

(٣) عقبات في طريق الدعوة : (٢ / ٤٩٩ - ٥٠٠) .

(٤) المرجع السابق : (٢ / ٤٧٥) .

ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً^(١).

" إن للتربية في مدرسة النبوة خصائص تميزها ، فالأمر تربية وليس مجرد ثقافة ، والأمر تربية وليس صنعة أو حرفة ، فهي تربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى "^(٢).

وكان ﷺ يتعهد أصحابه بالرعاية الدائمة حتى لا تكون فيهم ثغرة لينفذ إليها الشيطان فيفسد عمله ، ويفشله . وقد كان لصحابته وأعوانه الذين ربّاهم ، وغدّى أرواحهم بالقرآن ، وأنار نفوسهم بالإيمان أعظم الأثر في دعوته ﷺ حيث كانوا من أهم عوامل نجاحها لتطبيقهم الإسلام ، وفق مراد الله قولاً وعملاً ، سرّاً وجهراً . { أولئك حزب الله ألا إن حزب الله الفلحون }^(٣).

" وعندما أعلن الاستنفار العام كي يتحرك الرسول ﷺ بالجيش نحو الشمال لمواجهة الروم ، ولما كان بيت المال ليس فيه ما يوفر لهؤلاء الفقراء من مستلزمات القتال شيء كالسلاح والإعاشة ووسائل النقل وجّه الرسول ﷺ إلى أثرياء الصحابة وميسوري الحال نداء بأن يتصدقوا بما تسخو به نفوسهم من أموالهم لسد احتياجات الراغبين في الجهاد ، من الذين لا يجدون في أموالهم الخاصة ما يوفر لهم ما يحتاجونه في هذا الرحلة القتالية الطويلة "^(٤).

" وما كان الأغنياء وميسورو الحال من الصحابة يتبّلغون نداء الرسول ﷺ الحاث على التصدق والتبرع لإكمال تجهيز الجيش الغازي هذا حتى تسابقوا إلى ميدان التبرّع والتصدق طمعاً فيما عند الله تعالى من ثواب . وكان التبرع من هؤلاء الكرام البررة على أعلى مستويات السخاء ، فتمّ للرسول ﷺ وفي وقت وجيز جمع أموال عظيمة من المتصدقين ، يمكن بهذه الأموال من تموين الجيش وإكمال تجهيزه "^(٥).

" وكان أعظم المتصدقين المتبرعين سخاء من الصحابة لتجهيز الجيش هذا ، عثمان بن عفان ، فقد ضرب أعلى رقم قياسي في البذل والسخاء في سبيل الله بماله ، تولى وحده تموين وتجهيز ثلث الجيش من ماله الخاص ، أي أن عثمان قام وحده بتجهيز عشرة آلاف من ماله

(١) سورة الأحزاب ، الآية : (٢٣) .

(٢) مرشد الدعاة . ص : ٢٤٧ .

(٣) سورة المجادلة ، جزء من الآية : (٢٢) .

(٤) غزوة تبوك . ص : ٦٣ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٦٤ .

الخاص الحلال ، وكان عثمان تاجراً ناجحاً^(١) .

فما أعظم هذه التربية النبوية التي جعلت صاحبها يذهب في الكرم وحب الخير إلى أن ينفق بسخاء وطيب خاطر كل هذه النفقات العظيمة؛ إنها تضحية ما بعدها تضحية وسخاء ، وتقديراً لهذا الكرم العظيم بشره الرسول ﷺ بالجنة .

وقد أوكل الرسول ﷺ إلى بعض أصحابه بعض المهام ليكون ذلك تدريباً لهم على تحمل المسؤولية ، وقد كانوا - رضوان الله عليهم - جديرين لحمل هذه المسؤولية الملقاة على عاتقهم وأهلها .

فكان فيهم من حمل الرايات والألوية ، ومنهم من خلفه الرسول ﷺ في المدينة ، واسترعاها عليها ، ومنهم من أوكلت إليه المراسلة بين المسلمين والروم ، ومنهم من قاد سرية تأديبية بدومة الجندل . وهكذا اطمأن الرسول ﷺ على أصحابه بتحمل المسؤوليات والقيام بها خير الأداء .

وقد صير المجاهدون وهم في طريقهم إلى تبوك وكان الموقف قد تأزم تأزماً شديداً ، ولا سيما في قلة الزاد ، وعدم الماء ، وقد كانوا يتداولون فيما بينهم التمرة الواحدة يمحسها أحدهم ويشرب على مصتها الماء ، حتى كانوا ينحرون الإبل ليشربوا ما في بطنها من ماء . وقد ضحوا بأرواحهم فداءً لدينهم وعقيدتهم .

"والمسلم الحق ينتقد العيوب والأخطاء الفاشية ، جريئاً في الحملة عليها لا يتهيب كبيراً ولا يستحي من قريب ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، يواجه الناس بقلب شجاع ، بل يجعل قومه من قوة العقيدة التي يمثلها ويعيش لها"^(٢) ، فعند ضياع ناقة الرسول ﷺ ، حاول أحد المنافقين التشكيك بنبوة الرسول ، فأقبل عمارة بن زيد بجزم وشدة على طرده من رحله ليلجمه ويلجم أمثاله من المنافقين المشككين والمضللين .

كما أن المسلم الحق لا يسمح لأحد بالنيل من أعراض إخوانه في الله بل يرد عليهم وينكر قولهم . وهذا حدث مع معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حيث لم يترك المنافق ينال

(١) غزوة تبوك . ص : ٦٤ .

(٢) خلق المسلم . ص : ١٠٨ - ١١٠ . بتصرف .

من عرض كعب — رضي الله عنه — أو يسيء إليه بإساءة ، بل ردّ عليه فوراً ، بقوله : " ما علمنا عليه إلاّ خيراً " (١) ، فأسكت ذلك المنافق وألجمه .

وكان النبي ﷺ قد أخبر حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — بأسماء المنافقين الذين هموا بقتله ، وأوصاه بأن لا يذكر أسماءهم ، لثقتهم ﷺ بحفظه للسر فكان يلقب حذيفة صاحب السر ؛ أي صاحب سر رسول الله ﷺ . " حتى قيل : إنه إذا مات أحد بعد النبي ﷺ تعرفوا حال حذيفة معه ، فإن رأوا حذيفة صلى عليه علموه مؤمناً غير منافق ، وإن لم يصل عليه كانوا في ريب من أمره " (٢) . وهذا بلا ريب من أثر تربية النبي ﷺ لأصحابه حيث احتفظ حذيفة بسر رسول الله ﷺ لنفسه إلى أن مات ، ومات سره معه .

"والرسول ﷺ في أعلى درجة من اليقظة والانتباه ، فلا يسمح مطلقاً بمخالفة أمر دون تنبيه ، ولا يرى شيئاً يحتاج إلى توضيح ويسكت عليه ، ولا يتساهل في خطأ قد يترتب عليه تساهلات أو أخطاء ، مما يؤدي في النهاية إلى البعد عما جاء به الرسول ﷺ ، لهذا اهتم بأصحابه في تلك الفترة ، وعندما تخلف كعب وصاحبيه عن الغزوة ، كان لابد من علاج لهذه القلوب حتى يزيل عنها رواسب الإثم والذنب ، وكان ذلك بالإعراض عنهم وهجرانهم وذلك لإيقاظ نفوسهم وتعويدهم الصبر ،

والفرد أساس المجتمع ، ولذا فإن النبي ﷺ يعده إعداداً ليوفر به أمن المجتمع ويصون ألفتهم ومحبتهم ، ويظهر في نهي الرسول ﷺ لصحابته — رضوان الله عليهم — عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه ، استجابة المجتمع المسلم بأكمله لهذا النهي ، وهذا يدل على تأثرهم بتربية الرسول ﷺ لهم على السمع والطاعة ، وعلى مراقبتهم لله عز وجل ، وخوفهم منه سبحانه وتعالى في السر والعلن .

ومن دقة تطبيق كعب لأوامر الرسول ﷺ أنه عندما أمرهم ﷺ أن يعتزلوا أزواجهم أمر كعب زوجته أن تلحق بأهلها ، حتى لا يحدث منه مخالفة لأمر الرسول ﷺ تجاه زوجته . وقد أظهر كعب — رضي الله عنه — تمسكه بالعقيدة ، وولائه وإخلاصه لله

(١) سبق تخريجه ، ص: .

(٢) خاتم النبیین : (٣ / ٩٦٨) .

ورسوله ؛ حيث يجيئه خطاب ملك غسان يطلب منه أن يلحق بهم ، فيلقيه في النار؛ لأنه يُؤثر الولاء لله ولرسوله في حالات الشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، ولا يرضى لهما بديلاً .
وكان من أثر تربية النبي ﷺ لأصحابه أنه بعد نهاية الليلة الخمسين ونزول آية التوبة على كعب وصاحبيه - رضي الله عنهما ، أن سمع كعب وهو على سقف منزله صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبعثنا ؛ فهذا الصارخ لم يتمالك نفسه من الفرحة ولم ينتظر أن يركب فرسه وينطلق إلى كعب ليشره ، ومع ذلك فقد انطلق إليه رجل راكباً فرسه ، فكان الصوت أسرع من الفرس .

ومع هذا الفرح بالتوبة يقرر كعب أن يتصدق بماله كله ، شكراً لله ، ولكن الرسول ﷺ كان به رحيماً حيث أمره أن يتصدق بثلث ماله رفقاً بحاله ، ثم يعاهد كعب نفسه على أن لا يحدث إلا صدقاً طيلة حياته ؛ لأن الصدق هو سبب نجاته من قهمة النفاق .

فكان من أثر التربية النبوية لكعب - رضي الله عنه - وصاحبيه أن كانت الدوافع الإيمانية تنهضهم وتتسامى بهم ليستعيدوا ما كان لهم من مكانة مرموقة لاعتصامهم بالصبر على المحن التي جرت عليهم ؛ لا يلحقهم ضعف معجز ، ولكنهم يتخذون من أخطائهم منابر هداية تنير لهم طريق الأوبة إلى الأوبة إلى الله مستسلمين لأحكامه وأقداره .

لقد صهروا أنفسهم بنيران اليقين الذي مثل لهم ضخامة ما اقترفوه من هفواتهم ، فصبروا على هجران النبي ﷺ ، وهو أشق على أنفسهم من كل ما أصابهم في محنتهم ، ثم صبروا على اعتزالهم زوجاتهم في الفترة الأخيرة من الهجرة . لا يكلمون ولا يعاملون في بيع ولا شراء ، واجتنبهم الناس اجتناباً كلياً شاقاً ، وتغيروا لهم في كل شيء ، حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها . وكان من أثر هذا أن ذلّ كعب وصاحبيه لله ورسوله ، لأنهم أحسوا بالنفس اللوامة ، تحركهم إلى إرضاء الله ورسوله ، واستشعروا بوخز الضمير ، وتألّت قلوبهم من نظرات النبي ﷺ ونظرات الناس إليهم .

" وكان من أثر تربية النبي ﷺ لأصحابه الكرام الثلاثة أن نالهم نتيجة صدقهم الكامل الشيء العظيم من الآلام النفسية المبرحة ، والتعرض للفتنة القاسية ، فصمد إيمانهم الصادق لكل ذلك رغم ما سبب لهم هذا الصدق من محن شديدة وآلام نفسية كادت أن تأتي على

نفوسهم فيموتوا كمدأ بعد أن تجرّعوا كؤوس مرارة الصبر عليه عشرات الأيام^(١).
"وكان من نتائج الصدق في النهاية سعادة أيما سعادة ، لأن الآلام الناتجة عن التزام
الصدق آلام عابرة ، رغم شدتها ، ولكن لذائد الصدق في النهاية لذائد لا تنتهي ، ففي الدنيا
يشعر الصادق بعد تعرضه لموجات آلام الاعترافات بالخطأ بسعادة نفسية لا تعادلها سعادة ،
والسعادة الكبرى والأكبر هي سعادته الأبدية في الآخرة جزاء التزامه الصدق"^(٢).
ولذلك كانت نتيجة هذه التوبة أن جعل هؤلاء الثلاثة — رضوان الله عليهم — مثلاً
وقدوة للمسلمين على مرّ الأجيال ، إلى قيام الساعة . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ }^(٣). فإنهم صدقوا لله وتابوا توبة كانت مثلاً شروداً في رسوخ الإيمان وقوة اليقين.

فإذا حصلت الاستجابة وقبل المدعو إلى الله ، وهده الله وشرح صدره للإسلام ،
وجب على الداعية أن يتعهد بما يكفل له المناعة ضد الداء القديم ، ويصّره بمعاملة الدين ،
ويثبته عليه ، ويقوم أخطائه ، ويُحسّن أفعاله ، حتى يسير على هدى وبصيرة .

(١) غزوة تبوك . ص : ٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٢٠٨ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (١١٩) .

الفصل الرابع

الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها

- . المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة .
- . المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة .

الفصل الرابع

الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها

توطئة :

"الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم وكفاءة تعين على التبليغ والتأثير والاستفادة من الظروف والأحوال ومعرفة النفس الإنسانية ، فإذا فقه الداعية ذلك أمكنه أن يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ الدعوة إلى الله بوسائلها وأساليبها ، وكل ميسر لما خلق له ، والأمور كلها بيد الله" (١) ، "ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله ، وعملاً أساسياً من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه كان لا بد أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها ، فإن الإسلام فضلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل ، ولا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة على أن للوسائل حكم الغايات ، وللأساليب حكم المناهج ، وأن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب الوسائل والأساليب والمناهج يعد انحرافاً للدعوة عن مسارها وخروجاً بها عن مصادرها" . (٢)

ويمكن تلخيص ضوابط مشروعية الوسائل والأساليب في خمسة ضوابط :

- ١ — إذا نص الشارع على مشروعية الوسيلة أو الأسلوب في الكتاب أو السنة أو التصريح بالأمر بها وإباحتها أو طلبها بأي وجه من وجوه الطلب ، فهي وسيلة مشروعية .
- ٢ — إذا نص الشارع على تحريم الوسيلة أو الأسلوب في الكتاب أو السنة ، أو النهي عنهما بوجه من أوجه النهي ، فهما ممنوعتان .
- ٣ — إذا لم ينص الشارع على مشروعيتها ولم يأت بالنهي عنهما ، وإنما سكت عنهما فتدخلان في دائرة الإباحة فيسع الداعية استخدامهما في دعوته .
- ٤ — خروجهما عن كونهما شعاراً للكفار ، فقد ثبت نهي رسول الله ﷺ عن التشبه بهم فأمر بمخالفتهم .

(١) أصول الدعوة . ص : ٤١١ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ص: ٢٨٥ .

٥ — الترخيص في استعمال بعض الوسائل أو الأساليب الممنوعة في بعض الأحوال ، دفعاً للحرص وتحقيقاً للضروريات والحاجات^(١).

مصادر أساليب الدعوة ووسائلها : " القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وسيرة السلف الصالح ، واستنباطات الفقهاء ، والتجارب"^(٢) .

النهج الصحيح في الوسائل والأساليب : " هو المستقى من المصادر التي سبق ذكرها؛ لأن الواجب على الداعية أن يتمسك بما يقضي به الدين ، كما أن التزام النهج الصحيح يقرب من الغاية ويوصل إلى المراد ولو بعد حين ، وأن الخروج عن النهج الصحيح يؤدي غالباً إلى حقوق الأذى بالعاملين ، وضياح الجهود بلا طائل"^(٣).

تعدد أشكال الأساليب والوسائل الدعوية وتنوعها : " يغطي حاجات الدعوة ، ويلبي متطلبات الفطرة ، فالدعوة تحتاج إلى أسلوب المواجهة بالخطأ وتعيينه ، كما تحتاج إلى أسلوب التعميم وعدم المواجهة"^(٤).

" فالداعية الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب والوسائل المتنوعة للمناهج المتعددة فيلبي في دعوته متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها ، كما فعل القرآن الكريم والرسول ﷺ"^(٥).

خصيصة التكافؤ : ويقصد بها " التماثل والموازاة بين الوسيلة والغاية التي تستعمل من أجلها ، فالوسيلة القاصرة والغاية والضعيفة ، لا يمكن أن توصل إلى الغاية في الوقت المناسب ، ولا بالكيفية المطلوبة ، وتكافؤ كل وسيلة بحسبها وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها"^(٦).

(١) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٨٦ — ٣٠٠ .

(٢) أصول الدعوة . ص : ٤١٣ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٤٤٦ — ٤٤٧ . بتصرف .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٧ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٦) المرجع السابق . ص : ٣٤٢ .

خصيصة التطور : "الأصل في الوسائل والأساليب التطور والتجدد ، تبعاً لتطور عادات الناس وأعرافهم ولتقدم العلوم والفنون ؛ ولذلك فإن الأساليب والوسائل متجددة ، ما عدا أساليب العبادات اجتهادية متطورة يمكن للدعاة أن يحسنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم"^(١) . " فأساليب الداعية ووسائله ينبغي أن تكون متجددة في حدود ما يسمح به الإسلام، لأن مرونة الدين الإسلامي تقتضي الدعوة بأسلوب العصر ولغته ، بمختلف الوسائل المشروعة التي تضمن نقل الإسلام وعرضه على الناس في أهي صورة وأحسن وجه"^(٢) .

وهكذا قام الرسول ﷺ بتبليغ دعوته بكل وسيلة وأسلوب يصل بها كلمته إلى نفوس المدعوين بحيث تكون مقنعة ومؤثرة إلى آخر أيام حياته .

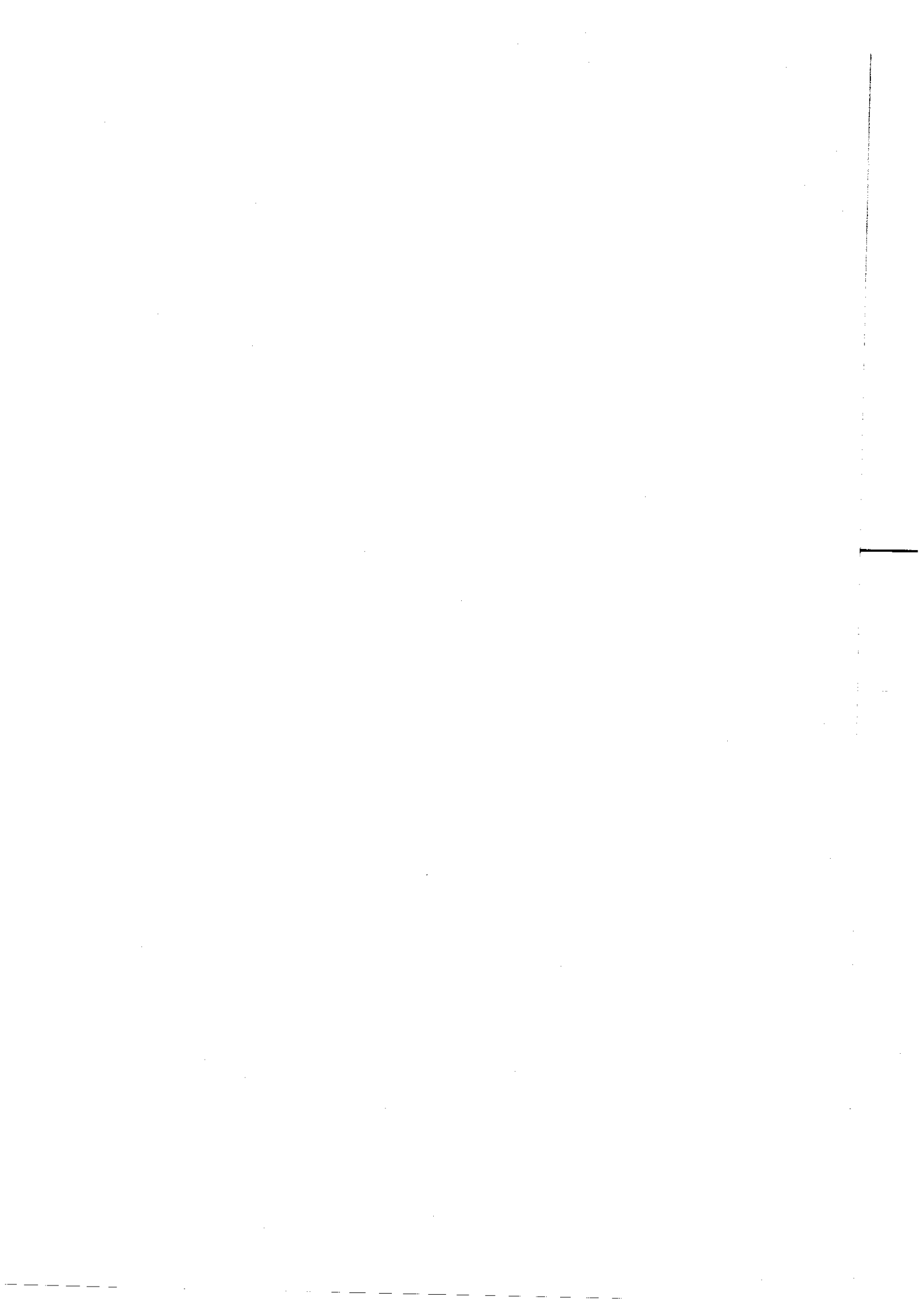
وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين ، وهما :

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوية .

المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة .

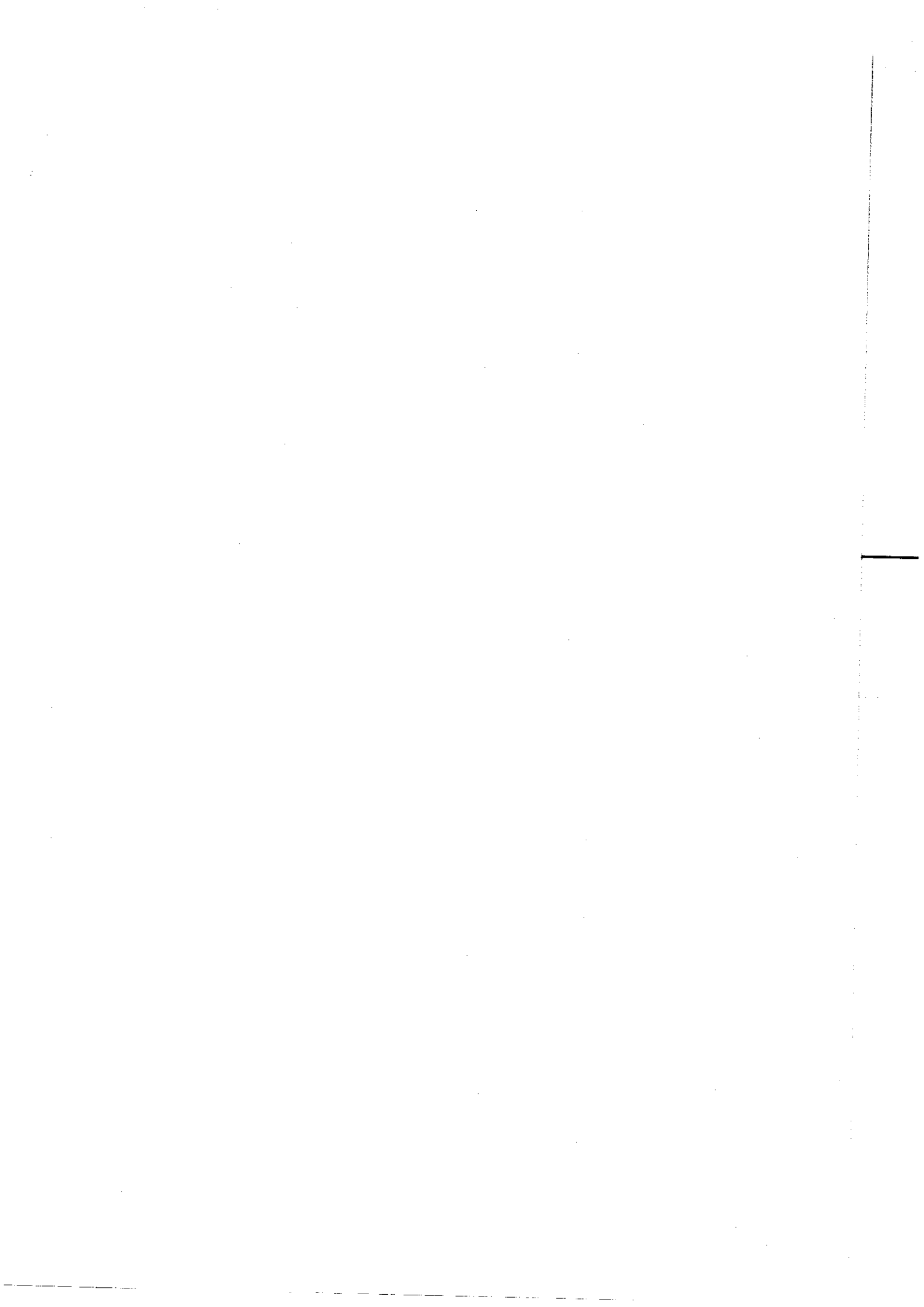
(١) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٩ .

(٢) مشكلات الدعوة والداعية . ص : ١٢٢ . بتصرف .



المبحث الأول

الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة



المبحث الأول

وسائل الدعوة

توطئة :

الوسائل لغة :

"جمع وسيلة ، وهي؛ المترلة والدرجة والقراية . والوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير"^(١) .
وعن حديث الأذان : " اللهم آت محمداً الوسيلة " .
"وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء وما يتقرب به . والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى . وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل: هي مترلة من منازل الجنة"^(٢) .

والوسيلة في اصطلاح علم الدعوة :

"هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية"^(٣) .
"وتبليغ الدعوة إلى الله تعالى تكون بالقول والعمل وبسيرة الداعية التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم للإسلام . ولا بد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه والوصول إلى غايته من استخدام الوسيلة التي تعينه على ذلك ؛ فإن الله عز وجل قد ربط الأسباب بالمسببات ، وأمر بالأخذ بالوسائل المادية إلى الغايات"^(٤) .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ }^(٥) .

وقال تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... }^(٦) .
"والدعاة إلى الله أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقرهم إلى الله وتصل بدعوتهم إلى

(١) تاج العروس : (٨ / ١٥٤) . فصل الواو من باب اللام .

(٢) المرجع السابق : (٨ / ١٥٤) .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٤٩ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٢٨٢ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : (٣٥) .

(٦) سورة الإسراء ، جزء من الآية : (٥٧) .

الناس ، تمشياً مع سنن الله في الأرض ، حيث جعل الله من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام ، وتزويل الكتب ، وهو القادر على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل^(١) .

وقد استخدم الرسول ﷺ العديد من الوسائل الدعوية مع أصحابه في غزوة تبوك .

وبعد التأمل في أحداث غزوة تبوك ، يمكن استنباط وسائل عديدة ومتنوعة وهي كالاتي :

• المطلب الأول : الوسائل القولية ، وهي الوسائل التي يستعين بها الداعية على دعوته ، مما يستخدم فيه القول ، كالخطابة والنداء ، والرسائل .

• المطلب الثاني : الوسائل الحسية ؛ وهي الوسائل التي يستعين بها الداعية على دعوته ، باستخدام الأمور الحسية أو المشاهدة ، كالمسجد ، والمعاهدات ، والهدية ، والمال .

(١) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٨٢ .

المطلب الأول :

الوسائل القولية

١ - الخطابة :

الخطابة لغة :

" خطب الناس وفيهم وعليهم ، يخطب خطابة وخطبة : أي ألقى عليهم خطبة"^(١) .
" والخُطْب والمخاطبة والتخاطب : المراجعة في الكلام ، ومنه الخُطْبَة والخُطْبَة ؛ لكن الخُطْبَة تختص بالموعظة والخُطْبَة بطلب المرأة"^(٢) .
والخطابة : " توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ، وهي في اصطلاح الحكماء : مجموعة قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع ، مما يحمل السامع على التسليم بصحة القول ، وصواب الفعل أو الترك"^(٣) .
" والخطبة هي الوسيلة المألوفة في الدعوة إلى الله تعالى ، وتكون عادة في جمع من الناس قد يعرف الداعية بعضهم ، وقد لا يعرفهم ، ولا تُعرف مستوياتهم الثقافية وظروفهم المختلفة"^(٤) . " وقد كانت الخطابة من أهم الوسائل الدعوية لدى الأنبياء والمرسلين من قبل نبينا محمد ﷺ ؛ وذلك من لدن نوح - عليه السلام - وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين"^(٥) .
و كانت الخطابة في مكان الصدارة للدعوة الإسلامية منذ وقفته ﷺ على الصفا ، حيث بدأ الطور العلني للدعوة إلى خطبته في حجة الوداع ، ثم ورثها من بعده ﷺ خلفاؤه الراشدون .

(١) المعجم الوسيط : (١ / ٢٤٢) ، مختار الصحاح . ص : ٧٦ .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٥٠ . مادة خطب .

(٣) الخطابة : علي محفوظ . ص : ١٢ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

(٤) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ٩٧ .

(٥) الحرب النفسية في صدر الإسلام : (العهد المدني) ، د . محمد بن مخلف المخلف . ص : ٢٤٨ ، دار عالم الكتب ،

الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : " لما نزلت : { وأنذر عشيرتک الأقربين } ^(١) .
 صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي ، يابني فھر ، يابني عدي . لبطن قريش ، حتى
 اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب
 وقريش ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي .
 قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .
 فقال أبو لهب ^(٢) : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعنا ، فترلت : { تبّ يدا أبي لهب وتبّ . ما أغنى عنه
 ماله وما كسب } ^(٣) . ^(٤) .

"ولقد استعمل النبي ﷺ الخطابة في نشر دعوته ، لكثرة فائدتها ، وعظيم جدواها ؛
 وذلك أن الخطابة علم من العلوم الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي" ^(٥) . "ومن
 المعروف والبديهي أن الأديان لا تنتشر ولا تزدهي إلا بالدعوة إليها ، وبقدر حاجة الإنسان
 إلى الدين تكون حاجته إلى الخطابة الوعظية « الدينية » ولا يمكنه الاستغناء عنها أبداً" ^(٦) .
 "وتعتبر الخطابة إحدى وسائل الحرب النفسية الأولية ، استخدمت للتأثير على
 صفوف الأعداء ، وتحطيم معنوياتهم ، كما استخدمت لرفع الروح المعنوية لدى الجبهة
 الداخلية ؛ وذلك لأن الخطابة وسيلة تعتمد إلى بث حالة نفسية لدى السامع تجعله يندفع
 بتأثيرها لعمل معين مطلوب ؛ لأنها تعتبر من أقوى وسائل الحرب النفسية في القلم والحديث .
 ويرجع أهمية هذه الوسيلة لما لها من تأثير بالغ في النفوس ولما تقوم به كأداة للتعبير عن الآراء

(١) سورة الشعراء ، الآية : (١٤) .

(٢) أبو لهب : عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، عم رسول الله ﷺ ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ،
 من أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام ، كان غنياً عتياً ، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، فأذى أنصاره ،
 وحرّص عليهم وقتلهم ، وفيه نزلت الآية : { تبّ يدا أبي لهب وتبّ } مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهد لها . في السنة
 الثانية للهجرة . انظر ، الأعلام . (٤ / ١٣٤) .

(٣) سورة المسد ، الآيات : (١ — ٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : " وأنذر عشيرتک الأقربين " . ص : ١٠٢٥ — ١٠٢٦ ، حديث رقم :
 (٤٧٧٠) .

(٥) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤١٩ .

(٦) قواعد الخطابة . د . أحمد غلوش . ص : ٧٨ ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

والتأثير على الخصوم واجتذاب الأنصار من خلال استنهاض الهمم ، والحث على جمع الشمل بالإضافة إلى إرهاب الأعداء وإخافتهم وكشف خططهم" (١).

" كما أن للخطابة شأن عظيم في العصر الجاهلي ، حيث كانت ضرورة من ضروراتهم يتخذونها في السلم أداةً للمفاخرة والمنافرة ويصطنعونها في الحرب للتثبيت والتحمّس وبعث الحميّة في النفوس وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف . وقد كان للخطيب مركز لا يقل عن مركز الشاعر" (٢) .

"وقد أدرك الرسول ﷺ قيمة الخطابة وأهميتها وتأثيرها في النفوس ، حيث استثمرها فكانت وسيلة فعالة لها دورها البارز في نشر الإسلام والإعلام بحقائقه ، وفي الدفاع عن الإسلام ومواجهة الأعداء من خلالها ، لما يثبونه من خلال الخطابة ، من حروب نفسية مؤثرة" (٣) ، " كما كانت الخطابة أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم والحث على الفضائل وجمع الشمل وإرهاب الأعداء ، وإصلاح الفكر والعقيدة والسلوك .

وقد كانت الخطابة وسيلة من الرسول ﷺ في الدعوة إلى سبيل الله ، إيقاظاً للضمائر، وحثاً على فعل الخير ، وتدبيراً للكون وإيماناً بالله الواحد الأحد ، ومعرفة الدين ونواهيه" (٤).

" فقد تطورت الخطابة الإسلامية وقضت على كل لون قديم من خطابة الجاهلية لا يتفق مع روح الإسلام ؛ فاتسمت الخطابة بالطابع الإسلامي وتأثرت بالقرآن الكريم والحديث الشريف ودارت موضوعاتها حول الجهاد والحث على القتال ، وخطب النكاح ، وخطب المحافل والوفود ، والخطب الدينية والخطب السياسية والوصايا ، وقد كان الرسول ﷺ لا يسجع في خطبه وبذلك قضى على عادات الجاهلية وأسجاع كهاتها وخطباتها . وسار على هدايته الخلفاء الراشدون" (٥).

" وقد أصبح للخطبة موقع ممتاز باستكمال أركان الدين وفرائضه حيث أصبحت

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٢٥٢ .

(٤) أصول الأعلام الإسلامي . د . إبراهيم إمام . ص : ٧٩ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

(٥) المرجع السابق . ص : ٨٠ .

الخطابة من الشعائر ، في صلاة الجمعة والعيدين والحج^(١) . " ومن اهتمام الإسلام بالخطابة ، أن جعل صلاة الجمعة لا تصح إلا بالخطبة ، وذلك منذ أول جمعة أقامها الرسول ﷺ عند هجرته إلى المدينة حين أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف^(٢) " (٣) . إلى يومنا هذا .

"فكانت الخطابة شعاراً بارزاً متميزاً لدى كل إمام في كل جمع ديني أو سياسي ، وكذا عند أخذ العدة للجهاد وفي كل أمر جامع لنشر فضيلة أو نهي عن رذيلة أو إعلان نصر أو تأكيد وصية عامة ، أو خاصة"^(٤) . وقد دارت خطابة النبي ﷺ في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق^(٥) .

" واتخذت الدعوة الإسلامية الخطابة وسيلة فعالة يرثون من خلالها على خصومها بالحجة وبالمنطق القويم ، وعرضها على المستمعين المضللين أو المنحرفين من أعداء الإسلام عرضاً حسناً يُستمال بها الوجدان وتقنع به العقول والقلوب من خلال الإقناع والتأثير بالحجة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن"^(٦) . " و من مرمى الخطابة؛ حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها ، فيتحمس لها ، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية التي تساق جافة ، ولا البراهين العقلية ، التي تقدم عارية ؛ بل بذلك وبإثارة العواطف ومخاطبة الوجدان"^(٧) .

" وكان ﷺ يخطب في الوفود القادمة وفي الجيوش الذاهبة ، وكان ﷺ يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبة تجاه غيرهم ، ويدعوهم إلى الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم

(١) المسؤولية الإعلامية في الإسلام . د . محمد سيد محمد ، ص : ٧٠ ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) بني سالم بن عوف : تنسب إلى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف من الخزرج ، جد جاهلي من بني مالك بن العجلان سيد الأنصار ، وعدة من الصحابة . انظر ، الأعلام : (٧٢ / ٣) .

(٣) زاد المعاد : (٥٣ / ٣) .

(٤) الخطابة . ص : ٢١ .

(٥) الدعوة الإسلامية . أصولها . ووسائلها . ص : ٤٢٠ .

(٦) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٥٣ .

(٧) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة . ص : ٢٧١ .

عن المنكر^(١). "ولذلك كان سعاة النبي ﷺ ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالمهم كلهم خطباء مصاقع ولسناً مفاول"^(٢).

"والخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه ، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ، ويثب من فكر إلى فكر ، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ، ومع المكان من قطر إلى قطر ، وهذا هو السر أن النبي ﷺ كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميراً يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة"^(٣). "ولئن كان للعرب قبل الإسلام خطابة وخطباء مشاهير ، إلا أن الإسلام أحدث في الخطابة تغييراً يكاد يكون شاملاً في موضوعاتها ، وألفاظها وخصائصها كلها"^(٤).

"ولابد للداعية أن يهتم في الخطابة بثلاثة أمور أساسية :

الأول : الجمهور الذي يراد إقناعه واستمالته والتأثير فيه .

الثاني : الموضوع الذي يراد الاقتناع به وإنفاذه .

الثالث : الخطيب الذي سيحمل عبأ هذا العمل . ومن هنا تعددت فنون الخطابة وأصناف الخطباء"^(٥). " ولذلك كان موضوع الخطبة الإسلامية هو الحياة الأولى والآخرة جميعاً ؛ لأن ذلك هو المجال الذي يعمل فيه الإسلام وتتطرق إليه آيات القرآن"^(٦). " وبالتالي ينبغي على الداعية أن يختار موضوع الخطبة من الأمور التي لها علاقة بأحوال الناس حتى يثير اهتمامهم بما يقول . وقد استمدت الخطابة من القرآن الكريم والسنة المحمدية ، فكان الاقتباس منها دائماً مدداً لا ينفد ومعيناً لا ينضب"^(٧). " كما يمكن للخطيب الاستعانة في الخطابة بالقصص

(١) قواعد الخطابة . ص : ١٣ .

(٢) الخطابة . ص : ٢١ .

(٣) مع الله . ص : ٣٠٦ .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٦٩) .

(٥) فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية . د . حسن عيسى الظاهر ، ص : ١١٥ ، دار القلم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠١

هـ — ١٩٨١ م .

(٦) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ١٨٣ .

(٧) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٥٣ .

الواردة في الكتاب والسنة ، فيصوّر المعاني في شكل قصص وضرب للأمثال ، حتى يكون لها وقع في النفوس ، وينبغي أن لا يطيل الخطيب في خطبته ، وأن تكون الخطبة بأسلوب سهل واضح حتى يفهمه السامعون جميعاً على اختلاف مستوياتهم الثقافية^(١) ، " والإمتاع بحسن اختيار الكلمات ، وجميل العبارات ، وملائم الإشارة ، والدقة في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس ، مع حسن سمّ الخطيب ، وجميل صوته ، وقدرته على إجادة فنيّ الوصل والفصل في الكلام"^(٢) .

ولقد تميّزت الخطابة في الإسلام بخصائص ، يمكن ذكر بعضها منها :

- تستهل بالحمد والتمجيد والثناء على الله ، وإذا خلت من ذلك تلقب بالبراء .
- تؤشّح بآيات القرآن الكريم ، وإذا خلت من ذلك تلقب بالشوّهاء .
- اقترن حمد الله والثناء عليه بالشهادتين ، فإذا خلت من ذلك لُقبت بالخدماء .
- ختمت الخطبة بحمد الله وشكره والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ^(٣) .
- كثر فيها الاقتباس من آيات القرآن الكريم ومحاولة محاكاة أسلوبه .
- بدت قوة العاطفة وشدة الإيمان ووفرة الحماس لما يدعو إليه الخطيب .
- أصبح أسلوب الخطبة سهلاً مقنعاً ، لا تقعر فيه ولا تكلف ولا معازلة .
- أصبحت المعاني والأفكار جيّدة هادفة منسّقة متماسكة تحذو حذو القرآن والسنة في الموضوعات التي تتحدث عنها^(٤) .

وعندما مر الرسول ﷺ بالحجر خطب بأصحابه خطبة قصيرة فقال : " لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها . وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله . قيل : من

(١) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ٩٨ .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٧١) .

(٣) المرجع السابق : (١ / ١٧١) .

(٤) المرجع السابق : (١ / ١٧١ - ١٧٢) .

يارسول الله؟ قال : هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه " (١) .
« ولقد كانت الخطابة في الإسلام من أهم وسائل الدعوة إلى الله باللسان » (٢) .
" ومعرفة حقيقة الدعوة ضرورة للخطيب ؛ لأنها المنطلق الذي يتحرك ، وبه يدعو
ويوجه ويتجمع الناس ويؤمنون ويصدقون لكل ما يوجه لهم " (٣) . " والخطيب الداعية الحكيم
يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة ، وقاطع الحجة وساطع البرهان ، أن يُصحح
القلوب وينبّه العقول ، ويطهر النفوس ، حتى ترجع عن غيها ، وتعود إلى الاعتدال ، وتتحلّى
بالفضائل والكمال ، وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان " (٤) .

٢ - النداء .

لغة :

"النداء بأرفع الصوت ، وقد ناديته نداء " (٥) .

اصطلاحاً :

المناداة الخاصة « وهو الأذان » هو : «إعلام بدخول وقت الصلاة أو قربه بذكر
مخصوص " (٦) .

والمناداة العامة : " حيث كانت المناداة مستعملة في القلم لإشعار الناس بالأحداث المهمة ،
حيث كان يجوب المنادي الأحياء ويرفع عقيرته بالنبا المهم أو الحدث البارز .

وهذا الأسلوب فن دعوي وإعلامي ، مهم بين المسلمين إذا أحسن أداؤه واستعمل
لأغراض مناسبة . وفي كثير من أرياف المسلمين يستعمل النداء والإشعار أثناء جوب المسحّر
بين أحيائها للقيام إلى السحور في شهر رمضان ، على الرغم من وجود الساعات المنبهة ،

(١) سبق تخريجه ، ص : ٤١ .

(٢) فقه الدعوة : (١ / ١٦٩) .

(٣) المرجع السابق . ص : ٨٨ .

(٤) قواعد الخطابة . ص : ١٤ .

(٥) لسان العرب : (١٥ / ١٣١٥) . مادة ندي .

(٦) حاشية الروض المربع : (١ / ٤٢٧) . عبد الرحمن بن محمد القاسم . ط ٤ ، ١٤١٠ هـ .

وهذا له وقع طيب في نفوس المسلمين^(١). " وكذلك الأذان الأول قبل صلاة الفجر من مكبرات الصوت بالمسجد الذي يكون قبل الأذان الثاني للفجر الصادق بساعة ينبه المسلمين، فيقوم من أراد أن يتهجّد في الثلث الأخير من الليل . وربما كان هناك مناسبات أخرى تستعمل فيها المناداة سواء من مكبرات الصوت ، وعلى نطاق واسع ، أو بالصوت العادي في نطاق محمود كالصلاة على الميت أو صلاة الاستسقاء^(٢) .

يقول كعب — رضي الله عنه — بعد نزول توبة الله عليه وعلى صاحبيه — رضي الله عنهم أجمعين — : سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجداً ، فعرفت أن قد جاء فرج من الله . ثم قال : " وكان الصوت أسرع من الفرس"^(٣) .

" وبالتالي يعدّ النداء وسيلة دعوية وإعلامية ، لتذكير المسلمين أثناء سماعهم هذا النداء ، أو أثناء اجتماعهم إذا كان أداء لشعيرة دينية ، أو اجتماعية في مناسبات دينية"^(٤) .

٣ — الرسائل

في اللغة :

"تراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض رسولاً أو رسالة . والرسالة : ما يرسل . والخطاب والكتاب : يشتمل على قليل من المسائل ، تكون في موضوع واحد"^(٥) .

في الاصطلاح :

الرسالة : " هي فن الكتابة إلى الغير ، ودعوته إلى الله وإلى الحق من خلال هذه الكتابة أو محاولة عقد صلة بين الكاتب وبين من كتبت الرسالة إليه ، صلة مودة في الله وأخوة فيه . والرسالة بهذا التحديد ، وسيلة جيدة من وسائل الدعوة إلى الله ، يلجأ إليها الذين وهبهم الله

(١) الدعوة الإسلامية . الرسائل والأساليب . ص : ٢٢ — ٢٣ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٢٣ .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٩٥-٦٤ .

(٤) الدعوة الإسلامية : الرسائل والأساليب . ص : ٢٤ .

(٥) المعجم الوسيط : (١ / ٣٤٤) .

القدرة على التعبير الجميل عن المعنى النبيل"^(١). "وتعتبر الرسائل وسيلة إعلامية هامة ، فهي حلقة اتصال بين المرسل والمرسل إليه منذ القدم وحتى في عصرنا الحديث ، رغم تقدّم وسائل الاتصال التقنية"^(٢).

وبما أن الرسالة من أقدم الوسائل الدعوية استعمالاً في تبليغ دين الله تعالى ؛ فقد أخير القرآن الكريم أن النبي سليمان — عليه السلام — قد استخدمها للدعوة إلى الله تعالى ، حيث أرسل رسالة إلى الملكة بلقيس^(٣) ملكة سبأ ، يدعوها للإسلام ، وأعطاهما الهدهد ليحملة إليهم ، قال تعالى : { اذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يَا أَيُّهَا الْمَلَأِئِنِّي أَتَيْتُكِ بِكِتَابٍ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيِّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ }^(٤) . قال ابن كثير — رحمه الله — : " لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان — عليه السلام — "^(٥).

" والرسائل وسيلة لجأ إليها المسلمون للتخاطب فيما بينهم ، كما لجأت إليها الأمم السابقة ، خاصة إذا كان هناك مسافات مكانية طويلة تفصلهم ، أو كان هناك حدود دوليّة تمنعهم من الاتصالات المباشرة واستخدمت الرسائل على مر العصور وخاصة في مجال الحرب النفسية وتهديد الأعداء . كما استخدمت للرفع من الروح المعنوية لدى القوادم والولاة والأمراء والحكام"^(٦).

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٨٤) .

(٢) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٩٧ .

(٣) بلقيس بنت الهدهد بن شرحبيل ، من بني يعفر بن سكسك ، من حمير : ملكة سبأ . بمانيّة من أهل مأرب . أشير إليها في القرآن الكريم . وليت بعهد من أبيها (في مأرب) وليت أمر اليمن كله ، وانقادت لها أفيال حمير ، فزحفت بالجيوش إلى سابل وفارس ، فخضع لها الناس ، وعادت إلى اليمن فاتخذت مدينة سبأ قاعدة لها . وظهر سليمان بن داود ، النبي الملك الحكيم ، بتدمر ، وركب الرياح إلى الحجاز واليمن ، وآمن اليمانيون بدعوته إلى الله ، وكانوا يعبدون الشمس . ودخل مدينة سبأ فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة ، وتزوجها ، وأقامت معه سبع سنين وأشهرًا ، وتوفيت فدفنها بتدمر . انظر ، الأعلام : (٢ / ٥١) .

(٤) سورة النمل ، الآيات : (٢٨ — ٣١) .

(٥) تفسير ابن كثير : (٣ / ٣٦٢) .

(٦) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٩٧ .

ولا تقل أهمية الرسائل في عهد النبي ﷺ عن غيره من العهود . " فبعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر السنة السادسة من الهجرة ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يرأس ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ، واتخذ إذ ذاك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه " محمد رسول الله " (١).

" وقد بدأ النبي ﷺ يدعو البعيدين عنه من سائر الأمم ، الذين لا يرونه ولا يسمعون قوله ، وقد دعاهم النبي ﷺ بأن أرسل إليهم كتباً يحملها بعض أصحابه " (٢) ، " حيث كان يأمر كتابه بكتابة الرسائل إلى الملوك والرؤساء ، وشيوخ القبائل ، ويدعوهم فيها إلى الإسلام وكثير منهم قد استجاب لهذه الرسائل النبوية الكريمة ، ودخل في الإسلام ، فأنقذه الله من النار " (٣). " ولقد أرسل رسوله ﷺ رسائله إلى العالم كله في وقته مما أمكن الاتصال بهم . وقد بلغت كتبه ﷺ ورسائله أكثر من خمسين رسالة كما عدتها كتب السير والتاريخ . وكانت تلك الرسائل على سبيل المثال تدرج نحو نموذجين . وهما :

١ — رسائل إلى أهل الكتاب : وكانت موجهة إلى المقوقس عظيم القبط في مصر وإلى هرقل إمبراطور الروم في الشام وإلى النجاشي ملك الحبشة .

٢ — رسائل موجهة إلى الوثنيين . فكان منها إلى كسرى ملك الفرس وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني (٤) وإلى هودذة الحنفي (٥) ملك اليمامة . هذا بالإضافة إلى الرسائل التي بعث بها النبي ﷺ إلى الولاة والأمراء ، وتوجيههم فيها إلى إبلاغ دعوة التوحيد إلى الناس بالحكمة

(١) هداية المرشدين . ص : ٤٩ .

(٢) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٢٢ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٨٥) .

(٤) الحارث بن أبي شمر الغساني من أمراء غسان في أطراف الشام ، كانت إقامته بغوطة دمشق ، وأدرك الإسلام ، فأرسل إليه النبي ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب ، ومات في عام الفتح (فتح مكة) بسنة ٨ هـ . انظر ، الأعلام : (٥٧ / ٢) .

(٥) هودذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي ، من بني حنيفة ، من بكر بن وائل ، صاحب اليمامة (بنجد) ، وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي . وهو من أهل (قرآن) من قرى اليمامة ، وكان ممن يزور كسرى في المهمات ، وكانت بين هودذة وبني تميم غارات أسروه في إحداهما ففدى نفسه بثلاثمائة بعير ، ولما ظهر الإسلام أرسل له النبي ﷺ خطاباً : " أسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يديك " فأجاب مشروطاً أن يكون له مع النبي ﷺ الأمر ، فلم يجبه ، وقال : " باد وباد ما في يديه " ، ولم يعيش بعد ذلك غير قليل . في سنة ٨ هـ . انظر ، الأعلام : (٩ / ١١١ — ١١٢) .

والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن" (١). " وكانت الكتابة التي أرسلها النبي ﷺ إلى زعماء القبائل العربية ورؤسائها وملوك الأمم حول الجزيرة العربية متشابهة في جوهرها ، وإن اختلفت بعض الاختلاف في أسلوبها . فالفكرة التي تهدف لها هذه الكتب كانت واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وكان القرآن الكريم يلزم الرسول ﷺ بهذا التبليغ في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَعَصَمَكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (٢) . فالأمر بتبليغ الدعوة الإسلامية كان مطلقاً ، وإنما تفاوت وصوله إلى الأمم حسب الظروف التي تمر بها الدعوة " (٣). عن أنس — رضي الله عنه — : " أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى " (٤).

مميزات رسائل الرسول ﷺ :

" يلاحظ أن معظم رسائله ﷺ تفتح بالبسملة ، وقد استعملت كافتتاحية عامة في رسائله للمسلمين وأهل الكتاب والوثنيين ، كما أنها تمتاز بأنها قليلة الكلام كثيرة المعنى " (٥).
 " كما تمتاز رسائل النبي ﷺ بالإيجاز والبساطة والوضوح في تقديم الفكرة الإسلامية عقيدة تقوم على الإيمان بالله واحداً معبوداً واتباع الخير والمعروف دون الدخول بالتفصيلات الجزئية والفرعية " (٦). " وبوحدة الموضوع في سائر الكتب ؛ لأنها كلمة تتضمن الدعوة إلى الإسلام ابتداء من الإيمان بالله إلى الإيمان باليوم الآخر. ومراعاة حال المرسل إليه فإن كان من

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٩٩ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : (٦٧) .

(٣) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . سعد الغامدي ، ص : ١٠٨ ، بحث متم للماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الدعوة والاحتساب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٥هـ — ١٤٠٦هـ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل : (٣ / ١١١٩) ، حديث رقم : (١٧٧٤) .

(٥) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٣٠٣ .

(٦) الرسول العربي المرئي ، د . عبد الحميد الهاشمي ، ص : ٣٥ ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠١هـ —

أهل الكتاب بيّن رسول الله له في خطابه أن الإسلام يتضمن الإيمان بعيسى - عليه السلام - ورسالته ، وأن محمداً هو بشرى موسى وعيسى - عليهم الصلاة والتسليم - وتتضمن الكتب للترغيب والترهيب عن طريق إبراز الحساب الأخروي ، وتحديد مسؤولية من بلغته الدعوة^(١) " وإعداد الوسائل العملية ، فلقد أعد الرسول ﷺ خاتماً لتوقيعه لمنع الدس والتلاعب ، كما أنه استعان بالصحابة المتعلمين الذين يحسنون القراءة والكتابة ، كما كان بعضهم يحسن الترجمة ، وحسن اختيار مراكز التجمعات البشرية وقيادتها الصغرى والكبرى ، وفي كافة الاتجاهات وهذا يقتضي من الدعاة حسن اختيار المواقع الجغرافية والبشرية والاجتماعية^(٢) . " والتشديد على العرب لأنهم علموا بالإسلام قبل مجيء الكتب إليهم ؛ ولذلك تضمنت الكتب إليهم التهديد بالجزية وبزوال الملك^(٣) .

" كما يظهر في عدد هذه الرسائل تخيير النبي ﷺ لأهل الكتاب بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية والامتناع عن معاداة الدعوة الإسلامية ، وكذلك الامتناع عن إجبار مواطنيهم على اتباع أديانهم ، أو اضطهادهم إذا ما أرادوا الدخول في الإسلام^(٤) . " كما أن إرسال الكتب بهذا الشمول أدى إلى تعميم التبليغ في عصر النبي ﷺ وأن السلام والأمن هما أعظم عاملين مساعدين في نشر الإسلام وتبليغه^(٥) . " ويتضح أيضاً دقة الانتقاء النبوي لحملة الكتب والشعراء ، فقد كانوا جميعاً على درجة عالية من العلم والذكاء والحكمة في المعاملة ، فكانوا أكفاء لأنهم جميعاً دافعوا عن دينهم حين سئلوا عنه ، ووضحوه حينما عورضوا وقاموا بدورهم كدعاة إلى الله لا كرسول مجردين^(٦) .

وكان من تلك الرسائل النبوية التي أرسلت إلى الملوك والزعماء ، رسالته ﷺ إلى القيصر هرقل ملك الروم ، وقد بعث بها - عليه السلام - سفيره دحية بن خليفة الكلبي . وكان

(١) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٢٣ .

(٢) الرسول العربي المرئي . ص : ٤٣٤ .

(٣) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٤٢٣ .

(٤) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ١١٠ .

(٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها . ص : ٤٢٣ .

(٦) الرسول العربي المرئي . ص : ٣٣٤ .

نص الرسالة هو : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(١) ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »^(٢).

"ولا يخفى أن هذه الرسائل هي بمثابة الصلة الشخصية ، إذا استغل الداعية هذه الوسيلة لتكون أداة دعوية مؤثرة يبلغ من خلالها ما يراه مناسباً لحال المرسل إليه ، ويجيب على ملاحظاته بتفصيل وترتيب ويعطي الموضوع حقه من البحث ، أو ينبه للرجوع إلى ما يمكن الرجوع إليه إذا كان الجواب لا يتسع في رسالة"^(٣) . " فالرسالة الشخصية من أسباب التوصيل الجيد للفكرة ، ولها أثرها البالغ على قارئها متى كتبت بأسلوب لبق مهذب يخاطب مكامن العاطفة في النفس البشرية . إنها حديث مباشر هادئ ، يعطي الآخر فرصة التفكير والمراجعة والتصحيح ، وهو بعيد عن الكلمات التي قد يزل بها اللسان من دون قيد إذ أن الكتابة فرصة التفكير فيما يكتب ويسطر"^(٤).

"ولابد من عودة فن الرسالة إلى ما كان عليه في عهد النبوة وعهد السلف الصالح ، بعرض الإسلام على غير المسلمين ، وعرض الخير والهدى والاستقامة على من ينقصهم ذلك من المسلمين ، فإن ذلك عمل يرضي الله تبارك وتعالى ، ويوثق الروابط بين المسلمين . وهذا يصبح هذا اللون من الجهاد ؛ بالكلمة واللسان والرسالة ، قد سد الثغرة التي يجب أن يسدها

(١) الأريسيين : جمع أريس ، وقيل في معناه : الأريس الأكارأي الفلاح ، وقيل هو الأمير ، والصحيح اللفظ الأول .

قال أبو عبيدة : المراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح ، سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره . قال الخطابي : أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصغر أتباع الأكابر . انظر ، فتح الباري : (١ / ٥١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الوحي ، ص : ١٤ ، حديث رقم : (٧) .

صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي ﷺ إلى هرقل . (٣ / ١١١٧ - ١١١٨) ، حديث رقم : (١٧٧٣) .

(٣) الدعوة الإسلامية . الوسائل والأساليب . ص : ٣٠ .

(٤) حتى لا تفرق السفينة ، سلمان بن فهذ العودة . ص : ٥٩ ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢هـ — .

في مجال العمل الإسلامي والدعوة إليه^(١).

المطلب الثاني :

الوسائل الحسية

١ - المسجد

في اللغة :

مادة سجد في اللغة العربية لها عدة معانٍ ، ومن معانيها :
العبادة ، والانحناء والاحترام ، والعين الفاترة الطرف ، والخضوع والتواضع ، والمكان الذي
يتعبد فيه^(٢) .

في الاصطلاح :

"هو بيت الله الذي جعله لعبادته وحث المسلمين على العناية به والتعبد فيه وإقامة
الصلاة فيه"^(٣) .

وقد عظم الله تعالى مكانته ورفع من شأنه في آيات كثيرة من كتابه الكريم . فقد أمرنا
الحق سبحانه أن نلوذ به ونقيم عنده الوجوه . قال تعالى : { وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين }^(٤) . فعُمار المساجد هم خيرة المسلمين . قال تعالى : { إنما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعس أولئك أن يكونوا من المهتدين }^(٥) .

وقد أوضح الله الهدف من بناء المساجد . فقال تعالى : { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها
اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال }^(٦) . ولشرف المساجد أضافها إليه سبحانه ، في قوله تعالى :

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٨٨) .

(٢) لسان العرب : (٣ / ٢٠٤ - ٢٠٦) .

(٣) فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً . د . محمد زين الهادي العرماني . ص : ٦٦ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : (٢٩) .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١٨) .

(٦) سورة النور ، الآية : (٣٦) .

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} ^(١) . ولذلك فالمساجد أحب البلاد إلى الله تعالى . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: " أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها " ^(٢) .

وقد وعد — عليه الصلاة والسلام — من يتردد على المساجد بالثواب الجزيل ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، وعدّ منهم ، رجل قلبه معلق بالمساجد " ^(٣) . وعن أبي هريرة قال ﷺ : " من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح " ^(٤) .

وقد شجّع الإسلام بناء المساجد وحث عليه ، ليذكر فيها اسم الله ، عن عثمان بن عفان — رضي الله عنه — قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى له بيتاً في الجنة " ^(٥) . وفي رواية : " بنى ما مثله في الجنة " ^(٦) .

" ومما يدل على أهمية المسجد في حياة المسلمين ، أن الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة حيث مقر الدولة الإسلامية ، كان أول عمل بدأ به كشيء رئيسي في بناء الدولة هو المسجد ، حتى قبل أن يبني داره ، مما يعطي مؤشراً هاماً يلقي الظل على مكانة المسجد " ^{(٧)(٨)} .

-
- (١) سورة الجن ، جزء من الآية : (١٨) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد : (١ / ٣٨٨) ، حديث رقم : (٦٧١) .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان (الصلاة) ، باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد . ص : ١٤٩ ، حديث رقم : (٦٦٠) .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة : (٢ / ٥٩٠ — ٥٩١) ، حديث رقم : (١٠٣١) .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : المشي إلى الصلاة ممحى به الخطايا وترفع به الدرجات : (١ / ٣٨٧ — ٣٨٨) ، حديث رقم : (٣٦٩) .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : من بنى مسجداً ، ص : ١١١ ، حديث رقم : (٤٥٠) .
(٧) صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : فضل بناء المساجد وحث عليها : (١ / ٣١٦) ، حديث رقم : (٥٣٣) .
(٨) فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً . ص : ٧٨ .
(٨) انظر: صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : هل تبيش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد . ص : ١٠٦ ، حديث رقم : (٤٢٨) . --

" والمسجد يمثل جزءاً من رسالة الرسول ﷺ مادامت هي صالحه لكل زمان ومع أي أجناس فإن المسجد منطلق الحياة الإسلامية في كل جوانبها عامة للخدمة التي كان يقدمها المسجد للحياة وإسهاماً في بناء الدولة الإسلامية من جميع النواحي"^(١) .

" وإن المسجد هو بيت الله تعالى وبيت المسلمين ، بيت الله تعالى فلا يذكر معه أحد، ولا يُنسب إلا له عزٌّ وجلٌّ وبيت المسلمين ، فهو مستقرهم وحرمتهم ، ومأمنهم وطمأنينتهم، فيه تكونهم وقوتهم وفيه وحدة صفهم ورأيهم"^(٢) . " والمسجد أيضاً ليس حجارة ترتفع وتقام وأعمدة تشاد وتعلو ، أو زينة تملأ الأهداء والجدران ؛ بل قلوباً متعاطفة عامرة بالإيمان ، وعقولاً نيرة تنعم بالعلم والمعرفة ، وأرواحاً تصقل وتهذب ، وجنوداً يُعبون لرسالة الحق"^(٣) . " فأول مهام المسجد هو أن يكون محلاً للصلاة والصلاة عماد الدين ، وفيه يؤدي المسلمون صلواتهم الجماعية ، كل يوم وكل جمعة وكل عيد ، فيكتسب المجتمع صفة التماسك ، والرسوخ والالتزام بنظام الإسلام وعقيدته وآدابه ، انطلاقاً من موالاته المسجد حيث تتلاقى فيه الجماعة المسلمة فتعبد ربها وتدبر شؤونها"^(٤) .

" ويهيئ النظام الإسلامي وآدابه للمسلمين فرصة التلاقي والتعارف خمس مرات يومياً في المسجد حيث يتعبدون في بيت الله وتتساقط فيما بينهم فوارق اللون والجنس والمال والجاه وكل الاعتبارات إلا الفرق في التقوى ؛ وبذلك تشتد بينهم أواصر الأخوة والمحبة والمساواة والعدل والأثرة ، وهذا هو معنى كون المسلمين كالجسد الواحد ، توحد مشاعرهم وأهواءهم وحركاتهم وحدة العبادة والمصلحة المشتركة"^(٥) .

-- صحيح مسلم ، كتاب : المساجد ، باب : ابتداء مسجد النبي ﷺ : (١ / ٣١٢) ، حديث رقم : (٥٢٤) .

(١) فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً . ص : ٧٩ .

(٢) رسالة المسجد . عبد المعطي محبت . ص : ٤٠ ، دار الأنصار ، القاهرة .

(٣) المرجع السابق . ص : ٤٠ .

(٤) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ٩٠ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٤٠ .

" والمسجد منار هداية يرسل نوره في أرجاء الكون ليهدي الخلق إلى الصراط المستقيم وعبادة رب العالمين . والمسجد في الإسلام هو المدرسة الأولى التي تُعنى بالإنسان ، وتنمي فيه روح الشجاعة والإقدام ، كما توجه فيه روح العطف والمحبة والإحسان ، فالمسجد ساحة كبرى لتبادل الرأي وممارسة الشورى في شؤون المسلمين " (١).

" والمسجد هو الذي يضمّ شتات المسلمين يجمعون فيه أمرهم ، ويتشاورون ليحقق أهدافهم ويتعاونون لمجابهة المشكلات ، ويتضامنون في الفكر والعمل للدفاع عن عقيدتهم ويعبثون نفوسهم بالطاعة الروحية والأمل المتجدد مع كل صلاة ، والمساجد مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية يلتف حولها المؤمنون ، وكلما تحرك المسلمون إلى مكان جديد بنوا مسجداً ليكون مركزاً جديداً يلتف حوله المؤمنون " (٢).

" ولم يكن الهدف من بناء المساجد أن تكون دوراً للعبادة فحسب ؛ بل مركز ثقافة وإشعاع حضارة ، كما أنه مركز للتربية الإسلامية الصحيحة والتعليم الديني والتثقيف الشرعي " (٣) ، " فالمسجد جامعة للتعليم وتخريج العلماء والأكفاء لإقامة الدولة الإسلامية ، وقد تخرج منه الصحابة والدعاة الذين كانوا أسس الاتصال لنشر الدين الإسلامي في الجزيرة العربية وخارجها " (٤).

" إن المسجد كان على عهد الرسول ﷺ مكان العبادة والاعتكاف ، ومكان التعليم والتوجيه ومكان لتشاور المسلمين وتناصحهم فيما بينهم من الأمور ، ومكان التقاضي ومقر القيادة العسكرية وعقد ألوية الجيوش المجاهدة في سبيل الله ، ومكان الضيافة واستقبال الوفود القادمة على رسول الله ﷺ راغبة في الإسلام . وقد ظل المسجد مع هذا التوسع مقر الحاكم والمسلم ودار حكومته " (٥) ، كما تعقد البيعة للإمام فيه .

(١) أصول الإعلام الإسلامي . ص : ٢٨٩ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٢٨٩ — ٢٩٠ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٢٨٩ .

(٤) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ٢٤٥ .

(٥) رسالة المسجد . ص : ٤٨ .

" وهو دائرة العمل السياسي والعسكري حيث منه تنطلق الغزوات والسرايا وتكتب فيه وثائق العلاقات بين أطراف الأمة الإسلامية ومن يسكن معهم بالمدينة ، كما توجه من المسجد بعثات الرسائل التي أقامت علاقات دولية من الأمم الأخرى " (١).

" وإلى جانب كل هذا كان المسجد مدرسة لعلوم الدين والتشريع إذ يفتي فيه الرسول ﷺ بكل ما يعنّ للمسلمين من تساؤلات ويوجههم فيه لما يستقيم من بنود العمل التشريعي والإداري. " (٢) " كما تقام فيه المناظرات والمساجلات العلمية والتعريف بالإسلام " (٣).

" فيه كان المسلم يعزي أخاه المسلم إذا أصابه مصاب ، وفيه كان الجرحى يمرضون " (٤) " ولقد كان المسجد داراً للأيتام وملجأً ومأوى لأصحاب الحاجات ، ومكاناً لتقبل الصدقات والإطعام " (٥) . " ومكاناً للمحاسبة والإصلاح والصلاح والعلاج وعقد النكاح وعقد المعاهدات وتقسيم الأنفال والفيء والغنائم ، ومركزاً لتدريب المسلمين على تطبيق الأحكام الإسلامية ، وإقامة العدل ، وتعلم الانضباط والنظام في الصلاة ، ومعرفة معاملة أعداء الأمة الإسلامية وهو مكان لربط الأسير إلى عمود المسجد ، كما كان المسجد مكاناً لعرض بعض فنون الرمي والقتال " (٦) .

" كما أن المسجد أحد أهم وسائل الحرب النفسية ؛ حيث منه تنطلق الوظيفة الجهادية في التحريض على القتال وتحصين المسلمين ، وتعد الخطط فيه وترفع فيه الروح المعنوية للمجاهدين " (٧) .

وفي غزوة تبوك دعا الرسول ﷺ المسلمين للجهاد في سبيل الله من المسجد . ومن المسجد دعا الرسول ﷺ أصحابه للإنتفاق على الجيش الغازي في سبيل الله ، حيث قدّم الصحابة أموالهم وتبرعواهم بين يدي رسول الله ﷺ .

(١) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ٩٥ .

(٢) المرجع السابق . ص : ٩٥ .

(٣) رسالة المسجد . ص : ٤٨ .

(٤) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٤٣ .

(٥) فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً . ص : ١١٧ . بتصرف .

(٦) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ٩٥ . بتصرف .

(٧) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٤٥ .

" ولأن المسجد يعدّ أهم مركز دعوى بين المسلمين ، وأوثق صلة بين بعضهم البعض ، وذلك لترددهم المستمر ، ولقائهم ببعض فيه " (١) ، " ولأن المسجد ليس مجرد بناء ولكنه منظمة جليلة الخطر في جمع شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم وتوجيههم إلى الخير " (٢) . فقد أدرك أعداء الإسلام أهمية المسجد في تقوية الأواصر بين المسلمين ، فعمدوا إلى نفس السلاح ببناء مسجد عرف بمسجد الضرار " (٣) . ولذلك فعندما بُني مسجد الضرار الذي اتخذ لتفريق المؤمنين أمر الله تعالى رسول الله ﷺ بهدمه .

قال تعالى : { والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أرادنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين } (٤) .

وعندما عاد الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فجاهه المخلفون . كما حرص كعب -رضي الله- على مداومة الصلاة في المسجد رغم هجر الناس له . وقد توجه -رضي الله عنه- إلى المسجد بعد توبة الله عليه وصاحبيه ، فصافحه طلحة بن عبيد الله وهنأه ، وسلم عليه رسول الله ﷺ ووجهه يبرق من السرور .

" ولما كانت قلوب المسلمين ترتبط بالمسجد وتقفو إليه ، وتلتفت حوله ترشف الزاد وتقتبس الأنوار من مشكاته كان من واجب الداعية المحافظة على رسالة المسجد وتقنين البرامج مما يزيد الاستفادة من هذا الارتباط ويقوي الأواصر بهذا النور وذلك الإشعاع " (٥) .

" فيقوم بربط المدعو بالمسجد وتشجيعه على أداء الفرائض فيه ، والتزود عليه في مختلف الظروف والمناسبات وتعبئته بأداب المسجد وسننه مع تحييه في خدمة المسجد وما فيه من مرافق ، حتى تكون كفته راجحة ، لأن كل ما في المسجد يقصد به وجه الله ، وهو

(١) الدعوة الإسلامية . الوسائل والأساليب ، ص : ١٢ .

(٢) أصول الإعلام الإسلامي . ص : ٢٨٩ .

(٣) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٤٥ .

(٤) سورة التوبة ، الآيات : (١٠٧-١٠٨) .

(٥) الدعوة الإسلامية . الرسالة . الهدف . الوسيلة . ص : ٣٨٠ .

عبادة الله وتقرب إليه ، فضلاً عما فيه من ثواب ، وبلا شك أن ذلك يساعد على هداية المدعو وتشجيعه على البر والتقوى^(١).

٢- الجهاد في سبيل الله

لغة :

"من الجُهد ، والجُهد : الطاقة والمشقة ، وقيل : بالفتح المشقة ، وبالضم الوسع والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة"^(٢) . قال تعالى في كتابه المجيد : ﴿ والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾^(٣).

وفي الاصطلاح :

" هو بذل الوسع والطاقة ، بالقتال في سبيل الله ، عزَّ وجلَّ بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك"^(٤).

" وهذا المجال أخصب المجالات في الدعوة إلى الله ، وأعظمها فائدة ، وأعمها نفعاً للدين ؛ لأن الأمة الإسلامية أمة جهاد ، ولأن فريضة الجهاد ماضية عليها إلى يوم القيامة ، فقد كان ولا يزال للجهاد في الإسلام أعظم الأهمية"^(٥) ، ومن تلك الأهمية التي أكدتها، كثرة النصوص من الكتاب والسنة الواردة بشأن الجهاد .

قال تعالى : ﴿ كذب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾^(٦).

وقال سبحانه : ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يظلم

(١) فقه الدعوة الفردية . ص : ١١٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٠١ . مادة جهد .

(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٧٩) .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (١ / ١٥٤) .

(٥) المرجع السابق : (١ / ١٥٤) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (٢١٦) .

فسوف تؤتیه أجراً عظيماً {^(١) .

وقال سبحانه : { قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين }^(٢) .
وقال سبحانه : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }^(٣) . إلى غير ذلك من آيات كريمة .

وأما الأحاديث النبوية :

عن أبي مسعود — رضي الله عنه — قال : سألت رسول الله ﷺ قلت : " يارسول الله أيّ العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على ميقاتها . قلت : ثم أيّ ، قال : برّ الوالدين ، قلت : ثم أيّ ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، فسكتُ عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزدني"^(٤) .
وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيةً ، وإذا استنفرتم فأنفروا"^(٥) .

وعن عائشة بنت طلحة — رضي الله عنها — أنها قالت : " يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد حجّ مبرور"^(٦) .
وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : " دلّني على عمل يعدل الجهاد ، قال : لا أجده ، قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فكتب له حسنات"^(٧) .

إنّ هذه النصوص الشريفة من الكتاب والسنة ، وغيرها كثير ، تؤكد أهمية الجهاد في

(١) سورة النساء ، الآية : (٧٤) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١٤) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (٢٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير . ص : ٥٨٨ ، حديث رقم : (٢٧٨٢) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال : (١ / ٨٦) حديث رقم : (٨٥) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير . ص : ٥٨٨ ، حديث رقم : (٢٧٨٣) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير ، ص : ٥٨٨ ، حديث رقم : (٢٧٨٤) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير ، ص : ٥٨٨ ، حديث رقم : (٢٧٨٥) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله : (٣ / ١١٩٠) ، حديث رقم : (١٨٧٨) .

سبيل الله ، وإنَّ الجهاد في سبيل الله يجب أن يكون شعار المسلمين إلى أن تقوم الساعة .
" ويرادف كلمة الجهاد : كلمة القتال ، والغزو ، والحرب ، والكفاح ، والنضال ، غير
أن الجهاد اصطلاح خاص بالدين ، وهو ما يكون لإعلاء كلمة الله ، وإحقاق الحق وإزهاق
الباطل ، ولكنه آخر الدواء الكي . وقد شرع الجهاد في الإسلام كما شرع في الأديان
السماوية" (١) .

وقد ذكر ابن القيم — رحمه الله — مراتب الجهاد فقال : " فالجهاد أربع مراتب :
جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين .
فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً :

إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها إلا به .
الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها
لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين
يكتمون ما أنزل الله .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ويتحمل ذلك
لله" (٢) .

وأما جهاد الشيطان ، فمرتان :

إحداها : جهاده على دفع ما يلقي الشيطان إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة
في الإيمان .

الثانية : جهاده على دفع ما يلقي إليه الشيطان من الإرادات الفاسدة والشهوات . فالجهاد
الأول يكون بعده اليقين ، والثاني يكون بعده الصبر .

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب :

بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار ، أخص باليد ، وجهاد المنافقين

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم . آدم عبد الله الألوذي . ص : ١٦٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

(٢) زاد المعاد : (٣ / ٩ — ١٠) .

أخصّ باللسان^(١).

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات ، فثلاث مراتب :

الأولى : بالسيد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان ، فإن عجز جاهد بقلبه ، فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد"^(٢) . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ : " من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق "^(٣).

والقتال في سبيل الله يعد من أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية . وقد شرع حينما لا تجد وسائل الدعوة الأخرى ، كالدعوة باللسان أو بالكتابة أو الاتصال الشخصي ونحوها . " فقد أقام الرسول ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة ، توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف ، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب وإلهام ، لمن خالف القرآن وكذب به ، وعانده "^(٤).

" وكان محمد ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فكان ﷺ يجاهد ليفتح الطريق أمام التبشير والإنذار ، أي أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص . والقتال كان للدعوة ، وليس للإكراه على الإسلام ، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر ، ومنع الظلم والعدوان وإرهاق الشعوب من أمرهم عسراً "^(٥) ، كما قال تعالى : { وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين }^(٦) .

" ولم يكن القتال محبوباً للنبي ﷺ ، إنما المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق مستشهدين في سبيله ، ولذا قال تعالى : { كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو

(١) زاد المعاد : (٣ / ٩ - ١٠) .

(٢) المرجع السابق : (٣ / ١٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : ذم من مات ، ولم يحدث نفسه بالغزو . (٣ / ١٢٠٥) ، حديث رقم : (١٩١٠) .

(٤) تفسير ابن كثير : (٤ / ٣١٥ - ٣١٦) .

(٥) الدعوة إلى الإسلام . ص : ٤٧ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : (١٩٣) .

خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون }^(١) .

"فكان المؤمنون كارهين للفعل وإزهاق الأرواح ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل ، والإيمان بالله وحده الذي لا شريك له"^(٢) .

والجهاد في الإسلام جهاد في سبيل الله ، وهو لا يكون كذلك إلا بتوفر شرطين :

الأول : " أن تكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان "^(٣) .

وليس هناك أي غرض آخر . عن أبي موسى — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل "^(٤) .

الثاني : "الإخلاص لله ، وذلك بأن تكون غاية المسلم المجاهد هي ابتغاء مرضاة الله ، فالجهاد في الإسلام هدفه إعلاء كلمة الله ، وغايته ابتغاء مرضاته "^(٥) .

أطوار الجهاد :

وقد كان الجهاد في الإسلام على ثلاثة مراحل :

• المرحلة الأولى :

" الإذن للمسلمين بالجهاد من غير إلزامهم به وفرضه عليهم . كما في قوله سبحانه : { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير }^(٦) .

• المرحلة الثانية :

الأمر بقتال من قاتل المسلمون والكفّ عن كفّ عنهم . كما قال تعالى : { .. فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً . إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢١٦) .

(٢) الدعوة إلى الإسلام . ص : ٤٧ .

(٣) تفسير ابن كثير : (٤ / ٣٥٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : من سأل وهو قائم عالماً جالساً . ص : ٤٥ ، حديث رقم : (١٢٣) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا : (٣ / ١٢٠٢) ، حديث رقم : (١٩) .

(٥) منهج الإسلام لضمان استمرار الدعوة . صالح بن عبد المحسن العامر ، ص : ٣٦٩ ، بحث متمم للماجستير ، المعهد العالي

للدعوة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

(٦) سورة الحج ، الآية : (٣٩) .

جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ... }^(١).

• المرحلة الثالثة :

جهاد الكفار والمشركين كافة وغزورهم في بلادهم وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام وإصرارهم على الكفر ، فيجاهدوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وتتسع رقعة الإسلام . كما قال تعالى : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }^(٢).

وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفي عليه نبينا محمد ﷺ ، وأنزل الله فيه آية السيف هي آخر ما نزل^(٣) . قال تعالى : { فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم }^(٤)

"ولم يكن مبدأ تقرير الجهاد من باب الصدفة ، ولا من باب المعجزة ، فهو وضع طبيعي تحتمه ظروف الحياة البشرية ، وهي سنة الله في استمرار الصراع بين دعوة الحق ، ودعوات الباطل ، لإسعاد البشرية ، ونشر الدعوة وإنجاحها بين الناس"^(٥) . قال تعالى : { بل تذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق }^(٦).

أهداف الجهاد :

الجهاد جهادان :

جهاد الطلب و جهاد الدفاع ، والمقصود منهما جميعاً ، والهدف هو :

١ — إعلاء كلمة الله ، وتبليغ دينه ، ودعوة الناس إليه ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

(١) سورة النساء ، الآيات : (٨٩ — ٩١) .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (٥) .

(٣) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد بن علي الفحطاني ، ص : ٥٢٥ — ٥٢٦ ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م .

(٤) سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٢) .

(٥) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي . عبد الله الموسى . ص : ٢٢٨ — ٢٢٩ ، دار عالم الكتب ، الرياض ،

ط ١ ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية : (١٨) .

قال تعالى : { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله }^(١).

٢ — نصر المظلومين . قال تعالى : { وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً }^(٢).

٣ — ردّ العدوان ، وحفظ الإسلام ، وحماية عقيدة التوحيد وحماية الدعوة ، قال تعالى : { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعملوا أن الله مع المتقين }^(٣).

وقال تعالى : { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز }^{(٤)(٥)}.

٤ — وتأديب الذين تمردوا على المؤمنين ، وخرجوا عليهم ونكثوا أيمانهم^(٦) . قال تعالى :

{ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم يفقهون }^(٧) .
والدفاع عن الدين والأنفس والأهل والمال . قال تعالى : { وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعدوا إن الله لا يحب المعتدين }^(٨).

"إذا القتال في سبيل الله طريق إلى السعادة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، ولذلك صورّه الله تبارك وتعالى على هيئة المبايعة بينه وبين عباده المجاهدين ؛ وحقيقة هذه المبايعة أن الله قد اشترى منهم أنفس المؤمنين وأموالهم فلم يضيع منها شيئاً والثمن هو الجنة"^(٩) . قال تعالى : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٩٣) .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية : (٧٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٩٤) .

(٤) سورة الحج ، الآية : (٤٠) .

(٥) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى . ص : ٥٢٤ .

(٦) تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم . ص : ١٦٩ .

(٧) سورة التوبة ، جزء من الآية : (١٢) .

(٨) سورة البقرة ، الآية : (١٩٠) .

(٩) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ٢٧٠ .

في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم^(١).

الإعداد لقوة الجهاد :

لا يمكن أن يكون الجهاد قوياً إلا بإعداد قوتين عظيمتين :

- ١ — قوة الإيمان والعمل الصالح ، كما قال عز وجل^(٢) : { وكان حقاً علينا نصر المؤمنين }^(٣) .
فالقيام بجميع الواجبات والابتعاد عن جميع المحرمات من أعظم أسباب النصر والتمكين .
- ٢ — قوة الحديد وما استطاعة المسلمون من قوة مادية ، قال تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم }^(٤).

" إن ترك الجهاد سبب للمذلة والهوان وضياع الديار وتسلط الكفرة على بلاد الإسلام ، وهذا من العذاب الذي توعد به الله تعالى تاركى الجهاد " ^(٥) . قال ربنا في القرآن الكريم :
{ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على شيء قدير }^(٦) .

قال سيد قطب — رحمه الله — : " والخطاب لقوم معينين ، في موقف معين ، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله ، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب في الآخرة وحده ، فهو كذلك عذاب الدنيا عذاب الذلّة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء ، والحرمان والخيرات واستغلالها للميادين ؛ وهم ذلك كله يخسرون في الكفاح والجهاد ، وكل أمة تركت الجهاد إلا ضرب عليهم الذل ، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء " ^(٧) .

(١) سورة التوبة ، الآية : (١١١) .

(٢) سورة الروم ، جزء من الآية : (٤٧) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : (٦٠) .

(٤) الحكمة في الدعوة إلى الله . ص : ٥٢٧ — ٥٢٨ .

(٥) أصول الدعوة . ص : ٢٧٤ .

(٦) سورة التوبة ، الآية : (٣٩) .

(٧) في ظلال القرآن : (٣ / ١٦٥٥) .

وقد وقع الجهاد في غزوة تبوك بكافة أنواعه ، وهو على النحو التالي :

مجاهدة النفس : "باخضاعها للسير في صراط الله المستقيم وكبح جماحها من أن تشذ عن طاعته سبحانه إلى طاعة عدوه الشيطان الرجيم"^(١).

وكعب — رضي الله عنه — ظل يجاهد نفسه على طاعة الله والتزام الصدق طيلة حياته . وفي ذلك قال — رضي الله عنه — : " إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت " . وقال : " والله ما تعمّدت بعد ذلك إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله ما بقيت " . وقال أيضاً : " فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قطّ بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ، أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا "^(٢) .

مجاهدة الشيطان : وذلك "باتخاذ عدواً واستفراغ الوسع في محاربتة ، ومجاهدته ؛ كأنه عدو لا يفتر ، ولا يُقصر عن محاربتة العبد على عدد الأنفاس"^(٣).

وعندما جاء رسول ملك غسان إلى كعب — رضي الله عنه — برسالة من ملكه ، يطلب منه أن يلحق بهم ليواسوه ، فلما قرأها كعب توجه مباشرة إلى التنور فرماها فيه ، ولم يترك لنفسه فرصة لوساوس الشيطان ، ليؤثر عليه .

كما عمل المجاهدون على محاربة وساوس الشيطان حينما ضحوا بأرواحهم وأنفسهم في سبيل الله ، فعانوا الجوع والعطش والحر وبعد المسافة ، وتركوا الظل والماء البارد ونضح الثمار والنساء، رغبة فيما عند الله من النعيم المقيم.

" وأبو خيثمة — رضي الله عنه — لما رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبرّدت له ماء ، وهيات له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل

(١) الجهاد في سبيل الله ، حقيقته . وغايته : (٣١١ / ١) .

(٢) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) زاد المعاد : (٦ / ٣) .

تبوك^(١) . فقاوم — رضي الله عنه — وسوسة الشيطان التي تدعوه إلى الراحة ، والتمتع بالظل والماء البارد والزوجة الحسنة . فتدارك نفسه وعزم على اللحاق برسول الله ﷺ . " وكل إنسان حتى خيار الناس من الصحابة يمسك الشيطان به بمقوده ، ولكن المهم كيف يتمكن المؤمن من انتزاع مقوده من الشيطان بعد أن أمسك به كما فعل أبو خيثمة الذي تغلبت قوة وجدانه الإسلامي ضعفه الإنساني البشري ، فترك الشيطان بعد أن ظفر به يتميز من الغي"^(٢) .

جهاد الكفار والمنافقين : " الجهاد بالنفس بمجاهدة قتال أعداء الله ، أعداء الدين ، والتضحية بالنفس في قتالهم ، واجب شرعاً لكل قادر عليه ، فإن قُتل المجاهد في هذه المعارك فقد فاز بدرجة الشهيد"^(٣) .

وقد استنفر الرسول ﷺ المسلمين إلى غزو الروم فاستجابوا لذلك وقد توجه الرسول ﷺ من المدينة في اتجاه تبوك بجيشه البالغ ثلاثين ألف مقاتل ، وهو أضخم عمل عسكري يقوم به الرسول ﷺ في حياته من حيث كثرة العدد وأهمية الأهداف التي حققتها الغزوة .

الجهاد بالمال : " المال هو العصب الحساس لكل جهاد يقوم في الحياة ، والجهاد يحتاج إلى المال لتأمين السلاح والعتاد ، والذخائر بما يتناسب مع أسلحة العصر ونفقات المجاهدين وإعالة أسرهم وما إلى ذلك"^(٤) .

وقد دعا الرسول ﷺ صحابته إلى الإنفاق على الجيش فسارعوا لتلبية هذه الدعوة ، وقد بذل عثمان — رضي الله عنه — ثلث نفقة هذا الجيش ، وبذلوا ما تجود به أنفسهم في سبيل الله حتى أتموا إكمال مؤونة جيشهم .

الجهاد بالقلب : ويكون بإنكار المنكر بالقلب وكرهه كراهية تامة، والعمل على إزالته قدر المستطاع .

(١) انظر، زاد المعاد : (٤٦٣/٣) .

(٢) غزوة تبوك . ص : ١٠٦ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (١٥٨ / ١) .

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ٢٧٦ — ٢٧٧ .

مثلاً حدث مع الرسول ﷺ وصحابته الكرام من الإنكار بقلوبهم على كعب وصاحبيه
— رضي الله عنهم — أجمعين ، وقد شعر كعب بهذا الإنكار في عيونهم .

كما أن قول الرسول ﷺ لأصحابه من أهل الأعدار المتخلفين عن الغزو ، " وهم
بالمدينة وقد حبسهم العذر " (١) ؛ أي كانوا معه بأرواحهم وهو من الجهاد بالقلب .

جهاد اللسان : "بيان شرائع الإسلام ودحض الأباطيل المفتراة على الإسلام" (٢) .
وقد حدث مع معاذ بن جبل — رضي الله عنه حينما جاهد بلسانه وأنكر على المنافق
الذي حاول الإساءة لكعب — رضي الله عنه .

جهاد اليد : ويكون التغيير باليد بإتلاف المنكر ؛ إما بحرقه أو هدمه ، أو غير ذلك .
مثلاً حدث مع الرسول ﷺ حينما أمر بهدم مسجد الضرار وإحراقه ، وكذلك
إحراق كعب لرسالة ملك غسان .

"ويطالب الإسلام في أيام السلم والحرب بإعداد الشباب والرجال نفسياً وبدنياً
وروحياً لتحمل الشدائد والأعباء الثقال ، ومصابرة الخطوب والأهوال ، والبعد عن وسائل
الترف حتى إذا دعا داعي الجد ونادي منادي الجهاد لبوا النداء" (٣) .

وعموماً فالمسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل الله أبداً فهو في جهاد دائم يجاهد نفسه
ليحملها على الطاعة وعلى بذل المال والنفس في سبيل مرضاة الله تعالى ، ويجاهد بلسانه
وقلبه ليبيّن معاني الإسلام ويرد على افتراءات المبطلين ويجاهد في سبيل الله ، ويجاهد في جميع
أحواله في الرخاء والشدّة ، وفي حالة الضعف والقوة ، وفي حالة الفقر والغنى ، وبهذا قال
المفسرون . في قوله تعالى : { اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن
كنتم تعلمون } (٤) (٥) .

(١) سبق تخريجه ، ص : ٥٧ .

(٢) أصول الدعوة . ص : ٢٧٣ .

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ٢٧٤ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٤١) .

(٥) أصول الدعوة . ص : ٢٧٧ .

٣- المعاهدات :

لغة :

" العهد ؛ الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية . وقد عهدته أي أوصيته ، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاء" (١).

اصطلاحاً :

" هي الاتفاقات أو العهود أو المواثيق التي تعقدها الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول في حالتي السلم والحرب ، وتُسمَّى المعاهدة في هذه الحالة الأخيرة موادعة أو مصالحة أو مسالمة ، ويُقرَّر بمقتضاها الصلح على ترك الحرب" (٢).

والمعاهدة جائزة ، بدليل قوله تعالى : { براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين } (٣) .
ولقوله تعالى : { وإن جنحوا للسلم فاجنح لها } (٤).

" وتُنظَّم المعاهدات العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى ، وهي إما أن تكون تقريراً لحالة السلم القائمة حتى يأمن الطرفان عدم وقوع اعتداء من بعضهما على بعض . وإما أن تكون إنهاء لحالة الحرب والعودة إلى السلام الذي هو أساس العلاقات الدولية في نظر الشريعة الإسلامية" (٥) . " إذا المعاهدات لها دور كبير في فض المنازعات ، وحلّ المشكلات ، وتسوية العلاقات بين الجانبين للوصول إلى سلم دائم مستمر لا على حساب الدين والعقيدة" (٦) . " ولعل من حكمة إبرام العقود هو تفرغ المسلمين للعمل الجاد المستمر لبنیان الجدار الصلب للقوة المعنوية والحسيّة التي عن طريقها يتمكنون من عمل الواجب المطلوب لرفع الأمة وتمكينها من العمل لإحياء العبادة لله وحده ، وطرح عبادة غير الله" (٧) .

(١) الصحاح . ص : ٧٨٩ .

(٢) الجهاد في الإسلام . توفيق علي وهبة . ص : ٨٣ . دار اللواء ، الرياض ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(٣) سورة التوبة ، الآية : (١) .

(٤) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦١)

(٥) الجهاد في الإسلام . ص : ٨٣ .

(٦) الجهاد في الإسلام لطلب الدفاع ، صالح اللحيدان ، ص : ٣١ ، دار اللواء ، الرياض ، ١٣٩٧ هـ .

(٧) المرجع السابق ، ص : ١٣٢ .

"وقد استخدمت المعاهدات في مختلف العصور والعهود ، وكانت من أهم وسائل الحرب النفسية"^(١). و"كان المجتمع القبلي العربي يعتمد في جاهليته وإسلامه على نظام الجوار والأحلاف ، من أجل حماية القوافل والمسافرين والأنعام من غارات المعتدين"^(٢).

" ولما وصل الرسول ﷺ المدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود، دعاهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ، حتى نقض اليهود عهدهم"^(٣).

" كما لجأ الرسول ﷺ إلى إبرام العقود مع القبائل المتاخمة للمدينة وإن كانت مشتركة ، فكان أن وادع النبي ﷺ بني ضمرة^(٤) وخزاعة^(٥) وأسلم^(٦) وغفار وجهينة^(٧) وغيرهم"^(٨).
" وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم ، حتى أيقنوا بالهلكة ، فسألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ، ففعل وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها . فلما سمع بهم

(١) اجرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٦١ .

(٢) وسائل الدعوة ، في عصر النبي ﷺ . ص : ١٢٨ .

(٣) سيرة ابن هشام : (٢ / ١٤٣ - ١٤٦) . بتصرف .

(٤) بني ضمرة تنسب إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة من عدنان ، جدّ جاهلي . كانت منازل بنيه في جبل نافل ، قال عرّام : عن يسار المصعد من الشام إلى مكة ، وهم أصحاب بيوت ومواشي ويسار . ونزل بعضهم بالأبواء (بين مكة والمدينة) ، ونزلت جماعة منهم بعد الإسلام في بلاد الأشمونيين بمصر ، وإليه ينسب عمرو بن أمية الضمري . انظر ، الأعلام : (٣ / ٣١١) .

(٥) خزاعة ، من بني عمرو بن لحيّ ، من مزقياء ، من الأزدي ، من قحطان ، جدّ جاهلي ، أو لقب جدّ من بني عمرو بن لحيّ ، اختلف النسابون في اسمه . وقيل : خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحيّ . وفي النسابين من يجعلهم عدنانين من مضر ، والأكثر على أنهم قحطانيون . كانت منازلهم بقرب الأبواء (بين مكة والمدينة) . وفي وادي غزال ، ووادي دوران وعسفان في تهامة الحجاز . ورحل بعضهم إلى الشام وعمان ، وهم بطون كثيرة . انظر ، الأعلام : (٢ / ٣٤٨)

(٦) أسلم : تنسب إلى أسلم بن عبيدة ، من بني عك من الثلاثة جدود جاهليون ، النسبة إلى كل منهم (أسلمي) بضم اللام . ومن عداهم فكأنه بفتح اللام . انظر ، الأعلام : (١ / ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٧) جهينة : جهينة بن ليث ، من قضاة ، جدّ جاهلي النسبة إليه جهني ، نزل كثيرون من بنيه بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر ، وبعضهم في بلاد إخم وحلب وغيرها من البلاد الشامية . ولا يزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر ، من جنوبي ديرة (بلي) إلى جنوبي ينبع ، وفي جنوبي سنار بالسودان ، قبيلة تدعى جهينة قضاة . انظر ، الأعلام : (٢ / ١٤٠) .

(٨) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ١٢٨ .

أهل فدك^(١) قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا نحن أعلم بما منكم ، وأمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أن إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيما بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب^(٢).

" ومن صور العهود والمبايعات ما حصل في صلح الحديبية : " فرسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى تناجز القوم فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو^(٣) إلى رسول الله ﷺ للمصالحة ، ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال له اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن من فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا أسلال ولا أغلال ، وأنه مع من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ... " ^(٤).

(١) فدك : بفتح أوله وثانيه ، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً ، وأكثر أهلها أشجع . انظر ، معجم البلدان : (٢٣٨ / ٤) ، و معجم ما استعجم : (١٠١٥ / ٣) .

(٢) سيرة ابن هشام : (٢٨٦ / ٣ — ٢٨٧) .

(٣) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدون بن نصر القرشي العامري خطيب قريش . قيل : سكن مكة ثم المدينة ، وقيل : نزل الشام ، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ومراجعته للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرها ، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة .

دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال : ماذا تقولون ، فقال سهل بن عمرو : يقول خيراً أخ كسريم وابن أخ كسريم وقد قدرت ، فقال أقول كما قال أخي يوسف : { لا تثريب عليكم اليوم } ، وذكره ابن إسحاق فيمن أعطاه النبي مائة من الإبل من المولفة . وهو الذي قال يوم موت النبي ﷺ " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " . وقد مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . بطاعون عمواس بالشام . انظر ،

الإصابة : (٢١٢ / ٣) ، الاستيعاب : (٦٦٩ / ٢ — ٦٧٢) ، الطبقات الكبرى : (٤٠٤ / ٧) .

(٤) سيرة ابن هشام : (٢٦٢ / ٣ — ٢٦٤) . بتصرف .

" ويتجلى في هذا الصلح عظمة الرسول ﷺ حيث أن تصرفاته ﷺ في هذا الصلح في ذاتها تعتبر نظاماً شاملاً لنظام المعاهدات في الإسلام وفي مجال العدل والوفاء بالعهد ، فالرسول ﷺ لم يتوصل إلى عقد الصلح أو المعاهدة إلا بعد أن اجتاز مراحل شاقة لإبرام هذا الصلح ، وفعلاً حقق صلح الحديبية ما كان الرسول ﷺ يؤمل من ورائه ، فلم تكن نتائج معاهدة صلح الحديبية أقل من نتائج أية معركة من المعارك الظاهرة الفاضلة في صدر الإسلام" (١).

" فلم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، إنما كان الكفر حيث القتال؛ فلما أمن الناس كلهم بعضهم بعضاً وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلاّ بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل في تلك الستين مثل من كان ، دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر " (٢). " وهكذا يتضح أن كتب الأمان والمواذعة التي وقّعها النبي ﷺ مع القبائل المشركة كانت تهدف إلى إعطاء الدعوة فرصة للتفرغ لمحاربة الأعداء الآخرين ممن اشتطوا في معاداة المسلمين وأصابوا منهم ، وبالتالي أعطت هذه المواثيق الدعوة فرصة للانتشار حرياً وسلمياً في جهات أخرى غير الاتجاه المكّي " (٣).

" ولما كانت فترة الهدنة ساقط المزيد من القبائل المجاورة للمدينة إلى التحالف مع الرسول ﷺ ، فقد اشتركت هذه القبائل مع المسلمين في فتح مكة ، وبذلك ساعدت الأحلاف على نشر الدعوة واقتحام حصن المعارضة الأول في مكة ، وانفتح الباب أمام القبائل في كل أنحاء الجزيرة العربية للدخول في الإسلام بعد الفتح وموقعة خيبر وحصار الطائف . فإذا جاءت وفود هذه القبائل مسلمة كان النبي ﷺ يكتب لهم وثائق الأمان على شرط أن يعطي المشركين في تلك القبيلة فرصة للدخول في الإسلام " (٤). وقد أمر الإسلام بقتال من يتخذ العهود والمواثيق لذلك ولا يحافظ عليها ، قال تعالى : { ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فإِنَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٥).

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام . ص : ٢٦٢ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٧ / ٥٠٦) .

(٣) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق . ص : ١٢٩ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : (١٣) .

" ولم يلحظ في تاريخ المسلمين ، وخاصة في صدر الإسلام أنهم نكثوا بالعهد والمواثيق إلا من قبل أعداء الإسلام كاليهود "(١).

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه بحنة بن ربيعة ، صاحب أيلة ، فتصالح مع الرسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فكتب ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة : " بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ﷺ ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة ، سُنْفهم وسيارهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم نفس أهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يروونه ، ولا طريقاً يريدونه ، من بر أو بحر "(٢).

وكتب لأهل جرباء وأذرح : " بسم الله الرحمن هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين . وأعطى النبي ﷺ أهل أيلة بركة مع كتابه أماناً لهم "(٣) . كذلك عقد رسول الله ﷺ معاهدة صلح مع حكام مقنا وكتب لهم بهذه المعاهدة وثيقة جاء فيها : " أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم "(٤).

وقدم خالد بن أكيدر على رسول الله ﷺ فحقت له دمه ، وصالحه على الجزية ثم حلى سبيله فرجع إلى قريته "(٥) .

" فكان النبي ﷺ يعقد العقود الخاصة بالسلم بين المسلمين والنصارى ، ومهد السبل للمسلمين يسرون في تلك الديار دعاة للإسلام ، وهذه من أعظم النتائج التي تتفق مع

(١) الحرب النفسية . ص : ٢٦٤ .

(٢) سيرة ابن هشام : (٤ / ١١٦) .

(٣) البداية والنهاية : (٥ / ١٧) .

(٤) المغازي : (٣ / ١٠٣٢) .

(٥) سيرة ابن هشام : (٤ / ١٦٧) .

الدعوة الإسلامية فما جاء محمد ﷺ محارباً ، ولكن جاء هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" (١). " وهكذا صارت لكتب الأمان والجوار والذمة والعهد والموادعة التي أعطاها النبي ﷺ للقبائل التي لم تسلم كلها الضمان الذي يمنحه دفع الجزية من حيث التأكيد على عدم هجوم المسلمين عليهم ؛ لأن العهود والأمان هي الوسيلة الفعالة لضمان السلم وتدعيم الأمن ولم يعد للرسول ﷺ بحاجة لمحاربة هذه القبائل ، وبالتالي يتسنى لهم معرفة الإسلام وحقيقته" (٢). ويتبين لنا مما سبق أن العهود والمواثيق كانت وما تزال تعتبر من أهم الوسائل الدعوية .

٤- الهدية :

• الهدية : " ما يكرم به الموهوب له" (٣) . " و يتقرب به المهدي إلى المهدي إليه" (٤) . وهي مختصة باللطف والمحبة" (٥) .

" والهدية من مظاهر خلق حب العطاء والتهادي وتبادل الهبات بين الناس ، وقد حث الإسلام المسلمين على أن تكون ظاهرة التهادي إحدى الظواهر السلوكية التي يوجهون لها عنايتهم مهما كانت قيمة الهدية والهبة ضئيلة" (٦) .

وقد ورد لفظ الهدية في القرآن ، عندما قررت ملكة سبأ أن ترسل هدية إلى النبي سليمان — عليه السلام — رداً على رسالته التي دعاها فيها للإسلام . قال تعالى : ﴿ واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ (٧) .

" لقد فطنت الملكة بلقيس بذكائها إلى اختبار الداعي ومعرفة مقصده وغاية ما يدعو إليه حين أرسل إليها سليمان — عليه السلام — برسالته التي يدعوها فيها إلى الإسلام ،

(١) خاتم النبيين : (٣ / ٩٦٣) .

(٢) وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ . ص : ١٢٩ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح مسلم : (٥ / ٢٣٣) .

(٤) الفروق اللغوية ، أحمد هلال العسكري . ص : ١٣٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

(٥) المفردات في غريب القرآن . ص : ٥٤١ .

(٦) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (٢ / ٤٢٩) .

(٧) سورة النمل ، الآية : (٣٥) .

فأرادت أن تتأكد من صدقه ومبدئه ، وإن كان راغباً في الدين أم داعياً إلى قيم^(١) . و لأن " الهدية تلين القلب ، وتلين الود ، فقد تفلح في دفع القتال ، وهي تجربة ، فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر دنيا ووسائل الدنيا لا تجدد ، وإن لم يقبلها فهو إذن أمر عقيدة"^(٢) ، ولكن سليمان — عليه السلام لم يقبلها فقد قال تعالى عنه . { فلما جاء سليمان قال أتمدون ببال فما أتان الله خيراً مما أتاكم بل أنتم بهديتكم فرحون }^(٣) .

وكان الرسول ﷺ يقبل الهدية . عن عائشة — رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ، ويثيب عليها"^(٤) .

وكان النبي ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه : أهدية أم صدقة ؟ فإن قيل : صدقة ، قال لأصحابه كلوا . ولم يأكل ، وإن قيل : هدية ، ضرب بيده ﷺ فأكل معهم"^(٥) .

" وإن من شأن هذه الظاهرة الكريمة أن تُذهب بالأحقاد ، وتجمع القلوب إلى القلوب ، وغايتها أنها تجعل النفوس متهيئة للنظر في صدق الدعوة وصحة العقيدة"^(٦) .

" كما أن من شأنها توثيق روابط الصلة بين أفراد جماعة المسلمين ، وتعميق جذور المودة و المحبة بينهم ، وتوحيدهم في نظام الجسدية الواحدة التي تتعاون أعضاؤها ، وتتشارك أجزاء بنائها في مسراتها وأجزائها ولذاتها وآلامها"^(٧) . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال النبي ﷺ : " تمادوا تحابوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ..."^(٨) .

(١) الدعوة قواعد وأصول . ص : ١٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن : (٥ / ٢٦٤٠) .

(٣) سورة النمل ، الآية : (٣٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : المكافأة في الهبة . ص : ٥٣٧ . حديث رقم : (٢٥٨٥) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : قبول الهدية . ص : ٥٣٥ . حديث رقم : (٢٥٧٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : قبول النبي ﷺ الهدية ورده الصدقة : (٢ / ٦٢٠) . حديث رقم : (١٠٧٧) .

(٦) هداية المرشدين . ص : ٣٥ .

(٧) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (٢ / ٤٢٩) .

(٨) سنن الترمذي ، كتاب : الولاء والبراء عن رسول الله ﷺ ، باب : في حث النبي ﷺ على التهادي : (٤ / ٣٨٣) ،

حديث رقم : (٢١٣٠) .

"ومن الخير في الهدية أن لا يلاحظ فيها أيضاً معنى العوض وإلا كانت لونا من ألوان المعارضة ، ومتى لوحظ فيها معنى العوض فقدت معناها الإسلامي ، وصار الناس يحاسب بعضهم بعضاً على مقدار ما يُهدى كل منهم أخاه وعلى مقدار ما يأتيه من قبله من هدايا"^(١) "فعطاء الهدية ينبغي أن يكون صلة مودّة لا مظهر رياء ولا وسيلة تفاخر ، ومتى دخل عنصر التفاخر في الهدايا صار أغنياء الناس يحتقرون هدايا فقرائهم وينظرون إليها بازدراء واستكبار"^(٢) .

ولذلك لما حث الرسول ﷺ على التهادي بين المسلمين ، حذر من عوارض الانحراف الذي يمكن أن ينحرف إليها مفهوم الهدية لدى التطبيق العملي . فحث الرسول ﷺ على قبول الهدية القليلة ونهى عن احتقارها .

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال كان النبي ﷺ يقول : " يا نساء المسلمين ، لا تحقرن جارة جارتما ولو فرسن^(٣) شاة"^(٤) .

قال ابن حجر — رحمه الله تعالى — : " وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير ، وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن ؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه ، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتما الموجودة عندها لاستقلاله ؛ بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً ، فهو خير من العدم ، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة ، ويحتمل أن يكون النهي إنما وقع للمُهدى إليها ، وإنما لا تحتقر ما يُهدى إليها ولو كان قليلاً ، وحمله على الأعم من ذلك أولى . فالإهداء يثبت المودة ويذهب الضغائن ، وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير ؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل الوقت ، وإذا تواصل اليسير صار كثيراً ، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف"^(٥) .

(١) الأخلاق الإسلامية ، وأسسها : (٤٢٩/٣) .

(٢) المرجع السابق : (٤٢٩ / ٢) .

(٣) فرسن شاة : بكسر الفاء والمهملة بينهما راء ساكنة وآخره نون عظيم قليل اللحم ، وهو للبعير موضع الخافر للفرس ، ويطلق على الشاة مجازاً ، ونونه زائدة ، وقيل أصلية . انظر ، فتح الباري : (٥ / ٣٣٤) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : لا تحقرن جارة لجارتما . ص : ١٢٩٢ ، حديث رقم : (٦٠١٧) .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٥ / ٣٣٤ — ٣٣٥) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " لو دعيت إلى ذراع أو كراع^(١) لأجبت ، ولو أهدني إلي ذراع أو كراع لقبلت "^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وخصَّ ﷺ الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير ؛ لأن الذراع كانت أحبَّ إليه من غيرها والكراع لا قيمة لها . وأشار الرسول ﷺ بالكراع والفرسن ، إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت ؛ لكلا يمتنع الباعث من الهدية لاحترار الشيء ، فحضَّ على ذلك لما فيه من التآلف "^(٣).

" فينبغي للمسلم إذا قدمت له هدية أن يكافئ عليها بحسب استطاعته ، حيث لا يبغي أن يكون آخذاً هدايا فقط ، وهو قادر على أن يكافئ هدايا ، أما من لا يستطيع أن يكافئ على الهدية ، فعليه أن يثني من أهدها ، ويدعو له أن يجزيه خيراً "^(٤) .

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك ؛ أتاه ملك أيلة ، وأهدى للرسول ﷺ بغلة بيضاء ، وكساه ﷺ برداً ، وكتب إليه ببحرهم .

" فالهدية تورث المحبة ، ولها منزلة وذكريات خاصة في النفس ، وكثيراً ما يغيب هذا المفهوم عند كثير من الدعاة ، ليس لعجزه المادي ؛ وإنما هو عدم إدراك لأهمية الهدية ، والهدية لا تعني تقديم الأشياء الثمينة ؛ بل إن أي شيء يقدم هدية فهو رمز للمحبة ، مهما كان الثمن "^(٥) . " فعلى الداعية أن يقدم الهدية لكل من أراد كسبه ، سواء أكان يحبه أم لا ؛ لأن ذلك الفعل يشعر المهدي له أن له منزلة خاصة في قلب الداعية ، وبالتالي ييوح له بكثير من أسرارته ومشاكله . ومن الأفضل أن تكون الهدية من الأشياء التي تدوم ويكثر استخدامها، لكي يشعر بها المدعو أطول زمن ممكن ، وتطول ذكرى الداعية في نفسه "^(٦) .

(١) الكراع من الدابة : ما دون الكعب ، وقيل : هو اسم مكان لا يشت . انظر ، فتح الباري : (٥ / ٢٣٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الهبة ، باب : القليل من الهبة ، ص : ٥٣٣ ، حديث رقم : (٢٥٦٨) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (٥ / ٢٣٦) .

(٤) الأخلاق الإسلامية . وأسسها : (٢ / ٤٣٠) .

(٥) الدعوة الفردية ، ص : ٤٤ - ٤٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٤٥ .

٥- المال :

في اللغة :

" مال الرجل يميل ويمال مولاً ومؤولاً إذا صار ذا مال ، وتصغيره مويل . والمال معروف ، ما ملكته من جميع الأشياء ، والجمع أموال ، والمال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة ثم أطلق على كل ما يقتضى ويملك من الأعيان وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم " (١) . " وقد تكرر ذكر المال على اختلاف مسمياته في الحديث ويفرق فيهما بالقرائن . وسُمِّي المال بذلك ؛ لكونه مائلاً أبداً وزائلاً ، ولذلك سُمِّي عرضاً " (٢) .

فالمال عصب الحياة ، وزينة الدنيا وأساس قيمة الأفراد والأمم ، والحضارة والرفاهية ظل المال يتبعانه أينما كان ، وهو من أجل نعم الله على عباده يصلح دينهم وديانهم وبه امتن عليهم . فقال تعالى : { المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً } (٣) . ولذلك عُدَّ المال مما يُتحاسد فيه في الدنيا . عن ابن مسعود — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ أنه قال : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته بالحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٤) .

" وحب تملك المال غريزة بشرية ، ولذلك استخلف الله الإنسان في التملك والسيادة على الأرض . قال تعالى : { وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه } (٥) . وقال تعالى : { وآتوهم من مال الله الذي آتاكم } (٦) .

(١) لسان العرب : (١١ / ٦٣٥ - ٦٣٦) . بتصرف . مادة مول .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ص : ٤٧٨ . مادة ميل .

(٣) سورة الكهف ، الآية : (٤٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : الاغتباط بالعلم والحكمة ، ص : ٣٣ ، حديث رقم : (٧٣) .

صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه : (١ / ٤٦٨) ، حديث رقم : (٨١) .

(٥) سورة الحديد ، الآية : (٧) .

(٦) سورة النور ، الآية : (٣٣) .

وأعطاه مولاه مع الاستخلاف حقوقاً كاملة في الملكية تجعله مسؤولاً عن كل تصرف فيه إرضاء لغريزته وتحديد للمسؤولية في تصرفه" (١).

" وحب المال وجمعه غريزة متأصلة في الإنسان ، وخلق فطري منطبع في أعماق الكيان؛ وهذا أمر أفصح عنه القرآن ، وكشف عن حقيقته النبي ﷺ" (٢).

أما أنه أفصح عنه القرآن ، فلقوله تعالى : { ... وتأكلون الثراث أكلاً لماً . وتحبون المال حباً جماً } (٣).
وأما أنه كشف عن حقيقة النبي ﷺ فقد روى ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : " لو أن لابن آدم وأديان من مال لا يتبغي ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب " (٤).

" وما غريزة حب المال والتملك التي فطر الله الناس عليها إلا نوع من الابتلاء ؛ لأن المال الكثير في يد صاحبه اختبار مر ، وفتنة قاسية ، ومحنة أليمة ، قلماً ينحو من خاض غمارها ، وهبت عليه رياحها ، وقلماً يسلم من أبتلي بزهرة الحياة الدنيا ، ملك قناطيرها المقلنطرة من الذهب والفضة من أجل هذا حذر الإسلام من المال ، بل اعتبره سبباً للهلاك" (٥). قال تعالى : { واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم } (٦).

وعن كعب بن عياض — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال " (٧).

صحيح أن المال فتنة ، ولكنه في الوقت نفسه سعادة ، وطريق إلى بناء الاقتصاد

(١) الدعوة الإسلامية . أصولها ووسائلها . ص : ٦٣ .

(٢) عقبات في طريق الدعوة : (٤٤٧ / ٢) .

(٣) سورة الفجر ، الآيات : (١٩ — ٢٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : ما يتقي من فتنة المال . ص : ١٣٧ ، حديث رقم : (٦٤٣٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : لو أن لابن آدم وأديان لا يتبغي ثالثاً : (٢ / ٥٩٨ — ٥٩٩) ، حديث رقم : (١٠٤٩) .

(٥) عقبات في طريق الدعوة : (٤٤٨ / ٢ — ٤٤٩) . بتصرف .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : (٢٨) .

(٧) سنن الترمذي ، كتاب : الزهد عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال : (٤ / ٤٩٢) ، حديث

رقم : (٢٣٣٦) . وقال هذا الحديث صحيح غريب .

وتقدم الأمم ، فالمال لا يكون ذا قيمة واعتبار إلا إذا استعمل في أوجه الخير ، عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : " إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بحقه ، ووضع في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع " (١) .

ولذلك فقد حذر الإسلام ، البخل ورغب في العطاء. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " يقول العبد مالي ؛ إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأبقى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس " (٢) .

وأما الرسول ﷺ اللثام عن شقاء الإنسان في جمع المال ، ولم يستفد منه فيما يصلح معاشه ويحفظ معاده . عن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : " أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ، ما متاً أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : فإن ماله ما قدم وماله وارثه ما أخر " (٣) .

" والمال لا يأتي هباءً لصاحبه ولا يد له من سعي وكفاح ، وأغلى المال وأعزّه على نفس مالكه ما وصل إليه بجهد بذله ، إذ يشعر مالكه بأنه قيمة لما بذل في تحصيله من جهد ؛ ولذلك كان العمل الصالح هو الثمن الذي تنال به المراتب الرفيعة في جنة الخلد ، ولا يكون العمل إلا ببذل الطاقة ، وقد شرع الله أسباب تملكه وحث الإنسان عليها فأوجب العمل " (٤) قال تعالى : { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } (٥) .

ولذلك تضمنت الشريعة انتقال المال من إنسان إلى إنسان آخر كالهبة والوصية والميراث وهكذا . وقد كره الله تعالى إضاعة المال بغير وجه حق . عن المغيرة بن شعبة — رضي الله عنه — أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إن الله يكره لكم قيل وقال ، وكثرة

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا : (٢ / ٦٠٠) ، حديث رقم : (١٠٥٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب ، الزهد والرقائق : (٤ / ١٧٩٨) ، حديث رقم : (٢٩٥٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : ما قدم من ماله فهو له . ص : ١٣٧١ ، حديث رقم : (٦٤٤٢) .

(٤) الدعوة الإسلامية. أصولها ووسائلها . ص : ٦٤ .

(٥) سورة الملك ، الآية : (١٥) .

السؤال ، وإضاعة المال" (١).

وكثير من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ، ونفوسهم خدماً للمال وعبداً ، وهم الذين ذمهم النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال: "تعس عبد الدينار ، والدرهم ، والقطيفة" (٢) ، والخميسة (٣) ، إن أعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض" (٤).

ولذلك فلا بد أن يكون المال من كسب حلال ، وعن المال الحرام يقول تعالى : { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون } (٥) .
ومدح سبحانه المال الحلال : { وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً } (٦) .

ونظراً لأهمية المال في الحياة ، فإنه من أحد الأمور التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة. عن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه" (٧) .

واعتبر الإسلام عدم إشراك الأغنياء إخوانهم الفقراء فيما تحت أيديهم من المال جحوداً وكفراً . قال تعالى : { أفبئسمة الله يمجدون } (٨) .
ونبّه الله سبحانه إلى الإنسان في طبيعته إذا ابتلي بالمال ، وشذ عن منهج الله. قال تعالى :

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الأقضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . والنهي عن منع وهات : (٣ / ١٠٨٠) ، حديث رقم : (١٧١٥) .

(٢) القطيفة : هي الثوب الذي له حمل . انظر ، فتح الباري : (٢٥٩ / ١١) .

(٣) الخميسة : الكساء المربع . انظر ، المرجع السابق : (٢٥٩ / ١١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الحراسة في الغزو في سبيل الله . ص : ٦٠٨ ، حديث رقم : (٣٨٨) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : (١٨٨) .

(٦) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٨٨) .

(٧) سنن الترمذي ، كتاب : صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب : في القيامة : (٤ / ٥٢٩) ، حديث رقم : (٢٤١٦) .

(٨) سورة النحل ، الآية : (٧١) .

{ كلاً إنَّ الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى }^(١) .

وقد نبه الله إلى الحذر من أن يدخل العجب بالنفس والخيلاء والبطر والجحود ، مثلما حدث مع قارون الذي طغى وتجبر وأنكر أصل نعمته ووجد واهبها .
قال تعالى : { إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيه من الكوز ما إنَّ مفاتحه لتوءم بالعصبة أولى القوة }^(٢)

" فالمال شقيق الروح ، وقد يحرص عليه الإنسان أكثر مما يحرص على نفسه ، علم الله ذلك من عباده فانتدبهم لبذله وحثهم على الخروج من شح أنفسهم بالإتفاق في سبيل الله ، ولعلَّ تقدم الأموال على الأنفس في آيات الجهاد توضيح لمكانة المال من نفوس الرجال، وتحريض لهم على التبرع لينالوا منازل الأبرار "^(٣) .

وقد قرَّر القرآن الكريم أنَّ الجهاد يقوم على النفس والمال ، يقول تعالى : { لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون }^(٤) .

" والحكمة في ذكر الأموال قبل الأنفس هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعدار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو عليهم أن يساهموا في المعركة بالمال بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الإسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونوا راضين عن أنفسهم "^(٥) . كذلك "الجهاد بالمال يُحقِّق الرهبة في قلب العدو من قوة المسلمين ؛ ذلك لأنَّ المال وهو يُعبِّر عن القوة الاقتصادية ، فهو عصب الحرب ، فإذا رأى العدو أنه يواجه من المسلمين قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفذ؛ فسوف لا يستهين بالمسلمين ولا يُعلِّق أمله على التغلب عليهم "^(٦) .

(١) سورة العلق ، الآيتان : (٦ - ٧) .

(٢) سورة القصص ، الآية : (٧٦) .

(٣) الدعوة الإسلامية . الوسائل والأساليب . ص : ٨٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (٨٨) .

(٥) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٣٦٥ .

(٦) المرجع السابق . ص : ٣٦٥ .

" كما أن هذا الحرص على تقديم الأموال على الأنفس في معظم آيات الجهاد يفيد التذكير بقيمة بذل الأموال لمنصرة العقيدة والقيادة ويبيّن منزلة الأموال حين تبذل ولا تكثر، ويُضحى بها ولا يُضحى لأجلها" (١) .

وحينما دعا الرسول ﷺ إلى الإنفاق على الجيش ، تقدّم الصحابة — رضي الله عنهم — إلى الرسول ﷺ وتبرع أغنيائهم وفقرائهم حسب طاقاتهم وقدراتهم ، ولم يخلوا بشيء؛ حيث تبرع عثمان رضي الله عنه - بثلاث مؤونة الجيش ، وتبرع أبو عقييل — رضي الله عنه - بصاع التمر الذي يملكه .

وعندما تاب الله على كعب وصاحبيه ، قرّر كعب — رضي الله عنه — أن يتصدّق بماله كله لله ولرسوله ﷺ فقال له ﷺ : " أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك " (٢) .
وذلك رقماً بكعب وبجاله .

ولا تقف قيمة المال عند هذا الحد ، بل إنّه أسلوب دعوي ناجح مقرر في القرآن أيضاً لتأليف قلوب ضعيفي الإيمان وجذبهم إلى الدين إذا لم تكن هناك وسيلة سوى ذلك ، إذا كانوا هم يطلبون ذلك ويفضّلونه للانضمام إلى المسلمين وتقوية شوكتهم (٣) . يقول تعالى : { إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم .. } (٤) . الآية .
" والآية الكريمة نصّت على تأليف القلوب عن طريق إعطاء الصدقات ، وتأليف القلوب ليس لشيء سوى الإيمان والاستمالة لدين الله وتجيّبه لهم عن طريق هذه الوسيلة الدعوية الناجحة ، بل إنَّ الرسول ﷺ كان يفعل ذلك لذات السبب ، فقد كان لكثرة نواله ووجوده أثر كبير ومفعول مباشر في دخول أناس كثيرين في الإسلام ؛ بل عن طريق هذه الوسيلة أصبح أناس دعاة لأقوامهم وحسن بسببها إسلامهم " (٥) .

(١) القيادة والخطبة في الإسلام . د . محمد السيد الوكيل : (١ / ١٨٣) . دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ —

١٩٨٦ م .

(٢) سبق تحريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٣) الدعوة الإسلامية . الوسائل والأساليب . ص : ٨٠ .

(٤) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٥) فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً . ص : ٤٥ — ٤٦ .

عن أنس — رضي الله عنه — " أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال : أي قومي ، أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها " (١) .

إذا الداعية مطالب بالاعتصام في مطالب نفسه ، حتى لا يستنفد ماله كله ، وأن يجعل في ثروته متسعاً يسعف به ؛ لأن " المال قوام كل دعوة إلى فكرة أو عقيدة ، أو ديانة يُدعى إليها الناس ، وكل دعوة إلى شيء يحمل عليه الجمهور ، ولم تكن تساند بالأموال فإنها لا تُروّج ولا يستجاب لها ؛ فإن بذل الأموال من أجل نشر الدعوة أيسر طريقة ، وأقرب وسيلة فعّالة لنشر تلك الدعوة " (٢) .

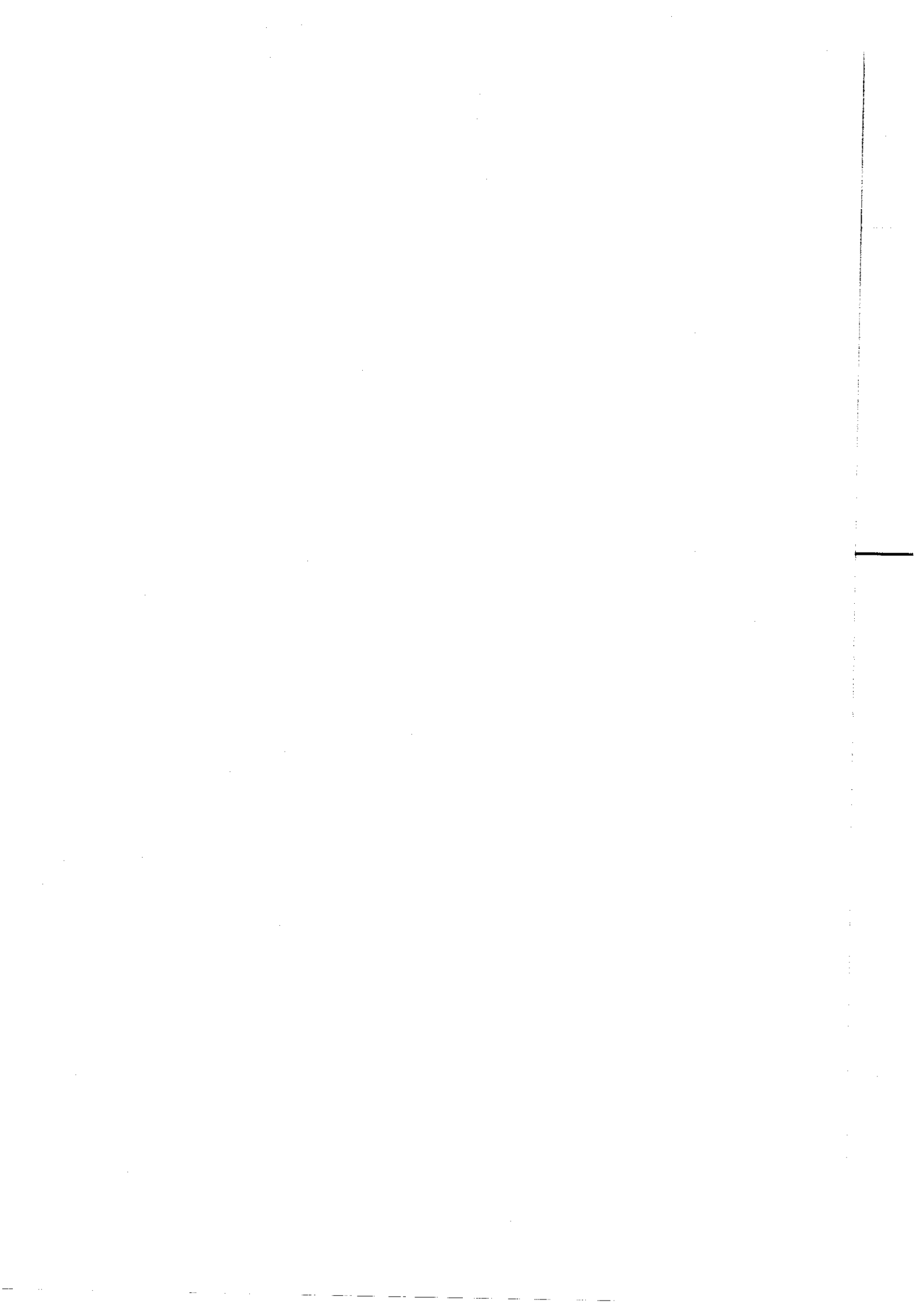
(١) صحيح مسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا . وكثرة عطائه : (٤ / ١٤٤٠ —

١٤٤١) ، رقم الحديث : (٢٣١١) .

(٢) تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم ، ص : ١٧٦ .

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة



المبحث الثاني

الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة

تشكل الأساليب الدعوية مع الوسائل ركناً من أركان الدعوة .

والأساليب لغة :

جمع أسلوب ، وهو في اللغة : " الطريق ، ويقال : سلكت أسلوب فلان في كذا ، طريقته ومذهبه ، وأسلوب الكاتب طريقته في كتابته" (١) .

"والأسلوب بالضم : الفن . يقال : أخذ فلان في أساليب القول : أي أفانين منه" (٢) .

والأسلوب في مصطلح علم الدعوة :

"هي الطرق التي يسلكها الداعية في دعوته أو كفاءات تطبيق مناهج الدعوة" (٣) .

"وهي الطريقة التي يستخدمها الداعية للعبور إلى نفس المدعو وإقناعه بالفكرة ، ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إليه" (٤) .

وقد جاءت الآيات القرآنية مشيرة إلى أنواع أساسية من الأساليب الدعوية وأمره بالأخذ بها . قال تعالى : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } (٥) .

وقال سبحانه : { فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين } (٦) .

وقال تعالى : { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم } (٧) "والدعوة في القرآن الكريم أساليب شتى ، بيّنها كتاب الله تعالى في ثنايا آياته البيّنات،

(١) المعجم الوسيط : (١ / ٤٤٣) .

(٢) لسان العرب : (١ / ٤٧٣) . مادة سلب ، تاج العروس : (١ / ٣٠٢) ، فصل السين من باب الواو .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٤٧ .

(٤) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، خالد عبد الكريم الخياط ، ص : ١٠٤ ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ ،

١٤١٢هـ — ١٩٩١م .

(٥) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : (١٥٩) .

(٧) سورة فصلت ، الآية : (٣٤) .

يطرق بها القلوب ، ويلفت بها الأنظار ، وينبئه الغافلين ، وإنما تعددت الأساليب لتعدد البيئات واختلاف الطبائع ، وتباين الأفكار ؛ فالبيئة الحضرية تختلف عن البيئة البدوية ، والمجتمعات المثقفة تباين المجتمعات الجاهلية . فالإنسان الحاد الطبع لا يصلحه ما يصلح المهين اللين وذوو الحرف والمهن لا يناسبهم ما يناسب العمال والزراع^(١) . " وقد يحتاج الداعية في البيئة الواحدة إلى تنويع الأسلوب والمراوحة في التفكير ؛ لأنه قد يخفى عليه بعض النواحي الهامة في دراسة المجتمع ، ويغيب عنه جانب من الجوانب الهامة التي ينبغي ملاحظتها فيدعو ولا يستجاب له ، ويعظ ولا يلين له القلوب فحينئذ يحتاج إلى مراجعة نفسه وتغيير أسلوبه ، ويظل يحاسب نفسه ، وينتقد أسلوبه حتى يرى الاستجابة والقبول ، من أجل هذا كان تعدد أساليب الدعوة كثيرة^(٢) .

" فالأسلوب الحسن هو أحد العوامل الحساسة التي توفر على الداعية الوقت والجهد ، وتصل به إلى الغاية المطلوبة بأقل التكاليف وأيسرها^(٣) . " والداعية اللبيب هو الذي يستطيع استخدام الأسلوب المناسب في المكان المناسب والزمن المناسب مع الشخص المناسب ، عندها يعتبر الأسلوب تربوياً ناجحاً في أداء التغيير المطلوب بإذن الله^(٤) .

وبعد النظر والتمحيص في أحداث غزوة تبوك يمكن أن نستنتج أساليب عديدة و متنوعة للدعوة ، وقد قسمتها في هذا المبحث إلى خمسة مطالب، على النحو التالي:

- المطلب الأول : أسلوب القدوة .
- المطلب الثاني : أسلوب الشورى .
- المطلب الثالث : أسلوب الحكمة .
- المطلب الرابع : أسلوب طاعة ولي الأمر .
- المطلب الخامس : أسلوب التخطيط .

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر . ص : ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٤٧ .

(٣) مشكلات الدعوة والداعية . ص : ١١٨ .

(٤) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر . ص : ١٦٢ .

المطلب الأول

أسلوب القدوة

القدوة لغة:

"القدوة ، والقدوة : الأسوة ، يقال : فلان يُقتدى به . والقِدَّة : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل ما يعمل"^(١) ، "فالقدوة والأسوة ما يتأسى به : أي يُتَعَزَى به . فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله"^(٢) .
إذاً القدوة : "هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً ساراً أو ضاراً"^(٣) .

والقدوة تنقسم إلى قسمين : قدوة حسنة ، وقدوة سيئة .

١ - القدوة الحسنة :

القدوة الحسنة تنقسم إلى قسمين : قدوة حسنة مطلقة ، وقدوة حسنة مقيدة .

أ - القدوة الحسنة المطلقة : "أي معصومة عن الخطأ والزلل ، كما في الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام-"^(٤) . وقد كان الرسول ﷺ قدوة ؛ لأنه الكامل في صفاته وأخلاقه ﷺ ، ولذلك جعله الله لنا قدوة . قال تعالى : { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً }^(٥) .

وأمر الله نبيه ﷺ بالافتداء بمن سبقه من الأنبياء { أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده }^(٦) . وكذلك الافتداء بإبراهيم - عليه السلام - : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ... } إلى أن قال : { لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة له لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... }^(٧) .

(١) لسان العرب : (١٥ / ١٧١) . مادة قلدو .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : (١٤ / ١٣٨) .

(٣) المفردات في غريب القرآن . ص : ١٨ . مادة أسا .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧١ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : (٢١) .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : (٩٠) .

(٧) سورة الممتحنة ، الآيات : (٤ - ٦) .

وعن المنذر عن أبيه قال ﷺ: " من سنَّ في الإسلام سنةً حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ... " (١) .

ب — والقدوة الحسنة « المقيّدة »: "أي بما شرعه الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنها غير موصوفة ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — فغير الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى ، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري ، أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الاقتداء بهم مقيّداً بموافقة شرع الله" (٢) .

"وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأسّي بكل من عمل صالحاً حسناً سواء كان نبياً رسولاً ، أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً فمُحجهم في عمله" (٣) .

٢ — القدوة السيئة :

هو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر ، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسّي بهم . { إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون } (٤) .

وقال تعالى : { ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً } (٥) ويقول تعالى على لسان فرعون : { وقال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيلاً } (٦) .

ويقول ﷺ: " ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (٧) .

وقد حذّر الرسول ﷺ من رفقاء السوء وقدوتهم السيئة : فقال " مثل المجلس الصالح والجليس

(١) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة لأنها حجاب من النار : (٢ /

٥٨٣ — ٥٨٤) ، حديث رقم : (١٠١٧) .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٢ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٢٧٢ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية : (٢٣) .

(٥) سورة الفرقان ، الآيات : (٢٧ — ٢٨) .

(٦) سورة ص ، الآية : (٢٩) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة لأنها حجاب من النار : (٤ /

٥٨٤) ، حديث رقم : (١٠١٧) .

السوء كحامل المسك ونافخ الكبر ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن يتباع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة " (١) .

" وأصول السيرة الحسنة التي يكون الداعية المسلم قدوة طيبة لغيره ، ترجع إلى أصلين كبيرين : حسن الخلق ، وموافقة العمل للقول ، فإذا لم يتحقق هذان الأصلان ، ساءت سيرته وجاءت دعوته صامتة منقره عن الإسلام " (٢) . ولذلك حذر سبحانه وتعالى مخالفة العمل للقول . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (٣) .

أهمية القدوة الحسنة :

تبرز أهمية القدوة الحسنة من عدة أمور :

● " أن جعل الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده ، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم ، فأرسل الرسل ، وقصص على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ، ثم أمر باتباعهم ، والافتداء بهم " (٤) . فقال : { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } (٥) .

● " والدعوة بالقدوة أنجح أسلوب لبث القيم والمبادئ التي يعتنقها الداعية ، وقد كان — عليه الصلاة والسلام — متحلياً بالصفات الإسلامية الكاملة ، علماً وعملاً ، مجسداً معاني القرآن في سيرته وسلوكه ، ومترجماً صادقاً لآياته ، ومطبّقاً أحكامه في معاملاته مع أهله والناس أجمعين " (٦) . وهذا هو معنى قول عائشة — رضي الله عنها — عندما سئلت عن أخلاق النبي ﷺ فقالت : " كان خلقه

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : المسك ، ص : ١٢٠٨ ، حديث رقم : (٥٥٣٤) .
صحيح مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء : (٤ / ١٦٠٨) ،
حديث رقم : (٢٦٢٨) .

(٢) أصول الدعوة الإسلامية . ص : ٤٨٦ .

(٣) سورة الصف ، الآيات : (٢ — ٣) .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : (٩٠) .

(٦) الدعوة الإسلامية : الوسائل والأساليب . ص : ٧٣ — ٧٤ .

القرآن" (١) .

" فالقدوة أقدر الوسائل في تبليغ الدعوة وأقواها ؛ بل هي أحسنها تأثيراً في الناس وجذباً لهم نحو الخير والحق والهدى " (٢) .

● " وكل وسيلة من وسائل التبليغ تتواضع من حيث نتائجها أمام وسيلة القدوة ، لما تستطيع أن تبلغه القدوة من نفس المدعو ، وما تملأ عليه مشاعره وحواسه ، إذ يرى الصورة العملية لما يدعى إليه . فالقدوة تخرج نظريات الدعوة إلى الله من غير الواقع المشاهد الملموس ومن الكلام إلى التنفيذ ، وهي في الوقت نفسه دعوى مصحوبة بالدليل والبرهان على إمكان التطبيق " (٣) .

● " أن القدوة الحسنة تحتل في المجتمعات الإنسانية مرتبة من المجد ، لا يحظى بها غيره ، وهذه المرتبة محفوفة بالتقدير الكبير من الناس ، ومحفوفة بالشناء والإطراء والإعجاب ، وكل هذا يولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حوافز قوية تحفزه إلى تقليد القدوة الحسنة ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها ، فتكتسب الفضائل ؛ لأن الممارسة التقليدية تتحوّل إلى عادة متمكنة ، وهذه تتحول إلى خلق مكتسب " (٤) ؛ " والقدوة الحسنة التحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الأمور الممكنة هي في متناول القدرات الإنسانية ، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال " (٥) .

● " كما أن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال ، يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة ، ومع هذه الأمور تهيج دوافع الغيرة لديه ، فيميل إلى الخير ويتطلع إلى مراتب الكمال " (٦) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض مطولاً : (١ / ٤٣١ - ٤٣) ، حديث رقم : (٧٤٦) .

(٢) فقه الدعوة الفردية . ص : ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق . ص : ١٤٠ .

(٤) الأخلاق الإسلامية ، وأسستها : (١ / ٢٠٣) .

(٥) المرجع السابق : (١ / ٢٠٣) .

(٦) المرجع السابق : (١ / ٢٠٣ - ٢٠٤) .

● " كما يتضح سهولة الأخذ بالقدوة وسرعة انتقال الخير من المقتدى به إلى المقتدى؛ لأن الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه ، فمجرد العمل بالخير وتطبيقه ، تحصل قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق، وأنه ليس أمراً مثالياً مجرداً ، وهذا واقع مشاهد في حياة الناس" (١).

● " كما أن حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد ، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل والقوي والرئيس" (٢) .

● " إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، حتى الأمي منهم ، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره ويقلده ولو لم يفهمه" (٣) لأن " مستويات الفهم للكلام عند الناس متفاوت ، ولكن الجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة ؛ وذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد الداعية إيصالها للناس المقتدين" (٤) ؛ ومما يدل على ذلك أن البخاري-رحمه الله- بؤب باباً قال فيه: باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ (٥)

● وفي القدوة سلامة الأخذ وضمنان الصحة ، ولا سيما في الأمور الدقيقة العملية ، ومن هنا أكد عليه ﷺ في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج (٦) . ففي الصلاة عن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ: " وصلوا كما رأيتموني أصلي" (٧) .

(١) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٢) أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع . ص : ٢٣١ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٣ .

(٤) مقومات الداعية الناجح . ص : ٣٢٣ .

(٥) انظر، صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . ص : ١٥٣٣ .

(٦) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٧٤ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب : الأذان (الصلاة) ، باب : الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة : ص ١٤٤ ، حديث

مقاطعتهم وبعد نجاحهم في فترة التمحيص ، نزل القرآن بالتوبة عليهم بل أمر بالاعتداء بهم^(١) حيث أصبحوا قدوة للصالحين بسبب توبتهم وصدقهم مع الله ورسوله وإخلاصهم؛ ولذلك يقول تعالى بعد ذكر قصتهم والتوبة عليهم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }^(٢) .

وإن قعود المنافقين عن الجهاد كان بسبب جبنهم وبسبب قدوتهم السيئة بزعمائهم حين تخلفوا عن الجهاد وبقوا في المدينة ، " فالقدوة الحسنة من أعظم البواعث على الجهاد في سبيل الله وإن القدوة السيئة من أعظم المثبطات عن هذا الأمر العظيم ؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه ، ولذلك نعي المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله ﷺ فنعي عنهم أن يتخلفوا عن الجهاد وأن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه التي بذلها لربه لرفع كلمته"^(٣) . " فحين يخرج رسول الله ﷺ في الحر أو البرد في الشدة أو الرخاء في اليسر أو العسر ليواجه تكاليف هذه الدعوة وأعباءها ، فإنه لا يحق لأهل المدينة أصحاب الدعوة ومن حولهم من الأعراب ، وهم قرييون من شخص رسول الله ﷺ ولا عذر لهم في أن يكونوا قد علموا أن يشفقوا على أنفسهم مما يحتمله رسول الله ﷺ"^(٤) . ورسول الله صاحب دعوة وصاحب أسوة .

ولقد أراد بعض الصحابة الاقتداء بالرسول ﷺ بالخروج معه في سبيل الله ، ولم يكن معهم عدة الجهاد ، فذهبوا إليه ﷺ يطلبون منه منحهم ما يبلغهم مطلبهم ؛ فاعتذر منهم ﷺ لأنه لم يكن عنده ما يحقق رغبتهم في الجهاد، فحزنوا حزناً شديداً وخرجوا وهم يبكون ، فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى . وفي خروج المجاهدين إلى الغزوة في ظل ظروفهم العصبية والفاضية؛ ليمثل القدوة المثلى للأجيال التي تليهم من أجل رفع كلمة التوحيد.

" وفي القمة السابقة الصاعدة نرى القدوة الكريمة الحسنة في رسول الله ﷺ ، وكيف كان تصرفه في آخر غزوة غزاها قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، سواء من حيث العلاقات

(١) تأملات في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك . ص : ٦٣ . بتصرف .

(٢) سورة التوبة ، الآية : (١١٩) .

(٣) الجهاد في سبيل الله . حقيقته وغايته : (١ / ٥٦٢ - ٥٦٣) .

(٤) في ظلال القرآن : (٣ / ١٧٣٣) .

الخارجية ، أو من حيث تربيته للمسلمين أفراداً وجماعات ، وإحلال المثل الصادقة محلها اللائق بمقامه ﷺ ، نبوة أو قيادة ، وتعليماً ، وحكمة ، وحزماً ، وصلة دائماً بالله عز وجل ، وحرصاً أميناً ثابتاً على أن يكون القوم من حوله أهلاً لأن يخلفوه في حمل أعباء الرسالة التي جاءهم بها لقد وقف بهم رسول الله ﷺ على القمة التي منها يبدؤون طريق الجنة ، وأعطاهم الزمام الذي إن صدقوا بإمساكه كانوا حداة الركب إلى سعادة الدارين" (١) .

" فالداعية إلى الله قدوته النبي ﷺ في كل ما يدعو إليه ، قولاً كان أو عملاً ، لأنه إن تساهل في شيء ؛ وجد المدعو فيه تناقضاً بين ما يقول وما يفعل ، ولذلك لا تجد دعوته بين الناس احتراماً ولا قبولاً" (٢) .

" كما أن مخالفة واحدة من القائمين بالدعوة قد تنسب إلى الدعاة عامة ، ويتمسك بها ضعفاء النفوس فتكون حجة على الدعاة" (٣) . " حيث لا يقتصر الخطر على الداعية وعلى دينه ، بل يتعدى إلى كل من يدعوهم ، وإن انحرف الداعية وخروجه عن النهج الصحيح هو في نفس الوقت سبب في انحراف كل من تأثر به أو سمع منه ، وما ذلك إلا بسبب أن سلوك الداعية وتصرفاته كلها مرصودة من قبل الناس ، وجميع أفعاله وأقواله موضوعة تحت المجهر" (٤) .

" وإن أول ما يجب أن تنصرف إليه همة الداعية هو إصلاح نفسه وتعهدتها بالتدريب والتهديب فإن أنس منها خيراً أمكنه أن ينطلق برسائله إلى الآخرين ، وثبات المرء على سلوك فاضل يجعله في عداد الفضلاء ، كما أن الحكم على الشخص ما يكون بغالب حالاته لا بتصرفاته العابرة سواء كانت خيراً أو شراً" (٥) .

" وإن الداعية الموفق هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثل حي

(١) على الطريق ، لمحات وكلمات ، ص : ٤٣٣ .

(٢) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص : ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٣) الدعوة الفردية . ص : ٣٩ .

(٤) مقومات الداعية الناجح . ص : ٣٢٤ .

(٥) كيف ندعو الناس . ص : ١٧ - ١٨ . بتصرف .

متحرك للمبادئ التي يعتنقها ، والقذوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة الفاضلة" (١).

المطلب الثاني :

أسلوب الشورى

في اللغة :

" أشار عليه بالرأي : وأشار يشير ، إذا ما وجّه الرأي" (٢) و"التشاور والمشاورة والمشورة : إذا استخرج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض . والشورى : الأمر الذي يتشاور فيه" (٣) .

في الاصطلاح :

الشورى : " تعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا، واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها ، أو إلى أصوبها وأحسنها ، ليعمل به حتى يتحقق أحسن النتائج" (٤).

" فالشورى قيمة من قيم الإسلام العليا التي يتصف بها الفرد والمجتمع ، وهي شأنها شأن الحرية والمساواة والإحسان، لا تعطى من الغير وإنما يكتسبها المرء لنفسه ، ويكدح في تحصيلها عن طريق الجهد الفردي الذي يقوم على الإيمان بالله .

وقد وصف الله تعالى الأمة الإسلامية في سورة تحمل اسم الشورى ؛ لأنها السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي قررت الشورى عنصراً من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة" (٥). يقول جل شأنه : { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون } (٦).

والشورى عنصر هام في تكوين السلطة في النظام الإسلامي ، فقد أمر بها القرآن الكريم في

(١) مع الله . ص : ٢٩٦ .

(٢) لسان العرب : (٤ / ٤٣٤ - ٤٣٧) . بتصرف . مادة شور . مختار الصحاح . ص : ٣٠٨ . مادة شور .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص : ٢٧ . مادة شور .

(٤) النظام السياسي في الإسلام . د . محمد عبد القادر أبو فارس . ص : ٧٩ ، ١٩٨٠ م .

(٥) أصول الإعلام الإسلامي . ص : ٢٢٩ .

(٦) سورة الشورى ، الآية : (٣٨) .

قوله تعالى : { فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر }^(١) .

"وهنا تأتي الشورى بصيغة الأمر لتأليف القلوب وإشاعة المودة بين المسلمين وتعويدهم على هذا النهج في معالجة جميع الأمور؛ لأن الرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة لهم ، والقُدوة في جميع أمورهم ، فإذا كان يلجأ — عليه الصلاة والسلام — إلى الشورى فهم أولى أن يأخذوا بها"^(٢) .

وفي مجال التربية يأمر القرآن الكريم بتشاور الوالدين لما فيه مصلحة الطفل وهو من رحمة الله لعباده ، قال تعالى : { فإن أرادوا فصلاً عن تواضعٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما }^(٣) .

وقد أورد القرآن الكريم نصوصاً تثبت أصالة الشورى في الشرائع السابقة على الإسلام فقد سأل موسى — عليه السلام — من ربه أن يكون هارون وزيراً له يشدّ أزره . قال تعالى :

{ واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . أشدد به أزري . وأشركه في أمري }^(٤) .

وفي قصة ملكة سبأ إشارة واضحة إلى أهمية التشاور قبل القضاء في الأمور . قال تعالى :

{ قالت يا أيها الملأ أقنوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون }^(٥) .

"وقد حفلت السنة النبوية المطهرة بممارسات تطبيقية في الشورى ، وهذا يدل على مدى اهتمام الإسلام بالشورى ، وكان ﷺ يشاور أصحابه في أمر الجهاد ، وأمر العدو وتخير المنازل"^(٦) . "وكان أكثر الناس استشارة لأصحابه ، فقد استشار المسلمين في شأن القتال في بدر الكبرى . بقوله : " أشيروا علي أيها الناس ، وكرر ذلك أكثر من مرة"^(٧) .

وتتكرر الشورى منه ﷺ للمسلمين في غزوة أحد^(٨) وغزوة الخندق^(٩) ، وغزوة

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٢) أصول الإعلام الإسلامي . ص : ٢٣١ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٣٣) .

(٤) سورة طه ، الآيات : (٢٩ — ٣٢) .

(٥) سورة النمل ، الآية : (٣٢) .

(٦) زاد المعاد : (٨٧ / ٣) .

(٧) المرجع السابق : (٣ / ١٥٤ — ١٥٥) ، (٣ / ١٠٠) .

(٨) سيرة ابن هشام : (٣ / ٢٦ — ٢٧) ، انظر : زاد المعاد : (٣ / ١٧٣) ، البداية والنهاية : (٤ / ١٢) .

(٩) المرجع السابق : (٣ / ١٧٤ — ١٧٥) ، انظر : زاد المعاد : (٣ / ٢٤٢) .

الحديبية^(١). وكان أحياناً يستشير بعض المسلمين في شؤونه ﷺ الخاصة ، فقد استشار — عليه الصلاة والسلام — أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب في فراق أهله^(٢) ، فأشارا ونصحا .
ولقد مارس الصحابة — رضوان الله عليهم — من بعد رسول الله ﷺ الشورى في حياتهم السياسية . قال علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — : " الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه " ^(٣) .

حكم الشورى :

الشورى في الإسلام ليست من الأمور التفلية ، بل الشورى في الإسلام واجبة على كل حاكم أو مسؤول أو أمير ، وهذا الحكم مستنبط من قوله تعالى : { وشاورهم في الأمر } ^(٤)

قال الفخر الرازي^(٥) — رحمه الله — : " ظاهر الأمر للوجوب . فقوله : { وشاورهم } يقتضي الوجوب " ^(٦) .

" وإذا كان الرسول ﷺ للمعصوم ، والمؤيد بالوحي ، لا ينطق عن الهوى قد أمره الله سبحانه وتعالى ، أن يستشير أصحابه ، وأوجب عليه ذلك ، فالشورى في حق غيره من الحكام والأمراء واجب " ^(٧) .

وقد قرن القرآن الكريم الشورى بإقامة الصلاة فدل على أن حكمها كحكم الصلاة

(١) انظر ، صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، ص : ٨٧٤ ، حديث رقم : (٤١٧٨ — ٤١٧٩) ، وانظر : زاد المعاد : (٣ / ٢٦٨) .

(٢) زاد المعاد : (٣ / ٢٣٣) .

(٣) أدب الدنيا والدين . ص : ٢٩٠ .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٥) الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي الإمام المفسر ، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . وهو قرشي النسب . أصله من طبرستان ، ومولده في الري وإليها نسبته ، ويقال له " ابن خطيب الري " . رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وتوفي في هراة ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسوها . وكما يحسن الفارسية ، من أهم تصانيفه الغيب ، وله مؤلفات عديدة ، وله شعر بالعربية والفارسية ، وكان واعظاً بارعاً باللغتين . انظر ، الأعلام : (٧ / ٢٠٤) .

(٦) التفسير الكبير : (٩ / ٦٧) .

(٧) النظام السياسي في الإسلام . ص : ٩٠ .

فقال تعالى : { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم }^(١) .

" وكان طابع الشورى في الجماعة مبكراً ، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها ، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية ، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية ، وهي من ألزم صفات القيادة "^(٢) . والشورى من الأمور التي كادت تجمع الأمة على وجوبها ، فقد ذكر عن ابن عطية^(٣) الإجماع على وجوبها فقال — رحمه الله — : " الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف فيه "^(٤) .

" فواجب على الولاة مشاوراة العلماء فيما لا يعلمون ، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب ، والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاء وعمارها "^(٥) .

" ولقد جاءت الأحاديث الكثيرة تقرّر أن الشورى في هذا الدين قاعدة من قواعد الحكم ، ولهذا أكثر منها رسول الله ﷺ .

ومن حكمة الرسول ﷺ في تعليم أصحابه المشورة مع أن الله قد أغناه عن رأيهم بوحيه ؛ لأن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم ، وأطيب لنفوسهم ، وليعلمهم ما في التشاور من الفضل ، ولتقتدي به أمته من بعده "^(٦) .

" وقد اختلف في متعلق المشاورة ، فقيل : في كل شيء ليس منه نص ، وقيل : في الأمر

(١) سورة الشورى ، الآية : (٣٨) .

(٢) في ظلال القرآن : (٥ / ٣١٦٥) .

(٣) ابن عطية : هو عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب ، أبو محمد عالم بالتفسير ، مقرئ ، من أهل دمشق ، كان إمام مسجد باب الجابية ، المعروف في أيام الجزري بمسجد عطية نسبة إليه ، قيل كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن ، له تفسير ابن عطية ، ويميز عن ابن عطية الأندلسي " عبد الحق بن غالب " المفسر أيضاً بأن يقال له لصاحب الترجمة المتقدم ، ولعبد الحق المتأخر ، توفي سنة ٣٨٣هـ — انظر ، الأعلام : (٤ / ٢٣٩) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ٢٤٩) .

(٥) المرجع السابق : (٤ / ٢٥٠) .

(٦) المرجع السابق : (٤ / ٢٥٠) .

الدينوي فقط . قال الداوودي^(١) : "إنما كان يشاوره في أمر الحرب مما ليس فيه حكم ، لأن معرفة الحكم إنما تلتبس منه ، ومن زعم أنه كان يشاور في الأحكام فقد غفل غفلة عظيمة ، وأما في غير الأحكام فربما رأى غيره وسمع ما لم يسمعه ، أو يره ، على أنه لم يكن يشاورهم في الأحكام"^(٢) . " والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ، وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه ، فإن أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه ، إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب منه "^(٣) .

" والمشاورة تختلف باختلاف مواضعها ، فأمر السياسة يشاور فيها أهل الحل والعقد ، وأمر العلم والدين يشاور فيها أهل العلم والدين . والأمور الدينوية : يشاور فيها أهل الخبرة فيها والرأي ، بحسب أحوالها ، ولا بد في ذلك من قصد النصيح "^(٤) .

"وصفة المستشار إن كان في الأحكام ؛ أن يكون عالماً ديناً ، وقلماً يكون ذلك إلا في عاقل . وصفة المستشار إن كان في أمور الدنيا : أن يكون عاقلاً مجرباً واداً في المستشار "^(٥) . ويقرر الإسلام أن في إبداء الرأي أمانة ومسؤولية ، وأن على من يستشار أن يقول رأيه بصدق وإخلاص ، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال ﷺ : " المستشار مؤتمن "^(٦) . والاستشارة ليست عيباً أو عاراً في حق المستشار " ولا ينبغي أن يتصور أنه إن شاور في أمره ، ظهر للناس ضعف رأيه ، وفساد رويته ، حتى افتقر إلى رأي غيره ، فإن هذه معاذير النوكي ، وليس يراد للرأي للمباهاة به ، وإنما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز من الخطأ عند زلته ، وكيف يكون عاراً ما أدى إلى صواب "^(٧) .

" وإن النبي ﷺ طبق عملياً في حياته السليمة والحريية هذا المبدأ الكريم ، ونهج خلفاؤه

(١) الداوودي : محمد بن علي بن أحمد ، شمس الدين الداوودي المالكي ، شيخ أهل الحديث في عصره . مصري . من تلاميذ جلال الدين السيوطي . توفي بالقاهرة . له كتب منها : طبقات المفسرين . انظر ، الأعلام : (٧ / ١٨٤) ، سير أعلام النبلاء : (١٨ / ٢٢٢) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ٣٥٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ٢٥٢) .

(٤) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة . ص : ٧٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ٢٥٠ — ٢٥١) .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب : الأدب ، باب : المستشار مؤتمن : (٣ / ٣٢٢) ، حديث رقم : (٣٧٤٥) .

(٧) أدب الدنيا والدين . ص : ٢٩٢ .

من بعده ، وهم جميعاً قدوة ، والشورى خلق إنساني أصيل يزكي الأخلاق الإنسانية الأصيلة وإن الله سبحانه جعل هذا المبدأ في كتابه الكريم منهجاً لكل المسلمين في كل أمر من أمورهم^(١) . "امتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ فإن طاعة الله ورسوله خير سعادة ، ولو فرض أننا لم نشعر بفائدتها ، بل هذه الفائدة أعظم الفوائد وأساسها . إن المشاورة تنور الأفكار ، وتحلّ الاشتباه والإشكال ، وتبلغ الآمال"^(٢) . "إنها تقوي الألفة بين المسلمين ، وتوثق الروابط بين المتشاورين ، جماعات أو أفراداً ؛ لأن المتشاورين يشعرون أن مصلحتهم واحدة ، ومتى شعروا بارتباط المصالح قوية المحبة وتوثقت الصداقة"^(٣) . وتمكنت وحدة الجماعة .

وعندما وصل المسلمون إلى تبوك ، وحطّوا رحالهم ، ولم يجدوا جيوش الروم صالح ﷺ زعماء القبائل ، وبقوا في تبوك عشرين يوماً بلياليها .

ثم شاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم شمالاً من تبوك ، فقال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — : " إن كنت أمرت بالمسير فسر ، قال رسول الله ﷺ : لو أمرت به ما استشرتكم فيه ، فقال عمر : يارسول الله ، فإن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنوت منهم حيث ترى ، وقد أفرغهم دنوّك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى ، أو يحدث الله عز وجل لك في ذلك أمراً"^(٤) .

"ومن تسأول عمر بن الخطاب : إن كنت أمرت بالمسير فسر . جواباً يحدد نطاق الشورى العسكرية وغير العسكرية التي يجب أن تجرى فيها الشورى ، وهذا النطاق يكون في الأمور الدنيوية والدينية التي ليس مدارها الوحي التي لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة"^(٥) .

"وأخذ النبي ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب ، فلم يتجاوزها ، وانصرف من تبوك ولم يلق كيداً . "فالداعية إذا طبّق مبدأ الشورى مع المدعويين ، يتيح الفرصة لهم للتدريب على القيام بأعباء الدعوة ومهامها ؛ وذلك أن يشاركهم في التخطيط الدعوى ، وفي دراسة المشكلات

(١) بين العمل الفردي والعمل الجماعي . عبد الله علوان . ص : ١٠٧ — ١٠٨ ، دار السلام ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة . ص : ٧٤ — ٧٥ .

(٣) المرجع السابق . ص : ٧٥ .

(٤) المغازي . (٣ / ١٠١٩) .

(٥) الشورى في الإسلام . ص : ٩٢١ .

الدعوية ، وإبداء الآراء والمقترحات فيعطيهـم التفكير العلمي المنظم وتطبيق الطريقة العلمية لبحث المشكلات كلها" (١).

المطلب الثالث

أسلوب الحكمة

في اللغة :

جاءت الحكمة في اللغة بعدة معانٍ منها : " العدل أو العلم أو الحلم أو النبوة أو القرآن أو الإنجيل ، أو الفقه في الدين ، أو العمل به أو الخشية ، أو الفهم ، أو الورع أو العقل والتفكير في أوامر الله واتباعه ، وهو حكيم أي عدل حكيم " (٢) .

الحكمة في الاصطلاح :

" هي الإصابة في الأقوال والأفعال ، ووضع كل شيء في موضعه " (٣) .
والحكمة هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ، وفضل عظيم يمنحه لمن أراد. قال تعالى :
{ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الأبواب } (٤) .
" والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه ، وأكمل الخلق في هذا : الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وأكملهم أولو العزم ، وأكملهم محمد ﷺ . ولهذا امتن الله سبحانه وتعالى عليه ، وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة " (٥) . كما قال تعالى : { وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم } (٦) . وقال تعالى : { كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون } (٧) .

(١) المدخل إلى العقيدة و الإستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٣٤١ .

(٢) القاموس المحيط . ص : ١٤١٥ ، باب الميم ، فصل الحاء ، وانظر : لسان العرب : (١٢ / ١٤٠ - ١٤٥) مادة حكم .

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص : ٢٨ ، وانظر : مقومات الداعية الناجح ، ص : ٣٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٦٩) .

(٥) مدارج السالكين : (٢ / ٤٤٩) .

(٦) سورة النساء ، جزء من الآية : (١١٣) .

(٧) سورة البقرة ، الآية : (١٥١) .

" فأكمل الناس أوفرهم منها نصيباً ، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً والحكمة لها ثلاثة أركان ، العلم ، والحلم ، والأناة . وآفاتهما وأضدادها : الجهل ، والطيش ، والعجلة " (١) .

أنواع الحكمة :

الحكمة حكمتان ، علمية « نظرية » ، وعملية .
فالعلمية " النظرية " : " الاطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، خلقاً وأمرأ ، قدراً وشرعاً . والعملية : وهي وضع الشيء في موضعه " (٢) .
" وقد أعطى الله عزَّ وجلَّ أنبيائه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هذين النوعين .
قال تعالى في جميع الأنبياء : { ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا }
وهو الحكمة العلمية " النظرية " . ثم قال : { فاتقون } (٣) وهو الحكمة العملية " (٤) .

درجات الحكمة :

الدرجة الأولى : " أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حدّه ، ولا تعجله عن وقته ، ولا تؤخره عنه ، لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق ، تقتضيها شرعاً وقدراً . ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعداها . ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاثة ، بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره ولا تتعدى بها حدّها فتكون متعدياً مخالفاً للحكمة ، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة ، ولا تؤخرها عنه فتفوتها . وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعاً وقدراً ، فإضاعتها تعطيل للحكمة بمتزلة إضاعة البذر وسقي الأرض " (٥) .
الدرجة الثانية : " معرفة عدل الله في وعيده ، وإحسانه في وعده ، وعدله في أحكامه

(١) مدارج السالكين : (٤٤٩ / ٢) .

(٢) المرجع السابق : (٤٤٨ / ٢) .

(٣) سورة النحل ، الآية : (٢) .

(٤) مدارج السالكين : (٤٤٨ / ٢ - ٤٤٩) .

(٥) التفسير الكبير : (٦٧ / ٧) .

الشرعية والكونية الجارية على الخلائق ، فإنه لا ظلم فيها ولا وجود . قال تعالى : { إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها ويؤت من لدهن أجرأ عظيماً }^(١) . وكذلك معرفة بره في منعه ، فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه ولا يفيض ما في يمينه سعة عطائه ، فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته ، فما أعطى إلا بحكمته ولا منع إلا بحكمته ولا أضل إلا بحكمته^(٢) .

الدرجة الثالثة : البصيرة . والبصيرة : "الحجة والاستبصار في الشيء"^(٣) .

والبصيرة هي أعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر ، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة . وهي أعلى درجات العلماء^(٤) . قال تعالى : { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني }^(٥) .

" فقد أمر الله أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي"^(٦) .

والبصيرة في الدعوة إلى الله تكون في ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن يدعو الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه . « حتى يتمكن من التعليم على الوجه الصحيح فلا يزيغ في عقيدة ، ولا يخطئ في حكم ، ولا يعجز عن امتناع النفوس المستطلعة إلى معرفة أسرار الأحكام الشرعية ، فيكون الإذعان له أتم ، والقبول منه أكمل . فأما الجاهل فضالّ مضلّ وضره أقرب من نفعه ، وما يفسده أكثر مما يصلحه »^(٧) .

(١) سورة النساء ، الآية : (٤٠) .

(٢) مدارج السالكين : (٢ / ٤٥٠) .

(٣) مختار الصحاح . ص : ٢٢ .

(٤) مدارج السالكين : (٢ / ٤٥١) .

(٥) سورة يوسف ، جزء من الآية : (١٠٨) .

(٦) تفسير ابن كثير : (٢ / ٤٦٩ - ٤٩٧) .

(٧) هداية المرشدين . ص : ٨٨ .

الأمر الثاني : أن يكون على بصيرة في حال المدعو : « ويكون ذلك بعد معرفة المدعوين وإدراك أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية » ^(١) . والعلمية والاعتقادية .

الأمر الثالث : أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة . وقد رسم الله عزَّ وجلَّ طرق الدعوة ومسالكها في آيات كثيرة منها . قوله تعالى : { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة } ^(٢) . وهذه البصيرة متفرعة إلى ثلاثة أبواب وهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجِدال بالتي هي أحسن . قال تعالى : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } ^(٣)

والأمر الرابع : الدعوة إلى الله باستخدام القوة عند الحاجة إليها . كما قال تعالى : { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم } ^(٤) .

أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله:

تأتي أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في النواحي التالية :

- ١ — من اختيار الله عزَّ وجلَّ لنفسه اسم الحكيم ، وتكراره في القرآن الكريم ما يقارب من ثمانين مرة ^(٥) .
- ٢ — قد بيَّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى ، ويأتي في مقدمة هذه الطرق : الحكمة في الدعوة إلى الله — عزَّ وجلَّ — وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة ^(٦) ، فقال : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } ^(٧) .
- ٣ — أن من تتبع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلزم الحكمة في جميع أموره ، وخاصة في دعوته إلى الله عزَّ وجلَّ ، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى

(١) قواعد الدعوة إلى الله . ص : ١٣٦ .

(٢) سورة يوسف ، جزء من الآية : (١٠٨) .

(٣) سورة النحل ، جزء من الآية : (١٢٥) .

(٤) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : (٤٦) .

(٥) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٢٤٥ .

(٦) مقومات الداعية الناجح . ص : ٣٧ .

(٧) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة (١) ، فعن أنس — رضي الله عنه — قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فترل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست (٢) من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي ففرج بي " (٣)

وهذا يثبت أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى ، ويؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وشأنها كبير ، وقد قال تعالى : { ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً } (٤) . " فمن أوتيها أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ، ولا يعتدي الحدود ، وأوتي إدراك العلل والغايات ، فلا يضل في تقدير الأمور ؛ وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير متنوع الألوان " (٥) .

إن الحكمة مما يتحاسد عليه في الدنيا ، عن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه علىهلكته بالحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها " (٦) .

" ومن حكمة الرسول ﷺ أنه كان يعالج كل الطوائف بالحكمة البالغة والعظة النافذة في الأسلوب الذي يجعلها مألوفة للعقول خفيفة على القلوب ، فيدعوها بالبرهان الجلي ،

(١) مقومات الداعية الناجح . ص : ٣٧ .

(٢) طست : بفتح الطاء أو كسرهما ، بناء معروف ، وصفه بذلك لأنه آلة الغسل عزمًا ، وكان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة . انظر ، فتح الباري : (١ / ٥٤٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، ص : ٩٠ — ٩١ ، رقم الحديث : (٣٤٩) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وعرض الصلوات : (١ / ١٣١ — ١٣٣) ، رقم الحديث : (١٦٣) .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٦٩) .

(٥) في ظلال القرآن : (١ / ٣١٢) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : العلم ، باب : الاغتباط بالعلم والحكمة ، ص : ٣٣ ، حديث رقم : ٧٣ .

صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه : (١ / ٤٦٨) ، حديث رقم : (٨١) .

والحجة القاطعة طلاب الحقائق ، وهم خواص القوم ذوي النفوس القوية ، وبالخطابات المقنعة ذوي النفوس الضعيفة ، ويدعو المعاندين الجاهلين بالباطل بأحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين ، تلبية لأمر مولاه تعالى : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن }^(١) .

" وإن الدعوة بالحكمة من النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي يبينه الداعية لهم في كل مرة ، حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضاياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه"^(٢) .

" ويحيط إحاطة شاملة بمعرفة معتقدات القوم وأحوالهم ، وأن يبدأ بالأهم فالهم في دعوته ، ويتجنب الخلافات الفقهية ، وأن يقتصد في الموعظة بالمدعوين ويلاطفهم ويرفق بهم ، وأن يترل الناس منازلهم ، وأن يتمتع بالتجدد في الأساليب والوسائل الدعوية"^(٣) .
فكان صلوات الله وسلامه عليه يسلك الطرق الكفيلة بنجاح دعوته ، ويورد لكل مقام مقالاً يليق به ، ويخاطب كل طبقة بما يناسبها"^(٤) .

" والحكمة تجعل الداعية إلى الله يقدر الأمور قدرها فلا يُزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم ، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في ميسر الحاجة إلى تعلم الرضوء والصلاة"^(٥) .

وكان كل ما يصدر عن الرسول ﷺ من أقوال أو أفعال تدل دلالة واضحة على فيض حكمته . " وفي حديث ابن مالك — رضي الله عنه — وهو يصف فترة الهجر له ولصاحبيه ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، وأصبح الناس غير الناس من شدة مالا قوا في أيامهم

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥)

(٢) في ظلال القرآن: (٤ / ٢٢٠٤) .

(٣) للاستزادة . انظر : كيف يدعو الداعية . عبدالله علوان ، ص : ٤٦ — ١٥٤ . دار السلام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٦ .

(٤) هداية المرشدين . ص : ٣١ .

(٥) مقومات الداعية الناجح . ص : ٤٠ .

الخمسين ، والحكمة تبعاً لذلك لا يقتضي رحمتهم ، بل إن الحكمة تقتضي العلاج الحاسم لهم ولغيرهم ، ثم بعد ذلك وبعد نجاحهم في فترة التمحيص هذه نزل القرآن بالتوبة عليهم^(١) .
 "ونرى الرسول ﷺ في موقف آخر يعفو عن المنافقين الذين تخلفوا عن المنافقين ، عندما استمع إلى أعدائهم وقبلها ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وأجرى عليهم حكم الظاهر ، ولم يعاقبهم بما لا يعلم من سرهم . ثم يعفو عن المنافقين الذين تعمدوا قتله أو استهزؤا بآيات الله ورسوله ولم يقتلهم ﷺ؛ لأن في ترك قتلهم في حياته ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب عليه وجمع كلمة الناس عليه ، وكان في قتلهم تنفير الإسلام بعد غربة ، ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس وأترك على شيء لما ينفروهم عن الدخول في طاعته"^(٢) .

وفي حديث كعب بعد نزول توبة الله عليه وعلى صاحبيه — رضي الله عنهم — أحب كعب أن يتصدق بماله كله لله ، حيث قال : قلت يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . قال رسول الله ﷺ : " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك"^(٣) . فالرسول ﷺ منع كعباً من أن يتصدق بماله كله . " وما منعه من الصدقة بما زاد على الثلث، فهو إشارة عليه بالأرفق ، وما يحصل له به منفعة دينه ودنياه ، فإنه لو مكنته من إخراج ماله كله لم يصير على الفقر والعدم"^(٤) .

وفي حديث كعب — رضي الله عنه — "عندما بلغ الرسول ﷺ تبوك وهو جالس في القوم . قال: ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه ، فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلاّ خيراً فسكت رسول الله ﷺ"^(٥) . ففي هذا الحديث نجد أنه تضمن رجلين أحدهما نال من كعب فلم يذكر اسمه ، بل قيل : رجل من بني سلمة ، أما الذي أثنى على كعب ودافع عنه فلا يكفي أن يقال رجل ، بل سُمِّيَ ونُسب فهو معاذ بن جبل — رضي الله عنه — ، وهذا ليس من

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله ، د . زيد بن عبد الكريم الزيد ، ص : ٩٢ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

(٢) زاد المعاد : (٣ / ٤٩٧) .

(٣) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

(٤) المرجع السابق : (٣ / ٥١٥) .

(٥) سبق تخريجه ، ص : ٥٩-٦٤ .

قبيل المصادفة وهو التصريح والتلميح بالأسماء ، بل هو منهج يسير عليه الداعية الحكيم^(١) .

يقول ابن حجر — رحمه الله تعالى — وهو يتحدث عن حديث الذين يعذبان في قبورهما : " لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما ، والظاهر أن ذلك كان عن عمد من الرواة لقصد الستر عليهم ، وهو عمل مستحسن ، وينبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يُدَمَّ به "^(٢) .

" فمنهج الدعوة النقد وتقوم الأخطاء وليس المقصود تجريح الأشخاص وتصحيح الخطأ ولكن تنبيه المخطئ حتى لا يقع في مثل خطئه "^(٣) .

" فالحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تقتضي التصريح في وقت يكون التصريح أعظم فائدة ولا يتسبب في نتائج عكسية مضرّة ، وإلا فالتلميح يحقن المصالح ، ويدراً المفسد، ويدل على الحكمة والرشاد ، ويحمي الأعراض ، ويصون النفوس عن التجريح. "^(٤)

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك ولم يجد جيوش الروم ، لم يرجع إلى المدينة وحسب ؛ بل كان من حكمته ﷺ أن استغل هذا الوقت ومضى يصالح القبائل المجاورة . حتى أعطوه الجزية ، وكتب لهم كتاباً فهو عندهم ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة . فكانت الحكمة تقتضي ما حصل يومئذ . حيث " أوقفوا تطاول العدو لثلا يتعال على المسلمين ، فإذا خضع وأعطى الجزية عن يد وهو صاغر ، لم يمسه المسلمون بأذى ، ما لم يحدث حدثاً ، فإذا خان وغدر فلا يحول ماله دون نفسه ، بل ينال عقابه الذي يستحق "^(٥) .

وأيضاً يلاحظ الأساليب الحكيمية في مراعاة الرسول ﷺ لأحوال الناس ، واختلاف عقولهم ومداركهم حيث مخاطبهم على حسب عقولهم ، ومدركاتهم ، ومن ذلك الإيجاز إذا

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى . ص : ١١٢ ، انظر : تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . ص :

٢٣ — ٢٤ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : (١ / ٣٢٠) .

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله . ص : ١١٧ ، وانظر : تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . ص : ٣٤ .

(٤) المرجع السابق . ص : ١١٤ .

(٥) الحكمة وأثرها في الدعوة لله ، علي أحمد مشاعل ، ص : ١٦٧ ، بحث السنة النهائية بمرحلة الماجستير ، المعهد العالي

للدعوة الإسلامية ، قسم الدعوة والاحتساب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ — ١٤٠٤هـ .

اقتضى الحال ، وهو كما يلاحظ في كتبه ﷺ للملوك والأمراء .

وإهداء الرسول ملك أيلة هدية وقبوله ﷺ هديته وهدية يحنة بن رؤبة، من باب الحكمة ، تأليفاً لقلوبهما لأن في إسلامهما إسلام لقومهما ، بإذن الله ، وفي ضلاله ضلال لهم ومن حكمة الرسول ﷺ إعداده الجيش وخروجه لمواجهة الروم ، فهو ﷺ لا ينتظر أن يُغزى في دياره ، بل أعد عدته لمواجهة الروم ؛ لأن المهجوم يمنح المهاجم ورجاله قوة قتالية هائلة ، وحماسة عالية ، لها تأثير مضاد على قوى العدو حتى يتمكن من نشر الدعوة الإسلامية في البلاد الشامية .

ومن حكمة الرسول ﷺ تجهيزه الجيش وتدعيمه للمواجهة بالبذل الكافي من الرجال وعدة السلاح والعتاد ، ولذلك ندب الرسول ﷺ المسلمين لإعداد الجيش .
من حكمة الرسول ﷺ أيضاً إفصاحه عن وجهة سفرة إلى تبوك خلافاً على عادته ، حيث كان يكتفي عن وجهته في كل غزواته ، إلا ما حصل من تبوك ، حتى يتسنى الإعداد اللازم لذلك نظراً لطول الطريق ومشقته ، وشدة الحر ، والجوع والعطش ، ولأن الناس في ذلك الوقت كانت ثمارهم قد طابت وهم يجبون المقام في ديارهم يحمون ثمارهم وحرثهم وغلالمهم ومن حكمة الرسول ﷺ أن أذن للمنافقين أن يبقوا بالمدينة لا سيما وأنهم لو خرجوا معهم لسعوا بالفتنة بين صفوف الجيش .

" والمآمل في حكمة النبي ﷺ في سيرته العطرة ، يلحظ أن بعضها يراد منه إعداد الدعاة ، وبعضها يراد منه حماية الأمة وصيانتها ، وبعضها يراد إسلام المدعوين ، وهكذا يلتقي القصد في الجميع على إرادة الخير وانتشار الدعوة وإنقاذ الناس " (١) .

" وبالتالي كل من أراد أن يسلك سبيل الله بالدعوة إليه يُقدّم أسلوب الحكمة فهو أسلوب الرسول ﷺ فإن لم يستطع الداعية استخدام هذا الأسلوب الدعوي لنقص في بعض مقتضياته، أو لأنه لم يتعود ، فيجتهد في التفقه والتعامل به ، وبالإكثار من النظر في كتاب الله وسنة رسوله ، وتفهم أحداث السيرة واكتساب الحكمة من أفعال الحكماء وأوصافهم كالعلم النافع والحلم والأناة والإخلاص والتقوى والصدق والصبر ، ليحملوا أعباء الدعوة

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر . ص : ١٦٤ .

بأمانة ، حتى يسروا معهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح" (١).

"فالداعية الحكيم يسير بعقل ناضج ، وفكر ناب ، يعرف مداخل الأمور ومخارجها ، يحسب خطواته ويراقبها ، فإذا زلت قدمه أو عثر لسانه سارع إلى الصواب ، ولا يترك خطأه دون دراسة وتمحيص للاستفادة منه ، فيحصل له من ذلك خيرة وعلم بواقع الحياة وفراسة وبصيرة بالنفوس" (٢) .

المطلب الرابع :

أسلوب طاعة أولي الأمر

الطاعة لغة :

الطاعة من الطوع : والطوع : " الانقياد . وفضاده . الكره " (٣) .

في الاصطلاح :

الطاعة : " هي الإتيان بالمأمور به والانتهاز عن المنهي عنه " (٤) .

وحقيقة الطاعة : " امتثال الأمر ، كما أن المعصية ضدها ، وهي مخالفة الأمر ، والطاعة مأخوذة من أطاع إذا انقاد ، والمعصية مأخوذة من عصي إذا اشتد " (٥) .

" والمراد بأولي الأمر : هم أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس ، ولذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، وأهل العلم والكلام ، ويدخل فيهم الملوك والمشايخ ، وأهل الديوان وكل من كان متبوعاً فإنه من أولي الأمر " (٦) .

فأولي الأمر : من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء ، وهذا قول جماهير السلف والخلف ،

(١) الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله . ص : ١٦٧ .

(٢) الدعوة الإسلامية الرسالة ، أهداف ، الوسيلة . ص : ١٠٤ — ١٠٥ .

(٣) المفردات في غريب القرآن . ص : ٣١٠ ، مادة طوع .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ١٢٠) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : (٥ / ٢٦١) .

(٦) الحسبة في الإسلام . ص : ١٨٥ ، ابن تيمية ، المؤسسة السعيدية ، الرياض : ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

من المفسرين والفقهاء ، وغيرهم . وقيل : هم العلماء : وقيل : هم الأمراء والعلماء^(١) .
قال ابن كثير — رحمه الله — : " والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من
الأمراء والعلماء "^(٢) إذا المقصود بأولي الأمر : " أصحاب التصرف في شأن الأمة والذين
يملكون زمام الأمور ويدهم قيادة الأمة "^(٣) .

" والطاعة لها معنى ديني ، ينصرف إلى الإلتزام بأوامر الله تعالى ، ولها معنى أخلاقي ،
وهو التقيد بالواجب ، ومجاوبة من يدعو إليه باستمرار ، وبهذا المعنى تصير الطاعة خلقاً ،
وتصبح فضيلة من فضائل القرآن الكريم ، لأنها تثمر المبادرة إلى الاستجابة ، ولقد ذكر
القرآن الكريم عن مادة الطاعة في أكثر مائة موضع ، وجعلها الحق جلّ جلاله صفة بارزة من
صفات المؤمنين "^(٤) .

ولقد تكرر في التزليل المجيد الحديث عن طاعة الله ورسوله ؛ لأن طاعة الله هي
الأساس ، وطاعة الرسول من طاعة الله . قال تعالى : { ومن يطع الرسول فقد أطاع الله }^(٥) .

وطاعة أولي الأمر بعد طاعة الله ورسوله . قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن
تأويلاً }^(٦) .

" فطاعة الله عز وجل أولاً ، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ثم بطاعة رسوله ثانياً
فيما أمر به ونهى عنه ، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً ؛ على قول الجمهور "^(٧) .

وقد أمر الرسول ﷺ بطاعة الأمير مهما كان لونه وهيئته ، فقد جاء عن أنس بن
مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم

(١) شرح النووي بشرح صحيح مسلم : (١٢ / ٣٧٦) .

(٢) تفسير ابن كثير : (٥١٩ / ١) .

(٣) طاعة أولي الأمر . عبدالله الطريقي : ص ١٢ ، دار المسلم ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(٤) موسوعة أخلاق القرآن : (٥ / ٢٠٥) .

(٥) سورة النساء ، جزء من الآية : (٦٩) .

(٦) سورة النساء ، الآية : (٥٩) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : (٥ / ٢٥٩) .

عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" (١).

قال ابن حجر — رحمه الله تعالى — : " رأسه زبيبة ، هو تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها ، وأطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة وإن كان لا يتصور شرعاً أن يلي ذلك" (٢).

والمراد هنا : " أطيعوا الأمير مهما كان لونه ووضعه، وهيئته وغناه، وبشاعة صورته وعدم الاعتداد بها" (٣).

وعن أبي ذر — رضي الله عنه — قال : " إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدّع الأطراف" (٤).

وعن يحيى بن حصين قال : سمعت جدي تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يخاطب في حجة الوداع ، وهو يقول : " ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا" (٥).

وتعتبر طاعة ولي الأمر فرعاً من طاعة الله ورسوله :

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال النبي ﷺ : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جنة يُقاتل من ورائه ويتقى به" (٦).

قال ابن حجر — رحمه الله تعالى — : " وفي الحديث وجوب طاعة ولاية الأمور ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب : الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . ص : ١٥٠٤ ، حديث رقم : (٧١٤٢) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ١٣١) . بتصرف .

(٣) النظام السياسي في الإسلام . ص : ٦٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . (٣ / ١١٦٥) ، حديث رقم : (١٨٣٤) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . (٣ / ١١٦٧) ، حديث رقم : (١٨٣٨) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : يقاتل من وراء الإمام ، ويتقى به ، ص : ٦٢٣ ، حديث رقم : (٢٩٥٧) . صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية : (٣ / ١١٦٥) ، حديث رقم : (١٨٣٥) .

وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية" (١). " ولم يقل سبحانه وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم ؛ بل جعل طاعة أولي الأمر داخلية في طاعة الرسول ، وطاعة الرسول طاعة الله ، وأعاد الفعل في (طاعة الرسول) دون (طاعة أولي الأمر) ؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فليس لأحد إذا أمره الرسول بأمر أن ينظر هل أمر الله به أم لا ، بخلاف أولي الأمر فإنهم قد يأمرون بمعصية الله ، فليس كل من أطاعهم مطيعاً لله ، بل لا بد فيما يأمرون به أن يعلم أنه ليس بمعصية لله ، وينظر هل أمر الله به أم لا ، سواء كان أولي الأمر من العلماء أو الأمراء. " (٢)

وعن ابن عمر — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (٣).
عن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه — قال : " دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في ، منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان " (٤).
قال الخطابي (٥) — رحمه الله — : معنى قوله (بواحاً) : " يريد ظاهراً بادياً من قولهم باح الشيء يباح بواحاً وبواحاً ؛ إذا أذاعه وأظهره " (٦).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ١٢٠) .

(٢) مجموع الفتاوى : (١٠ / ٢٦٦) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية : (٣ / ١١٦٧) ، حديث رقم : (١٧٣٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في قوله تعالى : { وأقموا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة } . ص : ١٤٩٠ ، حديث رقم : (٧٠٥٦) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية : (٣ / ١١٦٦) ، حديث رقم : (٧١٣٦) .

(٥) الخطابي : هو الإمام العلامة المفيد الرحال أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف ، أقام مدة بنيسابور يصنف ، فعمل : غريب الحديث ، وكتاب معالم السنن ، وكتاب شرح الأسماء الحسنى ، وكتاب العزلة وكتاب الغنية عن الكلام وأهله ، وغير ذلك ، وكان ثقة ثباتاً من أوعية العلم أخذ يتعلم اللغة والفقه ، وله شعر جيد ، توفي ببست ، في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة . انظر ، تذكرة الحفاظ : (٣ / ١٠١٨ — ١٠٢٠) .

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ١٠ — ١١) .

وقال النووي — رحمه الله — : « المراد بالكفر هنا ؛ المعصية ، ومعنى الحديث : لا تتنازعو ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم كفراً ، محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقلوا الحق حيث كنتم ، انتهى . وقال غيره : المراد بالإثم هنا : المعصية والكفر ، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر ، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية »^(١).

أهمية طاعة أولي الأمر:

يمكن إجمال أهمية الطاعة في النقاط الآتية :

- « المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد »^(٢) . عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »^(٣) .
- " أن يستعينوا بها على إظهار دينهم وطاعة ربهم " ^(٤) .
- " أن فيها سعادة الدنيا ، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم " ^(٥) .
- أن من فارق الجماعة فمات ، فإنه يموت ميتة الجاهلية ، عن ابن عباس — رضي الله عنهما — عن النبي ﷺ قال : " من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً ، فمات مات ميتة جاهلية " ^(٦) .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (١٣ / ١٢٠) .

(٢) المرجع السابق : (١٣ / ١٢٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الأفضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة : (٣ / ١٠٨٠) ، حديث رقم : (١٧١٥) .

(٤) جامع العلوم والحكم . ص : ٣١٨ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٣١٨ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في قول الله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ، ص :

ولهذا كان من أصول مذهب أهل السنة والجماعة : " أننا لا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا نترع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضةً . ما لم يأمرنا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافة" (١) .
وعن تميم الداري — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال : " الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (٢) .

"فأما نصيحة أئمة المسلمين فتكون : بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبئهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألّف قلوب الناس لطاعتهم" (٣) . " وحب صلاحهم ، ورشدهم ، وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكرامة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم ، وحب إغرازهم في طاعة الله عز وجل " (٤) .
" والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج إليهم بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغفروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح " (٥) .

عندما نادى الرسول ﷺ بالجهاد ، واستنفر المؤمنين لذلك ، أطاعوا الرسول ﷺ وهبوا لنداء الجهاد ؛ "لأن المؤمن الصادق ، ولا سيما جندي الجهاد في سبيل الله ، لا بد أن تتأصل الطاعة في نفسه ، مثل الإيمان . فالطاعة دليل الإيمان ، ولا يمكن أن يوجد جيش لأي أمة يُحقّق لها أهدافها إذا لم تتوفر في أفرادها الطاعة" (٦) ، ولذلك فالمنافقون لم يستجيبوا لنداء الرسول ﷺ بالجهاد وتعللوا بالعلل الكاذبة للعود ، فحرموا من طاعة الرسول ﷺ وعصوه ، وحرّموا من

-- صحيح مسلم ، كتاب : الإمارة ، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن : (١١٧٣ / ٣) ، حديث رقم : (١٨٤٩) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الحنفي ، ص : ٣٨١ ، المكتب الإسلامي .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أن الدين النصيحة : (١ / ٧٥) ، حديث رقم : (٥٥) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : (٢ / ٢٢٩) .

(٤) جامع العلوم والحكم . ص : ٩٧ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : (٢ / ٢٢٩) .

(٦) الجهاد في سبيل الله . حقيقته وغايته : (٢ / ٦٦) .

شرف صحبته ﷺ وحرموا من الأجر العظيم للجهاد بمخالفتهم أوامر الرسول ﷺ .
وعندما دعا الرسول ﷺ المسلمين بالإنفاق في سبيل الله على الجيش الغازي لى
المسلمون النداء ، واستجابوا للأوامر النبوية ، فقدّم كلاً منهم حسب استطاعته غنيهم
وفقيرهم . حتى أنفق عثمان — رضي الله عنه — ثلث نفقة الجيش .
وقد حدث في أثناء الطريق للغزوة بعض المخالفات لأوامر الرسول ﷺ عندما أوشك
الجيش على الاقتراب من تبوك حيث أمرهم ﷺ ألا يمَسُّوا من مائها شيئاً حتى يأتي " فلما
جاءوها سبقهم إليها رجالان والعين مثل الشراك تبصّ بشيء من ماء ، فسألها رسول الله
ﷺ: هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم فسبَّهما النبي وقال لهما ما شاء الله أن
يقول" (١) .

وعندما قدموا وادي القرى . قال ﷺ : " ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم
منكم أحد ، فمن كان له بعير فليشد عقاله ، فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح
حتى ألقته بجبلي طيء" (٢) .

" وعندما وصل الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة ، قدم إليه المنافقون وكذبوا في
أعدارهم في التخلف ولم يكذب كعب — رضي الله عنه — كما كذب عليه غيره من
المنافقين . وأمر الرسول ﷺ باجتنابه واجتناب صاحبيه الذين صدقا مثلما صدق فهجروهم
الناس مدة خمسين ليلة ، فلا مخلوق يفتح فمه بكلمة ، ولا مخلوق يلتقى كعب بن مالك ولا
مخلوق يأخذ منه أو يعطي" (٣) . وهذا الصدد يقول سيد قطب — رحمه الله تعالى — : " ثم
تلحظ كيف تكاتف المجتمع بكامله وامتثلوا للأمر الموجه إليهم فلا يكلم هؤلاء الثلاثة ،
وتسكروا له إنه مجتمع السمع والطاعة لولاة الأمر في السر والعلن ، لتؤدي أوامر ولي الأمر
ثمرتها ونتيجتها ، والغاية المقصودة منها" (٤) .

وأمر الرسول ﷺ الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم فأطاعوه ، وأمر كعب امرأته أن تلحق

(١) سبق تخريجه، ص : ٤٥ .

(٢) سبق تخريجه . ص : ٤٩-٥٠ .

(٣) الولاء والبراء في علاقة المسلم بغير المسلم — عبد الله الطريقي ، ص : ١٩٦ ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١١هـ .

(٤) في ظلال القرآن : (٢ / ٧٠٤) .

بأهلها على الرغم من وحشته لهجر الناس كلهم له ، كما أن كعب — رضي الله عنه — الذي بعث إليه ملك غسان يدعو له للحاق به لمواساته مما حصل له من الهجر فسجر كتابه في التنور ، من أجل طاعة الله ورسوله .

وقد امتثل أصحابه رضوان الله عليهم ذلك في حياته وبعد مماته فكانوا أسرع الناس إلى طاعة الأمر فيما ليس بمعصية ، وأشد الناس إباءً فيما فيه معصية .

" لقد كان درس الطاعة من أول الدروس التي حرص عليها القرآن الكريم ؛ ذلك لأن الشرع الحكيم أراد أن يجعل الطاعة منهجاً وسلوكاً ، فلا يتم أمر من أمور الدعوة بغير الطاعة ، ولا يبني لها بناء إلا بالطاعة ، وقد قامت بيعة الأنصار ليلة العقبة على السمع والطاعة " (١) . ولذلك فإن الطاعة من المدعو للداعية في غير معصية من ضرورات العمل في الدعوة؛ لأن الداعية إلى الله يأخذ دائماً بيد المدعو من خير إلى خير ويرتقي به في مدارج الوصول إلى الله من درجة إلى درجة ، ويفتح له من طرق الهداية طريقاً وراء طريق ، ويجب إليه الإيمان وأسبابه ويواعد بينه وبين المعصية بكل وسيلة متاحة " (٢) .

وإذا كان الدعاة قدوة للمسلمين في السمع والطاعة لولاة الأمر من غير معصية ، يتعلم المدعوون منهم ذلك الأمر ، فيتربون على السمع والطاعة ، ويتحقق سعادة الدين والدنيا .

المطلب الخامس

أسلوب التخطيط :

في اللغة :

" التخطيط مصدر خطط يخطط ، أي وضع خطة ، والخطة : الأمر أو الحالة " .
ويستعمل التخطيط مما يقارب معنى التنظيم ، يقال نظم الأشياء : ألّفها وضمّ بعضها إلى بعض ، ويقال نظم أمره " (٣) .

(١) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم ، د . محمد إبراهيم نصر ، ص : ٩١ ، منشورات مؤسسة دار الأصالة ، الرياض .

(٢) فقه الدعوة الفردية . ص : ٢٠٩ .

(٣) المعجم الوسيط : (١ / ٢٤٣) .

اصطلاحاً :

« هو عملية تنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل »^(١) .
 أو « وضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية والإنتاجية للدولة وغيرها »^(٢) .
 والتخطيط للدعوة : "يراد به وضع الخطط والنظم لها ، ويقابله : الفوضى والارتجالية فيها .
 وقد يكون التخطيط كاملاً أو قاصراً ، متقناً أو غير متقن »^(٣) .
 ولأهمية التخطيط في الدعوة جعل الله لكل أمة شرعة ومنهاجاً تسير عليه . قال تعالى :
 { لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً }^(٤) . « والمنهاج هو الطريق الواضح ، والخطة والنظام »^(٥) .
 « ولقد اهتم الله سبحانه وتعالى بالتخطيط باعتباره مظهراً من مظاهر العلم الذي كان
 نزول أول آية في القرآن الكريم به أعظم دليل على تقدير الإسلام للعلم وأهله »^(٦) .
 " والإسلام ينظم حياة المسلمين في كل ميدان ، فلا يصدر منهم من عمل إلا وفقاً
 لتنظيم وتخطيط ، فمثلاً في حالة الحرب ؛ أمر الله بإعداد العدة له . قال تعالى : { وأعدوا لهم ما
 استطعتم من قوة }^(٧) .

وقد بين جلّ جلاله للمسلمين كيف يقيمون الصلاة في ميدان المعركة بصورة تجعلهم
 يؤدون فريضة الله ، ويحافظون في الوقت نفسه على سلامتهم ، وهم يجاهدون أعداءهم
 لإعلاء كلمة الحق ، مما يتضح من قول الله تعالى : { وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم
 معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
 وأسلحتهم }^(٨) . وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً }^(٩) .

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ١٠٦ .

(٢) المعجم الوسيط : (١ / ٢٤٤) .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٠٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : (٤٨) .

(٥) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٠٧ .

(٦) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ١٠٦ .

(٧) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٨) سورة النساء ، جزء من الآية : (١٠٢) .

(٩) سورة النساء ، الآية : (٧١) .

قال سيد قطب — رحمه الله تعالى — : « إنما الوصية للذين آمنوا من القيادة العليا التي ترسم المنهج وتبين لهم الطريق ، وإن الإنسان ليعجب وهو يراجع القرآن الكريم ، فيجد هذا الكتاب يرسم للمسلمين الخطة العامة للمعركة ، وهو ما يعرف باسم « استراتيجية التكتيك »^(١). وقال تعالى يحكى عن قصة يوسف — عليه السلام — المستقبلية: { قال نزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قد تم لمن إلا قليلاً ما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس وفيه يعصرون }^(٢).

وفي الأحاديث النبوية ، ما يحث على التخطيط للحياة العملية :
عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : " كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله . في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا"^(٣).

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً — رضي الله عنه على اليمن قال : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم : أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم ، وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس"^(٤).

"والرسول ﷺ قد وضع التخطيط في سيرته ﷺ منذ بدء دعوته وفقاً لتخطيط بديع محكم حتى مكّن لدين الله ورفع رايته ، ونشر نوره ، فسار — صلوات الله وسلامه عليه —

(١) في ظلال القرآن : (٧٠٤ / ٢) .

(٢) سورة يوسف ، الآيات : (٤٧ — ٤٩) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام على البعث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها . (٣ /

١٠٩١ — ١٠٩٢) ، رقم الحديث : (١٧٣١) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب : الزكاة ، باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ص : ٣٠٨ ، رقم الحديث : (

١٤٥٨) .

صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام : (١ / ٥٦) ، رقم الحديث : (١٩) .

بأصحابه في مكة من دعوة سرية إلى دعوة جهرية ، ومن إقامة إلى هجرة في سبيل الله ، ومن صبر على الأذى إلى قتال للعدو ورد لعدوانه ، ثم غزوه في عقر داره" (١).

"وهكذا وضع الرسول ﷺ لكل عهد خطته المناسبة له مراعيًا في ذلك حال الدعوة والمدعويين من حوله ، وموازنًا بين الإمكانيات والواجبات ، ناظرًا في ذلك إلى المصالح القريبة والبعيدة للدعوة . وقد نفذ كل خطوة خطوة ، بعيداً عن الاستعجال ، متجرداً عن الرغبات والعواطف متجاوزاً لضغوط من حوله ومتجاهلاً لها ، حتى مكثه الله من الوصول بدعوته إلى أهدافها ، فأقام حكم الله في الأرض ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأفضل خطط أعدائه وأبطل مكرهم . كما وجه أصحابه لمتابعة الخطة ، والتزام طريقته وسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده" (٢).

"ولا شك أن وضع الخطط جزء من الأخذ بالأسباب ، وضرب من السنن في مواجهة الأعداء ، وطريق سالك في الوصول إلى العزة والسيادة . وهو الاتجاه الشرعي الصحيح لكونه يدخل في قاعدة قوله تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة } (٣) . ويدخل في نطاق الوسائل المشروعة للوصول إلى الأهداف المشروعة ، ويدخل في نطاق السنن التي رسمها النبي ﷺ لأمته في سلمه وحربه ، وفي أمره بأخذها بعالم الأسباب ، ليستطيع المسلمون أن يواجهوا بها الطواغيت بالأعداء" (٤).

"ويدخل في المنهجية التي خطها الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان للوصول إلى السيادة والمجد في مواقفهم السياسية ، وبراعتهم العسكرية ، وحنكتهم القيادية ، وتخطيطهم المستقبلية ، وتفهمهم لطبائع الظروف ، وحقيقة الواقع . ويدخل في منطقية المعقول والمنقول اللذين تضافرا وتعانقا في دعوة القادة والدعاة ورجال الإصلاح إلى الأخذ بالأسباب ، وتعاطي سنن النصر ، إلى أنه تتم للمسلمين عزتهم ، وتحقق لهم في كل مكان سيادتهم" (٥).

(١) الدعوة إلى الله على بصيرة . ص : ٢٩٠ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة . ص : ٣٠٧ .

(٣) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٤) بين العمل الفردي والعمل الجماعي . ص : ١٢١ - ١٢٢ .

(٥) المرجع السابق . ص : ١٢٢ .

"إذاً هناك غاية يجب أن يتشبث بها الإنسان المسلم ، ويضعها نصب عينيه ، وهناك هدف أو أهداف يريد أن يصل إليها في حياته ، وهناك وسائل تربيته يحتاجها ليحقق بها كلاً من الغاية والهدف ، علماً بأن هناك أهدافاً بعيدة المدى وأهدافاً مرحلية قريبة المدى ، وأن الهدف المرحلي قد يكون غاية في تلك الفترة مثل الخطط الخمسية"^(١).

"ووضع الخطة لأي عمل هو عنصر من أهم العناصر التي يتم توافرها لهذا العمل فقد يكون العمل على مستوى الفرد ، وقد يكون على مستوى البيت والأسرة ، وقد يكون على المستوى الحربي ، أو الاقتصاد للدولة في جميع الأحوال ، تكون درجة نجاح العمل مرتبطة بدرجة سلامة الخطة ، وسلامة الدراسة والمعلومات التي بنيت عليها"^(٢).

أهمية التخطيط:

"التخطيط ليس مضيعة للوقت مهما بذل فيه من جهد ، بل أنه على العكس ؛ ذلك يوفر الوقت الكثير الذي يمكن أن يضع في حالة مواجهة مواقف دون وجود خطة لمواجهةها وما يحمله من ارتباك وتردد قد يؤدي إلى تدمير العمل كله ، أو تقليل فرصة نجاحه . كذلك فإن وضع الخطة هو الضمان الوحيد للاستمرار ، فمادام الأشخاص يتغيرون ولا يدومون ، فإن الخطة تضمن استمرار البقاء والتقدم كما تؤكد فاعلية الجهود ، وتوجيهها في الاتجاه السليم وتحقيق أقصى الاستفادة منها"^(٣).

لقد كانت غزوة تبوك تسير في مراحلها ، وفق مخطط مرسوم ومدروس من جميع

النواحي ، ومنها:

التخطيط للجهاد : التخطيط للجهاد أمر لا بد منه للجيش ، لضمان نشر الدعوة وتوسعتها واستمرارها ، ويكون ذلك بالتخطيط الجيد المسبق قبل القتال ، أخذاً بالأسباب ، حتى يتجنب الجيش الهزيمة بإذن الله . "وقد كانت غزوة تبوك نموذجاً للتخطيط في الجهاد ، سواء من حيث خروج المسلمين من المدينة للدفاع عن الإسلام ، والهجوم على الأعداء قبل الاعتداء عليهم ، وفي الإعداد للغزوة من جميع النواحي ببذل كافة الجهود والمساعدات لهذا

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ٣٣ .

(٢) الأساليب الإدارية في الإسلام . مراد محمد علي . ص : ١٥ . دار الاعتصام .

(٣) المرجع السابق . ص : ١٥ .

الجيش ، وفي توزيع الرايات والألوية وتسليمها إلى رجال هم أهل لحمل عبئها . حتى أصبح لدى الجيش الإسلامي عقيدة بأنه في إمكانهم محاربة الروم والتغلب والقضاء على جيوشهم هناك" (١) .

الاستنفار للقتال : استنفر الرسول ﷺ للجهاد أهل المدينة واستنفر باقي القبائل ، وذلك لعلمه المحقق بخطر الروم .

إعلان وجهة القتال : عندما أمر النبي ﷺ بإنجاز الاستعدادات لقتال الروم ، لم يكتف وجهته في هذه الغزوة كما كان يفعل في كل غزواته مباغته عدوه قبل أن يتهيأ ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، لما كان في ذلك الوقت من الحر الشديد والسفر البعيد ، فأعلمهم ليتأهبوا لذلك من زاد وسلاح وراحلة .

التخطيط للمباغنة : " ولقد طبّق الرسول ﷺ مبدأ المباغنة بكل حالاته في المكان والزمان والأسلوب حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغنة ، وكان ﷺ يحرص على كتمان نيته حرصاً شديداً ، ومبدأ المباغنة الذي طبّقه الرسول ﷺ كان دفاعاً عن الإسلام ، وحماية للدين وحرصاً على نشره ، ولغرض إقرار السلام ، وحرصاً على حرية النشر" (٢) .

الهجوم : "الهجوم على بلاد العدو يمنح المهاجم ورجاله روحاً قتالية وشجاعة في القتال ، وممارسة في مواجهة العدو ، ورغبة في تدمير قواه وإلحاق الهزيمة به ، وهو في ذات الوقت له تأثير مضاد على قوى العدو المعنوية ، إذ تتعرض هذه القوى لهزات قد يكون لها أثر مباشراً على سير القتال . والقتال على حدود بلاد الشام يكسب المسلمين عمقاً استراتيجياً يستغل

(١) الاصطفي في سيرة المصطفى . محمد نيهان الحجاز . ص : ١٥٠ ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ط ١ ، ١٤٠٦

— ١٩٨٦ م —

(٢) الرسول القائد . ص : ٤٥٠ .

لصالحهم في حالة تفوق العدو ، فيمكنهم من الارتداد إلى الخلف لمسافات مناسبة لإعادة تنظيم وتنسيق القوات ثم القيام بهجوم مضاد"^(١).

مبدأ التخطيط الاقتصادي : " يحقق التخطيط الاقتصادي أفضل النتائج في إعداد الأمة للحرب ، إذ مقتضى التكليف بالجهاد بالمال أن يكون المال مال الأمة ، وهي تحارب للدفع العدوان ؛ ومن ثم فإن التخطيط الاقتصادي يكفل توجيه المال نحو الأهداف المنشودة لصالح الدفاع عن الأمة وأمنها"^(٢).

" وبالتالي آمن الرسول ﷺ مبدأ التعاون في غزواته ، وذلك بإعطاء كل فرد سلاح يناسبه في الوقت أو المكان الملائمين ، وبذلك أمن تسهيل مهمة الجميع للوصول إلى النجاح المطلوب ، كما أمن تعاون المسلمين من مختلف القبائل لا مثيل له في شبه الجزيرة العربية من قبل"^(٣).

مبدأ حشد القوة : " إن الرسول ﷺ طبق مبدأ الحشد في كل غزواته ، ولم يتردد أبداً في حشد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها"^(٤) فكان المسلمون كلهم جنوداً ، وكانت أمواتهم كلها لإمداد هؤلاء الجنود حتى عُدَّ جيش تبوك أكبر جيش في غزوات الرسول ﷺ .

توزيع المسؤوليات : وذلك بحسن اختيار الرسول ﷺ لأفضل الكفاءات وملاءمتهم للمهمة ، ومن ذلك سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ، واختياره أفضل القواد لحملة الألوية والرايات ، وحسن استخلافه على المدينة ، وعلى أهله ، وحسن اختياره أيضاً المرسلين إلى الملوك .

إعداد الدعاة : "وذلك بغرس أهمية التخطيط ؛ فالقائد الحكيم والداعية هو الذي يتمتع بمرونة الحركة وسرعة اتخاذ القرارات والقدرة على المناورة والمفاجأة والاحتفاظ بالسرية وتعبئة

(١) العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول . ص : ٣٦٨ .

(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكريّة الإسلاميّة . ص : ٣٦٨ .

(٣) الرسول القائد . ص : ٤٥٥ .

(٤) المرجع السابق . ص : ٤٥٤ .

الروح المعنوية" (١).

رفع المعنويات : القائد المسلم يرفع معنويات جنوده أمام الأعداء ، كما فعل الرسول ﷺ من توجيهاته الحكيمة لهم .

الشورى : " الشورى جزء من التخطيط ، ويوجه مبدأ الشورى في الإسلام إلى غرس وعي التخطيط ، ويؤدي إليه ، وينمي هذا الغرس في النفوس رجال الجيش عن طريق التعلم والملاحظة والتدريب والممارسة العملية . كما أن أهم ما يفيد في إعداد الدعاة وقادة المستقبل اشتراكهم في التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وإبداء الرأي حيث يدخل ذلك في نطاق مبدأ الشورى" (٢) .

واستشار ﷺ أصحابه في ذلك فأشار عمر بن الخطاب عليه بالرجوع هذه السنة حتى يحدث الله عز وجل له في ذلك أمراً . وأخذ ﷺ بمشورة عمر - رضي الله عنه - وصالح رسول الله يحنة بن ربيعة وأهل أذرح وأهل مقنا .

العودة في الوقت المناسب : " لم يشأ رسول الله ﷺ أن يجتاز حدود بلاد الروم ، وإن كان ذلك سلوك عسكري طيب فإن القتال في داخل أراضيهم أمر عسير ، يتطلب تكتيكاً خاصاً؛ لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن ، ولذلك استشار أصحابه في الرجوع" (٣) .

عقد المعاهدات : " وهي من جملة التخطيط النبوي القيادي أن يقيم رسول الله ﷺ معاهدات صلح وحسن جوار، وتحالف مع القبائل المجاورة بحيث يوحد الجبهة المقاتلة" (٤) . وهذا من حسن استغلاله للوقت قبل مغادرته .

(١) الاضطفي في سيرة المصطفى . ص : ١٥٠ .

(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . ص : ٣٠٩ .

(٣) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ . ص : ٦٣١ .

(٤) المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان : (١ / ٤٠٢) ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ط ٦ ، ١٤١١ هـ .

وبالتالي " فإن التخطيط لازمة من لوازم المسلم في حياته بعامه ، وفي الدعوة إلى الله بوجه خاص ، وليس التخطيط للدعوة إلاّ واحداً من الأسباب التي أمرنا أن نتخذها في تعريف الناس بالإسلام ، وفي تثبيتهم على فهمه ، ولا بد من الاعتماد على الله في التخطيط ، والتوكل عليه ، والثقة به سبحانه ، لأن التخطيط أمر لا ينافي الإيمان ولا يجافي التوكل" (١) .

" ولا شك أن القائد إذا كان حصيماً والمخطط إذا كان نبياً ، والداعية إذا كان حكيماً ، فإن الدعوة الإسلامية يُكتب لها الاستمرارية والبقاء ، وتسير في مدارج النمو والامتداد" (٢) .

" والمطلوب في منهج الدعوة إلى الله أو إلى دينه القوم وشرعه الحكيم هو التخطيط الذي تقتضيه الحكمة ، ويقضى به الحرص على تحقيق صالح الفرد ، وصالح المجتمع في إطار هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه إلى صراط العزيز الحميد" (٣) .

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته . عبد رب النبي أبو السعود ، ص : ٥ - ٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

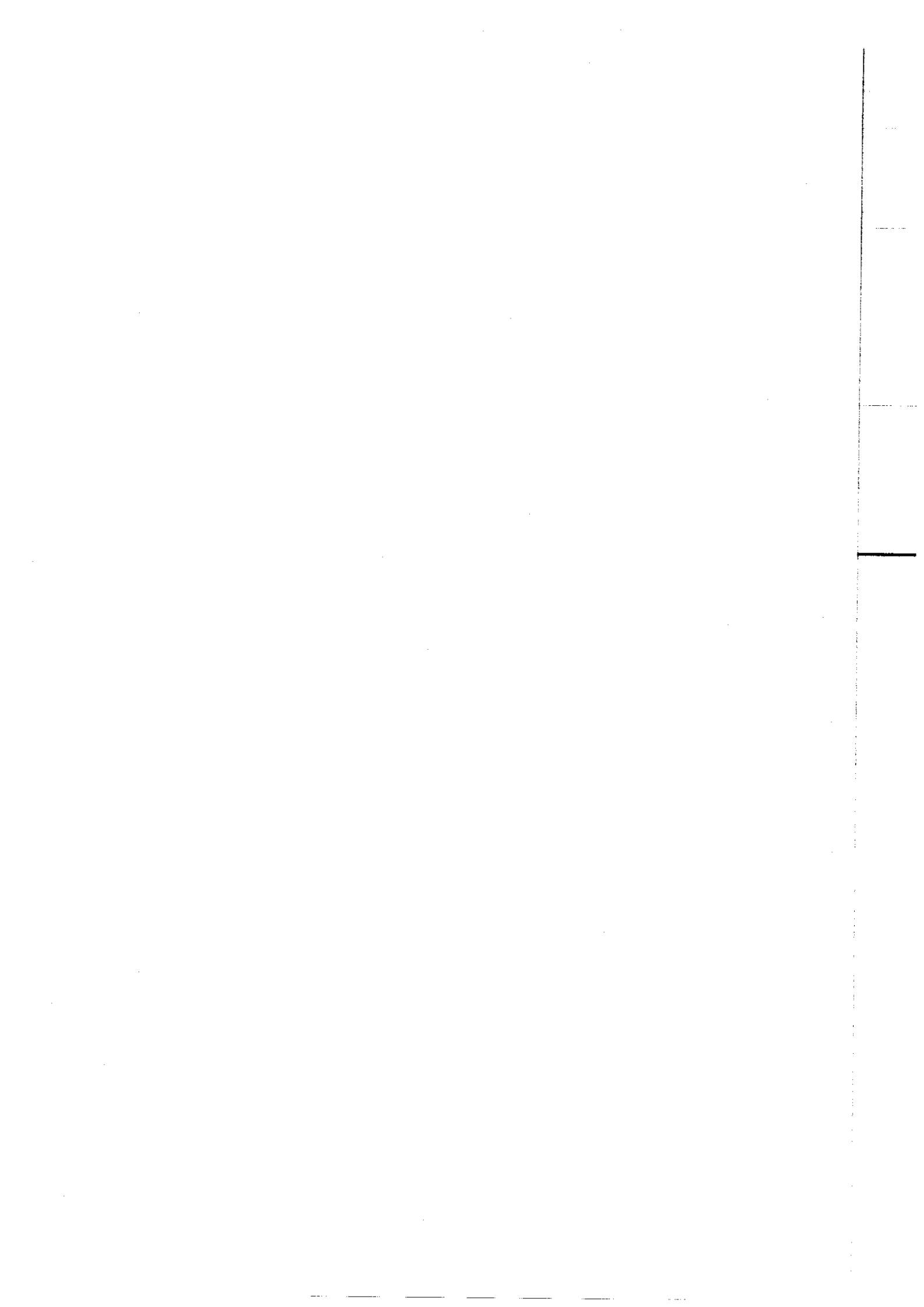
(٢) عقبات في طريق الدعاة : (٢ / ٥٩٦) .

(٣) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته . ص : ٦ .

الفصل الخامس

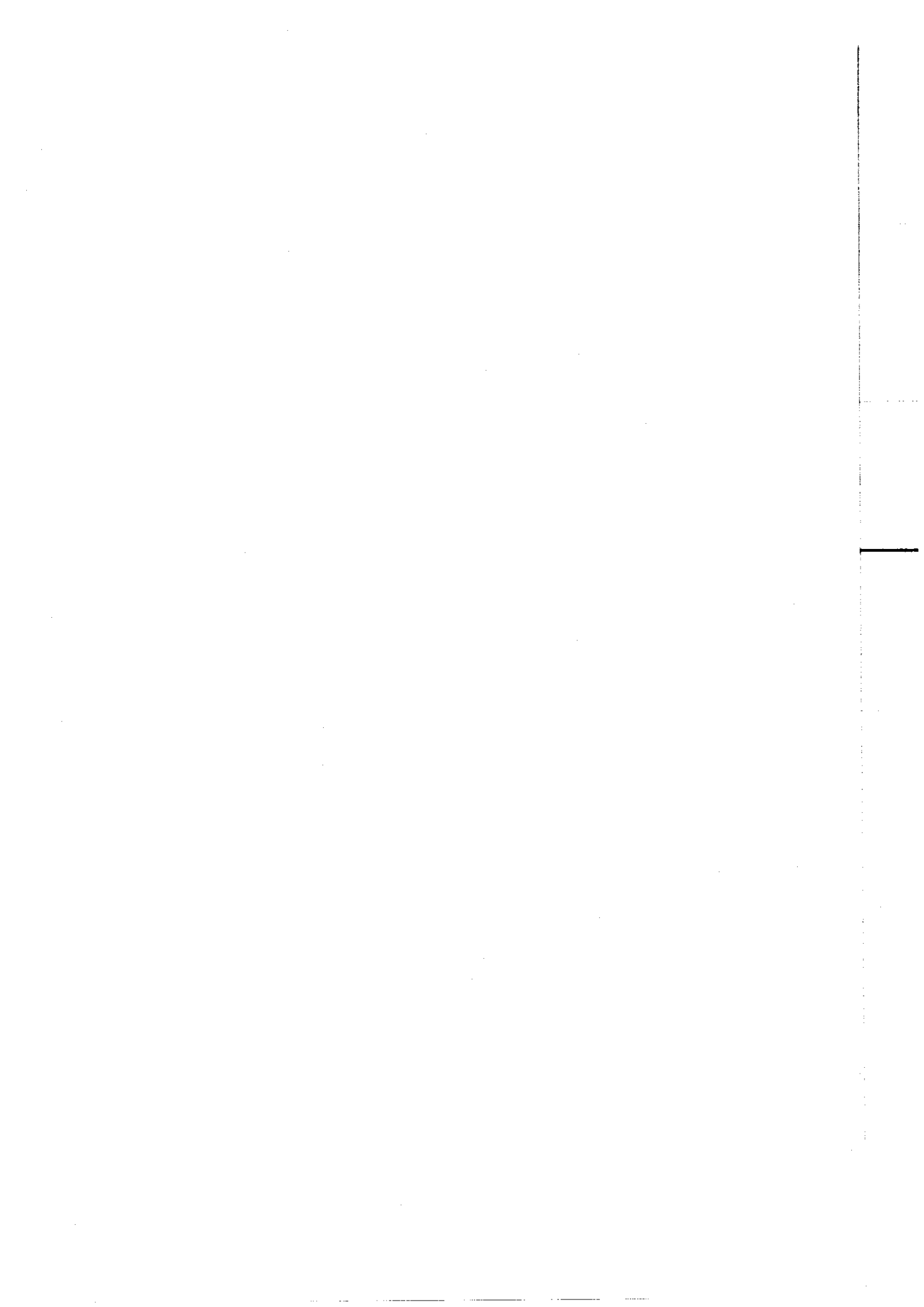
الدروس المستفادة من غزوة تبوك في العصر الحاضر

- المبحث الأول : الدروس التي تستفيد منها الدعوة في موضوعها
ووسائلها وأساليبها .**
- المبحث الثاني : الدروس التي يستفيد منها الدعاة .**
- المبحث الثالث : الدروس التي يستفيد منها المدعوون .**



المبحث الأول

**الدروس التي تستفيد منها الدعوة
في موضوعها ووسائلها وأساليبها**



المطلب الأول

الدروس التي تستفيد منها الدعوة في موضوعها.

هذه هي أهم الدروس النبوية المستفادة من أحداث غزوة تبوك فيما يتعلق بموضوع الدعوة .

أولاً : في جانب العقيدة :

١- النفاق وخطره على العقيدة الإسلامية :

" النفاق في نظر الإسلام آفة خطيرة من أعظم الآفات الاعتقادية والسلوكية التي تخلق الدين . والذي ينافق نفاقاً اعتقادياً غير مؤمن ، لأن قلبه مريض وعفن ، وادعائه للإسلام زور وكذب ، فهو يبطن الكفر ، ليقوم بدوره في محاربة العقيدة الإسلامية والتآمر على المسلمين ، كلما سنحت له الظروف ، ووافته الفرص دون أن يرعى في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ودون أن تأخذه به شفقة ولا رحمة " (١) .

" إن النفاق ليس خاصية جنس بشري معين ، وإنما صفة أخلاقية تتجمع حولها النفوس الضعيفة والعقول الشاذة من سائر الأجناس ، وبتجمعهم على هذه الصفة توجد طائفة المنافقين متميزة بخصائصها ، وأهم صفاتهم النفعية القاصرة على الكسب السريع من غير تفرقة بين حق وباطل " (٢) .

والنفاق خطر على الدعوة الإسلامية ؛ لأنه ليس كفرة صريحاً يلزمه النصح والحدز أو إيماناً خالصاً يعايشه الثقة والأمل ، وأيضاً فإن المنافقين مذنبون متلونون مخادعون في قولهم ومظهرهم ، وهم أعداء الإسلام لأن العدو الخفي أقسى وأخطر من العدو الجلي الظاهر " (٣) .

ففي غزوة تبوك عندما نودي للجهاد تعذر المنافقون بالأعذار الكاذبة بغية التخلف ثم لم يكتفوا بذلك بل حاولوا تثبيط المؤمنين بعدم الخروج للجهاد ، ولمزهم في الصدقات،

(١) عقبات في طريق الدعوة : (١/٣٥) .

(٢) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٣٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص : ٣٠٠ .

واستهزأهم بالله وآياته ورسوله ، وتشكيكهم بنبوّة الرسول ﷺ ، والأعظم من ذلك محاولتهم قتله ﷺ بإلقائه في العقبة من فوق ظهر ناقته .

"فالنفاق في كل زمان ومكان هو الذي يشكل منطق الكفر والإلحاد فهو اللسان في العقل المفكر الذي يمد الكفر بالخطّة والمنهج ، سواء أكان ذلك بالتعاون بين فريق المنافقين وفريق الكفار ، أو كان في داخل إنسان واحد يستمد من نفاقه حجة لكفره" (١) .

"وقد تحركت في العصر الحاضر فئات من أعداء الإسلام (٢) في داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها بإفساد عقيدة شباب الإسلام وشاباته ، وتضليل الجيل المسلم بفكره وتصوره وأخلاقه ، ويتكون النفاق الاعتقادي بجميع فرقهِ وعقائده ، مع كل بيئة ، ويلبس ثوب كل جماعة وملة ، ليصل في نهاية المطاف إلى هدفه الأكبر في تقويض دعائم الإسلام ، والتشكيك بعقيدة الإسلام" (٣) . "محرّبة الدعوة الإسلامية نفسياً ، والتشكيك بها فكرياً ، والحد من امتدادها شعبياً ذلك بإطلاق الشائعات المغرضة ، وترويح الاتهامات الكاذبة على نبي الإسلام ، ونظام الإسلام ، ودعاة الإسلام ، والجماعات المخلصة التي تدعو إلى الإسلام" (٤) . "والهدف من ذلك صرف الجيل المسلم ، وشباب الدعوة عن متابعة المسيرة الدعوية في تحقيق العز والنصر ، وترسيخ البلبلة والتشكيكية في فكر أبناء الأمة الإسلامية ونفسيّتهم ، حتى يقعوا من صاحب الرسالة الخاتمة والدعوة الإسلامية الخالدة موقف المعاداة ، والمحافة ، وفي ذلك فساد لعقيدتهم وقتل لشخصيتهم ، وهدر لفهمهم وأخلاقهم" (٥) .

٢- اتخاذ الأسباب لا ينافي كمال التوكل على الله :

"التوكل في مفهوم المسلم قوة يقهر بها الأسباب ، وعزيمة وثقة وطاعة وشجاعة عند نفاذ الأسباب ، ولو كانت أمامه الدنيا مجتمعة فإن معه إرادة الله ومعيته سبحانه .

(١) النفاق وذم المنافقين ، مقدمة المحقق : محمد عبد القادر عطا ، ص : ١٢ .

(٢) كالفرق الباطنية الكافرة ، والملحدون ، و الدهريون ، و الماسونيون ، والشيعيون والقوميون والاشتراكيون ، للاستزادة انظر ، عقبات في طريق الدعاة : (٣٧/١-٤٠) .

(٣) عقبات في طريق الدعاة : (٣١٤/١-٣١٥) .

(٤) المرجع السابق : (٣١٤/١-٣١٥) .

(٥) المرجع السابق : (٣١٥/١) .

والذي يحقق التوكل هو القيام بالأسباب المأمور بها فمن عطلها لم يصح توكله ، ولم يكن التوكل داعية إلى البطالة أو الإقلال من العمل البتة . فالتوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه ، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق ؛ فاعتماد القلب على قدرة الله وكرمه ، ولطفه يستأصل جراثيم اليأس ، ومنابت الكسل ، ويقوي الأمل في النفس" (١).

"وأعظم التوكل على الله التوكل عليه عز وجل في الهداية ، وتجريد التوحيد ، ومتابعة الرسول ، وجهاد أهل الباطل ، وحصول ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان ، والنصيحة والعلم والدعوة ، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم . وهذا هو التوكل في الحقيقة . فإذا فسر بأنه قبض اليد عن العمل ، وطرح الأسباب جملة فذلك تفسير لا يقره الشرع يقول تعالى : { فإذا عزمت فتوكل على الله } (٢) . وما جمع قوم بين الأخذ بالأسباب وقوة التوكل على الله إلا أحرزوا الكفاية لأن يعيشوا سعداء " (٣) .

فالرسول ﷺ عندما عقد العزم على قتال الروم كان قد جمع بين توكله على الله وبين الأخذ بالأسباب من إعداد العدة ، فنال المسلمون النصر على عدوهم . والأمة إذا أرادت أن تدفع عنها ذل الهزيمة ، وتهيئ لها أسباب النصر فعليها أن تعد العدة المعنوية والمادية لجيشها ، وتدرسه تدريباً كافياً ، ثم تعتمد على الله في النصر المقصود" (٤).

" والتوكل الذي يقوى الإنسان به ضرب من الثقة بالله ، فيعيش الإنسان عندما يكتنفه ظروف محرجة ، ويلتفت حوله فلا يرى عوناً ولا أملاً . فالمكافح عدواً قوي الشكيمة ، شديد اليأس على ضعف العدة ، وقلة الناصر ، يحس عندما يتوكل على الله أنه آوي إلى ركن شديد . وتستمد من هذا التوكل ثباتاً ورباطاً يقاوم به الكفاح الطويل ،

(١) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٣) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة . ص : ٢٠٩ .

(٤) عقيدة المسلم وما يتصل بها ، ص : ١٧٨ .

فالتوكل الحق قرين الجهد المضني والإرادة المصممة ولم ينفرد التوكل عن هذه المعاني إلا في العصور المتأخرة التي مسخ فيها الإسلام وأصبح بين أتباعه لهواً ولعباً " (١) .

" وإذ نرى اليوم وفي هذا العصر والزمان أناساً نجحوا في الحياة وحققوا كل ما لهم من مطامع وآمال ، بفضل عملهم الجاد المخلص ومثابرتهم واجتهادهم وتوكلهم على الله الذي عينه لا تنام " (٢) .

٣- أهمية الدعاء وضرورته :

" مسن أهم ما يقتضيه توحيد الألوهية إفراد الله تعالى وحده بالدعاء بأنواعه كافة ، والدعاء وهو طلب العبد من ربه ما يحتاجه من أمور دينه ودنياه . وفي الدعاء معانٍ عظيمة منها : إظهار الافتقار إلى الله تعالى ، والتبرؤ من الحول والقوة . والدعاء سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه " (٣) .
فالله تعالى يريد من عباده أن يرغبوا إليه ويسألوه ويفتقروا إليه ، قال سبحانه : { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (٤) . " ولما كان معنى الدعاء هو الطلب فإنه يتضمن كل طلب من الله تعالى ، ومن ذلك الاستعاذة والاستغاثة والتوسل والشفاعة ، فهذه كلها ضروب من الدعاء " (٥) .

وفي غزوة تبوك عندما جاع المسلمون وعطشوا ونفدت أزوادهم جمعوا ما بقي منها فدعا عليها الرسول ﷺ ، فحلت البركة بها حتى ملؤا أزودهم ، وعندما جهدت رواحلهم دعا لها فنشطت حتى كادت تنازعهم أزمتها.

(١) خلق المسلم ، ص : ١١٧ .

(٢) منابر الهدى ، بحث عن: حقيقة التوكل وآثاره ، مصطفى الحمامي ، ص : ١٩ ، مركز الدراسات الإسلامية ، القيروان ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٣) معالم التوحيد ، د. مروان إبراهيم القيسي ، ص : ٩٦ . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

(٤) سورة غافر ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٥) معالم التوحيد ، ص : ٩٨ .

"فلا بد مع الدعاء لله من إخلاص القلب لله والثقة بالاستجابة فالتوجه للدعاء توفيق من الله والاستجابة فضل آخر" (١). "وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته عند دعائه، إحساس يملأ النفس سكوناً وراحة فيعطئها القوة الحققة، وهو سر ماتعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة" (٢).

والدعاء أحد أهم مصادر الهداية لا يستغني عنه الداعية أبداً في كل أحيانه، فليس هناك غيره سبحانه يستجيب، ويقدر على تحقيق الصلاح والهداية إلا رب العالمين. والدعاء من الوسائل الدعوية النافعة لحمل المدعو إلى ركب الإيمان، والداعية يسأل الهداية لنفسه وللمدعو، كما فعل سيد الدعاة محمد ﷺ عندما دعا بالهداية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأسلم. كما أنه لا يسأم من الدعاء للمدعو بالهداية ولا يبخل بالدعاء له.

٤- ضرورة التمسك بمبدأ الولاء والبراء :

"من أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاعتداء بهم. وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام" (٣).

وقد تمثل تطبيق مبدأ الولاء والبراء في غزوة تبوك من موقف هجر الرسول وصحابته الكرام لكعب وصاحبيه لتخلفهم عن الغزوة دون عذر يوجب التخلف. وتمثل في حرق كعب لكتاب ملك غسان. وفي خروج الرسول ﷺ لجهاد الروم. وفي نصره معاذ بن جبل عن عرض كعب رضي الله عنهما.

"وقد حرم الله موالة أهل الكتاب خصوصاً، والكفار عموماً؛ بل لقد حرم على المؤمن موالة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً، وكما حرم موالة الكفار أعداء

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن : (١٣٠/٢).

(٢) منهج التربية في القرآن . ص : ١٦٩.

(٣) الولاء والبراء في الإسلام، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ص : ٣، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـ.

العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالة المؤمنين ومحبتهم . فالمؤمنون أخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم من أول الخليقة إلى آخرها " (١) .

ومن مظاهر موالة الكفار . (٢) :

- التشبه بهم في اللبس والكلام وغير ذلك .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم " (٣) .
- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين ، قال تعالى : {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كما مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً رحيماً } (٤) .
- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس ، إلا عند الضرورة كالعلاج والتجارة أو التعليم وإعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم .
- الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين .
- قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلاً ودوا ما عنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون } (٥) .
- التاريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طفوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي .

(١) الولاء والبراء في الإسلام ، ص : ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٧-١٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب في مخالفة اليهود في الصبغ : (١٣٢٥/٣) ، رقم الحديث : (٢١٠٣) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (٩٧) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : (١١٨) .

- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتهم أو تهنئتهم بمناسبة أو حضور إقامتها.
- وقد فسر قوله سبحانه وتعالى : {والذين لا يشهدون الزور} ^(١) . " أي ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يضرون أعيان الكفار " ^(٢) .
- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة . ودينهم الفاسد .
- قال تعالى : {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى} ^(٣) .
- التسمي بأسمائهم .
- الاستغفار لهم والترحم عليهم .
- قال تعالى : {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} ^(٤) .
- ألا يبدؤوهم بالسلام : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا تبدؤوا اليهود بالسلام ، ولا النصارى بالسلام ، فإن لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه " ^(٥) . إلى غير ذلك من مظاهر للبراءة ^(٦) .
- ومن مظاهر موالة المؤمنين :

(١) سورة الفرقان ، جزء من الآية : (٧٢) .

(٢) تفسير ابن كثير : (٣ / ٣٣٠) .

(٣) سورة طه ، الآية : (١٣١) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : (١١٣) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم : (٤ / ١٣٦٢) ، رقم الحديث : (٢١٦٧) .

(٦) انظر الولاء والبراء في الإسلام ، ص : ٧-١٦ .

- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين: وهي واجبة إلى قيام الساعة.
قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها} (١) .
- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم .
قال تعالى : {وإن استصروكم في الدين فمليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق} (٢) .
- التألم لألمهم والسرور بسرورهم .
عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعض بعضاً وشبك بين أصابعه" (٣) .
النصح ومحبة الخير لهم وعدم غشهم .
عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (٤) .
- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وغيبيهم .
قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون} (٥)
- أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء .
- مشاورتهم .

(١) سورة النساء ، جزء من الآية: (٩٧) .

(٢) سورة الأنفال ، جزء من الآية: (٧٢) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب باب نصر المظلوم ، ص : ٥٠٧ ، رقم الحديث : (٢٤٤٦) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من

الخير: (٦٩/١) ، رقم الحديث: (٤٥) .

(٥) سورة الحجرات ، الآية: (١١) .

- كما قال تعالى : {وشاورهم في الأمر} ^(١) .
- الإحسان القولي والفعلي لهم .
- قال تعالى : { وأحسنوا إن الله يحب المحسنين } ^(٢) .
- الانضمام إلى جماعتهم ، وعدم الفرقة عنهم .
- قال تعالى : {واعصوا بحبل الله جميعاً} ^(٣) .
- التعاون على البر والتقوى .
- كما قال سبحانه : {وتعاونوا على البر والتقوى} ^(٤) .
- إصلاح ذات البين .
- قال تعالى : { فأصلحوا بين أخوانكم } ^(٥) .
- عدم التجسس عليهم ، ونقل أسرارهم إلى عدوهم .
- قال تعالى : { ولا تجسسوا } ^(٦) .

٥- المعجزة النبوية وأثرها في الدعوة إلى الله

" جرت طبيعة الناس على أنهم ليسوا سواء أمام الحق ودعوة الله ، فهم لا يعادونها كلية، ولا يؤمنون بها كذلك ، والعادة فيهم أنهم يختلفون دائماً " ^(٧) . كما يقول تعالى : {ولايزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} ^(٨) . "ولذلك فقد أتى الله بالمعجزة على يد الرسول البشر ليظهر صدقه عملياً أمام المكذبين نظرياً بدعواه ، ولقد كانت المعجزة تأتي من جنس ما تفوق الناس فيه حتى يتمكنوا من إدراك صدقها ، وكونها خارقة للعادة ،

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .
 (٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٩٥) .
 (٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٠٣) .
 (٤) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٢) .
 (٥) سورة الحجرات ، جزء من الآية : (١٠) .
 (٦) سورة الحجرات ، جزء من الآية : (١٢) .
 (٧) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٣٠٠ .
 (٨) سورة هود ، الآيتان : (١١٨-١١٩) .

ليست من فعل بشر . وكان لسان حالها ينطق بصدق الرسول فيما يبلغ الناس به عن الله فكان دور المعجزة أن تثبت الرسالة أمام من ينكرها " (١) .

" وبالتالي على المؤمنين الصادقين إزاء كل معجزة صح بها النقل لرسول الله ﷺ الإيمان بما إيماناً لا شك فيه ولا ارتياب ، وهو اعتقاد كل من يؤمن بالغيب منذ أن بعثه الله رسولاً هادياً للعالمين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين " (٢) .

" وهذه المعجزات وقع منها في عهد الرسول ﷺ كثير ، وكانت من أسباب دخول الناس الإسلام ، وقد مهت من شاهدها ، أو حتى سمع بها " (٣) . وقد برزت هذه المعجزات الخالدة بروزاً واضحاً في غزوة تبوك ، في دعاء الرسول ﷺ بالبركة على أزودة القوم القليلة التي جمعوها عندما اشتد بهم الجوع والعطش فحلت بها البركة. ومثل دعاءه ﷺ على ظهرهم أن تنشط فنشطت حتى نازعتهم أزمتهما، ومثل ما أخبر ﷺ أصحابه بمبوب الريح قبل أن تهب عليهم. ومثل ما بشر أصحابه بعين تبوك قبل أن يصلوها، وعندما وصلوها أخبرهم ﷺ أن هذا المكان سيكون جناناً. ومثل ما أخبرهم ﷺ بما خصه الله من خصائص نبوية ليست لأحد من قبله من الأنبياء. ومثل ما أخبرهم ﷺ بالمغيبات التي حدثت بعده أو التي لم تحدث بعد الآن. ومثل ما أخبرهم ﷺ بالقادم من بعيد أنه خيثة . ومثل ما أخبر ﷺ خالد بن الوليد -رضي الله عنه- عندما أرسله إلى أكيدر دومة أنه سيأتي به أسيراً فكان ما أخبر به ﷺ.

ومن واجب الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة أن يستعينوا بكل ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من معجزات . لأن كل معجزة بذاتها تصلح درساً إلهياً

(١) الدعوة الإسلامية ، أصولها وسائلها ، ص : ٢٩٨ .

(٢) حكم وأحكام من السيرة النبوية ، عبد الله عبد الغني خياط ، ص : ١٩٦ - منشورات الرفاعي ، ط ١ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٣) دوافع إنكسار دعوة الحق ، في العهد النبوي وسبل علاجها ، عبد الرحمن بن يوسف الملاحي ، ص : ٢٩٧ ، دار الكتب ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

يستجبه به الداعية مباشرة إلى الناس . وتصلح للاستشهاد على المعنى الذي يريده الداعية من المدعوين .

ثانياً : في جانب الشريعة :

١- أهمية مراعاة درجات تغيير المنكر :

" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام ، ودعامة راسخة من دعائم المجتمع الرباني ، دلت على ذلك النصوص ، وشهد به التاريخ ، ونطق به الواقع ، والأمة اليوم تحتاج إلى إحياء تلك الشعيرة ، وتقوية تلك الدعامة" (١) .

وهذه الشعيرة فيها ثلاث مراتب أو درجات كما ذكرت في الحديث "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" (٢) . فمرتبة التغيير باليد الأقوى ، ثم اللسان ثانياً ، ثم التغيير بالقلب ثالثاً وهو الأضعف . وقد برز الإنكار بمراتبه الثلاث في غزوة تبوك ، فالتغيير باليد يتمثل: في حرق كعب لكتاب ملك غسان في التنور، وفي أمر الرسول ﷺ بهدم مسجد الضرار وإحراقه. والتغيير باللسان يتمثل: في إنكار معاذ بن جبل على المنافق الذي نال من عرض كعب، وفي إنكار عمارة بن حزم على المنافق الذي حاول التشكيك بنبوة الرسول ﷺ. والتغيير بالقلب يتمثل: في إنكار الرسول ﷺ وصحابته بقلوبهم على كعب وصاحبيه، فكان عقاباً أليماً لهم.

" وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقصوراً على بيئة معينة أو في حال دون حال ، بل في كل الأوقات والأحوال ، وعلى كل المستويات " (٣) .

" ونظام الحسبة الذي يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطبيق القوانين الإسلامية ، وتحقيق مصالح الأمة ، ورفع الأذى والشر عن الناس ، وهذا النظام من الحسبة تتولاه الدولة بتعيين الأكفاء في كل بلد ، ليشرفوا عليه ، بأمانة وإخلاص تحقيقاً لقوله تعالى:

(١) حتى لا تفرق السفينة ، ص : ٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب : (٧/١) رقم الحديث: (٤٩) .

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص : ٧٧ .

- {ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} ^(١) الآية . يضاف إلى ذلك واجب كل مسلم ومسلمة في تدعيم نظام الاحتساب ، وفي النهوض بمسئوليتها تحقيقاً لقوله تعالى : {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} ^(٢) الآية ^(٣) . ويمكن للدعاية أيضاً الاستفادة من وسائل الدعوة المعاصرة في مجال الأمر والنهي . فمثلاً هناك :
- " الكتاب والكتيب : وذلك بالكتابة والتأليف في إنكار شيء من المنكرات أو الإسهام في توزيع ما كتب في ذلك .
 - النشرة الصغيرة أو (المطوية) ؛ بالكتابة فيها ، أو توزيعها ونشرها لتوعية الناس .
 - الشريط : بإعداد شريط يحتوي على معالجة بعض المنكرات ، أو الإسهام في نشر هذا الشريط بقدر الإمكان .
 - الجريدة : بالكتابة فيها لإنكار بعض المنكرات ، لكي تنتشر ويستفيد منها أكبر عدد ممكن من الناس .
 - الهاتف : بالاتصال بصاحب المنكر ، وأمره ونهيه ، أو بالاتصال بمن يستطيع تغيير المنكر من علماء ومسؤولين ووجهاء .
 - الرسالة الشخصية : بمخاطبة مروجي ومرتكبي المنكرات حتى لو تمت المخاطبة برسالة مطبوعة على جهاز الكمبيوتر ، وتسجل على كل نسخة اسم المحل الذي توجه إليه ، وكان لها وقع خاص مؤثر أعظم من وقع الشريط أو الكتاب الذي يخاطب المعني مباشرة " ^(٤) .

٢- الإنفاق في سبيل الله :

الإنفاق في سبيل الله مظهر من مظاهر العطاء وحب الخير ومظهر من مظاهره حدة تماسك الجماعة القائمة على الأخوة الصادقة ، وعلى الترابط بين أفرادها .

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٠٤) .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٧١) .

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص : ٦٣ . وانظر بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، ص : ١٣٨ .

(٤) حتى لا تفرق السفينة ، ص : ٥٣-٥٩ .

" كما أنه يقيها عدوان أعدائها ، ويحقق لها قيمها وأهدافها ، ويصون علاقات أفرادها من الاحتكاك والمنازعة ، ويرفع حقد النفوس وتأمرها ، ويسبب لها الاستقرار والسلام ، ويهيئ لها فرص العمل والسعي " (١) .

وقد أمر الرسول الكريم صحابته إلى البذل والإنفاق على الجيش لإتمام مؤنته لمواجهة الروم " وحمل النفس على الإنفاق في سبيل الله باطمئنان ورضا ؛ بل وربما في تلهف وتطلع كذلك إلى الإنفاق المتكرر ، عندها يصبح الإنفاق عادة مرغوباً فيها ، حتى يصبح هذا الإنفاق طبعاً ثانياً للنفس " (٢) . " وينمي الله المال للمنفق بالضعف ، ويبارك له فيه ويقر عينه بما له ويمن له ، فلا يقلق ، ويعد عنه ذلك الخوف كما أنه بهذا الإنفاق جعل من نفسه إنساناً يعيش لنفسه وغيره ، ويرى ثمرة عمله اتسعت رقعتها ، وإنسانيته ظلت ميداناً أفسح " (٣) . " فمورد الإنفاق في سبيل الله يشمل : إنفاق الواجب ، كالزكاة والנדور ، وإنفاق النفل كصدقة التطوع والهبة في العطاء .

ولا شك أن الجمعيات الخيرية والتعاونية في المجتمعات الإسلامية تشرف على جميع المواد التكافلية بين أفراد المجتمع ووضعها في مصارفها المخصصة للفقراء والمحتاجين والمنكوبين والمعوزين " (٤) .

٣- الهجر :

" شرع الله للعباد أمراً يطالب به الإنسان أن يفعله تجاه فاعل المنكر عند الإصرار عليه وهو هجره ومقاطعته وبغضه . والهجر على وجه التأديب معه هو بمنزلة التعزير ، ويفعله الداعية إذا رآه أقوى في نفسية الفاعل من التغيير باليد واللسان أو عجز من التغيير باليد واللسان . وهو سنة يثاب عليها الإنسان إذا كان ذلك بحق . والهجر من الأمور

(١) مجلة الفكر الإسلامي ، مجلة شهرية إسلامية فكرية ، مقال : د. محمد البيهي ، ص : ١٢ ، السنة السادسة ، العدد

الثالث ، صفر ، ١٣٩٥ هـ ، آذار ١٩٧٥ م ، بيروت ، لبنان .

(٢) مجلة الفكر الإسلامي ، ص : ١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص : ١٤ .

(٤) عقبات في طريق الدعاة : (٢/٤٢٦-٤٢٧) .

الكبيرة، لذلك لا يجوز لمسلم أن يهجر أخاه المسلم إلا إذا تبين بحق أنه يستحق الهجر ،
ولذلك فالهجر والمقاطعة من وسائل تغيير المنكر ، ومن وسائل الإيجابار على ترك المنكر " (١) .
وهذا ما حدث مع كعب وصاحبيه -رضوان الله عليهم- حينما أمر الرسول ﷺ بهجرهم ،
فهجروهم المسلمون في جميع مجالات الحياة الاجتماعية في المسجد والأسواق ومع الأصدقاء
والأقرباء وحتى في المنزل ومع الزوجة. وقد أثمر هذا الهجر فيهم حتى تطهرت نفوسهم ،
ووصل بهم إلى الخاتمة السعيدة الموقفة.

" والداعية يأتمر بالمعروف ويتناهى عن المنكر فيما يحل ويحرم ، والمداهنة في هذا
العصر قد كثرت فتجد الشخص يجالس آخر وهو يعلم أنه لا يصلي مثلاً فيجيب دعوته
ويؤاكلة ويشاربه ويتسم في وجهه ، فلا هو يهجره ، ولا يجد من ينكر عليه فعله " (٢) .
" ولذلك يقاطع صاحب المنكر الجاهر به ، بحيث يتم الامتناع عن معاملة المكان أو
المؤسسة التي يوجد فيها المنكر ، ومقاطعة المجالات الماخنة ، وكل مؤسسات الفساد
والانحراف والرذيلة، إنما كفل لها الذبوع والبقاء ، إقبال الناس عليها مما تبعه من أذى أو
على ما تبته من سموم ، ودعمهم لها بأموالهم ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، فلو
قاطعها المسلمون لانتهد تلقائياً ووثدت في مهدها " (٣) .

٤- التوبة :

قد يزل الإنسان في لحظة ضعف ، فيذب وخوفاً من أن تدمر الزلة حياته حسرة ،
أو يتمادى في الزلل فقد فتح الله له باب التوبة .
" وليس في التوبة عنت ولا إرهاب ؛ بل هي ندم على ما فرط ، وعزم على عدم
العودة إلى الذنب ، وطلب المغفرة من الله عز وجل " (٤) .
" وهذا الموقف الذي يحاسب العبد فيها نفسه على هذا النحو ، يمحو الله خطاياهم
ويعفو عما بدر منه من السيئات ، ولهذا أعلم الله ضعف الإنسان أمام الشهوات وسقوطه

(١) درجات تغيير المنكر ، ص : ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٤٨ .

(٣) حتى لا تفرق السفينة ، ص : ٦٠ .

(٤) تقنين الدعوة ، ص : ٣٩ .

تحت وطأة الأهواء ، فلم يعامله على أنه ملك لا تجوز عليه المعصية ، ولم يهمله كالحيوان الذي حرم نعمة العقل فسقطت عنه التكاليف ؛ بل حاسبه على أنه إنسان فيه عقل يفكر ويقدر ، وفيه من جانب آخر شهوة قد لا يستطيع مقاومتها فيقع في الخطأ ، ومن أجل هذا فتح له باب التوبة عند اقرار الإثم يلج منه إلى رحمة الله عز وجل" (١) .

ومن ثمرات التوبة : " رجوع العبد حبيباً للرحمن بعد أن كان حبيباً للشيطان ، وطهارته من السيئات التي كان يستحق بها العذاب الأليم ، وربحه الحسنات التي ينالها النعيم المقيم ، ومسارعة إلى الأعمال النافعة بانبعث جوارحه في العمل بعد أن كان منصرفاً عنها" (٢) . ولعل في قصة تخلف كعب وصاحبيه كانت التوبة الصادقة هي الدواء الناجع للذنب المتخلف، حتى محيت ذنوب خطيئتهم ونالوا الحسنات من كثرة بكائهم وندمهم، ثم أصبحوا قدوة للتائبين الذين حولوا خطأهم إلى صواب.

"و التوبة أفضل علاج للنفس الإنسانية المتردية يأخذ بيدها لينتشلها من الهاوية ، ويعطيها مقومات الحياة الصحيحة ، لتعيش بين أبناء جنسها من غير خزي ولا تريب حيث تحس بالعضو يصدر من القادر ، والمكافأة تبذل من الكريم مقابل موقفه الحازم على عدم العودة فيحول السيئات إلى حسنات" (٣) .

"وهكذا يعالج الإسلام المذنب ، فيبين له فضله ويعظم له أجره ، ثم لا يغلق دونه أبواب العودة إن هو أخطأ أو انحرف ، بل يمد له يد العون ، ويملي له ليفيق ويسترشد ويغريه بالمغفرة متى عاد إلى ربه ، ويمنع في الإغراء فيعد بتحويل السيئات إلى حسنات ، وهو بكل هذا يعالج المشكلة حتى يقضي على آثارها السيئة حتى يعود الإنسان سوياً رشيداً" (٤) .

(١) تقنين الدعوة ، ص: ٣٩ .

(٢) الخلق الكامل : (٣/٣٢٤) .

(٣) تقنين الدعوة ، ص: ٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص: ٤١ .

والداعية في كل مكان وزمان بحاجة ماسة إلى محاسبة نفسه على كل تقصير أو خطأ أو ذنب ، حتى يتوب إلى الله ، فيكون سباقاً إلى الطاعة ، مبتعداً عن المعاصي ، حتى ينجح في دعوته ، ويرد المدعوين إلى الطاعة .

٥- النية :

" يهتم الإسلام بالنية ، ويجعلها معيار العمل ، ويهتم بالقلوب لا بالمظهر ، وبالباعث لا بالصورة . قال تعالى : { وجاء بقلب منيب } ^(١) أي بقلب سليم " ^(٢) .

" كما أن النية الصالحة تجعل العادة عبادة ، والمباح طاعة ، وصدق النية وحده موجب للمثوبة " ^(٣) .

" وإن النية هي التي تسوق المرء إلى العمل ، وتدفعه إلى إجادته ، وتفريه بتحمل التعب فيه ، أو بذل الكثير من أجله .

ويرغب الإسلام بعناية فائقة ما يقارن أعمال الناس من نيات ، وما يلابسها من عواطف وانفعالات . وقيمة العمل عنده ترجع قبل كل شيء إلى طبيعة البواعث التي تمحضت عنه " ^(٤) . " وصلاح النية يرفع منزلة العمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة مقبلة ، ولذلك فإن العمل مع الرياء ، يفقد العمل روح الإخلاص ، فيصبح صورته ميتة لا ضرر فيها . فالقلب المقفر من إخلاص النية لا يثبت قبولاً ؛ كالحجر المكسور بالتراب لا يخرج زرعاً " ^(٥) . " ولذلك شدد الإسلام على ضرورة ونوع النية واستحضارها في قلب العبد عند أداء الأعمال ، لأنه إذا كانت أعماله كلها للدنيا ، لم تنفعه في الآخرة ، إن كل عمل لا يكون لله لا خير فيه البتة ، ولذا فإن المؤمن دوماً يلحظ في أعماله ابتغاء رضا ربه وثوابه وحنته " ^(٦) . ولذلك كان الرسول ﷺ قد أخبر أن أولئك المتخلفين المعذورين عن القتال في

(١) سورة ق ، جزء من الآية: (٣٣) .

(٢) تفسير ابن كثير : (٢٢٩/٤) .

(٣) ثقافة الداعية ، د. يوسف القرضاوي ، ص: ٦١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٤) خلق المسلم ، ص : ٦٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص : ٦٩ .

(٦) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة ، د. إبراهيم محمد البريكاني ، ص : ١٣٢ . دار

غزوة تبوك يشاركون المجاهدين في الأجر؛ لأن قلوبهم صادقة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله.

"وإن الدعوة إلى الله وغيرهم من المسلمين بحاجة إلى إصلاح النية ، فإذا صلحت أعطي العبد الأجر الكبير ، والثواب الجزيل ، والداعية الحق مادام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته ، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته ، ودعوته تحتسب خطوات إلى مرضاة الله " (١) . ولذلك فإنه إذا عجز عن القيام بدعوته لعذر قاهر فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له عمله ، فالتنية الصادقة سجلت له ثواب القائمين بالدعوة ؛ لأنه قعد رغماً عنه .

جانب الأخلاق :

حث الدين الإسلامي على الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ، والداعية المسلم على وجه الخصوص هو أولى الناس بها .

" وتلك الأخلاق الفاضلة التي جاء بها الوحي من عند الله ترتبط دائماً بما يحقق النفع للإنسان ، في معاشه ومعاذه . وللأخلاق في الإسلام مصدران وحيدان هما : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . ويبدأ الخلق في الإسلام بما يسبق السلوك وهو النية " (٢) . " والأخلاق الإسلامية هي طوق النجاة ، التي تنجي من الغرق في لجج الفوضى والضياع ، والتخلق بأخلاق من وضع البشر ، بل الوقوع في الظلم ، والتفريط والسلبية " (٣) .

وفي غزوة تبوك تجلت بعض الأخلاق الإنسانية الحميدة والتي تعزز جانب الأخلاق في الداعية ، وهي صالحة لكل عصر ومكان ، وهي كالآتي :

١- الصبر :

" الصبر وهو نصف الإيمان ، وإذا كانت صفة من صفات الدعاة الحالية لها درجة عليا من الأهمية فإنها الصبر ، وهي صفة يجب على المسلمين جميعاً أن يتحلوا بها ، فكيف بالدعوة إلى الله ، وهم صفوة المسلمين . وأمر الله به كل مؤمن وداعية ، وقد وعد الله

(١) خلق المسلم ، ص : ٧٠-٧١ ، بتصرف .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (١/٣٧٠) .

(٣) المرجع السابق: (١/٤٧٩) .

الصابرين بالإمامة في الدين ، وهي منزلة ليس أعلى منها منزلة . وعليه فكل من يريد أن يوهل نفسه للدعوة أن يوجه نفسه على تحمل كل ما يصيبه من أذى في سبيل الله ، ويصبر ويحتسب" ^(١) ، مثلما صير كعب وصاحبيه على محنة التخلف حينما هجرهم الرسول ﷺ وصحابته خمسين يوماً. " وطريق الدعوة لا يسلم من الأشواك والعقبات ، وهذا لا يمنع الداعية من العمل المتواصل والمثابرة على دعوته وكل الأنبياء عليهم السلام لاقوا الصعوبات والويلات من أقوامهم، ولكنهم مع ذلك صبروا وثبتوا حتى أظهر الله الحق " ^(٢) .

٢- الصدق :

" الصدق فوق أنه في حد ذاته سلوك سام وصفة راقية فهو نبع الثقة ، وأساس التسليم ؛ لأن الصادق لا يخالف الواقع ، وكل قول مسلم لا يحول حوله شك أو تكذيب . والصدق في الداعية ضرورة ملحة ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ^(٣) . لأن الصدق هو الذي أنجى كعب من تهمة النفاق، حيث مر كعب بعدة مراحل تعرض فيها للابتلاء ليختبر الله فيها صدقه ، وكان صادقاً في جميع حالاته حتى أنزل الله فيه توبته بسبب صدقه، فكان رضي الله عنه -قدوة للدعاة في الصدق .

والداعية إنما هو مبلغ دعوة الله كما جاءت ، مبين لغوامضها ، وناقل كل بيان قيل في شأنها وكل هذا يحتاج إلى صدق في التبليغ ودقة في النقل والبيان " ^(٤) . وإذا لم يتصف الداعية بالصدق ، فإنه سيفقد ثقة المدعوين بقوله ، وبدعوته .

٣- العدل :

" العدل هو سنة الإسلام البارزة ، يحكم به للمسلم وللكافر ، ولا يحمل بغض قوم على قوم معهم وكان العدل له الأثر المباشر في نشر الإسلام ، والإقبال إليه للتخلص من ظلم الظالمين وطغيان الجبابرة المتكبرين " ^(٥) . وهذا ما حدث في تبوك عندما قدم إلى الرسول ﷺ

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢٢٩/٤) .

(٢) فضائل الدعوة إلى الله ، ومشروعيتها في الكتاب والسنة ، ص : ٩٨ ، عبد الله أحمد منصور ، ط ١ ، ١٤١٤هـ /

١٩٩٣ م .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : (٧٠) .

(٤) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٤٥٠ . وانظر : مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص : ٢٢٢ .

(٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص : ٢٢٢ .

زعماء القبائل المجاورة لطلب الصلح ودفع الجزية حتى يتخلصوا من ظلم الروم وطغيانهم
ولذلك اعتنق كثير منهم الإسلام لما رأوه من عدل المسلمين.

وفي العصر الحاضر على سبيل المثال ، فإن اختيار الموظفين ؛ يعد شيئاً ضرورياً ؛
لصالح العمل ، ولذلك لا بد لكل مسؤول أن يتحرى العدل ، فيختار الكفاء الأمين ،
"والداعية إلى الله يكون عادلاً في تصرفاته ومعاملاته مع الآخرين حتى يكون ترجمة حية
للإسلام ، ينظر من الله وكأنهم يقرؤون قرآناً " (١) .

٤- التواضع :

" التواضع سبيل الرفعة والشرف والسؤدد ، وينشأ من طيب من النفس وكذلك من
معرفة الإنسان بنفسه وقدرها وحقيقتها ومعرفة العبد بأن الناس جميعاً من نفس واحدة
ومردهم إلى أصل واحد ، وأنه لا تمايز بينهم بعرق أو لون ، وإنما التمايز بالإيمان والتقوى ،
والعلم النافع والعمل الصالح ، ورسول الله ﷺ هو القدوة المثلى للدعاة ، فحري بالداعية أن
يلتزم خلق التواضع ؛ ليقرب نفسه من قلوب الناس ؛ لأن هذا الخلق محبوب الله تعالى " (٢) .

وقد كان الرسول يحرص على تطبيق التواضع أمام أصحابه فهو قدوتهم حيث صلى
خلف عبدالرحمن بن عوف في غزوة تبوك عندما تأخر عن صلاة الفجر .

" والداعية الذي جعل هم الدعوة إلى الله يجد نفسه ملتزماً بالتواضع ليتمكن من
التماس طريق الله الذي دعا إليه عباده الصالحين ليحقق له كل ما وعد الله به من تمتع
كامل بالدنيا ومن تمتع عظيم بالآخرة " (٣) .

(١) الدعوة الإسلامية ، الوسائل والأساليب ، ص : ٨٣ .

(٢) صفات الداعية الناجح ، ص : ٤٢-٤٣ . بتصرف .

(٣) الدعوة الإسلامية : أصولها ووسائلها ، ص : ٤٥٥ .

المطلب الثاني

الدروس المستفادة من الوسائل والأساليب

هذه هي الدروس الدعوية المستفادة من أحداث غزوة تبوك فيما يتعلق بالوسائل والأساليب .

١- الدروس المستفادة من الوسائل :

أ - وسائل الدعوة القولية:

١- الخطابة :

" منذ أقدم العصور والخطبة من حيث تعتبر أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس ، للتأثير في مشاعرهم وإقناعهم بالأفكار الجديدة ، والعقائد الجديدة . وبقي شأن الخطابة كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وما تلاها من حكومات ، بل بقي شأنها كذلك في كل ثورة حدثت على وجه البسيطة ، وذلك في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وسيبقى لها هذا الشأن حتى تبدل الأرض غير الأرض" (١) .

"والخطابة الدينية ، هي نوع من الخطابة العامة ، وفن من فنونها إلا أنها تتميز عن باقي أنواعها بشروط خاصة وطرق معينة ، والحاجة إليها أشد والمزاولة لها أكثر" (٢) .

" وكان ظهور الإسلام وبعثة الرسول ﷺ من أهم الحوادث وأعظم البواعث التي أطلقت الألسنة من عقابها ، وأثارت الخطابة من مكنها وأغرت العقول بأحكامها ، والتفنن فيها ، واختلاب الألباب بسحر بيانها ، فوق ما كانت عليه في جاهليتها" (٣) .

" ولا شك أن الخطابة مقعد خطير ، ومرتقى صعب المنال ، لا يصل إليها طالبها بسهولة ويسر ، بل يحتاج من يتغياها إلى زاد عظيم ، وصبر طويل ، ومعاناة مستمرة

(١) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة ، ص : ١٧٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

(٢) الخطابة ، ص : ٨٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص : ٢٠ .

وممارسة دائمة ، ليصل في نهاية المطاف إلى الغاية السامية والهدف المنشود " (١) .
"والداعية الناجح هو الذي يفهم الجماهير فيها تماماً ، ويعلم الطرق التي توصله
لإقناعهم بفكرته ، والطرق التي تربطهم دائماً به وتجعلهم يحسون به ، ولا
يستطيعون الاستغناء عنه " (٢)

وهذا كان نهج الرسول ﷺ مع مدعويه ، ففي غزوة تبوك عندما مر الرسول ﷺ
بالحجر فكان هذا المكان أقرب الطرق لتذكيرهم بعاقبة قوم ثمود وتخويفهم بالله ،
فخطب بأصحابه خطبة قصيرة مؤثرة ومعبرة عن هياتهم الأليمة .
" ومقام الخطابة ليس سهلاً ، ولا يحسنه من الدعاة إلا القليل ، ولذلك فإنه يمكن
إعداد الدعاة في جماعات ، أو في معاهد خاصة ، فذلك أشرف ما توقف عليه
الجهود " (٣) .

كما يمكن للدعاة الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة السمعية والبصرية
والمقروءة، لبث ونشر خطبة ، حتى يمكن توصيل الدعوة إلى أكبر جمهور ممكن ،
وتعم فائدتها الجميع ويحدث التأثير والاستجابة . " وهذه الوسائل في التبليغ سهلة
ميسرة واستطاعت في العصر الحديث قلب موازين كثيرة لما لها من تأثير كبير وميسر
للجميع في كل زمن ومكان " (٤) .

٢- المناذاة :

" تجسب هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنقل بين الشوارع في أوقات
الصلاة، يعلنون حلول وقت الصلاة والامتناع عن ممارسة الأعمال لأدائها ، وأثناء
المناذاة تتلى آيات وتسرّد أحاديث تذكر الناس بواجبهم للقيام بهذه العبادة وتدعو
بالحكمة والرفق واللين حتى تخشع القلوب وتذكر فإن الذكرى خير للمؤمنين " (٥) .

(١) مواقف الداعية التعبيرية ، عبد الله ناصح علوان ، ص: ٩٧ ، دار السلام ، القاهرة ، حلب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ م / ١٩٨٦ م .

(٢) الدعوة الإسلامية ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص: ٤٣٢ .

(٣) مواقف الداعية التعبيرية ، ص: ٩٧ .

(٤) الدعوة الإسلامية ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص: ٤٣١ .

(٥) الدعوة الإسلامية ، الوسائل والأساليب ، ص: ٢٣ .

وهذا النداء قد يكون مؤثراً ، فقد كان نداء الصارخ من أعلى الجبل ليشر كعباً بتوبة الله عليه أعظم الوقع على نفس كعب بالفرح والسرور .

٣- الرسائل :

"تدوين الرسائل فن جميل ، قد يساعد على قضاء المصالح ، وعتق الرقاب من مواقف الموت ، واكتساب أروع المواقف ، وقد ازدهرت هذه الصناعة في العصور الأولى ، حتى كانت الرسائل الناجحة ترشح صاحبها لمنصب الوزارة " (١) . وقد أبلغ الرسول ﷺ دعوته برسائل عدة إلى رؤساء وملوك عصره . ومنهم هرقل الذي بعث إليه الرسول ﷺ في غزوة تبوك برسالة مع سفيره دحية بن خليفة الكلبي يدعوه فيها للإسلام .

"والرسائل هي إحدى الوسائل الفعالة في الدعوة إلى الله ؛ حيث تعطي آثاراً إيجابية إذا صيغت بأسلوب جيد ، وعبارات منمقة ، ولا تقتصر الرسائل على فئة معينة عند الناس أو رسائل للمستوى الكبير ، فقد تكون لجار في الحي ، أو لزميل في العمل ، أو المدرسة ، أو رسائل إلى العلماء للاستفسارات عن بعض المسائل الفقهية" (٢) . "أو رسائل إلى الحكام لنصحهم ومازالت لتلك الرسائل القوة التأثيرية، وخاصة لمن كان متغرباً في البلاد البعيدة ويراسل أهله وتلاميذه ، حتى تتقوى الصلة، وتبقى الرابطة بين الموجه والموجه إليه .

"كما أن للرسائل قيمتها الإعلامية والدعوية في إرسالها إلى وسائل الإعلام الحديثة من راديو وتلفاز وصحافة وغيرها ، ورأي المستمع أو المشاهد أو القارئ بما يراه من برامج وأحاديث وموضوعات" (٣) . " وإذا وجهت الرسائل إلى العموم عبر وسائل الإعلام ويقرؤها كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم في العلم والفهم فيجب على الداعية أن يكتبها بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب وأن يكون المعاني التي بينها مما لا يسع أي إنسان يريد الإسلام أن

(١) كيف ندعو الناس ، ص: ١٠٢ .

(٢) خطوات في طريق الدعوة ، خالد المنصور ، ص: ٣٤-٣٥ ، ط ١٤١٣-١٩٩٣ م .

(٣) الدعوة الإسلامية ، الوسائل والأساليب ، ص: ٣١ .

يجعلها وأن تكون خالية من ذكر المسائل الدقيقة والخلافية وأن تكون مختصرة دون إخلال بالمعنى ومقتضيات التفهيم " (١) .

ب - وسائل الدعوة الحسية :

١- المسجد :

"المسجد هو المكان الأول للعبادة والتربية والدعوة ، ومنبر الإسلام الأول ومنطلق دعوته ، وأساس دولته ، له دور بارز في توجيه المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية وهوايتهم إلى سبيل ربهم ومنهج دينهم .

وهو أول ما حرص المعلم القدوة الأول محمد ﷺ على بنائه فور وصوله إلى المدينة ، فخرج على يده أناس كانوا بحق قدوة فذة لم يشهد العالم مثلهم مجتمعين في زمن واحد ومكان واحد إلا في ذلك العصر النبوي" (٢)

ففي ذلك المسجد استنفر الرسول ﷺ المسلمين للجهاد في تبوك ، وفي دعاهم للإنفاق على الجيش ، ومنه انطلق الجيش الغازي إلى تبوك ، وحرصاً منه ﷺ على وحدة صف المسلمين والتحامهم فقد عمد إلى هدم مسجد الضرار وإحراقه ، وفي المسجد جاءه المخلفون ليعتذروا عن تخلفهم ، وفيه هنا الرسول ﷺ كعب بالتوبة والمسلمون .

" وفي العصر الحاضر تقلص دور المسجد ، وانعزل عن حياة الناس ، وفارقت معظم الوظائف التي كان يضطلع بها ، فكانت النتيجة أن فارقت روح المسجد تلك العلوم والمعارف التي كانت تدرس فيه ، وخرج القضاء والعلم والتعلم والتشاور والتناصح وإعداد الجيوش المحاربة في سبيل الله به فصار المسجد في أغلب بلاد المسلمين هو مكان الصلاة وقت الفريضة لا غير ، بل وقد لا يفتح في غير أوقات الفرائض " (٣) .

(١) أصول الدعوة ، ص : ٤٨٢ .

(٢) الأسلوب التربوي في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ٥٣ .

(٣) رسالة المسجد ، ص : ٤٩-٥٠ .

" وإذا نظرنا إلى رسالة المسجد وإلى جهد الداعية الذي يجب أن يصاحب تلك الرسالة، نجد أنه بالنظر إلى عمل الرسول ﷺ وصحبه من بعده وسلف الأمة الصالح، وبالنظر إلى واقع المسجد الذي كان عليه في الصدر الأول ، يبرز من خلال ذلك كله برنامج معين يجب أن يقتفي الداعية أثره ويسير على منواله ، وقد يصاحب ذلك بعض الأعمال التي يقتضيها اختلاف العصر والزمان ، مما تتواكب مع البرامج الأولى للعصر الزاهر. " (١) من هذه البرامج ما يلي :

دور المسجد العلمي :

"وذلك بإقامة دروس العلم وحلقات الدرس ، وبتزويد المسجد بمكتبة جامعة لأمهات الكتب النافعة ولتتاج الفكر المسلم المتجدد . وبمكتبة الصوتيات والمرئيات . وأن يكون للكلمة المكتوبة دور في المسجد من خلال مجلات الحائط ، أو المجلات المطبوعة . وأن يزود المسجد بقاعات للمحاضرات لجذب المثقفين وحتى لا تشغل المسجد عن إقامة الشعائر بخشوع ، وإقامة دروس التقوية للطلبة" (٢) .

دور المسجد الروحي والتربوي :

" لما لجو المسجد من الروحانية الغامرة ، فهناك أموراً يجب أن تتبع حتى تتمكن هذه الروحانية من القلوب والتقوى ، وتتجسد بما يلي :

بفكرة الإحياء الإسلامي والاعتكاف والتهجد . والصيام أيام في الأسبوع كيوم الاثنين والخميس مثلاً وإقامة حلقات تحفيظ القرآن ، ورحلات العمر ، وأداء فريضة الحج ، وإطعام الفقراء وإيواء المحتاجين المنكوبين وتدبير أمور الناس خاصة في وقت الحرب والطوارئ " (٣) .

دور المسجد الاجتماعي وما يقوم به من أنشطة :

ينبغي كذلك على الداعية أن يستغل هذا الدور في دعوته وفي إحياء مهمة هذا

الصرح الإسلامي العظيم بما يلي :

(١) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص: ٣٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٣٨١-٣٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص: ٣٨٣-٣٨٥ .

- " في أعمال البر والخدمة من جمع للصدقات والزكاة ، والإعلانات وتوزيعها .
- وفي أعمال إنسانية كمساعدة العاطل في الحصول على عمل .
- وفي التربية المهنية والإشراف عليها في دور ملحقة بالمسجد .
- وفي إقامة دور للحضانة ، واستغلال بعض الأسر الفقيرة لرعاية أطفال المسلمين .
- وإقامة المستوصفات الخيرية بأجر رمزي لعلاج الفقراء .
- وإقامة لجان للمصالحات بين الناس ، وتيسير الزواج للراغبين فيه والراغبات والمساعدة في تيسير أمور العروسين من جهاز ومسكن " (١) .

٢- الجهاد في سبيل الله :

" الجهاد في سبيل الله أخصب المجالات في الدعوة إلى الله ، وأعظمها فائدة ، وأعمها نفعاً للدين ، ومع ذلك فهو المجال الذي تحالفت كثير من القوى المعادية للإسلام والمسلمين على أن يتخلى المسلمون عنه ، فضيعوه أول ما ضيعوا من أركان الدين ، فذلوا وضعفوا ، وتحكم فيهم أعداؤهم ، وانحسرت دعوة الله عن عباده " (٢)

والجهاد فرض قائم مستمر إلى يوم الساعة بجميع مراتبه . وقد وقع الجهاد في غزوة تبوك بمراتبه المتعددة : من جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار وجهاد المنافقين ، والجهاد بالمال ، وجهاد القلب ، وجهاد اللسان ، وجهاد اليد ، وهذا حال المسلم لا ينفك عن الجهاد في سبيل الله أبداً . " وفي أعقاب الحرب تسنح الفرصة تماماً للدعاة بأن ينتشروا في هذه الأصقاع وينشروا الإسلام ويعرفوا الناس به ، وتستغل في ذلك جميع وسائل الدعوة ، الشخصية منها والجماعية للتبليغ ، والإنذار بالحكمة والموعظة الحسنة ، والعتق عند المقدرة ، فيدخل في الإسلام من أراد ويبقى على دينه من يريد " (٣)

٣- المعاهدات :

(١) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة، ص: ٣٨٧-٣٨٨ .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (١٥٤/١) .

(٣) الدعوة الإسلامية : الوسائل والأساليب ، ص ٢٠

استخدمت المعاهدات في مختلف العصور والعهود ، وكان الرسول ﷺ لما وصل إلى المدينة قد قام باستخدام المعاهدات بين المهاجرين والأنصار وبين اليهود وبين المشركين. وإبرام العقود مع القبائل المتاخمة للمدينة حتى يضمن تحالف هذه القبائل معه ، وحتى يكون هذا التحالف تمهيداً لانتشار الدعوة بالطريقة السلمية ومعرفة الإسلام على حقيقته ، وفي تبوك كان الرسول ﷺ قد عقد معاهدات صلح مع زعماء القبائل المجاورة مقابل دفع الجزية مع كتابة أمان لهم، أمثال زعماء أيلة، وجرباء، و أذرح ، ومقنا ، ودومة الجندل . وهذا مما يجعل المعاهدات ضمن أهم الوسائل الدعوية .

" وفي العصر الحاضر أين ذلك مما تتبعه الدول التي تدعي الحضارة والمدنية في عصرنا الحاضر ، إنها تخالف القوانين الدولية وتنهك الحقوق الإنسانية ، ولا ترعى عهداً ولا ذمة ، وتعادي على مبادئ الحق والعدل والسلام " (١) .

٤- الهدية :

" حث الدين الإسلامي على تقوية الروابط بين المسلمين ، ولذلك شجع على التهادي ؛ لأن لها دوراً مهماً في استلام سخائم الحقد ، وأدران التنافس والحسد من القلوب ، ثم غرس أسمى معاني الثقة والمحبة والألفة والمودة بين المسلمين " (٢) .

وكان الرسول ﷺ يقبل الهدية ويحث عليها وهذا كان ديدنه ﷺ مع أصحابه ومع أعدائه ، ففي تبوك قبل الرسول ﷺ هدية ملك أيلة بغلة بيضاء ، وأهداه ﷺ بردة ، وقبل ﷺ هدية أكيدر دومة جبة حرير . ووعى الصحابة الكرام هديه الرفيع في الهدية فطبقوه وحثوا عليه ، ولقد تناقل المسلمون على مدى عصور التاريخ الإسلامي هذا الهدى وطبقوه ودعوا إليه ، ولا بأس للداعية أن تتخلل زيارته لأحد المدعوين هدية ولو يسيرة ، كأن يكون شريطاً أو كتيباً إسلامياً ، حتى تعم الفائدة ،

(١) الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص : ٨٨ .

(٢) فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي ، د. السيد محمد نوح ، ص : ٧٦ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .

وينتفع بها المدعو ، وتحدث أثراً إيجابياً في نفسه ، فيهتدي ، ويقوم بدوره بواجب الدعوة إلى الله .

٥- المال :

" إن الدعوة الإسلامية في هذا العصر لا تزال بحاجة إلى مزيد من البذل الكثير من أثرياء المسلمين الذين وسع الله عليهم فإثم وإن كانوا ينفقون ، فإن ما ينفقونه أقل مما يجب عليهم بالقياس إلى ما ينفقه أثرياء اليهود والنصارى لنصرة عقيدتهم وديانتهم في أمريكا وأوروبا ، حيث وضع أصحاب الملايين إمكاناتهم تحت تصرف الدعاة لعقيدتهم وديانتهم " (١) . ولو رجع المسلمون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لوجدوا فيهما النصوص الكثيرة التي تحث على البذل والإنفاق ، وقد شجع الرسول ﷺ صحابته على الإنفاق في سبيل الله لإكمال مؤونة الجيش الغازي إلى تبوك، ووعد من يجهزه بالجنة، وعندما قرر كعب أن يتصدق بماله كله منعه الرسول ﷺ من ذلك رفقاً بحاله.

"والداعية إلى الله عز وجل إذا أدرك جيداً أن غريزة حب المال المتأصلة في الإنسان ابتلاء واختبار ، وإذا علم أن الإسلام حذر من فتنة الغنى ، وبطر النعمة ، وطغيان المادة ، وإذا عرف أن المسؤولية المسلمة أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه في الحياة ، وإذا تفكر أن المال الذي بيده مال الله ، وأنه مؤتمن عليه ، ومستخلف فيه ، لا ينفقه إلا في الحدود المرسومة، والطرائق المشروعة وإذا تذكر أنه ليس من ديدن المؤمن أن يجعل الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمه " (٢) . " وإذا تذكر كل هذا وتمعنه جيداً فإنه يستقيم على منهج الحق ، ويلتزم مبادئ الإسلام ، ويقف عند حدود الله ، وأما عن سياسة الداعية مع المال : فلا يكسبه إلا من حلال ، ولا ينفقه إلا في خير ، ينظر إليه على أنه وسيلة لا غاية ، يوفق بينه وبين مسؤولياته الأخرى ، يستخدمه في سبيل الدعوة وإعزاز دين الله ، لا يعطف به إلى حياة الترهل والإخلاق إلى الأرض " (٣) .

(١) تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم ، ص : ١٨٠ .

(٢) عقبات في طريق الدعاة : (٤٥٣/٢-٤٥٤) .

(٣) المراجع السابق : (٤٥٤/٢) .

"ولنا أن ندرك اليوم أهمية المال في نشر دين الله ، وتعهد الضعفاء ورعاية ضعفهم هذا بما يلائمه ؛ ومن ذلك بذل المكافآت المالية لحفظ القرآن الكريم والأحاديث والتزود بالثقافة الإسلامية ، وكذلك مراعاة حال الدعاة والعلماء ممن يجاهدون ولا يجدون ملجأ للعمل ، وذلك برعاية مصالحهم وتقدير ظروفهم ، فإن المال لا بد منه لإعاشة الإنسان ، وكذلك هو من مستلزمات كل دعوة أو مذهب أو دين يدعى إليه الناس"^(١) . وبالتالي من واجب الدعاة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان، في تأمين المال للمستحقين أن يقوموا جهراً أو ضمناً على تأسيس جمعيات تكون من أهم أعمالها جمع الزكوات والوصايا والندور والكفارات .

ثالثاً : الدروس المستفادة من أساليب الدعوة :

١ - أسلوب القدوة :

"الداعية سفير الإسلام ، كما هو سفير أمته ، والسفير لا يؤخذ من عرض الشارع، وإنما يختار اختياراً ضمن شروط وحدود . والداعية قدوة في سلوكه وسيرته، لذا وجب أن يربي تربية خاصة ليأخذ مكان القيادة ، والقدوة ، وإلا كان حجة على الإسلام مكذباً لما يدعو إليه "^(٢) .

"والقدوة عملية ناجحة ، تضع الداعية في صورة حية لما يدعو إليه حيث يقتدي المدعو بسيرة الداعية ، ويربى فيه الأتموزج الجيد لما يدعو إليه ، وبذلك ينحذب المدعوون إلى دعوة الله ، ويقبلون بشغف عليها ، شأن النفس البشرية ، حينما تجذب الأنيس والرفيق والشريك والمعين "^(٣) . وفي هجر الرسول ﷺ لكعب وصاحبيه قدوة لأصحابه في هجر أهل البدع والمعاصي ، وبعد توبة الله عليهم أمر الله سبحانه وتعالى بالاعتداء بهم في كتابه ، كما اعتذر الرسول من البكائين الذين لم يجدوا ثمن الراحلة

(١) الدعوة الإسلامية ، الوسائل والأساليب ، ص : ٨١-٨٢ .

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص : ٢٤٧ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (١/٢٣٦) .

لمحاولتهم الاقتداء بالرسول في الخروج معه للغزوة. كما اقتدى المنافقون بقدمهم السيئة من زعمائهم في التخلف ، فحسروا.

"ولقد كانت السيرة الحسنة والمعاملة الكريمة هي الجاذبية التي لا تقاوم ، والمغناطيسية التي لا تدافع ، كما كانت هي السلاح البتار في أيدي الدعاة المخلصين، فسيرة الداعية الكريمة لسان فصيح في بيان الحق وإعلاء الرسالة ، ومنطق بليغ في شرح الهداية والإعلان عنها ، ونور يغشى الظلمات فيبدها دياجيها ويظهر فجرها ويفلق إصباحها . أما إذا كان الداعية سيئ الخلق جافياً تنافرت عنه النفوس والأرواح ، وابتعدت عنه القلوب والأفئدة . فإذا تحدث فكأنما ينطق في خراب" (١) .

"وكانت القدوة الحسنة ، تلازم جميع المسلمين كبيرهم وفقيرهم ، رئيسهم وعامهم، ولما للقدوة من تأثير على الناس ، والناس ينظرون الداعية فإن التزم التزموا وإن رتع رتعوا" (٢) .

" ولهذا كان على الداعية أن يكون صاحب قول وعمل ، وحديث وفعل وأن لا يخالف ظاهره باطنه . ولأن العناصر الخيرة قليلة في سائر المجتمعات ، فما يكاد العامة يرون نموذجاً جيداً حتى يسارعوا إلى الالتفاف حوله ، والتعلق به ، ولذلك فإن القدوة الحسنة لا يعد لها شيء في حسن التأثير" (٣) .

والرسول ﷺ كان قدوة لأصحابه في سيرته وسلوكه ؛ " ولذلك نرى المجتمع الإسلامي الأول قدوة المجتمعات عندما قرن أصحابه القول بالعمل ؛ بل كان العمل والحركة يقويان القول ، فأصبحوا أهم قدوة تتحرك بين الناس ، ولذلك انتشر الإسلام في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين . فالداعية هو القدوة الأساسية ، ومنه تنبع القدوات المؤثرة في البيت والمدرسة والمسجد والمجتمع . وتبلور

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١/٢٣٦) .

(٢) الدعوة إلى الله ، الرسالة ، الهدف ، الوسيلة ، ص : ٣٧٠-٣٧٢ بتصرف .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (٢/٧٥) .

القدوة الحسنة في هذه الأربعة العناصر الأساسية ، ويمر بها الفرد وتؤثر سلبياً أو إيجابياً" (١) .

"ولكي يتهيأ شباب الدعوة في مناخ طيب ، وبيئة صالحة ، فإن هذا المناخ يبدأ في عناية الأبوين في تربية الولد على الإسلام ومنهج القرآن ، وهذا ما يسمى بمناخ البيت . ثم يأتي دور الأساتذة والمربين الفضلاء الذين يأخذ عنهم الولد العلم ، ويتلقن مبادئ الأخلاق ، وهذا ما يسمى بمناخ المدرسة" (٢) .

"ثم يأتي دور العالم المرشد الذي يأتم الولد ورائه ، ويفقه من دروسه ، ويستمع إلى توجيهاته ومواعظه ، وهذا ما يسمى بمناخ المسجد . ثم يأتي دور الرفقة الصالحة الذين إن نسي ذكروه وإن ذكر أعانوه ، وهذا ما يسمى بمناخ المجتمع وبعد هذه العناصر الأربعة يأتي دور الدعاة الذين يرتبط بهم (الشاب) وتلقى عنهم ، والتزم منهجهم ونفذ عهدهم . وهنا ينشأ المسلم على الإسلام ، ويتخلق بأخلاق القرآن ويصبح أئمةً حياً يمشي على الأرض" (٣) .

٢- أسلوب الشورى :

"إن الشورى في هذا الدين في غاية الأهمية ، يدل على هذا مواظبة الرسول ﷺ عليها . والقرآن الكريم ينطق بوجوبها ، قال تعالى : { وشاورهم في الأمر } (٤) . وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر رسول الله ﷺ بالشورى وألا ينفرد برأي دونهم وأوجب عليه ذلك ، فالشورى في حق غيره ﷺ أكد وأوجب . " والشورى ضرورة للحفاظ على ترابط وتضامن المجتمع وبقائه ، وضرورة للالتزام بالطاعة " (٥) .

" والشورى مدرسة تربوية للأمة ، تظهر من خلالها شخصيتها ، ويتحقق ذاتها ، وهي سبب من أسباب النصر على أعدائها " (٦) .

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ٧٥ بتصرف .

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ١٠٦ .

(٣) بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، ص : ١٠٥-١٠٦ .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية : (١٥٩) .

(٥) من تروحيه القرآن الكريم ، د. محمد البهي ، ص : ٥٢٧ ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، دار الفكر .

(٦) في ظلال السيرة النبوية في غزوة أحد ، ص : ٣٢ .

"ومن هنا حرص رسول الله ﷺ عليها ، واقتفى أصحابه سنته ، من بعده فحققوا انتصارات على أعدائهم ، وأصبحوا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاة الشاة والغنم"^(١) .
فقد شاور الرسول ﷺ أصحابه في التقدم إلى بلاد الروم ، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه بالرجوع إلى المدينة فرجعوا .

"والشورى صورة من صور الاجتهاد ، أو صورة من صور تطبيق الرأي المتفق عليه ، والذي جرى به العمل ، إذ أن ما يجرى في شأن الشورى يجب أن يكون في نطاق الكتاب والسنة وأن يراعى فيها ما حرم الله وما أحله الله للفرد والجماعة ، وما أوجب الأخذ به على المؤمنين وما منع من مباشرته ، وما هو من الأمور الأساسية التي لا يعدل عنها للجماعة ، وما هو شأن المصالح المرسلة في قيادتها "^(٢) .
" وإن كان أمراً قد تنازع فيه المسلمون ، فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجهة رأيه ، فأبي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به "^(٣) . قال تعالى : { فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً }^(٤) .

" والشورى سمة إيمانية في جميع أركان المجتمع الإسلامي في السياسة والاقتصاد وفي الإدارة وفي حياة الأسرة وفي المصنع ، وفي كل زاوية من زوايا المجتمع الإسلامي تسوده الشورى كملح من الملامح الإسلامية لهذه الجماعة الإيمانية "^(٥) .
وفي هذا العصر ، قد تكالبت الأمم والأعداء ضد المسلمين ، ولذلك فهم بحاجة إلى اتفاق الكلمة ووحدة الرأي فيما بينهم لمواجهة خصومهم والقضاء عليهم .
٣- أسلوب الحكمة :

" لقد قامت الدعوة إلى الله على أساس الحكمة ، والحكمة هبة وفضل من الله عز وجل يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائه . والعبد لا يكون حكيماً إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة ، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت مستفاعة من الكتاب

(١) في ظلال السيرة النبوية في غزوة أحد ، ص : ٣٧ .

(٢) من توجيه القرآن الكريم ، ص : ٥٢٩ .

(٣) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، ص : ١٥٨ ، دار المعرفة ، ط ٤ ، ١٩٦٩ م .

(٤) سورة النساء ، جزء من الآية : (٥٩) .

(٥) أصول الإعلام الإسلامي ، ص : ٢٢٩ .

والسنة . وإذا وفق الداعية المسلم لطرق الحكمة فلا يخرجها ذلك عن كونها هبة من الله تعالى " (١) .

" وإذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى ، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته ، واكتسابه الحكمة والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله .

والسني ﷺ هو أسوتنا وقلوتنا ، ويعد الدعاة إلى الله ، وقد سلك هذا المسلك ففجع الله به العباد ، وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد " (٢) .

" وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته ، وإنشاء دولته ، وقوة سلطانه ، ورفع مقامه ، ولم يعرف في تاريخ البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أي أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم " (٣) .

فقد كان الرسول ﷺ حكيماً في إعداده الجيوش لمقاتلة الروم قبل أن يهاجموه في عقر داره، وحكيماً في تجهيز جيشه التجهيز المناسب للقتال لضخامة جيش الروم، وحكيماً في الإفصاح عن وجهته إلى تبوك لأخذ الاستعداد اللازم للقتال، وحكيماً في إذنه للمنافقين بالبقاء في المدينة لئلا يسعوا بالفتنة في الجيش ، وحكيماً في عدم انتقامه من المنافقين الذين حاولوا قتله ، حتى يتألف قلوبهم فلا ينفروا من الإسلام .

وحكيماً في استغلال أوقاته حيث مضى يصلح القبائل المجاورة لتبوك وأخذ الجزية منهم ، وحكيماً في مراسلة الملوك والزعماء وفي مخاطبتهم بما يناسبهم ،

وحكيماً في تطبيقه الحجر مع كعب وصاحبيه ، لأن الحكمة تقتضي العلاج الحاسم لهم وليكون عبرة لغيرهم ، وحكيماً في منع كعب من أن يتصدق بماله كله لله رفقاً به، "والداعية الحكيم هو الذي يستطيع استخدام الأسلوب المناسب في المكان المناسب

(١) مقومات الداعية الناجح ، ص : ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٧٧ .

(٣) هداية المرشدين ، ص : ٣٤ .

والزمن المناسب مع الشخص المناسب ، عندها يعتبر أسلوباً دعوياً ناجحاً في أداء التغيير المطلوب بإذن الله " (١) .

" والحكمة في ميدان الدعوة تقتضي أن يكون الداعية عالماً بقواعد الدعوة لكل صنف من طوائف المدعوين خاصتهم وعامتهم ، وأن يكون محمداً الهدف من عظمته داعياً بأفضل الطرق المؤدية إلى ما يريد على خير وجه فيقدم للخاصة ما يقنعهم في غير إسهاب ممل أو إيجاز مخل ، ويقدم للعامة ما يناسبهم فلا يرقى بهم إلى مستوى الخاصة فلا يفهمونه أو يعيش معهم حياة المعاندين المجادلين فيدخل معهم في خلاف وجدل عقيم لا حاجة له به ، وعليه أن ينهج في حوار المخالفين له منهج المتلطف اللين في حديثه إليهم الرقيق بهم لأن ذلك أفضل لإصغائهم واستمالتهم وقد يكون السبيل لإقناعهم " (٢) .

" إذاً الحكمة أسلوب دعوي رفيع ، يكاد لا يستخدم في عصرنا الحاضر إلا في النادر، ومن قلة في المجتمع المسلم ، وما ذلك إلا لعدم توفر مقتضياته الأساسية في نفس الداعية أو المري ، وأسلوب الحكمة له ثلاثة محاور أساسية هي : القول والسلوك والمواقف .

- أما القول : فكل ما يتلفظ به الداعية أو المري يجب أن يكون موافقاً للشرع مبنياً على العلم ، حتى يكون رصيد القول له أثر في الدنيا بالكلمة الطيبة ، وأثر في الآخرة بالثواب عند الله .

- أما السلوك : فيقصد به التطبيق العملي لأقوال الداعية والمري ، حتى يكون أدعى للتأثير في الوسط الذي يدعو فيه .

أما المواقف : فيقصد بها الأحداث والظروف التي يمر بها الداعية والمري وتتطلب منه الحكمة فيها إما بالقول وإما بالسلوك أو بهما معاً . وهي التي تتطلب خيرة الداعية أو المري وعلمه حتى لا ينقلب أسلوب الحكمة إلى نقمة لا تحمد عقباه . " (٣)

(١) الأسلوب التربوي في الدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ١٦٢ .

(٢) منهاج الداعية : أحمد أبو زيد ، ص : ١١٠ ، رابطة العالم الإسلامي .

(٣) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ١٦٣-١٦٤ .

٤- أسلوب طاعة ولي الأمر :

" إن التربية على الانضباط والطاعة هي إعطاء الولاء لقيادة الجماعة ، وتنفيذ أوامرها والتزام كل ما يصدر عنها ، بدون معصية الله ، ودون أن يكون في الجماعة تردد ، ودون أن يعترهم فتور أو تناقل ، ودون أن يأخذهم عجب أو غرور ، ودون أن ينتصروا لهوى أو نفس " (١) . فبدون الانضباط والطاعة لا تسير الجماعة على نظام ، ولا يقوى لها في الأمة كيان ، ولا تصل في الحياة إلى غاية ؛ من أجل هذا أوجب الإسلام الطاعة للأمير ، وألزم المسلمين بها ، ولو كان الأمر عبداً حبشياً، بل طاعة الأمير في شريعة الله هي طاعة للنبي ﷺ " (٢) .

" ولا تقتصر الطاعة في نظر الإسلام على ما تحته النفس وتتوق إليه ، وترغب فيه ، وإنما تشمل الطاعة طاعة الأمير في الحب والكره ، واليسر والعسر والرغبة والرغبة والمنشط والمكره والسهل والصعب ، وفي كل الأحوال . وليست الطاعة للأمير في دين الله طاعة عمياء ترتكز على الجهل والعصية ، ومعصية الله والرسول ؛ بل هي طاعة مبصرة راشدة واعية ترتكز على ما يأمر به الشرع ويحقق مصلحة الدعوة والإسلام " (٣) .

وقد التزم الصحابة -رضوان الله عليهم- بتنفيذ أمر الرسول ﷺ بمقاطعة كعب وصاحبيه فلا مخلوق يفتح فمه بكلمة لهم، وعندما أمر الرسول ﷺ كعب وصاحبيه أن يعتزلوا نساءهم ، أطاعوه في ذلك، كما رمى كعب بكتاب ملك غسان في التنور من أجل طاعة الله ورسوله وأطاع المسلمون أمر الرسول ﷺ بالإنفاق لتجهيز الجيش، وفي المقابل هناك بعض المخالفات لأوامر الرسول ﷺ قد حدثت فقد نهي عن مس ماء عين تبوك حتى يأتي وقد مسها رجلين فسيهما النبي ﷺ على فعلتهم ،

(١) عقبات في طريق الدعوة : (٤٨٤/٢) .

(٢) المرجع السابق : (٤٨٤/٢) .

(٣) المرجع السابق : (٤٨٥/٢) .

وعندما أخبر الرسول ﷺ أصحابه بمحبوب الريح قبل أن تمب أمرهم أن لا يقوموا من مكانهم فقام رجل وألقته الريح بجبل طيء.

" والطاعة في الإسلام واجبة لله ولرسوله ، والخروج عليها مدعاة لعذاب يتهدد الخارج في دنياه وفي آخره ؛ لأن لب الدعوة وجوهرها يقوم على الطاعة ومن ثم كانت الآيات والأحاديث الداعية إلى الطاعة تساق في كل موقف تجتمع فيه النفس إلى التمرد والعصيان " (١) . " حتى لا تحدث البلبلة والانقسام ، ومن واجب المرين والدعاة تنشئة أبناء الإسلام على هذه المفاهيم والمبادئ من الطاعة والانضباط ، إن أرادوا أن يعدوهم جنوداً للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وحملة لمشاعل النور والهداية" (٢) .

٥- أسلوب التخطيط :

" التخطيط هو تحديد الأهداف في عمل معين ، وتحديد الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأهداف بأكثر كفاءة وأقل تضحية " (٣) .

" وإن التخطيط في الواقع هو الذي يقود خطوات الحاضر على هدى الماضي ويستخدم الحاضر لمعرفة المستقبل ، فالتخطيط في الأمم المتقدمة علم له أصوله ومناهجه ، يمارس كجزء من عملية الإنتاج في مختلف مجالات الحياة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتعليم " (٤) .

" وهو في حق الدعاة واجب ، والخطة الواعية رأسها الأهداف ، وجسمها الوسائل ، والربط بين الأهداف والوسائل عن طريق الأساليب ، ومادتها الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية وموجهها المتابعة والتقييم ، وثمراتها ظهور الأهداف على شكل نتائج ملموسة " (٥) .

" والداعية الناجح صاحب مبادرة وبديهة حاضرة ، ومقدرة على التصرف في أسوأ الظروف ، وقل أن يفاجأ بالمواقف الصعبة فإنه يفترضها ، ويتصورها ،

(١) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم ، ص: ١٩ .

(٢) عقبات في طريق الدعاة : (٤٨٦/٢) .

(٣) صفات الداعية المسلم ، ص: ٢٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص: ٢٣٦-٢٣٧ .

(٥) قواعد الدعوة إلى الله ، ص: ٩٩ .

ويلتمس لها الحلول ، وهكذا فإنه يستعين بالموقف الرومي الذي افترضه سابقاً على الموقف المفاجئ " (١) .

"والمقصود من التخطيط أن تسير الدعوة في خط واضح المعالم ، محدد المراحل، معلوم الوسائل ، مبين الأهداف لا تعترضها عثرة ، ولا تقف دونها عقبة ، ولا تتعرض للعواصف والأنواء . والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يرى أن مداخلها وخطواتها لم تمض ارتجالاً ، ولم تتم اعتباطاً ، بل مضت بعد تدبير ، وتمت بعد تخطيط يسده الوحي عند الاقتضاء" (٢) .

فكان تخطيطه ﷺ محكماً ودقيقاً لغزوة تبوك ، استنفر فيه المسلمين للقتال، وأعلن عن وجهته لتبوك، وخطط لمباغته العدو والهجوم عليه ، وعمل على مبدأ التخطيط الاقتصادي لتأمين الجيش بالعتاد والعدة ، وعلى مبدأ حشد القوة للجيش، وتوزيع المسؤوليات على الأفراد ، ورفع معنوياتهم ، وعقدته المعاهدات مع زعماء القبائل المجاورة ، واستشارته أصحابه والأخذ برأيهم ، وعودته في الوقت المناسب .

" والتخطيط للعمل الدعوي هو عمدة التنظيم ، بل هو الذي يجب أن يسير التنظيم على أساسه وقراره ، فإن كان التخطيط محكماً ، والمراحل الدعوية حكيمة والمنهج الذي يسير عليه الدعاة سليماً تقدمت الدعوة الإسلامية خطوات وخطوات في مسيرتها ، ووصلت في تعقل وإيجابية إلى غايتها ، وحققت لأمة الإسلام أسمی آيات العز والمجد والعطاء ، والعكس بالعكس تماماً " (٣) .

" إن التخطيط الواعي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر هو الذي يوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وهو الذي ينقل الدعوة من قلبها التقليدي الجامد إلى روح عصرية جديدة تستخدم أفضل الوسائل ، وتستخدم أرقى الأساليب وتفيد من وسائل الاتصال المعاصر والتقنية الحديثة المتطورة لتصل إلى كل

(١) قواعد الدعوة إلى الله ، ص : ١٠٦-١٠٧ .

(٢) بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، ص : ١١٧-١١٨ .

(٣) عقبات في طريق الدعاة : (٥٧٧/٢) .

قلب من خلال محبوبات الناس ورغباتهم " (١) . " ولا شك أن الدعاة حين يكونون صادقين مع دعوتهم فالله سبحانه وتعالى يفتح لهم من الحلول ، ويلهمهم من الأساليب ما لا يحيط على بال بشر . {واقوا الله ويعلمكم الله} (٢) . والله دائماً مع الصادقين العاملين " (٣) .

"وينبغي أن تسير الدعوة إلى الله في العصر الحديث وفق خطة مدروسة ذات مراحل تأسياً برسول الله إمام الدعوة ﷺ ؛ لأن أعداء الإسلام على اختلاف أنواعهم يحاربون المسلمين بأسلحة كثيرة متنوعة وفق خطط مدروسة ، ساهمت عقول كثيرة في إعدادها" (٤) ؛ "وبالتالي فإن تحرك الدعوة إلى الله وفق خطة حكيمة يمنع المسلمين من الزلل والخطأ ويثبت أقدامهم في طريق الدعوة ، ويجعل جهودهم تكفل بالنجاح وتثمر ثمارها المرجوة ، فترتفع راية الحق ، وتتكسر راية الباطل، ويهزم أعداء الله مهما كثرت إمكانياتهم ، لأن الدعاة إلى الله يثقون في نصر الله وتأييده " (٥) .

" فالأطباء والمهندسون والتجار والزراع وغيرهم يمكن إعدادهم وتوجيههم إذا أرادوا أن يكونوا دعاة إلى دينهم الحق في جيش الدعوة ، كما هو موجود في البلاد النصرانية .

"والتمويل عنصر لا غنى عنه لتمويل خطة الدعوة ، وبدونه تصبح الخطة، حبراً على ورق ، لأن العصر الحديث في جوهره عصر صراع اقتصادي ، ولذلك عند رسم خطة للدعوة الإسلامية فينبغي أن يكون تمويلها بالقدر الكافي لإنجاحها وتمكينها في مواجهة أجهزة الغزو الفكري ووسائله الكثيرة " (٦) .

(١) صفات الداعية ، ص : ٥٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨ .

(٣) عقبات في طريق الدعوة ، (٢/٥٩٨) .

(٤) الدعوة إلى الله على بصيرة ، ص : ٢٩١ .

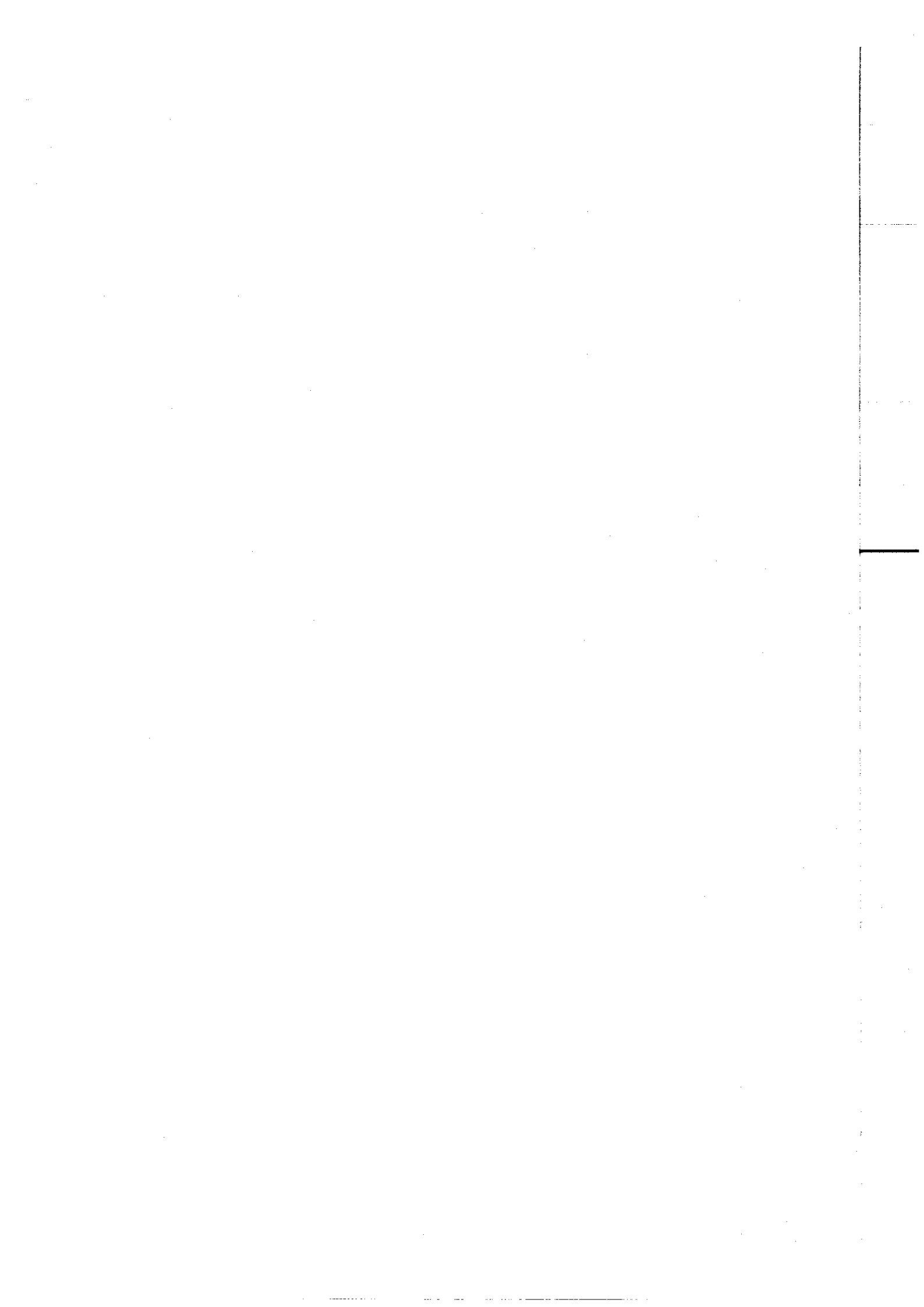
(٥) المرجع السابق ، ص : ٢٩١-٢٩٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٢٩٥ .

Faint vertical text or markings along the right edge of the page, possibly a page number or margin indicator.

المبحث الثاني

الدروس التي يستفيد منها الدعاة



المبحث الثاني

الدروس التي يستفيد منها الدعاة

هذه هي أهم الدروس الدعوية المستفادة من أحداث غزوة تبوك فيما يتعلق بالدعاة .
" والداعية هو العنصر الفعال في الدعوة ، ولا تنصرف دعوة إلا بالداعية الذي يؤمن بها ويحسن عرضها ، ويكون نموذجاً حياً لتعاليمها ، ولهذا تجب العناية بإعداده لأداء رسالته إعداداً متكاملاً من جميع الجوانب " (١) . " وإن الإسلام أكثر حاجة في العصر الحديث إلى دعاة يفقهونه الفقه الواجب ، وينشرونه بين الناس بوضوح وتمامه ، ويجدون لخدمته ويجعلونه شاغلهم كله ، ويتقربون بذلك لله رب العالمين " (٢) .

المطلب الأول : إعداد الداعية

١ - تعاهد فئات معينة بالإعداد والتربية :

" ولقد كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه بحكمة وإلهام ، فهو يعرف أصحابه فقد تربوا في مدرسته ، وكان يرعى بعضهم ، وهم صبية صغاراً بتوجيهاته وتدريباته وتكليفاته حتى يستطيعوا أن يؤدوا المهام الكبار وهم في فتوهم وحدثهم (٣) .

حيث كان من مظاهر اهتمامه ﷺ بالشباب تكليفهم بالأعمال الهامة كحمل راية القتال، أو السراية ، أو المراسلة عند الملوك ، أو تكليف من يستخلفه و ينوب عنه في المدينة أو على أهله .

" ويمكن للشباب أن يشارك في بعض المسؤوليات في المجتمع من ممارسة الدعوة إلى الله عن طريق التوعية والثقافة الإسلامية في المدارس ، وعن طريق نشاط المساجد في

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص: ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٩٤ .

(٣) المراهقون ، د. عبد العزيز النغمشي ، ص: ١١٥ ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .

تحفيظ القرآن والندوات الثقافية والملتقى العلمية والمكتبات ، وعن طريق الرحلات الدعوية ، والحكومة ، ورحلات الحج والعمرة ، وغير ذلك من الأنشطة ، وفي هذه الأنشطة يمكن أن يعود الشاب على الإمارة ، والقيادة والمسؤوليات الجزئية والكلية ، ويختبر نفسه في المواقف المختلفة والمناسبات الاجتماعية والثقافية ، التي تحتاج إلى المبادرة والمشاركة في اتخاذ القرارات " (١) . " ومجال الدعوة مجال أوسع وأعمق مما ذكر؛ فهو يتسع ليشمل النشاط لدخول الناس في الإسلام ، والتخطيط لذلك ، والنشاط لتقويم السلوك المعوج للأفراد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويشمل أيضاً الجهاد في سبيل الله باللسان والقلم والمال والوقت والنفس ، أو القيام بالأعمال التطوعية ، وهي مرتبطة بسابقتها ، إذ أن الأعمال التطوعية تدخل في الأعمال الدعوية ، لكنها تأخذ طابع المساعدات الاجتماعية " (٢) .

٢- مراعاة مقومات من يصلح لتقديمه في تولي شؤون المسلمين :

" تعرف القيادة قدرات أفرادها وميولهم ومواهبهم ، وتعرف نقاط الخبرة والاختصاص عندهم ، ومن خلال ذلك تختار لكل فرد ما يتناسب مع قدراته وميوله وحركته وطبيعته مزاجه ، فتختار للقيادة الرجل الكفاء والمسلم الخبير المتصف بمواصفات قيادية ، وإذا كانت القادة على غير معرفة دقيقة بمعطيات أفرادها فلن تنجح أبداً في اختيار المواقع المناسبة لهم " (٣) ، " وإذا فرطت في ذلك وقصرت فإنها تكون خائنة لله ولرسوله وللمؤمنين ، لكونها اختارت غير الكفاء محاباة أو عصبية أو سعياً وراء مصلحة شخصية " (٤) .

" كما أنه لا يجوز شرعاً لمن لم يتصف بمواصفات القيادة أن يكون في موقع المسؤولية الكبرى حتى لا يفرط في أمانة الدعوة ، كما أن كل من كان في صف القيادة يجب أن يكونوا مكملين بعضهم بعضاً في الاختصاصات ، وأداء المهام ، ليتم

(١) المراهقون ، ص : ١١٥-١١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١١٥-١١٦ .

(٣) عقبات في طريق الدعوة : (٢/٥٦٣) .

(٤) المرجع السابق : (٢/٥٢١-٥٢٢) .

التعاون والتكامل بين الجميع على أحسن وجه وأنبئ معنى " (١) . لقوله تعالى :
{وتعاونوا على البر والتقوى} (٢) .

والرسول ﷺ في غزوة تبوك قد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ،
فحين قادته الأفذاذ المغاوير لحملة الألوية والرايات وقيادة السرايا ، والمراسلة عند
الملوك ، وكان يودع سره عند من تتوفر فيه صفة الأمانة والكتمان ، وينيب عنه إذا
غاب من يحمل مسؤولية الإمارة أو الإنابة .

" فإذا حصل للدعوة رجالاً من ذوي الخبرة والاختصاص والكفاءات ، ووضع
كل فرد في موقعه المناسب فهذا التوظيف الصحيح بداية العمل الإيجابي لأية جماعة
تستهدف النجاح والتوفيق في انتشار الدعوة الإسلامية " (٣) .

٣- التربية على الشعور بالمسؤولية :

" حث الدين الإسلامي على ضرورة تحمل الإنسان المسؤولية عن نفسه وعن تجاه
الآخرين ، وحث المسؤولين على تربية كل من في ولايتهم ، تربية صحيحة وسليمة .
فرب الأسرة مسؤول أمام الله عن من هم في ولايته من زوج وأولاد ، وعن كل من
يعايشونه في أسرته من خدم ، مسؤول أمام الله أن يغرس في نفوسهم حب الله
ورسوله وفعل الخير وأن يربيهم على ذلك ويغرس في نفوسهم معاداة الشيطان
وحزبه وفعل الشر ويحذرهم من ذلك ، وأن يكون هو رائدهم في ذلك ، والدعوة
إلى الله " (٤) .

وقد حرص الرسول على تربية أصحابه على الشعور بالمسؤولية ، فلم يهربوا
من تحمل مسؤولية القتال في ظل الظروف العصيبة التي مرت بها الغزوة كما فعل
المنافقين ، وعندما أمر الرسول ﷺ بمقاطعة كعب وصاحبيه شعر المجتمع المسلم آنذاك

(١) المرجع السابق : (٢٢٣/٢) .

(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية : (٢) .

(٣) عقبات في طريق الدعوة : (٢٦٥/٢) بتصرف .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٨٠٢/٢) .

بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بالمقاطعة والهجر، وعندما كلف الرسول ﷺ بعض أصحابه بأعمال القيادة أو الاستخلاف أو المراسلة أو حفظ السر تحملوا المسؤولية فكانوا جديرين بها وأهلاً لها.

"بل إن كل مسلم وداعية مسؤول أن يدعو إلى فعل الخير كل من يخالطهم، من أهل وجيران وأصدقاء وأقرباء، ولو أدى كل مسلم هذا العمل، فما يمضي كبير وقت، حتى يصبح المجتمع كله ممارساً للخير فتتحسر الرذائل، وتعم الفضائل، وينعم الناس بالأمن والسعادة .

وإن الدعوة إلى الله مطالبون بأن يشجعوا كل مسؤول في مسؤوليته على الدعوة وحب الله وحب الخير، وممارسته ابتداء من مسؤولية الإنسان عن نفسه، وانتهاء بمسؤولية الحاكم عن يحكمهم و تشجيعهم بالحكمة والموعظة الحسنة " (١) .

٤ - الابتلاء من سنن الله :

" من المؤثرات النفسية التي تقف حجرة عثرة في طريق الدعوة ، وتؤخر مسيرتهم نحو العز والنصر، المؤثر الابتلائي ، الذي يكتنفهم، وينزل بساحتهم، ويمسك بخناقهم، ولا شك أن هذه الابتلاءات وأمثالها تكفي واحدة ترد الذين ينتظمون في سلك الدعوة لغرض المطامع الشخصية على أعقابهم مرتدين خاسرين " (٢) .

وقد تعرض كعب لحن عديدة لتخلفه حتى تنقت نفسه من الشوائب والأدران ، فقد تعرض لحنة الابتلاء في صدق الحديث فصدق ، ، وتعرض لحنة رقاء السوء الذين أنبوه لصدقه في الحديث فصير ، وتعرض لحنة الهجر مع صاحبيه فصير، وتعرض لحنة إخلاص الولاء لله ولرسوله عندما ألقى كتاب ملك غسان في التنور فصمد وثبت وصبر ، وتعرض لحنة فراق زوجته بأن يعتزلها فصير. وهكذا يتنقل كعب من محنة لمحنة وفي كل محنة يصبر حتى كافأه الله بالتوبة عليه وصاحبيه ، وجعلهم قدوة للتائبين

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٨٠٢/٢) .

(٢) عقبات في طريق الدعوة : (١٧٥/١-١٧٦) .

المخلصين . كما صبر المجاهدون عندما خرجوا للقتال في هيب الشمس مع شدة الجوع والعطش ، فأثابهم الله على صبرهم وصمودهم .
" أما الذين انتظموا في صف الدعوة بقصد الإخلاص والصدق وإعلاء كلمة الله ، فهؤلاء لا تردهم عن مسيرتهم الدعوية فتنة ، ولا تزعمهم محنة ، ولا يصرفهم ابتلاء ؛ لأن الداعية يعلم أن الابتلاء على درب الدعوة هو من سنن الأنبياء والعلماء والمصلحين والدعاة ، ويدرك كذلك أنه إذا صبر على المصيبة والبلاء ، وتحمل الأذى في سبيل الله ، فإن له من الأجر العظيم والثواب ما لا يعلم مداه إلا الله ، كما أن الابتلاء يعمق في نفسية الداعية عقيدة القضاء والقدر ، ليوقن أن كل ما يصيبه هو من الله " (١) .

٥- الإعداد المعنوي :

يعد الإسلام المسلمين الإعداد المعنوي الكامل عن طريق الصلة الدائمة بالله ، والتمسك بقيم الإسلام ، وبوضوح الهدف في هذه الحياة .
" وفي المعارك يكون الاهتمام بالإعداد المعنوي شيئاً مهماً لمواصلة القتال ، وتكون بتقوية الصلة بالله ، وبوضوح الهدف من القتال ، وبيان أعداء الإسلام ، وتأکید أن النصر غاية في ذاته ، ثم التحريض على القتال ، واختيار القائد الكفء . إلى غير ذلك من إعداد " (٢) .

وكان رسول الله ﷺ قد أعد أصحابه إعداداً معنوياً رائعاً يليق بهم ، من تحريضهم على القتال لمقاومة العدو، ومن حثهم على الإنفاق على الجيش ووعد من يجهز جيش العسرة بالجنة ، ومن مساواته أهل الأعدار بالمجاهدين في الأجر والثواب ، ومن تكليفه بعض أصحابه ببعض المهمات القتالية ، ومن دعائه أمام أصحابه ببركة الزاد وبتنشيط الظهر، ومن تشويقه أصحابه بقرب الوصول إلى تبوك . كل ذلك كان يقوي عزيمته الصحابة ويدفعهم إلى رفع مستوى العمل وإجادته .

(١) عقبات في طريق الدعاة : (٦١٢/٢-٦١٣) .

(٢) أضواء على التربية في الإسلام ، ص : (٢١٩) .

" والداعية الحصيف لا يستخف بهذه القوة المعنوية ، بل يهتم بها ، ويغذي بها المدعويين، حتى لا تنضب في قلوبهم ، وبالتالي ينطلق المدعوون بإيمان راسخ ، وصبر وثبات ، وتحمل للشدائد والنكبات ، ويحرص كذلك أن يفرس الإيمان في قلوب المدعويين ، وإشعال العاطفة الدينية ، ونشر الدعوة إلى الله ورسوله ، والإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى"^(١) ، "ويستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة ، وطرق النشر والتعليم ، كجوال الدعاة في القرى والمدن ، وتنظيم الخطب والدروس ، ونشر الكتب والمقالات ، ومدارسة كتب السيرة ، وأخبار الصحابة ، وكتب المغازي والفتوح الإسلامية وأخبار أبطال الإسلام وشهادته ، ومذاكرة أبواب الجهاد ، ويستخدم جميع القوى والوسائل العصرية "^(٢) .

حسن معالجة الأخطاء : -٦

" كثير من الدعاة والمربين يقوم بعملية التقويم من خلال لقاءاته بتلميذه ، وهذا تقويم قاصر ، إذ قد يظهر المرء بمظهر مغاير لحقيقته ، فعلى الداعية أن يقوم المدعو عن بعد"^(٣) . ولا يتركه دون تقويم ، فالرسول قدوته في ذلك ، فقد كان لا يبادر إلى التوبيخ أو العقاب قبل أن يستفسر من المخطئ عن سبب خطئه، مثلما فعل مع كعب وصاحبيه حينما استفسر منه عن سبب تخلفه دون تعنيف أو تجريح ثم أمر الصحابة بهجره وصاحبيه .

" وإذا اطلع الداعية على بعض عيوب المدعو ، أو على أنه يرتكب بعض المعاصي ، فعليه ألا يسارع في كشفه وفضيحته، لكي تبقى للداعية هيئته واحترامه ، ولكي لا يتيح ذلك للمدعو المجاهرة بالمعصية ، وبعد ذلك يمكن للداعية أن يعالج ذلك الخطأ

(١) ماذا خسر العالم باخطا المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، ص : ٢٧١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٨ ،

١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢ .

(٣) الدعوة الفردية ، ص : ٥٣ .

عن طريق التعريض أو التعميم ، أو الإشارة إلى غيره ، أو على انفراد حتى لا يكون تأنيباً وتعنيفاً ، فقد كان ﷺ يعرض بالمخطئين ولا ينص عليهم " (١) .
عن عائشة رضي الله عنها قالت ، قال رسول الله ﷺ : " ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى " (٢) .

-٧- الإعداد والاستعداد :

أمر الله سبحانه وتعالى بأخذ العدة لتحقيق الأهداف والوصول إلى النتائج المرغوبة بإذن الله . وقد عمل الرسول ﷺ أثناء الاستعداد لغزوة تبوك إلى الأخذ بالأسباب واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لإعداد العدة والاستعداد لمقاتلة العدو . " ولا شك أن من وسائل الإعداد للجهاد في سبيل الله في زماننا تعلم وإتقان مختلف العلوم والفنون والصناعات اللازمة لإعداد القتال ، وتعلم هذه الأمور من الفروض الكفائية في الأمة ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " (٣) ؛ لأنه يجب الأخذ بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ، ويدخل في ذلك جميع أنواع الأسلحة ، وكيفية استعمالها وتوجيههم إلى ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده ، والله عز وجل أطلق الأمر بالإعداد في قوله : {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} (٤) ، مع أخذ الحذر في قوله : {يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم} (٥) . " ولم يذكر نوعاً دون نوع ولا حالاً دون حال ، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف ، والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ، ويضعف ويقوى ، والإعداد يكون على حسب الظروف والأحوال . ويتناول كل وسيلة يستطيعها المسلمون " (٦) .

(١) الدعوة الفردية ، ص : ٥٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الراء ، ص : ٥٧٠ ، رقم الحديث : (٢٧٢٩) .

(٣) أصول الدعوة ، ص : ٢٧٣ .

(٤) سورة الأنفال ، جزء من الآية : (٦٠) .

(٥) سورة النساء ، جزء من الآية : (٧١) .

(٦) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ص : ٥٢٨ .

المطلب الثاني : صفات الدعاة

" إن هناك مجموعة من الصفات الواجب توافرها في الفرد كي يستطيع تحمل أعباء ومسؤوليات العمل الدعوي ، وبدونها لا يستطيع الداعية ممارسة دعوته ؛ فهي صفات أساسية في تكوين الدعاة ، وبرزها في السابقين الموفقين من الدعاة في مختلف العصور والقرون ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، يهتدون بمديه ثم التابعين وتابعيهم " (١) .

ومن هذه الصفات :

١ - الصفات الإيمانية :

أ - الإخلاص :

" وهو لب العبادات كلها ، وهو أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة ، وتصفية العمل من كل الشوائب ، وحقيقته ؛ التبري من كل ما دون الله ؛ أي أن الداعية إلى الله ، ينبغي أن يقصد وجه الله بقوله ، وعمله وجهاده ، وابتغاء مرضاته ، وحسن مثوبته ، وهذا شرط أساسي في الداعية إلى الله يؤهله للقيام بعمله بكفاءة" (٢) ، فالعمل إذا شابه النفاق أو الكذب ولم يكن لله فإنه عمل ساقط ومردود على صاحبه، والرسول ﷺ أمر بهدم مسجد الضرار لأن أساسه الكذب والغش والخداع والتضليل ، ولقد نوه الرسول بإخلاص أهل الأعدار فساوهم بالأجر مع المجاهدين ، وفي إحراق كعب لكتاب ملك غسان دلالة قوية على الإخلاص .

ب - المحبة :

" المحبة من ثمرات الإيمان العميق قطعاً ، وحب المسلم لربه تعالى يمتد إلى ما يحبه المحبوب جل جلاله ، ولهذا يحب المسلم نبيه محمد ﷺ ؛ لأنه حبيب الله ورسوله إلى الناس ومبلغهم الإسلام . وكذلك يحب المسلم القرآن وتعاليم الإسلام؛ لأنها رسالة

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢/٨٤٥) بتصرف .

(٢) المرجع السابق : (٢/٣٧٠) بتصرف .

الله ويحب المؤمنين ؛ لأنهم عباد الله المطيعين الذين يقومون بعبادة مولاهم " (١) .
ولذلك يحث الإسلام على المحبة بين المؤمنين . وقد كان الرسول ﷺ يحب أصحابه في
رضاه عنهم أو في غضبه عليهم ، ففي تبوك سأل عن كعب عندما افتقده ، وعندما
قابله في المدينة تبسم تبسم المغضب في وجهه وسأله عن سبب تخلفه ، وفي أثناء
المقاطعة والمجر كان يقبل بنظراته ﷺ على كعب عندما يصلي ، ويعرض عنه إذا
التفت نحوه ، وبعد توبة الله على كعب وصاحبيه فرح الرسول وسلم عليه وبشره
بأنه خير يوم مر على كعب . ومن محبته لأصحابه قوله ﷺ : كن أبا خيثمة ، للقيام
من بعيد . فكانت مشاعر المحبة قلب الرسول ﷺ تجاه أصحابه .

والأخوة في الله هي التي توجب المحبة في الله عز وجل ، وهي أوثق عرى الإيمان .
ومن أحد أسباب هذه المحبة والتآلف بين المسلمين في الوقت الحاضر :

أداء الصلوات في المساجد ؛ مثل الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ، حيث يحصل
لقاء وتعارف بين المصلين ، ثم يحدث التآلف والموانسة والمودة والتعاون .
وفي الحج ، يجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في مكان واحد فيتعارفون
ويتآلفون . وإفشاء السلام بين المسلمين ، يحدث المحبة بينهم ، وتبادل الهدايا يزيد في
المحبة ويذهب الأحقاد والشحناء والتهنئة والمساعدة إذا دعت الحاجة ، وغير ذلك .

ج - الثقة بنصر الله :

" وهي شعور قوى ينبعث من الذات الإنسانية يدفع صاحبه إلى الإيمان بالفكرة
بلا تردد ، وإلى المضي في العمل بلا تواكل ، وإلى السعي إلى الهدف بلا قنوط ،
وبناءً على هذا وجب على الداعية أن يثق بنصر الله ، حتى ينطلق بالدعوة التي يدعو
الناس إليها ، ويثق بالغاية التي ينشدها ، فعندئذ يمكن أن يقال أن الداعية يتحلى
بالثقة الكاملة بالله ، ويتمتع باليقين الفريد " (٢) . "وهذه الثقة تدفعه إلى الإخلاص في
العمل ، كما تدفعه إلى التجويد والإحسان " (٣) . والرسول ﷺ كان يتمتع بالثقة بنصر

(١) أصول الدعوة ، ص : ٣٣٧ .

(٢) بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، ص : ١٥٣ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (٥٤٨/٢) .

الله طيلة حياته ، والرسول لم يثن عزمه عن قتال الروم ، ولم تخفه قوات الروم الضخمة وحشودهم المدججة بالسلاح والعتاد، لقوة يقينه بنصر الله وثقته المطلقة به سبحانه وتعالى ، وقد نصره عليهم فدخلوا إلى داخل بلادهم . وكان كعب يثق بأن الله سيحفظه وينصره ويرحمه، حتى أنزل فيهم توبته.

"ولابد أن يثق الداعية للمسلم في كل مكان أن هذا الإسلام العظيم مهما أصابه من محن ، ومرت به من أحداث ، لا بد أن ينتصر ، ويمكن الله له في الأرض ، ويعود أقوى مما كان عزة وقوة وانتشاراً وتمكناً " (١) .

٢ - الصفات الأخلاقية :

أ - التحلي بفضائل الأخلاق واجتناب رذائلها :

" يبدأ الخلق في الإسلام بما يسبق السلوك وهو النية وقصد وجه الله تعالى في كل قول وعمل ، ثم يبدأ في كل أخذ وترك ، أي في كل خلق ، ويربي الإسلام خلق الإنسان على أساس منهج إلهي " (٢) . "ويقوم هذا المنهج في تربية الخلق على ركيزتين :

الركيزة الأولى : التحلي بالفضائل التي جاء بها الإسلام على أي مستوى من مستويات العمل والسلوك ، بل مستويات العمل والترك بالنسبة للفرد والبيت والمجتمع والأمة كلها .

والركيزة الثانية : هي التحلي عن الرذائل والشرور والفواحش ، ما ظهر منها وبطن ، من كل ما حرم الله على الناس مع كل طرح سلبية تؤدي إلى إشاعة الشر والفساد أو الانحلال أو التخلخل في العلاقات الاجتماعية بين الناس " (٣) .

" وإذا تحققت هاتان الركيزتان تكون آثارهما جليلة القدر ، عظيمة النفع في حياة الناس ، قادرة تماماً على أن تحقق لهم السعادة والرضى قدرأ لا يحقق أي منهج

(١) بين العمل الفردي والعمل الجماعي ، ص : ١٥٣-١٦٠ .

(٢) فقه الدعوة إلى الله : (١/٤٧٩-٤٨٤) .

(٣) المرجع السابق : (١/٤٧١-٤٨٤) ، بتصريف .

أو نظام ، خاصة وأن مشكلات الناس ومتاعبهم في الحياة إنما تعود إلى أزمات في أخلاق الناس ببعدهم عن الفضائل واقترافهم الرذائل ، والعالم شرقاً وغرباً يقدم الدليل على ذلك ؛ فالأمم أخلاق قبل أن تكون ماديات وآليات " (١) .

والرسول ﷺ كان خلقه القرآن فكان مثلاً أعلى يحتذى ، وقد برز بعضاً منها في غزوة تبوك ، مثل تواضعه حين صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ، وصبره على أذى المنافقين له ، وحلمه عمن حاول قتله منهم ، ومحبه لأصحابه وعدله معهم ومع أعدائه . إلى غير ذلك من أخلاقه الكريمة التي كانت سبباً في إسلام عدد كبير من المدعوين المدعوين .

ب - مطابقة القول للعمل :

" فيجعل الداعية ظاهره كباطنه ، وأفعاله مطابقة لأقواله ، فلا يخجل بشيء من متطلبات الدين الأخلاقية ، فإن أختل ظاهر الفرد في أخلاقه عن باطنه ، أو فعله عن قوله ، فهو غارق في النفاق أو الرياء " (٢) . والرسول ﷺ كان قدوة الدعاة في مطابقة قوله لعمله ، فعندما نهى المسلمين عن محادثة كعب وصاحبيه كان قدوتهم في ذلك فكان قوله مطابقاً لفعله وقد احتذى الصحابة بفعل الرسول ﷺ في ذلك .

" والمطلوب من الداعية أن لا يخالف سلوكه قوله ، بحيث ينسيه أنه داعية إلى الله في كل شيء في العبادات والمعاملات ، في الأخلاق والأمور الدنيوية من مبنى وأثاث وطعام وشراب ، ولباس وزينة وغير ذلك " (٣) ؛ لأن " كثيراً من الناس يبيحون لأنفسهم أن يرتكبوا المخالفات لمجرد أن رأوا رجلاً موثقاً يفعلها " (٤) . ومن هنا كانت وظيفة الدعاة خطيرة ومسؤوليتهم كبيرة ولاسيما في أماكن التجمعات مثل المدارس والمساجد وغيرهما .

٣ - الصفات النفسية :

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٤٨٤/١) .

(٢) المرجع السابق : (٦٢٢/٢) .

(٣) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ١٧١ .

(٤) من صفات الداعية ، ص : ٣٠ .

أ - أخذ الحذر :

" أساس الحذر المعرفة وأخذ الحيلة والتحرز من مباشرة الأسباب ، لمنع وقوع الضرر والمكروه ، والحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعية المسلم فهناك حذر من الوقوع في المعصية ، وحذره من الأهل والولد ، وحذره من اتباع الهوى ، وحذره من المنافقين والكافرين " (١) .

وقد تمثل ذلك في أحداث غزوة تبوك فكان الحذر من الكفار يتمثل في أخذ الرسول ﷺ الأهبة لقتال الروم في ديارهم قبل أن يغزوه في دياره ، ومن المنافقين كان الرسول ﷺ على حذر منهم وخاصة بعد محاولتهم قتله ، ويتضح من إحراق كعب لكتاب ملك غسان ؛ الحذر من الأعداء أيضاً ، والحذر من المعاصي والحذر من اتباع الهوى ، كما يتضح الحذر من فتنة الأهل والولد من لحاق أبو خيثمة بالرسول ﷺ وتركه أهله ، ومن أمر كعب زوجته أن تلحق بأهلها .

" وإذا كان الحذر مشروعاً فقد يحتاج إليه الداعية ، كما لو كان في مجتمع كافر مثل المجتمعات الوثنية في إفريقيا وآسيا . والملا في هذه المجتمعات يكيّدون للداعية إلى الله تعالى ويعرقلون سعيه في نشر الإسلام أو يريدون البطش به . وقد يكون الأخذ في هذه الحالة وأمثالها واجباً عليه ؛ لأن تركه قد يفضي إلى التهلكة ؛ كما أن بقاء الداعية وحرته في الروح والمحيء ، وما يتبع ذلك من نشر الإسلام فيه خيراً كثيراً يفوت إذا هلك ، بسبب ترك الحذر ، فيلزمه الحذر لهذه الغاية " (٢) . أخذاً بقوله تعالى : {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} (٣) .

ب - الإرادة الجازمة :

" الإرادة الجازمة ؛ بلوغ الاتجاه النفسي نحو الشيء وذروة الجزم به ، وحين يبلغ الاتجاه النفسي نحو عمل ما ذروة الجزم به فالنتيجة الطبيعية هي العمل على تنفيذ

(١) أصول الدعوة ، ص : ٤٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٤٥٢ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : (١٩٥) .

المراد " (١) ، " مهما كلفها من المشاق والعقبات ، وإذا كان الداعية ضعيف الإرادة؛ فإنه لا يستطيع أن يكمل نفسه فكيف يكمل غيره . والإرادة لازمة للداعية؛ لأن عليه أن يأخذ نفسه بالعزائم من الأمور ، ولا يكون ذلك إلا إذا كان قوي الإرادة ، كما يلزمه أن يتحلى بكثير من الصفات التي لا يستطيع كسبها إلا بإرادة حديدية قوية ، وإذا تعود الداعية على مخالفة نفسه وشهواتها تولد لديه هذا الميدان قوة الإرادة " (٢) ، لم يتمتع المسلمون المجاهدون بقوة الإرادة في مواجهة الجوع والحر والعطش و وطول المسافة لما استطاعوا الصمود في مواصلة الطريق ، ولو لم يتمتع كعب بقوة الإرادة لما نجح في اجتياز المحنة الأليمة التي مر بها ولم يكن قدوة للمسلمين ، ولذلك هي سر نجاح الداعية بالاستمرار في دعوته ، لمواجهة الصعاب والذلال.

ج - حفظ السر :

" حفظ السر أو الكتمان من معاني الأمانة والصبر ، ويكون بحفظ الداعية أسرار الناس، فلا يدع لسانه يفشيها ، ولا يضع سره إلا عند رجال يحفظون السر ، ويقدرّون خطورة إفشائه . وإذا اطمأن المدعوون إلى أمانة الداعية وصبره في حفظ السر ، فإنهم يثقون به، ويجعلونه مرجعاً لهم في حل مشاكلهم ؛ وبالتالي يكون محل تقديرهم واحترامهم " (٣) . مثلما كان حذيفة موضع ثقة الرسول ﷺ في حفظه سر أسماء المنافقين إلى مماته ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال الداعية.

د - الثبات :

" الثبات بمعنى الإصرار والاستمرار على البقاء في الصف أياً كانت المعوقات ؛ بل أياً كانت التضحيات ، لأن ذلك هو الحق " (٤) . " وقد مدح الله سبحانه الثبات ، وأثنى على

(١) الأخلاق الإسلامية ، وأسها : (١/١٠٤) .

(٢) مرشد الدعاة ، ص : ٢٢٢ .

(٣) صفات الداعية الناجح ، ص : ٧١ .

(٤) فقه الدعوة إلى الله : (٢/٦٣١) .

أصحابه، حتى إن ديننا جعل الثبات نعمة كبرى " (١) . "ويكون الثبات باستقرار القلب على الحق ، وثبوت اليقين فيه . وهذا الثبات الذي يكتسبه القلب من الإيمان يكسبه صفة الصمود في وجه الباطل ، والتحدي للشدائد والمحن ، وهذا هو سر ثبات المؤمنين ، وتحملهم لكل المشقات التي واجهتهم في بداية الطريق " (٢) فالمسلمون المجاهدون في غزوة تبوك اتصفوا بالثبات في مواجهة العدو، ولذلك انسحب الروم إلى داخل حدودهم قبل مواجهة المسلمين، كما تحلى كعب بالثبات في محنة الهجر فعوضه الله بالحسنات والتوبة عليه وصاحبيه .
"والمطلوب من الدعاة صرف كل صارف يصرف العامل عن عمله ، أو عن الاستمرار فيه ، بمعنى التغلب على هذه الصوارف ، مهما تكن شخصية أو اجتماعية أو سياسية أو غيرها ، والعمل على إزالتها من طريق العمل ، فهذا هو الثبات المأمول في العمل الإسلامي كله ، ثم البحث الدائم عن دواعي الثبات ، وتأكيدها في النفس " (٣) .

٤ - الصفات السلوكية :

أ - الحلم :

" الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام ، وهو خلق من أخلاق النبوة والرسالة ، والحلم صفة هامة للداعية تجمع القلوب وتذيب الإحن ، وتعطي له قدراً كبيراً من الصلابة في مواجهة أشد المواقف وأحلكها ، وهو أول ما يمتحن به الخلق الحسن ؛ إذ يقرب الغريب ، ويذهب العداوة " (٤) .
" والحلم سيد الأخلاق وهو ليس دليل ضعف أبداً ؛ بل هو الدليل على القوة ، فالمالك لنفسه عند الغضب هو القوي . والداعية إذا جعل همه الغضب والانتقام فإنه ينفر المدعويين منه ولا يجيبهم في استماع الدعوة وتفهمها أحد " (٥) .

(١) فقه الدعوة إلى الله : (٢٢٩/٢) .

(٢) تقنين الدعوة ، ص : ٢٣٠ .

(٣) فقه الدعوة إلى الله : (٢٣٠/٢) .

(٤) مقومات الداعية الناجح ، ص : ١١٤ .

(٥) الدعوة الإسلامية ، أصولها ووسائلها ، ص : ٤٥٢-٤٥٣ .

والرسول في غزوة تبوك لم ينتقم من المنافقين الذين يشككون في نبوته ، أو وهم يعتذرون عن القتال ويثبطون المؤمنين عن المشاركة في القتال ، أو وهم يحاولون قتله ﷺ ، حتى يتألفهم لدعوته ويجيبهم بها فلا ينفروا منها .

ب - الجمع بين الرفق والشدّة :

" لقد حث النبي ﷺ المسلمين عامة ، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق ؛ لأن بالرفق تساس الأمور ويعرف مكنم الداء ، ويعطي الدواء ، لتستقيم النفوس على الخير ، وتقبل على دعوة الله عز وجل " (١) . " ومع ذلك فلا بد من الداعية الجمع بين الرفق والتغليظ ، مع المدعويين ، وأن هذا يختلف باختلاف الأفعال والأشخاص والأحوال ؛ فموقف يحتاج إلى شدة وتغليظ وموقف يحتاج إلى رفق ولين ، وكذلك شخص ينفع معه اللين والرفق وشخص تنفع معه الشدة والغلظة ، وذلك يستدعي أن يكون الداعية فقيهاً حكيماً لبقاً يعرف كيف يتصرف في المواقف " (٢) . وكان الرسول ﷺ يجمع بين الرفق والشدّة في تعامله مع أصحابه ، فقد كان رفيقاً بأصحابه من أهل الأعداء فساواهم بالمجاهدين بأجر الجهاد كما كان رحيماً بكعب فسمح له بالتصدق بثلث ماله رفقاً بحاله . ومع ذلك فقد تعامل بالشدّة في أحياناً أخرى مع أصحابه ، حيث أمر الصحابة بهجر كعب وصاحبيه لتخلفهم عن الجهاد ردعاً لهم ولغيرهم ، كما أعد العدة اللازمة لجهاد أعداءه من الروم وإرهابهم ، كما تعامل عمارة بن حزم بالشدّة مع المنافق الذي حاول التشكيك بنبوة الرسول ﷺ ، وكذلك كان ديدن الرسول ﷺ وصحابته في الجمع بين الرفق والشدّة في تعاملهم .

ج - التضحية :

" وذلك أن يجود الداعية بكل ما يملك من نفس ومن وقت ، ومن (عمل) جهد ، ومن مال ، حتى يجوز ثقة الناس من ناحية ، وحتى يؤثر فيهم وبسرعة من ناحية

(١) كيف يدعو الداعية ، ص : ٥٦ .

(٢) صفات الداعية الناجح ، ص : ٤٨ .

أخرى " (١) . " والدعوة إلى الله دائماً في حاجة إلى البذل والتضحية بالوقت والجهد، وما يستطيع المسلم من مال ؛ لأنها لن تؤدي عملها إلا بهذه العناصر الرئيسية لإنجاح كل عمل (الوقت والجهد والمال) والتضحية ملازمة للجهد والدعوة في سبيل الله إذ لا جهاد ولا دعوة بدون تضحية" (٢) . والمسلمون قد ضربوا أعلى مستويات التضحية في الاستعداد لغزو تبوك فقد ضحوا بالغالي والنفيس فداءً لنشر دينهم حتى جهز عثمان ثلث مؤونة الجيش، فضحوا بأموالهم وأنفسهم وقتهم وراحتهم في سبيل الله وتعرضوا في طريقهم للعديد من الصعاب ؛ لأن التضحية ملازمة للجهاد في سبيل الله .

٥- صفة الحرص على هداية المدعوين :

" لقد كان النبي ﷺ وأصحابه يحرصون كل الحرص على تبليغ دعوة الإسلام لكل إنسان يروونه وإن كان عدواً ؛ بل إنهم ينطلقون إلى الناس في مضاربهم ومساكنهم يبلغون هذا الدين لأنها وظيفتهم في الحياة " (٣) . فقد حرص الرسول ﷺ في تبوك على دعوة زعماء القبائل المجاورة ثم خيرهم بين الإسلام أو الحرب أو دفع الجزية ، فاختاروا دفع الجزية، كما أرسل كتابه إلى هرقل يدعوه فيها للإسلام، وحرص كذلك على دعوة مبعوث هرقل للإسلام ، فكان يدعو ﷺ للإسلام في جميع الأماكن والأحوال .

وإن حرص الداعية بمن يدعو إلى الحق له علاقة وثيقة بهم ، يحكمها حبه لهم ، وحرصه على إرشادهم ونصيحتهم وهدايتهم ، ولكي ينجح في دعوته فإن الأمر يتطلب منه عرض دعوته على جمهوره، حتى يستطيع النفاذ بدعوته إلى قلوب الناس، خاصة وأن الدعاة إلى الله من الرسل والأنبياء والصحابة والتابعين كانوا أشد حرصاً على هداية الناس والتقرب إليهم ونصيحتهم ، شفقة بهم ، ورغبة في إنقاذهم من النار ، ولذلك كان من واجب الدعاة الانتقال من بلدة إلى بلدة ، ومن قرية إلى

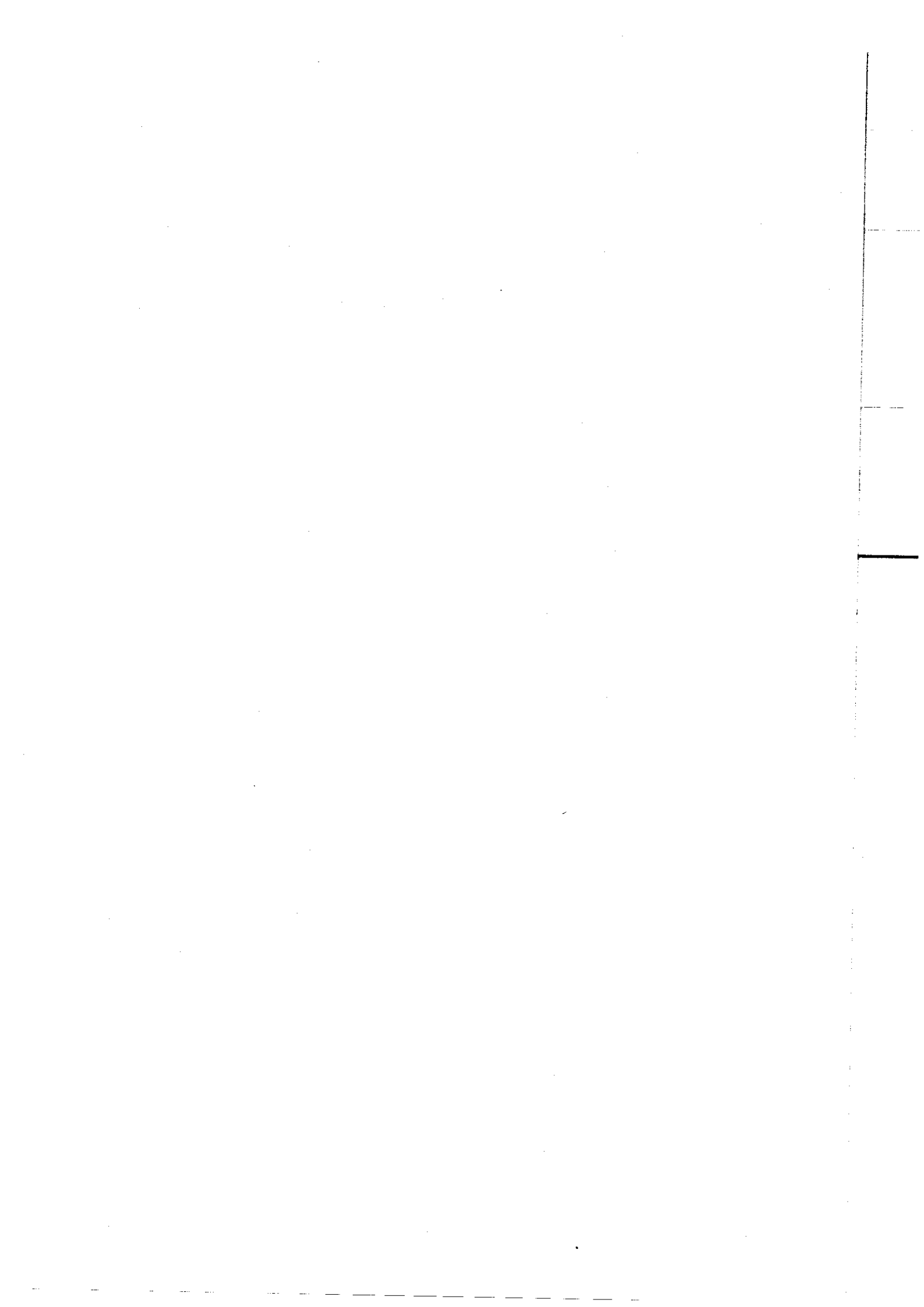
(١) فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي ، ص : ٥٨ .

(٢) فقه الدعوة إلى الله: (٢/٩٨٣) .

(٣) في ظلال السيرة النبوية في غزوة الأحزاب ، د. محمد عبد القادر أبو فارس ، ص : ٣٦ . دار الفرقان ، عمان ،

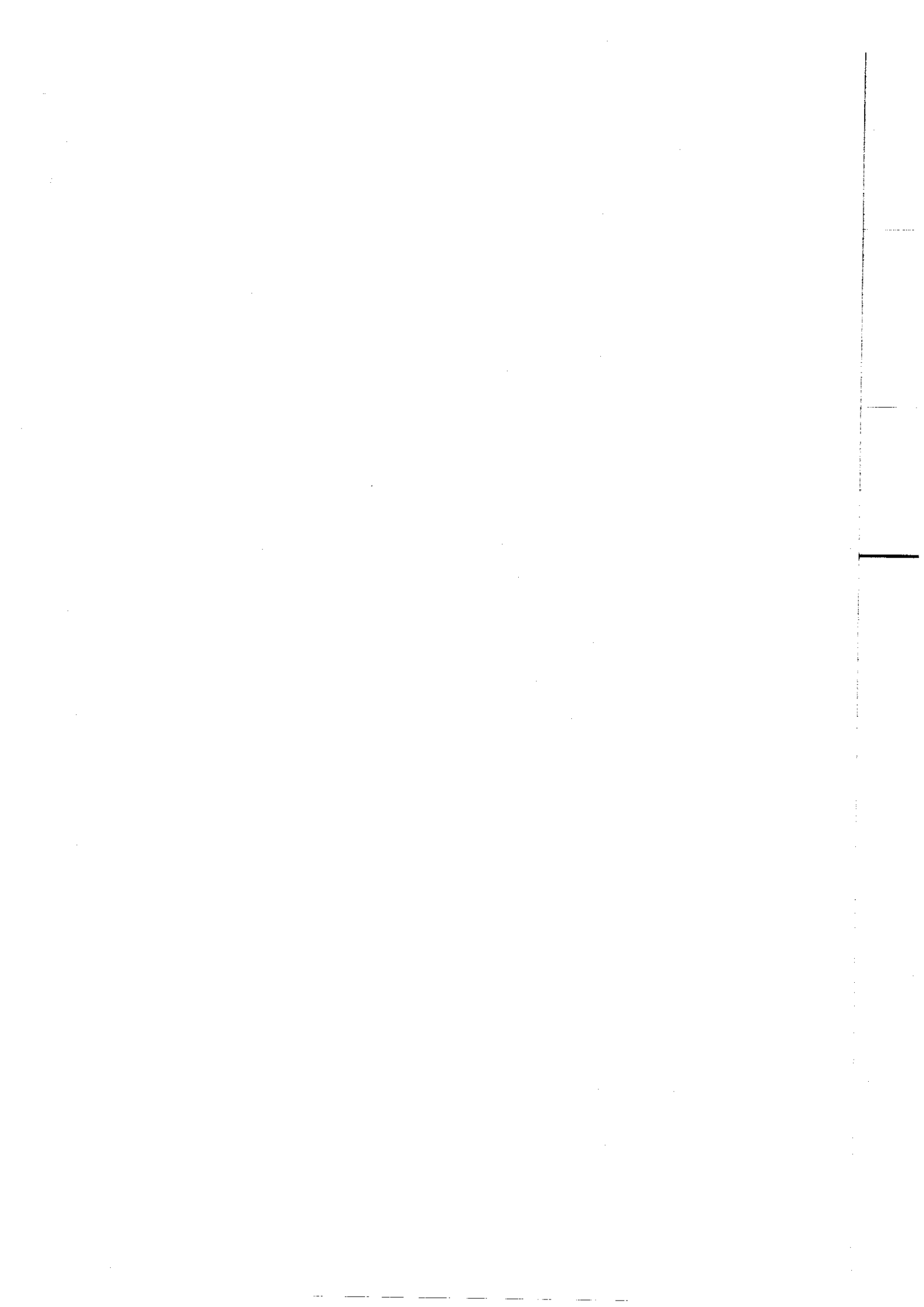
الأردن ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

قرية، ومن قطر إلى قطر لنشر الدعوة والهداية والخير للناس ، والاستفادة في هذا العصر من وسائل الاتصال الحديثة المسموعة والمرئية والمقروءة ، حيث بإمكان الداعية أن يسجل على شرائط التسجيل والفيديو ما يراه مفيداً وناجحاً في نشر الدعوة من خطب ومحاضرات ، ودروس ومواعظ لتسمع في أماكن قريبة كانت أو بعيدة . وكذلك من خلال الإذاعة والتلفاز في بث برامج مفيدة وفعالة في نشر الدعوة بمختلف اللغات واللهجات ، بالإضافة إلى الإسهام بالكتابة بالكتب والكتيبات ، والنشرات الصغيرة ، والصحف والمجلات وتوزيعها قدر الإمكان مما يساعد في وصول الدعوة إلى من لم تبلغهم الدعوة في العالم أو وصلتهم مشوهة .





المبحث الثالث
الدروس التي يستفيد منها المدعوون



المبحث الثالث

الدروس التي يستفيد منها المدعوون

هذه هي أهم الدروس الدعوية المستفادة من أحداث غزوة تبوك فيما يتعلق بالمدعوين.

المطلب الأول : مراعاة أحوال المدعوين

اهتم الإسلام بمراعاة أحوال المدعوين من جميع النواحي ، وقد تمثلت في غزوة تبوك . من الناحية الإيمانية ، ومن الناحية العقلية ، ومن الناحية النفسية ، ومن الناحية الاجتماعية . وهي كالآتي :

١- مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية :

" يهتم الإسلام بالجانب الإيماني في الإنسان ، بحيث يكون صافي الروح يحس دائماً بوجود الله ، في كل ما يقدم عليه من عمل . ويكون شاعراً بمراقبة الله له في كل عمل ، وممتلئاً بخشية الله وتقواه ، وهو يمارس أي عمل . ويكون شاعراً بحب الله والاطمئنان إلى قضائه وقدره ، وراضياً بذلك سعيداً به . و يكون له ارتباط وثيق بالله ، عن طريق أدائه للفرائض والطاعات والقربات والنوافل ، والبعد عن المحرمات ، ومحاسبة النفس الدائمة " (١)

وقصة توبة كعب وصاحبيه - رضي الله عنهم - تمثل التوبة الصادقة النصوح للمسلمين الذين يذنبون ويخطؤون ثم يتوبون ، فباب التوبة مفتوح لهم ليبادروا بالتوبة العاجلة . فإذا توفرت مراعاة الداعية للمدعو فقد وفق في ذلك ، وإن لم يوفق فإن أمامه فرصة أن يشرع في استكمال ما ينقص المدعو من الجانب الإيماني . ويظل هكذا في مجال الإكمال والاستكمال يزكي روحه حتى يغدو المدعو صالحاً .

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١/٤٢١) .

٢- مراعاة أحوال المدعو العقلية :

" إن العقل البشري أثنى ما حبا الله به الإنسان ، لأنه مناط التكليف ، ومتعلق الأمر والنهي ، ولولاه ما كان للرسالات السماوية نصيب من حياة الإنسان ، ولولاه ما أدرك الإنسان سر وجوده في هذه الحياة " (١) ، ولذلك فمن الضروري أن يحرص الداعية على تنمية عقل المدعو على النظر والتأمل والتفكير والتدبر في مخلوقات الله وما ينطوي عليها من حكم وفوائد ، والنظر والتأمل في نواميس الكون .
ودعوة عقله إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وأسلوب حياة كامل ، لما فيه من تحقيق سعادة البشرية كلها في معاشها ومعادها .
وتمكين عقله من التأمل في تاريخ البشرية ، لما فيه من إنضاج العقل عند التأمل لأنه يحمل علامات تهدي من أراد أن يفكر ويتيقظ ، حتى يلزم عقله بأن يتعرف على الحق عن قرب وعن يقين ، ويكون ملازماً له ومن دعائه الصابرين . ومن حرص الرسول ﷺ على احترام عقول المدعوين عدم إجبارهم على اعتناق الإسلام ما لم تقتنع عقولهم بقبوله و تنشرح صدورهم له ، ولذلك عندما عرض الإسلام على زعماء القبائل المجاورة لم يجبرهم على الدخول فيه بل ترك لهم حرية الاختيار ، فاختاروا دفع الجزية .

٣- مراعاة أحوال المدعوين النفسية :

" إن النفس أماراة بالسوء ، وبداخلها تكمن غرائز وأحاسيس الإنسان جميعاً من حب وبغض ، وخوف وغضب ، وحزن ومرح ، إلى غير ذلك ، وعليه فلا بد للداعية أن يرسخ في المدعو أن الإرادة القوية التي يملكها نفسه ويتحكم بها في غرائزه ، وأعلى مراتب الإرادة هو حب الله ، وبعد محبة الله لا بد من الإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره ، واستخراج كنوزه وإثارة دقايقه ، و صرف العناية إليه ، والعكوف بالهمة عليه " (٢) . حتى يوطن المدعو نفسه على مواجهة الحياة بجلوها ومرها ، ويكون مستعداً لمواجهة أسوأ الاحتمالات وأحسنها ويواجه ذلك كله بنفس لا تجزعه المحن ، فتقبل الهزيمة ، ويستعد

(١) تقنين الدعوة ، ص : ٧١ .

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ٤٠ ، بتصرف .

لاستقبال النصر ، وكيفية استثمار هذا النصر لخدمة الحق ، وإقامة العدل ونصرة المظلومين . وهذا المراعاة النفسية تجعل المدعو دائماً واثقاً من نفسه" (١) . وقد راعى الرسول ﷺ أحوال المدعويين النفسية ، فلم يعنف كعباً أو يهينه بل تبسم في وجهه تبسم المغضب وسأله عن سبب تخلفه . كما عمل على رفع الروح المعنوية لأصحابه فبشرهم بقرب الوصول إلى تبوك قبل أن يصلوها ، كما ساوى المخلفين من أهل الأعدار بالمجاهدين في الأجر ، وتلقى كعب بالبشر والفرح ، ولم يكلفه بالتصدق بماله كله بل بثلثه رفقاً بحاله .

مراعاة المؤثرات النفسية ، مثل الحقد لدى المدعويين ؛ لأن "الحقد في ذاته مرض نفسي له آثاره المدمرة في نفس الحاقد ، ولأنه يشغل القلب ، ويتعب الأعصاب ، ويقنق البال ، وقد تظلم الحياة في وجه الحاقد ، وتضيق الدنيا في وجهه ، فيلجأ إلى تدبير الخطط لينتقم ممن أغضبوه فيقع في حبائل الجريمة من حيث يعلم أولاً يعلم ، فيصبح أداة خطر على الأمن والمجتمع بردود فعله ، وسوأ معاملته وسلوكه" (٢) .

وجهور الحاقدين ، تغلي مراحل الحقد في أنفسهم ، لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم ، وامتألت به أكف أخرى" (٣) . ولذلك فالمنافقين قادهم تفكيرهم إلى محاولة قتل الرسول وهو في طريقه إلى المدينة من تبوك ، فأبطل الله مخططهم ورد كيدهم إلى نخورهم .

"وليس أروح للمرء ، ولا أطرده لمومه ، ولا أقر لعينه ، من أن يعيش سليم القلب ، ميراً من وساوس الضغينة ، وثورات الأحقاد ، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها ، وأحس فضل الله فيها ، وفقر عباده إليها" (٤) . "ولذلك فالداعية إلى الله إذا أحس من نفسه أنه سينحدر إلى هذا المستوى من الجهل والكيد والحقد ؛ فعليه أن يتذكر أنه مؤمن بالله ، وأنه داعية إلى الله يعمل في سبيله وأنه صاحب قدوة يقاس به العامة والخاصة ، وأن يعلم جيداً أن البغضاء والشحناء والكيد والحقد والعداوة والخصومة من أخلاق السفلة من الناس ،

(١) تقنين الدعوة ، ص : ٣٨٧ .

(٢) عقبات في طريق الدعوة : (١/٩٩) .

(٣) خلق المسلم ، ص : ٩٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص : ٨٩ .

فإذا تذكر كل هذا وعلمه ، وانبحست مشاعر الرقابة لله في أعماقه ، فإذا هو إنسان مبصر
تائب منيب مستغفر " (١) .

٤- مراعاة أحوال المدعوين الاجتماعية :

" يهتم الإسلام ببناء المجتمع بناءً يتناسب مع عظمة الدعوة التي جاء بها ، وذلك
يتطلب من الداعية أن يكون المدعو إيجابياً فاعلاً في مجتمعه ، وذلك مطلب أساسي من أجل
الدعوة ، ويتطلب كذلك من المدعو الانفتاح على الآخرين في المجتمع ومخالطتهم
ومشاركتهم في الأنشطة المختلفة ثم القيام بواجب النصيحة وإنكار المنكر مستخدماً الحكمة
والموعظة الحسنة، وأن يكون قيادياً متابعاً من يدعوهم " (٢) . ولذلك حرص الرسول ﷺ
على مراعاة أحوال المدعوين الاجتماعية لأصحابه فكان يعمق روح الأخوة بينهم يتفقد
غائبهم ويسأل عنه، مثلما تفقد كعباً في تبوك ، وأبو خيثمة ، وسؤاله عن غفار وأسلم،
وتأليفه بالعفو موضع الانتقام فيما دون حرمة الله لمن حاولوا قتله، وتكليف بعض أصحابه
بالأعمال الهامة كالقيادة العسكرية أو الاستخلاف والإناابة بالمدينة ، واستشارتهم واحترام
رأيهم بالرجوع إلى المدينة، ومراعاة كبراء القوم من أصحاب المكانة الاجتماعية العالية من
الزعماء بقبول هديتهم ، وإهدائهم بالمثل رجاء أن يسلم ويسلم معه قومه، ومراعاة أصحابه
حال وقوع الخطأ منهم بعدم التشهير بهم أو تعنيفهم .

حقوق المدعوين :

١ - أن يؤتى المدعو أو أن يرسل إليه :

" من حق المدعو أن يوتى ، ويدعى ؛ أي أن الداعية يأتيه فيدعوه إلى الله تعالى،
أو أن يرسل إليه ، ولا يجلس الداعية في بيته وينتظر مجيء الناس إليه ، وأن لا تكون

(١) عقبات في طريق الدعوة : (١١٠/١) .

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ٩٠ .

الدعوة للمدعو له عرضاً أو مصادفة " (١) ؛ " لأن الداعية المسلم يقتدي برسول الله ﷺ فينتقل إلى الناس في أماكنهم ومجالسهم وقراهم ويبلغهم الإسلام ويدعوهم إلى الله تعالى " (٢). فعندما توجه الرسول ﷺ إلى تبوك أرسل مبعوثه إلى هرقل يدعوه فيها للإسلام ، كما أرسل ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأسره ، وأتى به إلى الرسول ، وعرض عليه الإسلام . كما يمكن استغلال وسائل الإعلام المعاصرة للدعوة إلى الله تعالى .

٢- بذل الدعوة لكل الناس :

" لا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به فلا يدعوه ، لأن من حق كل إنسان أن يدعى ، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعية وزناً سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه " (٣) . فالرسول ﷺ لم يستصغرمبعوث هرقل في تبوك حيث عرض عليه الإسلام ، كما اهتم بإرسال مبعوثه إلى هرقل ليدعوه فيها للإسلام ، وعرض الإسلام على ملك أيلة ، وعلى أكيدر دومة . " والداعية الحريص على مدعويه يقتدي برسول الله ﷺ ، ولا يستهين بأحد فيزهد في دعوته ، فقد يكون الخير الكثير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيراً الآن " (٤) .

٣- عدم إكراه أحد على قبول الدعوة :

إن الإرادة لا تكون تامة الحرية في حالة الإكراه ؛ بل هي مغلوبة مستكرهه ، لذلك فالأحكام الإسلامية قررت رفع مسؤولية الإنسان عن الأعمال المادية التي يستكرهه على فعلها . ولذلك فلا يكره الإنسان على إعلان الكفر أو الإسلام بتهديد أو توعد بالقتل الذي لا يستطيع الإنسان دفعه ، أو بالعذاب الشديد الذي لا يستطيع تحمله، من أجل ذلك عندما عرض الرسول ﷺ الإسلام على القبائل المجاورة

(١) أصول الدعوة ، ص: ٣٧٤ ، وانظر مستلزمات الدعوة إلى العصر الحاضر ، ص: ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٣٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص: ٣٧٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص: ٣٧٦ .

لتبوك لم يكره رسول الله ﷺ أحداً على قبول الإسلام كرهاً، بل ترك لهم حرية الاختيار إذا عرضه عليهم؛ لأن الإكراه لا يستطيع تحويل القلوب عن إيمانها مهما كان شأنه، وهذا واجب الدعوة دائماً في كل عصر وزمان.

٤- التعرف على المدعويين :

" مما يميز الدعوة في سلوكهم الخاص ، حرصهم على التعرف على إخوانهم المدعويين والإحاطة بجملة أحوالهم ، ومعلوم أن هذا التعارف ملازم بالنسبة للمجموعات المتجاورة أو المتعاونة وهو أشد لزوماً للدعاة إلى الله " (١)

والرسول ﷺ كان يحب التعرف على المدعويين ليكسر حاجز الصمت والرهبة والحجل منه أثناء الوقوف أمامه، وهذا ما حدث معه ﷺ في تبوك ، حيث سأل مبعوث هرقل عن أصله ، وبعد سؤاله عن أصله دخل في صميم دعوته فعرض عليه الإسلام .

ويمكن للداعية في هذه المرحلة أن يمر بمراحل :

أ - مرحلة التعرف : " ويقصد به تكوين صلة وإيجاد علاقة بمن يريد الداعية دعوته عن طريق إفشاء السلام ، والتبسم في وجهه ، والصلاة بجانبه في المسجد ، وتقديم العون له ، والمساعدة في الطريق في نفس الحي ، والسؤال عنه إذا غاب ، كل ذلك في ظل إخلاص النية والدعاء من الله بالتوفيق والهداية بعيداً عن مناقشات الحلال والحرام وأمور الدعوة حتى تطمئن القلوب بعضها لبعض " (٢) .

ب - مرحلة التوثيق والصلة : " وذلك بإيجاد علاقة وثيقة بين الداعية والمدعو عن طريق الزيارات المكثفة واصطحابه إلى المسجد والندوة والمحاضرة ، والقيام بزيارة صديق أو شيخ أو مكتبة سوية ، كل ذلك باعتدال دون التسبب في المضايقة والإحراج وفي ظل الأدب الإسلامي " (٣) .

(١) كيف ندعو الناس ، ص: ١٢٢ .

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص: ٨٠-٨١ ، انظر: الدعوة الفردية ، ص: ٣٤ ، فقه الدعوة

الفردية في المنهج الإسلامي ، ص: ٦٩-١٠٠ .

(٣) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص: ٨٣ .

ج - مرحلة التربية : " ويقصد بها توجيه الداعية للمدعو بأمر وأخلاق الإسلام من أجل تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة للمدعو ، وتبدأ ببناء العقيدة الصحيحة في المدعو وتعليمه الإخلاص وإتباع السنة و تربطه بالعقيدة الإسلامية دائماً ، وتعليم المدعو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (١) .

٥ - التفقد :

لا يكتفي الداعية بأنه صاحب رسالة يعمل لنشرها ، وذلك لأنه لا يتأتى له ذلك إلا إذا شعر المدعوين برعاية الداعية لهم ، وتفقدهم وسؤاله عن أحوالهم ، وقام بالسعي في قضاء حوائجهم ، والاهتمام بهم ، ومتابعتهم باستمرار ، ولا يكون هذا إلا لوجه الله عز وجل ، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان يتفقد أصحابه باستمرار، وفي تبوك سأل عمن تخلف من بني غفار وأسلم ، وتفقد كعب ، وأبو خيثمة-رضي الله عنهما- والداعية الذي يتفقد أصحابه ويراعى مصالحهم ، ويتفقد أحوالهم ويشفق عليهم يكون محبوباً منهم ، وقریباً منهم ويمكنه التأثير في نفوس المدعوين.

٦ - الاختلاط بالمدعوين

" المخالطة لابد منها ، فالإنسان اجتماعي بطبعه ، هذا في أمور الدنيا ، وحوائجها ، أما لأمر الدين فكذلك الحال فإن فرائض الإسلام ومستحباته ، لا يمكن تأديته إلا بالمخالطة مع الناس وتعاونهم مثل صلاة الجمعة والعيدين وتشجيع الجنائز ، وعيادة المرضى وتعلم أمور الدين وتعليمها إلى غير ذلك من المطلوبات التي تستلزم المخالطة، والمخالطة واجب من واجبات الإسلام ؛ لأن ما لا يؤدي الواجب إلا به فهو واجب " (٢) .

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر : (٨١-٨٣) .

(٢) أصول الدعوة ، ص: ٣٦٥ .

وكعب - رضي الله عنه - في فترة الهجر لم يجس نفسه في البيت كصاحبه ، بل ظل يخرج منه ويصلي مع الجماعة ويطوف بالأسواق ، ولا يكلمه أحد .

" والاختلاط بالناس شرط أساسي لكل داعية إلى الله ؛ لأنه بغير هذا الاختلاط والتجيب لا يجد الداعية فرصة تتيح له أن يتعرف على المدعويين عموماً ، والإسلام يقرر أن الاختلاط بالناس والعناية بأمورهم ، بل والاهتمام بمشكلاتهم والعمل على حلها هو الأصل ، وهو الأرضى لله سبحانه وتعالى والأجدر بالحصول على أجزل الثواب من رب العالمين " (١) . " والذين يخالطون الناس في الكتب والمقالات دون أن يختلطوا بهم على مختلف اتجاهاتهم ، قوم مخفقون في دعوة الإصلاح لا يستمع الناس إليهم ، ولا تستجيب العقول لدعوتهم ، لما يرى منهم الناس من جهل بأوضاعهم ومشكلاتهم ، ولا تتم المعرفة إلا بالاختلاط ، حتى يعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم ، وكيف يسلك في إصلاحه معهم مما لا يدعوهم إلى محاربه عن كره نفسي ، واندفاع عاطفي ، هكذا يجب أن يكون الداعية من تجاربه في الحياة ومعرفته بشؤون الناس " (٢) . " ويضع نصب عينيه أنه إذا أراد شخصاً أو تعارف معه أو صادقه أو رافقه أو آخاه أو غشي مجلساً أو تكلم في جمع فإنه يصدر عن رغبة في الدعوة إلى الله أو بالإعداد والتهيئة لها " (٣) .

واجبات المدعو :

١ - الإنقياد للحق والطاعة :

" إن أول واجبات المدعو إلى الله أن ينصاع إلى الحق ، إذا تبين له ، وأن يستجيب إذا ما دعى إلى الخير والهدى ، ويستجيب لنداء ربه جل جلاله ، وهذا واجب لا محيد عنه ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادة اعتادها ، أم جهلاً أم كبراً في نفسه ، أم ضعفاً في شخص الداعية أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك . وبالتالي فإنه يسيء إلى نفسه ، وإلى

(١) فقه الدعوة الفردية ، ص: ١٧٧ .

(٢) السيرة النبوية ، دروس وعبر ، ص: ٢٠ .

(٣) أصول الدعوة ، ص: ٣٦٦ .

مجتمعه ، ويسيء إلى مستقبله مع الله لأنه لن يفلت من العقاب " (١) . ونجد أن كعباً وصاحبيه-رضي الله عنهم- قد انقادوا إلى الحق وعملوا بالطاعات في فترة الحجر والمقاطعة حتى تاب الله عليهم .

٢- أن يقوم بتطبيق منهج الإسلام :

" فيقيم المدعو أمور حياته وسلوكه على مناهج الإسلام ، ويعبد الله على النحو الذي أمر به ، وبينه في قرآنه وعلى لسان رسوله ﷺ حتى لا يكون في إسلامه شوب نفاق" (٢) . وأن لزاماً عليه أن ينخرط في سلك العاملين بهذا الدين ، المطبقين لمنهجه ونظامه في كل مجالات الحياة . فبعد أن انقاد كعب وصاحبيه-رضي الله عنهم- إلى الحق وعمل الطاعات ، دعا نفسه إلى تطبيق منهج الإسلام ، والتزام الصدق فيما بقيت له الحياة، وظل يدعو الله أن يحفظه على ذلك .

المطلب الثاني : أثر التربية النبوية على المدعوين :

" إن إغفال أي جانب من جوانب التربية للأفراد ، يجني عليهم ، وبالتالي على الدعوة فترات طويلة خاصة في العصر الحاضر . ولقد أغفل القائلون بالدعوة جانب التربية للأفراد المدعوين ذلك الجانب الذي يعتمد على التربية الوسط في الجوانب الروحية والعقلية، والنفسية والاجتماعية ..، وما إلى ذلك ، فاهتموا بالجوانب العقلية على حساب الأخرى ، فأصبحوا بعيدين عن الواقع الإسلامي " (٣) .

والرسول كان يهتم كثيراً بتربية أصحابه ؛ لأنه سيغادرهم إلى الحياة الخالدة ، وقد تأثر صحابته بتلك التربية المثالية ، فانعكست على تصرفاتهم الشخصية ، فنجد المسلمون يتبرعون بما تجود به نفوسهم لتموين جيش تبوك وإكمال تجهيزه فيجهز عثمان ثلث مؤونة الجيش حتى اكتمل التجهيز في وقت قصير ، كما يوكل الرسول ﷺ إلى بعض أصحابه المهام القتالية أو القيادية أو مهام الإنابة والاستخلاف والمراسلة، فيشرفوه بتحمل تلك المسؤوليات .

(١) فقه الدعوة إلى الله : (١٠٢٧/٢-١٠٢٨) .

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ، ص: ٣٠٩ .

(٣) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، ص: ١٩٣ .

ويصير المجاهدون في طريقهم إلى تبوك على شدة الجوع والعطش والحر وبعد الطريق فداءً لنشر دينهم ، ونجد معاذ بن جبل لا يسمح للمنافق بأن ينال من عرض أخيه كعب ، ثم يودع الرسول ﷺ أسماء المنافقين الذين هموا بقتله عند حذيفة فيحفظها معه إلى قبره . وكان من أثر عقوبة الهجر أن أحس كعب وصاحبيه بوخز الضمير ، وتألم القلب من نظرات الناس لهم ، فقوي إيمانهم نتيجة صدقهم وتجرعهم الصبر ، ثم ذاقوا لذة السعادة في النهاية بالتوبة عليهم ، وفي الآخرة بالأجر العظيم ، ولذلك جعلهم الله قدوة للمسلمين في صدقهم وتوبتهم ، ثم بعد نزول التوبة يسمع كعب صوت صارخ من بعيد يبشره بالتوبة فكان الصوت أسرع من الفرس وراكبها الذي قدم إليه بالبشارة ، وقرر كعب أن يتصدق بماله كله لله فيمنعه الرسول ﷺ من ذلك رفقاً بحاله ، ثم يعاهد كعب نفسه على التزام الصدق مابقيت له الحياة ، كما يقرر كعب أن تلحق امرأته بأهلها خوفاً من حصول مخالفة أمر الرسول ﷺ باعتزالها ، ويظهر كعب تمسكه بمبدأ الولاء والبراء لله ورسوله بحرق كتاب ملك غسان في التنور ، ويحرص المسلمون على تطبيق أوامر الرسول ﷺ بهجر كعب وصاحبيه . " ولذلك فإن تربية الرسول ﷺ لأصحابه كانت تربية شاملة ، وهكذا ينبغي أن تكون في العصر الحاضر من حيث تعدد جوانبها ؛ بحيث يستفيد منها الأطفال والمراهقون والكبار ، فقد كان ﷺ يلاحظ الفروق الفردية بين الأفراد ، والميول والغرائز . ومدى استعداد الأفراد للتغيير خلال مراحل نموهم ، ثم يوجههم التوجيه الصحيح " (١) .

(١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ، ص : ١٤٩ .

الغائمة

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات



الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين . الحمد لله على نعمة الظاهرة والباطنة ، والتي لا تعد ولا تحصى .

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة ، فالفضل والمنة له أولاً وأخيراً .

في ختام بحثي هذا ، يجدر بي تسجيل أهم ما جاء بين ثناياه ، كخاتمة مذيبة بأهم النتائج والتوصيات .

وقد تناولت الدراسة في الفصول السابقة :

أسباب غزوة تبوك وأحداثها ونتائجها التي ترتبت عليها ، وأهم الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق . إضافة إلى أهم الدروس الدعوية المتعلقة بالداعية من حيث إعدادها وصفاته وأهم الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها . وأخيراً الدروس المستفادة من غزوة تبوك في العصر الحاضر .

وأقول هذا ما من الله به ، ثم ما وسعه الجهد وسمح به الوقت ، وتوصل إليه الفهم المتواضع ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان .

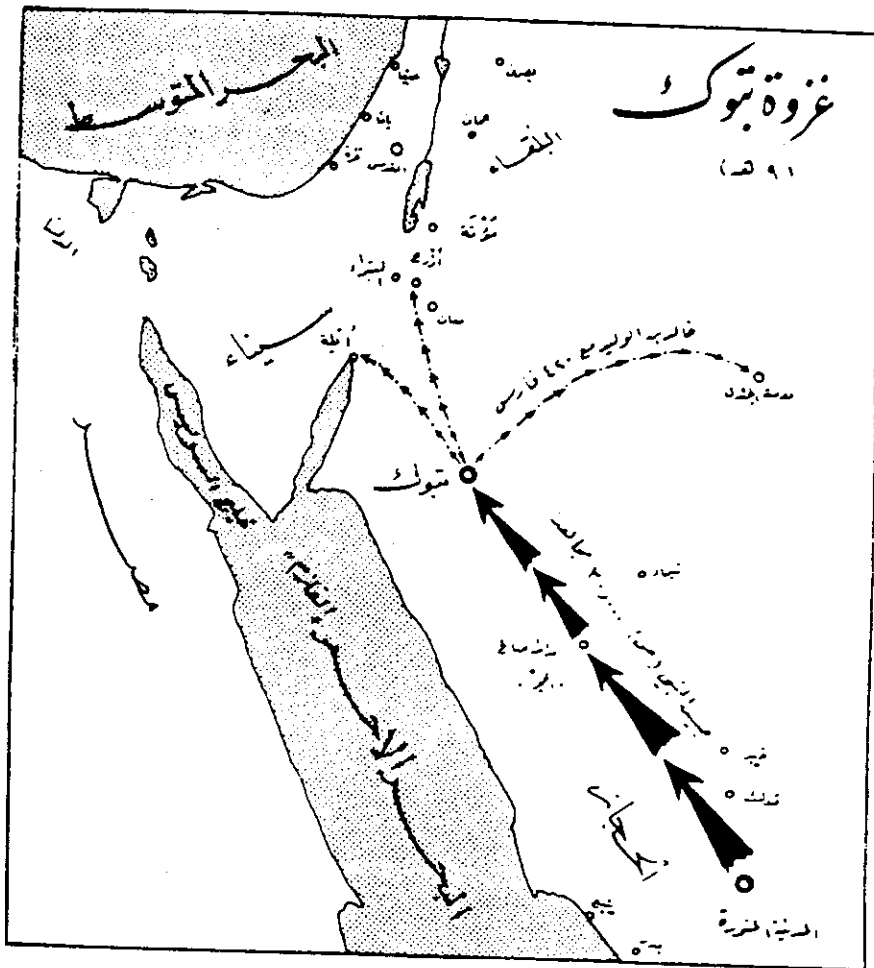
وحسبي أني قد بذلت الجهد ما استطعت بتوفيق الله ، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين عامة ، والدعاة على وجه الخصوص .

أهم النتائج :

- لقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية :
- ١- أن من أوليات الدعوة إلى الله ، ترسيخ مبادئ العقيدة في نفوس المدعوين ، وتعليمهم مبادئ الشريعة والأخلاق كما فعل الرسول ﷺ مع أتباعه .
 - ٢- أن التربية و الدعوة الإسلامية لا تعني صلاح الإنسان في نفسه فقط، بل بتعهد نفسه بالإعداد والتربية لحمل أعباء الدعوة الإسلامية ومحاولة التأثير في الناس .
 - ٣- أن من أحد جوانب نجاح الداعية في دعوته اهتمامه بتنمية شخصية المدعو، وعدم التركيز في تربيتها في جانب معين فقط على حساب الجوانب الأخرى.
 - ٤- لما كانت الدعوة إلى الله من أعمال الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم ، فإن عدم تحلي القائم بالدعوة بصفات أساسية ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل فإنه لن يتمكن من دعوته أو يؤثر في المدعوين .
 - ٥- يمكن للدعاة الاستفادة من أحدث التقنيات في وسائل الدعوة الإسلامية المعاصرة حتى تعم وتصل إلى المدعوين في كل مكان .
 - ٦- أن أغلب السلبيات الموجودة في أساليب الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر مرجعها جهل أو إهمال الدعاة اتباع أساليب الرسول ﷺ في دعوته.

أهم التوصيات :

- ١- أوصى الباحثين والباحثات ، بالاهتمام والاعتناء بسيرة النبي المصطفى ﷺ بشكل عام، وبمغازي رسول الله ﷺ بشكل خاص ، لاستنباط الدروس والعبر التي لا ينضب معينها .
- ٢- أوصى بتدريس مادة الدعوة الإسلامية ، والسيرة النبوية في أقسام الجامعة ، حتى تعم الفائدة جميع التخصصات ، ويتخرج منها دعاة على علم وبصيرة بما يدعون إليه .
- ٣- ضرورة اهتمام الدعاة بمواكبة أحدث وسائل الدعوة الإسلامية المعاصرة .
- ٤- الاهتمام بالموهوبين وذوو القدرات المتعددة ، وإعدادهم الإعداد المناسب للخدمة الدعوة الإسلامية .
- ٥- عقد المؤتمرات والندوات والدورات لإعداد الدعاة ، ودراسة المشكلات والعقبات التي تواجههم في الدعوة وكيفية حلها .



(#) من كتاب (تبوك غزوة العسرة) د. شوقي أبو خليل

الفهارس

وتشمل :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .



فهرس الآيات القرآنية



م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
١	الفاتحة	اهدنا الصراط المستقيم	٦ - ٧	١٠٢ ، ١٠١
٢	البقرة	الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون	٣	١٤٥
		ومن الناس من يقول آمنا	٨ - ١٠	٨٢
		وإذا قيل لهم آمنوا	١٣	٨١ ، ٧٨
		وإذا لقوا الذين آمنوا	١٤	٧٨
		يا أيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	٢٩٦
		أأمرون الناس بالبر	٤٤	٢٦٠
		فتوبوا إلى بارئكم	٥٤	١٥٧
		فأنزلنا على الذين ظلموا	٥٩	٢٠١
		يعلم ما يسرون وما يعلنون	٧٧	٢٧٤
		ووصى بها إبراهيم ويعقوب	١٣٢ - ١٣٣	٢٩٢
		كما أرسلنا فيكم رسولا منكم	١٥١	٣٩٥
		إن الله مع الصابرين	١٥٣	١٨٢
		استعينوا بالصبر والصلاة	١٥٣	١٨٩
		ويشر الصابرين الذين	١٥٥ - ١٥٧	١٨٢
		ليس البر أن تولوا وجوهكم	١٧٧	١٤٤
		لكن البر من آمن بالله	١٧٧	١٩٢

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		لملكم تتعون	١٨٣	١٨٠
		وإذا سألك عبادي عني	١٨٦	١٠٤ ، ٩٩
		ولا تأكلوا أموالكم بينكم	١٨٨	٣٧٤
		وقاتلوا في سبيل الله الذين	١٩٠	٣٥٧
		وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	٣٥٧ ، ٣٥٤ ، ٦٦
		فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه	١٩٤	٣٥٧
		وأنفقوا في سبيل الله	١٩٥	١٤٣
		ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة	١٩٥	٤٦٨
		وأحسنوا إن الله يحب المحسنين	١٩٥	٤٢٨
		لا رقت ولا فسوق ولا جدال	١٩٧	١٨٠
		أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٢١٤	١٨٧
		كذب عليكم القمام وهو كره	٢١٦	٣٥٥ ، ٣٥١
		فإن أرادا فصلاً عن تراض	٢٣٣	٢٩٠
		لا إكراه في الدين	٢٥٦	٣١٠
		الله ولي الذين آمنوا	٢٥٧	١١١
		مثل الذين ينفقون أموالهم	٢٦١	١٤٤
		يؤتي الحكمة من يشاء	٢٦٩	٣٩٥
		ومن يؤت الحكمة	٢٦٩	٣٩٩
		ليس عليك مداهم	٢٧٢	٢٩٤
		بأنها الذين آمنوا إذا تداينتم	٢٨٢	٢٠٤

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		واستشهدوا شهيدين	٢٨٢	٢٠٤
		واتقوا الله ويعلمكم الله	٢٨٢	٤٥٦
		ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا	٢٨٦	٢٣٢
٣	آل عمران	لا يتخذ المؤمنون الكافرين	٢٨	١١٢
		ويحذركم الله نفسه	٢٨	٢٦٨
		ورسولاً إلى بني اسرائيل	٤٩	١٢٣
		بما كنتم تعملون الناس	٧٩	٦
		واعصوا مجبل الله جميعاً	١٠٣	٤٢٨
		إذ كنتم أعداء فألف	١٠٣	٤٢٥ ، ٢٤٩
		ولكن منكم أمة يدعون	١٠٤	٤٣١ ، ٣١٩
		بأنها الذين آمنوا لا تتخذوا	١١٨	٤٢٥ ، ١١٢ ، ٨٦
		وان تصبروا وتقوا	١٢٠	١٨٢
		والكاظمين الغيظ والماعين	١٣٤	٢٨٢
		والذين إذا فعلوا فاحشة	١٣٥	١٦٣
		وليمحس الله الذين آمنوا	١٤١	٢٢٥ ، ٢٢٣
		أم حسبيم أن تدخلوا	١٤٢	٢٢٥
		والله يحب الصابرين	١٤٦	١٨٢
		بل الله مولاكم وهو خير	١٥٠	١١١
		ولقد عفا الله عنهم	١٥٥	٢٨١
		أو كانوا غزياً	١٥٦	٣
		فبما رحمة من الله لنت لهم	١٥٩	٣٧٨ ، ٢٨٦

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		ولو كنت فظاً غليظ القلب	١٥٩	٢٨٢
		فاعف عنهم واستغفر لهم	١٥٩	٣٩٠
		وشاورهم في الأمر	١٥٩	٤٤٩ ، ٤٢٨ ، ٩١
		فإذا عزمت فتوكل على الله	١٥٩	٤٢٢ ، ٢٣٧ ، ٩٣
		وإن يخذلكم فخذلكم فنذ الذي ينصركم	١٦٠	٩٣
		ولا تحسبن الذين قتلوا	١٦٩ - ١٧٠	٢٢٩
		الذين قال لهم الناس	١٧٣	٩٣ ، ٩١
		ما كان الله ليدر المؤمنين	١٧٩	٢٢٣
		تلبون في أموالكم وأنفسكم	١٨٦	٢٢٣
		وإن تصبروا وتتقوا فإن	١٨٦	٢٢٣ ، ١٨٩
		لنتنن للناس ولا تكمنونه	١٨٧	٢٩١
		يا أيها الذين آمنوا اصبروا	٢٠٠	٢٧٨
	النساء	وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة	٣	٢٠٣
		إن الذين يأكلون أموال الناس	١٠	٢٠٣
		إن الله لا يظلم مثقال ذرة	٤٠	٣٩٧
		وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا	٥٨	٢٠٤
		يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٥٩	٤٠٥
		فإن تنازعتم في شئ فردوه	٥٩	٤٥٠ ، ٤٠٥
		ومن يطع الله والرسول فأولئك	٦٩	٤٠٥ ، ١٩٢
		يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم	٧١	٢٦٥ ، ٤١٢ ، ٩٦
				٤٦٣
		فليقاتل في سبيل الله	٧٤	٣٥٢ - ٣٥١

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله	٧٥	٣٥٧
		الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله	٧٦	٢٢٩
		ومن يطع الرسول فقد أطاع الله	٨٠	٤٠٥
		ودوا لو تكفرون كما كفروا	٨٩	٨٢
		فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم	٨٩ - ٩١	٣٥٦
		لا يستوي القاعدون من المؤمنين	٩٥	١٧١، ١٤٥
		إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي	٩٧	٤٢٧، ٤٢٥
		وإذا كت فيهم فأقت لهم الصلاة	١٠٢	٤١٢، ٢٦٤
		إنا أنزلنا إليك الكتاب	١٠٥	٢٠٤
		ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه	١١٠	٢٣٢
		وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة	١١٣	٣٩٥
		ومن أحسن ديناً ممن أسلم	١٢٥	٢٤٤
		وأن تقوموا لليتامى بالقسط	١٢٧	٢٠٢
		ولن تستطيعوا أن تعدلوا	١٢٩	٢٠٣
		يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين	١٣٥	٢٠٢
		ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا	١٣٨	٨٢
		وقد نزل عليكم في الكتاب	١٤٠	١٤٧
		إن الله جامع الكافرين والمنافقين	١٤٠	٨٢
		إن المنافقين في الدرك الأسفل	١٤٥	٨٥، ٨٣
		إن المنافقين في الدرك الأسفل	١٤٥ - ١٤٦	٢٤٤
		لا تغلوا في دينكم	١٧١	٧٥

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
٥	المائدة	وتعاونوا على البر والتقوى	٢	٤٦٨ ، ٤١٨
		يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين	٨	٢٠٣
		فاعف عنهم واصفح	١٣	٢٨٢
		وعلى الله فتوكلوا	٢٣	٩٣ ، ٩١
		يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	٣٥	٣٣٥
		يا أيها الرسول لا يحزنك	٤١	٢٩٤
		وإن حكمت فاحكم بينهم	٤٢	٢٠٤
		لكل جعلنا منكم شرعة	٤٨	٤١٢
		واحذروهم إن يفتنوك	٤٩	٢٦٩
		يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٥١	١١٢
		أذلة على المؤمنين أعزة	٥٤	٢٠٨
		إنما وليكم الله ورسوله	٥٥	١١١
		ومن يقول الله ورسوله	٥٦	١١١
		يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٥٧	٨٥
		يا أيها الرسول بلغ ما أنزل	٦٧	٣٠٦ ، ٢١٩
				٣٤٢
		لعن الذين كفروا من بني إسرائيل	٧٨	١١٧
		وكلوا مما رزقكم الله حلالاً	٨٨	٣٧٤
		يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم	١٠٦	٢٠٤
		هذا يوم ينفع الصادقين	١١٩	١٩٢
	الأنعام	ولقد كذبت رسل من قبلك	٣٤	١٩٠ ، ١٨٧

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		قل سلام عليكم كب ربكم	٥٤	٢٩٨
		وإذا رأيت الذين يخوضون	٦٨	١٤٨
		أولئك الذين هدامهم الله	٩٠	٣٨٢، ٣٨٠
		قل لا أسألكم عليه أجراً	٩٠	٣٨٠
		ولتذر أم القرى ومن	٩٢	٢٤
		ويقولوا درست	١٠٥	٦
		وتقلب أفئدتهم وأبصارهم	١١٠	١٦٩
		وأوفوا الكيل والميزان	١٥٢	٢٠٥
		وإذا قلتم فاعدلوا	١٥٢	٢٠٢
		إن الذين فرقوا دينهم	١٥٩	٧٥
		قل إن صلاتي ونسكي	١٦٢ - ١٦٣	٢٤٤
٧	الأعراف	قالا ربنا ظلمنا أنفسنا	٢٣	٩٩
		وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد	٢٩	٣٤٥
		يا بني آدم خذوا زينتكم	٣١	٢٩٦
		ادعوا ربكم تضرعاً وخفية	٥٥	١٠٦
		والبلد الطيب يخرج نباته	٥٨	١٧٦
		إني أخاف عليكم عذاب يوم	٥٩	٢٩٤
		سبحانك تبت إليك	١٤٣	١٥٨

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		قل يا أيها الناس إني رسول الله	١٥٨	١٥٨
		ودرسوا ما فيه	١٦٩	٦
		ولقد ذرانا لجهنم كثيراً	١٧٩	١٧٢
		خذ العفو وأمر بالمعروف	١٩٩	٢٨٢ ، ٢٥٥
٨	الأنفال	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله	٢	٩٨
		الذين يؤمنون بالغيب	٣	١٤٥
		يا أيها الذين آمنوا استجيبوا	٢٤	٣١٨ ، ١٦٩
		واعلموا أنما أموالكم وأولاكم	٢٨	٣٧٢
		يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم	٤٥	٢٧٩
		وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٦٠	٢٣٥ ، ١٤٢ ، ٩٦
		وما تنفقوا من شيء في سبيل الله	٦٠	٤١٢ ، ٢٨٨ ، ٢٣٦
		وإن جنحوا للسلم	٦١	٤٦٣
		فإن يكن منكم مائة صابرة	٦٦	٢٣٦ ، ٩٧
		إن الذين توفاهم الملائكة	٧٢	٣٦٢
		فإذا انسلخ الأشهر الحرم	٥	١٨٢
		وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم	١٢	٤٢٧
		قاتلوهم يعذبهم الله	١٤	٣٥٦ ، ٨٤
		إنما يعمر مساجد الله	١٨	٣٥٧ ، ٣٥٦
				٣٥١
				٣٤٤

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا	٢٠	٢٨٩
		بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٢٣	١١٠
		قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم	٢٤	٢٨٩
		قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٢٩	٣٦٩ ، ٣٥٢ ، ٢٤
		هو الذي أرسل رسوله بالهدى	٣٣	٢
		والذين يكزون الذهب والفضة	٣٤	١٤٤
		بأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل	٣٨ - ٣٩	٢٣١
		إلا تنفروا يذبكم	٣٩	٣٥٨
		ثاني اثنين إذ هما في الغار	٤٠	٢٦٦
		انفروا خفافاً وثقالاً	٤١	٣٦١ ، ٢٣١ ، ٢
		لو كان عرضاً قريباً وسفراً	٤٢	٨٧ ، ٣٢
		عفا الله عنك لم أنت لهم	٤٣	٣٣
		إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون	٤٥	٨١
		ولو أرادوا الخروج لأعدوا له	٤٦	١١
		ولو أرادوا الخروج لأعدوا له	٤٦ - ٤٧	٢٣٥ ، ٣٤
		لو خرجوا فيكم ما زادوكم	٤٧	٨٧
		ومنهم من يقول أئذن لي	٤٩	٨٧ ، ٣٣
		إنما الصدقات للفقراء والمساكين	٦٠	٣٧٦
		يحذر المنافقون أن تنزل	٦٤	٨٨
		ولئن سألتهم ليقولن إنما	٦٥	٨٨
		قل أبا الله وآلآته ورسوله	٥٥ - ٦٦	٤٤

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		إن نغف عن طائفة	٦٦	٥٥
		لا تتذروا قد كفرتم	٦٦	٨٢
		والمؤمنون والمؤمنات	٧١	٤٣١، ٢١٢، ١٣٢
		بأيها النبي جاهد الكفار	٧٣	٨٤
		يخلفون بالله ما قالوا	٧٤	٨٢، ٥٥
				٨٨
		الذين يلمزون المطوعين	٧٩	٨٧، ٣٠
		والذين لا يجدون إلا جهدهم	٧٩	٣٥١
		استغفر لهم أو لا تستغفر	٨٠	٨٥
		فرح المخلفون بمقدمهم	٨١	٣٣، ١١
		وقالوا لا تنفروا في الحر	٨١	٨٧
		فإن رجعت الله إلى طائفة	٨٣	٨٧
		ولا تصل على أحد منهم مات	٨٤	٨٥، ٨٢، ٦٥
		ولا تعجبك أموالهم وأولادهم	٨٥	٨٥
		وإذا أنزلت سورة إن آمنوا	٨٧ - ٨٦	٨٧، ٣٤ - ٣٣
		لكن الرسول والذين آمنوا معه	٨٨	٣٧٥
		وجاء المعذرون من الأعراب	٩٠	٣٤
		ليس على الضعفاء ولا على	٩٢ - ٩١	٣١
		يعتذرون إليكم إذا رجعت	٩٤	٨٦
		سيخلفون بالله لكم إذا انقلبتم	٩٥	٨٨، ٦٤
		يخلفون لكم لترضوا عنهم	٩٦	٨٦
		وآخرون اعترفوا بذنوبهم	١٠٢	١٦٣، ٥٨

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		خذ من أموالهم صدقة	١٠٣	١٢
		تظهرهم وتزكئهم بها	١٠٣	١٨٠
		والذين اتخذوا مسجداً وضراباً	١٠٧ - ١٠٨	٣٥٠ ، ٥٧
		إن الله اشترى من المؤمنين	١١١	٢٨٩ ، ١٤٤
				٣٥٨
		ما كان للنبي والذين آمنوا	١١٣	٤٢٦
		وما كان استغفار إبراهيم لأبيه	١١٤	١١١
		وما كان الله ليضل قوماً بعد	١١٥	١٦٩
		لقد تاب الله على النبي	١١٧	١٥٧ ، ٢٩٩ ، ٦٤ ، ١١
		وعلى الثلاثة الذين خلفوا	١١٨	١٦٦ ، ٦٤ ، ١١
		يا أيها الذين آمنوا اتقوا	١١٩	٣٨٧ ، ١٩٣ ، ١٩١
				٣٢٦
		يا أيها الذين آمنوا قاتلوا	١٢٣	٨٤ ، ٢٤
		لقد جاءكم رسول من أنفسكم	١٢٨	٢٩٣ ، ٢٨٥
١٠	يونس	وإذا مس الإنسان الضرر	١٢	١٠٤
		ولقد أهلكنا القرون من قبلكم	١٣	١٧٦
		إن كنتم آمنتم بالله فعليه	٨٤	٩٣
		ولو شاء ربك لآمن من	٩٩	٣١٠
١١	هود	ويا قوم هذه ناقة الله	٦٤	١٢٣
		إن إبراهيم لحليم أواه	٧٥	٢٨١
		ولا تنقصوا المكيال والميزان	٨٤	٢٠٥
		ويا قوم أوفوا الكيل والميزان	٨٥	٢٠٥

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		وما أريد أن أخالفكم	٨٨	٢٦٠
		وما توفيتي إلا بالله	٨٨	٩٣
		وما كان ربك ليهلك القرى	١١٧	١٧٦
		ولا يزالون مختلفين	١١٩-١١٨	٤٢٨
		وكلًا نقص عليك من	١٢٠	٢٧٩
		فاعبده وتوكل عليه	١٢٣	٩٣
١٢	يوسف	قال يا بني لا تقصص رؤياك	٥	٢٧٦
		ولما بلغ أشده آتيناه	٢٢	٢١٤
		يا صاحبي السجن أرباب	٤٠	٢٩٣
		قال تزرعون سبع سنين	٤٧ - ٤٩	٤١٣
		ولا تياسوا من روح الله	٨٧	٢٥٣
		رب آتيتني من الملك	١٠١	١٠٠
		وما أكره الناس ولو حرصت	١٠٣	٢٩٣
		قل هذه سبيلي ادعوا	١٠٨	٢١٢ ، ٢٤٨
				٣٩٧
١٣	الرعد	إنما أنت منذر	٧	٢١٢
		إن الله لا يغير ما بقوم حتى	١١	١٧٦
١٤	إبراهيم	إن في ذلك لآيات	٥	١٨١ ، ١٨٩
		وما لنا ألا نتوكل على الله	١٢	٩١ ، ٩٣
		وكلًا نقص عليك من أنباء	٢٧	٢٧٩
١٥	الحجر	ومن يقنط من رحمة ربه	٥٦	١٨٨
١٦	النحل	ينزل الملائكة بالروح	٢	٣٩٦

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		إن تحرص على مداام	٣٧	٢٩٥ ، ٢٩٣
		الذين صبروا وعلى ربهم	٤٢	١٨٩
		أقنصمة الله يمجدون	٧١	٣٧٤
		فتوكل على الله	٧٩	٩٢
		الذين صبروا وعلى ربهم	٩٩	٩٣
		قل نزله روح القدس من ربك	١٠٢	٢٧٩
		ادع إلى سبيل ربك	١٢٥	٣٧٨ ، ٢٨٦
				٤٠٠ ، ٣٩٨
		واصبر وما صبرك إلا بالله	١٢٧	١٨٥
		واصبر وما صبرك إلا بالله	١٢٧ - ١٢٨	١٨٧
		ولا تحزن عليهم	١٢٧	٢٩٤
١٧	الإسراء	وكان الإنسان عجولاً	١١	١٨٨
		وأوفوا الكيل إذا كتم	٣٥	٢٠٥
		أولئك الذين يدعون يبتغون	٥٧	٣٣٠
		وإذا مسكم الضر في البحر	٦٧	١٠٤
		ولولا أن ثبتناك لقد	٧٤	٢٧٩
		وإن كادوا ليستفزونك	٧٧	٢٣
		جاء الحق وزهق الباطل	٨١	١٢٩
		قل كل يعمل على شاكلته	٨٤	٢٧٢
		ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها	١١٠	١٠٥
١٨	الكهف	فلعلك باخع نفسك	٦	٢٩٤

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		وقل الحق من ربكم	٢٩	٣١٠
		المال والبنون زينة الحياة	٤٦	٣٧١
		فمن كان يرجو لقاء ربه	١١٠	٢٤٦
١٩	مريم	فهب لي من لدتك ولياً	٥	٩٩
٢٠	طه	طه . ما أنزلنا عليك القرآن ..	٣ - ١	٢٩٥
		يعلم السر وأخفى	٧	٢٧٤
		رب اشرح لي صدري	٣٦ - ٢٥	١٠٠
		واجعل لي وزيراً من أهلي	٣٢ - ٢٩	٣٩٠
		وألقيت عليك محبة مني	٣٩	٢١٤
		إذهبا إلى فرعون إنه طغى	٤٤ - ٤٣	٢٨٦
		وانظر إلى الحكم	٩٧	١٩٢
		ومن يعمل من الصالحات	١١٢	٢٠٢
		ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا	١٣١	٤٢٦
٢١	الأنبياء	وما خلقنا السماء والأرض	١٧ - ١٦	٢٢٢
		بل نقذف بالحق على الباطل	١٨	٣٥٦
		ونبلوكم بالخير والشر قتنا	٣٥	٢٢١
		خلق الإنسان من عجل	٣٧	١٨٨
		وثأفه لأكيدن أصنامكم	٥٨ - ٥٧	١٢٩
		أن لكم ولما تعبدون	٦٧	١٤٠
		قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً	٦٩	١٢٣
		ونوحاً إذ نادى من قبل	٧٧ - ٧٦	٩٩

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		وأيوب إذ نادى ربه	٨٣ - ٨٤	٩٩
		وذا النون إذ ذهب مناظياً	٨٧ - ٨٨	٩٩ - ١٠٠
		إنهم كانوا يسارعون	٩٠	١٠٦
٢٢	الحج	أذن للذين يقاتلون بأنهم	٣٩	٣٥٥
		فمن اعتد عليكم فاعتدوا عليه	٤٠	٣٥٧
		وجاهدوا في الله حق جهاده	٧٨	٢٢٩
٢٣	النور	وتوبوا إلى الله جميعاً	٣١	١٥٨ ، ١٦٢
		وآتوهم من مال الله الذي آتاكم	٣٣	٣٧١
		في بيوت أذن الله أن ترفع	٣٦	٣٤٥
		إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا	٥١	٣١٩
٢٤	الفرقان	ومن يظلم منكم نذقه عذاباً	١٩	٢٠١
		وجعلنا بعضكم لبعض فتنه	٢٠	١٩٠
		ويوم يعض الظالم على يديه	٢٧ - ٢٨	٣٨١
		وعباد الرحمن الذين يمشون	٦٣	٢٠٨
		والذين لا يشهدون الزور	٧٢	٤٢٦
		واجعلنا للمتقين إماماً	٧٤	١٨٩
		أولئك يجزون الغرفة	٧٥	١٨٢
٢٥	الشعراء	وأندر عشيرتك الأقربين	١٤	٢٤ ، ٣٣٣
		فالتقى موسى عصاه فإذا	٤٥	١٢٣
		واخفض جناحك لمن	٢١٥	٢٠٨
٢٦	النمل	وتفقد الطير فقال ما لي	٢٠	٣١٣
		أذهب بكابي هذا	٢٨ - ٣١	٣٤٠

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		قال يا أيها الملأ	٣٢	٣٩٠
		ولني مرسله إليهم	٣٥	٣١٨-٣٨٠، ٣٦٧
		فلما جاء سليمان قال	٣٦	٣٦٧
٢٧	القصص	فإذا خفت عليه فألقه	٧	٢٥٢
		ولما بلغ أشده واستوى	١٤	٢١٤
		إنيك لا تهدي من أحببت	٥٦	٤٧
		إن قارون كان من قوم	٧٦	٣٧٥
٢٨	العنكبوت	أم - أحسب الناس أن	٣-١	٢٨٠، ٢٢٢، ١٨٧
		ومن الناس من يقول	١٠	١٨٧
		ولقد أرسلنا نوحاً إلى	١٤	٢٩٢
		فأنجيناه وأصحاب السفينة	١٥	١٢٣
		وما على الرسول إلا البلاغ	١٨	٣٠٦
		وإذا رأيت الذين يخوضون	٢٦	١٤٨
		تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥	١٨٠
		ولا تجادلوا أهل الكتاب	٤٦	٣٩٨
٢٩	الروم	وكان حقاً علينا	٤٧	٣٥٨
٣٠	لقمان	يا بني أقم الصلاة	١٧	١١٧
٣١	السجدة	ولو ترى إذ الجرهمون تآكسوا	١٢	١٦٤
		وجعلنا منهم أئمة يهدون	٢٤	١٨٩
٣٢	الأحزاب	وما جعل ادعياءكم أبناءكم	٤	٨
		وليس عليكم جناح فيما أخطأتم	٥	٢٣٢

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		النبي أولى بالمؤمنين	٦	١١١
		أشحة عليكم فإذا جاؤكم	١٩	٨١
		لقد كان لكم في رسول الله	٢١	٣٨٠ ، ١
		من المؤمنين رجال صدقوا	٢٣	٣٢٢
		ليجزى الله الصادقين	٢٤	١٩٢
		إن المسلمين والمسلمات	٣٥	١٩١
		بأنها النبي إنا أرسلناك	٤٥ - ٤٦	٢١٢
		وداعياً إلى الله بإذنه	٤٦	٨
		بأنها الذين آمنوا اتقوا الله	٧٠	٤٣٧
		ويؤوب الله على المؤمنين	٧٣	١٦٥ ، ١٥٧
٣٣	سبأ	وما أرسلناك إلا كافة	٢٨	٢٩٦
		وما آتيناكم من كذب	٤٤	٦
٣٤	فاطر	فلا تذهب نفسك عليهم	٨	٢٩٤
		فمنهم ظالم لنفسه ومنهم	٣٢	١٦١
٣٥	الصافات	وقفوه إنهم مسؤولون	٢٤	٢١٩
		فبشرناه بغلام جليم	١٠١	٢٨١
		فإنكم وما تعبدون . ما أنتم	١٦١ - ١٦٣	٢٢٢
		ولقد بئت كلفتنا لعبادنا	١٧١ - ١٧٣	٢٥٣
٣٦	ص	وقال فرعون ما أريكم إلا	٢٩	٣٨١
٣٧	الزمر	إنا أنزلنا إليك الكتاب	٢ - ٣	٣٤٣
		إنما يوفى الصابرون أجرهم	١٠	١٨٢

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		قل الله اعبد مخلصاً	١٤	٢٤٤
		لئن أشركت ليحبطن	٦٥	٩٠
		وجيء بالنبيين والصديقين	٦٩	٢٠٢
٣٨	غافر	ما للظالمين من حميم ولا شفيع	١٨	٢٠١
		إنما السبيل على الذين يظلمون	٤٢	٢٠١
		ادعوني استجب لكم	٦٠	١٠٤ ، ٩٩
				٤٢٣
		وما كان لرسول أن يأتي بآية	٧٨	١٢٢
٣٩	فصلت	وقيضنا لهم قرناء	٢٥	٢٧١
		ألا تخافوا ولا تحزنوا	٣٠	١٤٦
		ومن أحسن قولاً ممن	٣٣	٢١٢
		ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	٣٤	٣٧٨
		فإذا الذي بينك وبينه	٣٤	٩٨
		لا يأتيه الباطل من بين يديه	٤٢	٧٤
٤٠	الشورى	قل لا أسألكم عليه أجراً	٢٣	٢٤٨
		وهو الذي يقبل التوبة	٢٥	١٥٨
		والذين استجابوا لربهم	٣٨	٣٩١ ، ٣٨٩
		إنما السبيل على الذين يظلمون	٤٢	٢٠١
		ولمن صبر وغفر إن	٤٣	١٩٠
٤١	الزخرف	إنا وجدنا آباءنا على	٢٣	٣٨١
		وإذ قال إبراهيم لأبيه	٢٦	١١١
٤٢	الأحقاف	يا قومنا أجيئوا داعي الله	٣١	٩

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
		فاصبر كما صبر أولو العزم	٣٥	١٩٠ ، ١٨٦
		بلاغ فهل يهلك	٣٥	١٧٦
٤٣	محمد	فإذا عزم الأمر فلو	٢١	١٩٢
		ولنبلوكنم حتى نعلم	٣١	١٨٧
		ها اتم هؤلاء تدعون	٣٨	١٤٥
٤٤	الحجرات	أولئك الذين استحن الله	٣	٢٢٢
		وإن طائفتان من المؤمنين	٩	١١٣
		وإن طائفتان من المؤمنين	٩ - ١٠	٢٠٢
		فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء	٩	٨٤
		فأصلحوا بين أخويكم	١٠	٤٢٨
		إنما المؤمنون إخوة	١٠	٤٢٨
		يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم	١١	٣٠٢
		ولا تجسسوا	١٢	٣٠٢
		يا أيها الناس إنا خلقناكم	١٣	٤٢٨
		إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله	١٥	٣١١ ، ٣٠٢
٤٥	ق	وما أنا بظلام للعبيد	٢٩	١٤٤
		وجاء بقلب منيب	٣٣	٢٠١
٤٦	الذاريات	وبالأسحار هم يستغفرون	١٨	٤٣٥
٤٧	الطور	واصبر لحكم ربك	٤٨	١٠٤
٤٨	النجم	الذين يجتنبون كبائر الإثم	٣٢	١٨٥
		وأن ليس للإنسان إلا ما	٣٩	١٦٣

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٩	الحديد	وانفقوا مما جعلكم مستخلفين	٧	٣٧١
		لقد أرسلنا بالبينات	٢٥	٢٠٥
٥٠	المجادلة	لا تجد قوماً يؤمنون بالله	٢٢	٣٢٢ ، ١١٠
٥١	الحشر	ما أتاكم الرسول فخذوه	٧	٧٩
		والذين تبوأوا الدار والإيمان	٩	٢٤٩
٥٢	المتحنة	لا تتخذوا عدوي وعدوكم	١	١١٢ ، ١١٠
		قد كانت لكم أسوة حسنة	٤ - ٦	٣٨٠ ، ١١٢
		ربنا عليك توكلنا وإليك	٤	٩١
		لقد كان لكم فيهم أسوة	٦	٣٨٠
		إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات	١٠	٢٢٢
٥٣	الصف	يا أيها الذين آمنوا لما تقولون	٢ - ٣	٣٨٠ ، ٢٥٩
		فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٥	١٦٩
٥٤	الجمعة	مثل الذين حملوا التوراة	٥	٢٦٠
		فإذا قضيت الصلاة	١٠	٩٦
٥٥	المنافقون	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا	٣	٨٣
		هم العدو فأحذروهم	٤	٢٦٧
		وإذا قيل لهم تعالوا	٥	٨٢
		استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٦	٨٢
٥٦	التغابن	يا أيها الذين آمنوا إن	١٤	٢٧٠
		فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	١٤٠ ، ١٣٣

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
٥٧	الطلاق	فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن	٢	٢٠٤
		ومن يتوكل على الله	٣	٩١
٥٨	التحریم	وإذا أسر النبي إلى بعض	٣	٢٧٤
		بأنها الذين آمنوا توبوا	٨	١٦٠
٥٩	الملك	الذي خلق الموت والحياة	٢	٢٥٤
		هو الذي جعل لكم الأرض	١٥	٣٧٣
٦٠	القلم	وانك لعلى خلق عظيم	٤	١٧٥
		ودوا لو تدهن فيدهنون	٩	١١٦
٦١	نوح	قال رب اني دعوت	٩ - ٥	٢٩٢
٦٢	الجن	وأن المساجد لله	١٨	٣٤٦
٦٣	المدثر	والرحز فاهجر	٥	١٤٨
٦٤	الإنسان	إنا هديناه السبيل	٦ - ٣	١٦١
٦٥	الإنفطار	إن الأبرار يشرون	١٤ - ١٣	١٧٦
٦٦	المطففين	كلا بل ران على قلوبهم	١٤	١٦٢
٦٧	الفجر	وتأكلون التراث أكلاً لما	٢٠ - ١٩	٣٧٢
		بآيتها انفس مطمئنة	٣٠ - ٢٧	١٦٣
٦٨	البلد	وتواصوا بالصبر وتواصوا	١٧	١٨٩
٦٩	الشمس	ونفس وما سواها	١٠ - ٧	١٦٣
٧٠	العلق	كلا إن الإنسان ليطغى	٧ - ٦	٣٧٥
٧١	البينة	وما أمروا إلا ليعبدوا الله	٥	٢٤٣

{ ٥٠٨ }

م	السورة	رأس الآية	رقم الآية	الصفحة
٧٢	العصر	وتواصوا بالحق وتواصوا	٣	١٨٩
٧٣	المسد	تبت يدا أبي لب	٢ - ١	٣٣٣



ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة



رقم الصفحة	رأس الحديث	م
	(أ)	
١٧٢	أتى النبي ﷺ رجل مفتح	١
١٢٥	أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك	٢
١٧١	أحب الأعمال إلى الله	٣
٣٤٦	أحب البلاد إلى الله	٤
١٧٣	إذا أنفق المسلم نفقه	٥
١٠٢	إذا تشهد أحدكم	٦
١٠٦	إذا دعا أحدكم فليعزم	٧
٥٧	أذكر أني خرجت مع الصبيان	٨
٣١	أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ	٩
٩٦	استأجر رسول الله ﷺ	١٠
٢٧٥	أسر إلي النبي ﷺ	١١
٤٠٥	اسمعوا وأطيعوا	١٢
١٣١	أشد الناس عذاباً	١٣
٤٠٣	أشيروا علي أيها الناس	١٤
٢٠٣	أعطاني أبي عطيه	١٥
١٢٥ ، ٤٩	أعطيت خمساً لم يعطهن	١٦
١٤٦	أفضل دينار ينفقه الرجل	١٧
٥٤	أقام النبي ﷺ بتبوك	١٨

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٢٧٤	أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها	١٩
٥٧	أقبلنا مع النبي ﷺ	٢٠
١٠٥	أقرب ما يكون العبد	٢١
١٣٢	ألا أبعثك على ما بعثني	٢٢
٢١٢	ألا ليبلغ الشاهد	٢٣
١٧١	ألا وإن في الجسد	٢٤
١٩٠	اللهم إني أسالك	٢٥
١٠٨	اللهم اهد دوساً	٢٦
٩١	اللهم لك أسلمت	٢٧
٢٧١	اللهم يا مصرف القلوب	٢٨
١٢٤ ، ٥٠-٤٩	أما إنها ستهب الليلة	٢٩
٢٤٥	أنا أغنى الشركاء	٣٠
١٠٠	أنا عند حسن ظن عبدي	٣١
٢٣٢	إن الله تجاوز عن أمي	٣٢
١٧٣	إن الله عز وجل كتب الحسنات	٣٣
٢٤٥	إن الله لا ينظر إلى أجسامكم	٣٤
٢٣٢	إن الله وضع عن أمي	٣٥
١٦٣ ، ١٥٨	إن الله ييسط يده بالليل	٣٦
٤٠٨ ، ٣٧٣	إن الله يرضى	٣٧
٣٨٧	إن الله يكره	٣٨
٢٤٤	إن أول الناس	٣٩

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
١٧٤٤ ، ٥٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧	إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم	٤٠
٣٦١ ، ٣٠٠		
٧٤	أن تؤمن بالله وملائكته	٤١
١٧٥	أن تعبد الله كأنك	٤٢
٤٠٦	إن خليلي أوصاني	٤٣
٣٧٧- ٣٧٦	إن رجلاً سأل النبي ﷺ	٤٤
٢٨٥	إن رجلاً قال للنبي ﷺ	٤٥
٣٥	إن رسول الله خرج إلى تبوك	٤٦
٢٨	إن رسول الله قلما يريد	٤٧
٧٢	إن رسول الله ﷺ كان بارزاً	٤٨
٣٤٢	إن رسول الله ﷺ كتب	٤٩
٤١٣	أن رسول الله لما بعث	٥٠
٤١	أن رسول الله لما نزل	٥١
٢٨٦	أن الرفق لا يكون في شيء	٥٢
٢٧١-٢٧٠	أن الشيطان قعد لابن آدم	٥٣
١٩٢	أن الصدق يهدي إلى البر	٥٤
٢٩	أن عثمان - رضي الله عنه - قال	٥٥
٢٨٣	إن فيك خصلتين يجبهما	٥٦
٢٧٩	أن قلوب بني آدم	٥٧
٣٧٢	أن لكل أمة فتنة	٥٨
٢٥٨	أن من أخيركم أحسنكم	٥٩
٢٧٧	أن من أشر الناس	٦٠
٢٥٥	إن من خياركم أحسنكم	٦١

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٥٣	أن النبي ﷺ أقام بتبوك	٦٢
١٤٩	أن النبي ﷺ حلف	٦٣
٣٨	أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس	٦٤
١٣١	أن النبي ﷺ لم يكن يترك	٦٥
٤١	أن النبي ﷺ لما مر بالحجر	٦٦
٩٦	أن النبي ﷺ يبيع	٦٧
٣٧٣	أن هذا المال خضرة	٦٨
٤٢٥	إن اليهود والنصارى	٦٩
٢٤٥، ١٧٠، ١٧٣	إنما الأعمال بالنيات	٧٠
٢٠٠	إنما هلك من كان	٧١
٢٤٤	إنك لن تخلف فتعمل	٧٢
١٧٣	إنك لن تنفق نفقة	٧٣
٣٠٠، ٢٣١	إنكم ستأتون غداً	٧٤
١١٥	أنه استأذن على النبي ﷺ	٧٥
١٤٩	أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ	٧٦
٢٠٩	إنه مرَّ على صبيان	٧٧
٣٨٦	إني لأصلي بكم	٧٨
٥٢	أهدي للنبي جبة حرير	٧٩
١٤٦	أي الناس أفضل	٨٠
٣٧٣	أيكم مال وارثه	٨١
١٩٣	آية المنافق ثلاث	٨٢
١٠٦	أيها الناس اربطوا	٨٣

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
	(ب)	
٣٤٦	بنى الله ما مثله	٨٤
٣٤٤	بسم الله الرحمن الرحيم	٨٥
٢٨٧	بشروا ولا تنفروا	٨٦
٣٨٥	بهذا أمرت	٨٧
٣٠٦	بينما نحن في المسجد	٨٨
	(ت)	
٤٥	تخلف رسول الله ﷺ	٨٩
٢٥٠	ترى المؤمنين في توادهم	٩٠
٣٧٤	تعس عبد الدينار	٩١
١٥٤	تفتح أبواب الجنة	٩٢
٣٦٨	تهادوا تحابوا	٩٣
	(ث)	
٢٤٩	ثلاث من كن فيه	٩٤
١٤٢	ثم انها تخلف من بعدهم	٩٥
	(ج)	
٣٥٢	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال	٩٦
٢٤٤	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال	٩٧
	(ح)	
٩١	حسبنا الله ونعم الوكيل	٩٨
٢٢٣	حفت الجنة بالمكاره	٩٩

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٢٠٩	حق على الله أن لا يرتفع	١٠٠
	(خ)	
٣٨٦- ٣٨٥	خرج النبي ﷺ في رمضان	١٠١
١٢٥ ، ٤٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ	١٠٢
	(د)	
١٢٩	دخل النبي ﷺ مكة	١٠٣
٤٠٧	دعانا رسول الله ﷺ	١٠٤
٤٠٩	الدين النصيحة	١٠٥
	(س)	
٢٥٥	سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم	١٠٦
٣٤٦	سبعة يظلهم الله في ظله	١٠٧
١٠٦	سحر النبي ﷺ فدعا	١٠٨
	(ع)	
٤٠٧	على المرء المسلم السمع والطاعة	١٠٩
	(غ)	
٥١	غزونا مع النبي ﷺ تبوك	١١٠
٢٣١ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٥٥	غزونا مع النبي ﷺ ما بظهرهم	١١١
	(ف)	
٣٠	فإذا هو أبو خيثمة	١١٢
١٠٦	فانظر السجع من الدعاء	١١٣
٤٠	فبينما هو على ذلك	١١٤

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٣٩٩	فرج عن سقف بيتي	١١٥
١٣٦	فمن جاهدهم بيده	١١٦
٢٩١	فوالله لأن يهدي الله بك	١١٧
	(ق)	
١٠٧	قدم الطفيل بن عمرو	١١٨
١١٦	قسم رسول الله ﷺ أقبية	١١٩
٣٨٥	قوموا فأنحروا ثم احلقوا	١٢٠
٣٠٥	قيل للنبي ﷺ لو أتيت	١٢١
	(ك)	
٢٥٦	كان أبو ذر لما بلغه	١٢٢
١٧٢	كان أبي يزيد أخرج دنانير	١٢٣
٥٤	كان بين رجل من أهل العقبة	١٢٤
٣٩٦ ، ٣٨٢ ، ٢٥٥	كان خلقه القرآن	١٢٥
٢٥٥	كان رسول الله ﷺ أحسن الناس	١٢٦
٣٦٨	كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام	١٢٧
٤١٣	كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً	١٢٨
٣٦٨	كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية	١٢٩
١٥٠	كان عبد الله بن الزبير أحب	١٣٠
١٠٥	كان النبي ﷺ لا يرفع يديه	١٣١
٢٠٩	كانت الأمة من إماء أهل	١٣٢
١٤١	كل المسلم على المسلم	١٣٣
٢١٩	كلكم راع وكلكم مسؤول	١٣٤
١٣٠	كنت أسقي أبا عبيدة	١٣٥

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
١٠٥	كنا مع النبي ﷺ في سفر	١٣٦
١٢٤ ، ٤٢	كنا مع النبي ﷺ في سير	١٣٧
	(ل)	
١٥٤-١٥٣	لا تباغضوا ولا تحاسدوا	١٣٨
٤١	لا تبدؤ اليهود والنصارى	١٣٩
٣٧٤	لا تزول قدم عبد	١٤٠
٣٣٧ ، ٤١	لا تسألوا الآيات	١٤١
٨٥	لا تقولوا للمنافق سيد	١٤٢
٣٩٩ ، ٣٧١	لا حسد إلا في اثنتين	١٤٣
٣٥٢ ، ١٧٤	لا هجرة بعد الفتح	١٤٤
١٥٣	لا يحل لرجل أن يهجر	١٤٥
٤٢٧ ، ٢٥٠	لا يؤمن أحدكم حتى	١٤٦
٣٨٥	لتأخذوا مناسككم	١٤٧
٢٧٥	لقي أبو بكر عمر بن الخطاب	١٤٨
٤٦	لقيت التنوخي	١٤٩
١٥٨	لله أشد فرحاً بتوبة عبده	١٥٠
٥٩	لم يخلف عن رسول الله ﷺ	١٥١
٢٥٥	لم يكن النبي ﷺ فاحشاً	١٥٢
٥٣	لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة	١٥٣
٣٠	لما أمرنا بالصدقة	١٥٤
٣٣٣	لما نزلت : ﴿ وأنذر عشرتك الأقربين ﴾ .	١٥٥
٦٥	لما مات عبد الله بن أبي سلول	١٥٦
٤١	لما مر النبي ﷺ بالحجر	١٥٧

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٣٧٢	لو أن لابن آدم واديان	١٥٩
٣٧٠ ، ٢٠٩	لو دعيت إلى ذراع أو كراع	١٦٠
٢٨٤	ليس الشديد بالصرعة	١٦١
	(م)	
٤٦٣	ما بال رجال يشترطون	١٦٢
٢٥٦	ماذا يأمركم ، قال :	١٦٣
٢٨٧	ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً	١٦٤
٢٠٨	ما كان النبي ﷺ يصنع	١٦٥
١٣١	ما من نبي بعثه الله	١٦٦
١٤٥	ما من يوم يصبح العباد	١٦٧
٢٠٨	ما نقصت صدقة من مال	١٦٨
٢٢٥	ما يصيب المسلم من نصب	١٦٩
٣٨٢-٣٨١	مثل الجليس الصالح والجليس	١٧٠
٢٢٤	مثل المؤمن كمثل الخامة	١٧١
٢٩٣	مثلي ومثلكم كمثل رجل	١٧٢
٢٩٣	المستشار مؤتمن	١٧٣
٣١٣	المسلم أخو المسلم	١٧٤
١٧٣	من أحدث في أمرنا	١٧٥
٤٠٦	من أطاعني فقد أطاع الله	١٧٦
٣٤٦	من بنى مسجداً يتغني به	١٧٧
١٤٢	من جهز غازياً فقد	١٧٨
٢٩٢	من دعا إلى هدى	١٧٩

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٢٩١	من دل على خير	١٨٠
١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣	من رأى منكم منكراً	١٨١
١٤٣ ، ١٤٤ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠		
٣٨١	من سن سنة حسنة	١٨٢
٣٤٦	من غدا إلى المسجد	١٨٣
٣٥٥	من قاتل لتكون كلمة الله	١٨٤
٤٠٨	من كره من أمره شيئاً	١٨٥
٣٥٤	من مات ولم يغز	١٨٦
٣١٥	المؤمن الذي يخالط الناس	١٨٧
٣٢٧	المؤمن للمؤمن كالبنيان	١٨٨
	(ن)	
١٠٥	نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ	١٨٩
	(هـ)	
١٠٧ ، ٣٠٥	هل أتى عليك يوم	١٩٠
٩٤	هم الذين يسترقون	١٩١
	(و)	
٢٥٠	والذي نفسي بيده لا تدخلوا	١٩٢
١٣١	والذي نفسي بيده ليوشكن	١٩٣
١٥٩	والله إني لأستغفر الله	١٩٤
٢٠٨	وإن الله أوحى إلي أن	١٩٥
٢٥٨	واهدي لأحسن الأخلاق	١٩٦
٩٧	وأياكم مثلي إني آيت	١٩٧

رقم الصفحة	رأس الحديث	م
٢٥٩	وخالق الناس بخلق	١٩٨
١٨١	والصبر ضياء	١٩٩
٣٨٤	وصلوا كما رايتموني	٢٠٠
٢٦	وكنا قد تحدثنا أن غسان	٢٠١
١٠٥	ولا تجهر بصلاتك	٢٠٢
٣٨٥	ولتأخذوا مناسككم	٢٠٣
٤٠٦	ولو استعمل عليكم	٢٠٤
٣٨١	ومن سن في الإسلام	٢٠٥
١٤٨	والمهاجر من هجر ما نهى الله	٢٠٦
	(ي)	
٣٥٢	يارسول الله أي العمل أفضل	٢٠٧
٣٥٢	يارسول الله نرى الجهاد	٢٠٨
٢٨٦	ياعائشة إن الله رفيق	٢٠٩
٢٠١	ياعبادي إني حرمت الظلم	٢١٠
٣٦٩	يانساء المسلمات لا تحقرن	٢١١
١٠٠	يتنزل ربنا تبارك وتعالى	٢١٢
٢٦١	يجاء بالرجل يوم القيامة	٢١٣
١٠٧	يستجاب لأحدكم ما لم	٢١٤
٢٨٦	يسرا ولا تعسرا	٢١٥
٣٧٣	يقول العبد مالي	٢١٦
١٠٥	ينزل الله تعالى كل ليلة	٢١٧



{ ٥٢٠ }

فهرس الأعلام المترجمة



رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العلم
٣٠٣ ، ٦٤ ، ٣٥	ابن أم مكتوم
٢٧٦ ، ١١٥	ابن بطال
١٦٩ ، ١٦٥ ، ١٥١ ، ١٣٩ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١١٣ ، ١٠٣ ، ٩٥	ابن تيمية
٣١٥ ، ٢٨٤	
٢٨٣ ، ٢٨٢	ابن حبان البستي
٤٠٦ ، ٤٠٢ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ١١٩ ، ٥	ابن حجر
٢٦٠	ابن حزم
٩٥ ، ٩١ ، ٧٦	ابن رجب الحنبلي
٢١	ابن سعد
٢٧٠	ابن العربي
٢٢	ابن عساكر
٣٩٢	ابن عطية
٢٦١ ، ١٩٣ ، ١٩١ ، ١٧٤ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٠ ، ١٣٣ ، ٩٥ ، ٩٤	ابن القيم
٣٥٣ ، ٢٧٧	
٤٠٤ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ٣٤٠ ، ١٤ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	ابن كثير
٨٩	ابن مفلح
٢٧٥ ، ٢٦٦ ، ٥٥ ، ٣٦ ، ٢٦ ، ٢٥	أبو بكر الصديق
٢٦١ ، ٢٥١ ، ١٦٢ ، ١٣٧ ، ١٣٢ ، ١٠٦ ، ١٠٤	أبو حامد الغزالي
٤٨٠ ، ٤٦٥ ، ٤٢٩ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٢٧١ ، ١٢٥ ، ٣٩ ، ٣٠	أبو خيثمة
٢١٧ ، ٣٦	أبو دجاجة

رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العلم
٢٥٦	أبو ذر
٣٣٨ ، ٤١	أبو رغال
٣١٤ ، ٤٤	أبو رهم الغفاري
٢٥٦	أبو سفيان
٢٧٣	أبو طالب
١٣٠	أبو طلحة
٢٦٨ ، ٥٦	أبو عامر الفاسق
١٣٠	أبو عبيدة
٣٧٦ ، ٣٠	أبو عقيل
٢٦٢ ، ١٤١ ، ٦٢	أبو قتادة
٣٨٦	أبو قلابة
٦٤ ، ٥٨	أبو لبابة
٣٣٣	أبو هب
١٣٠	أبي بن كعب
٩١	أحمد بن حنبل
٤	الأزهري
٣٩١ ، ٢٠٠	أسامة بن زيد
٢١٧ ، ٣٦	أسيد بن الحضير
	الأشج بن عبد
٢٨٣	القيس
	أكيدر بن عبد
٤٥٥ ، ٤٧٨ ، ٤١٧ ، ٣٠٩ ، ٣٠٧ ، ٢٣١ ، ٢١٨ ، ١٢٥ ، ٥٣ ، ٥١	الملك
٣٨٥ ، ١٤٩	أم سلمة

رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العظم
٢٧٥	أم سليم
٣٧٧ ، ١٣٠	أنس بن مالك
٢٩٦ ، ٣١	بلال بن رباح
٣٤٠	بليقيس
٣٤ ، ٣٢	الجدّ بن قيس
	جعفر بن أبي
٢٢	طالب
٢٦٢	حاتم الأصم
	الحارث بن أبي
٣٤١	شمس الغساني
	الحياب بن المنذر
٣٧	بن الجموح
٤٦٩ ، ٣٢٤ ، ٢٧٧ ، ٢١٨ ، ٧٦ ، ٥٤	حذيفة بن اليمان
٢٧٥	حفصة
١١٤	حمد بن عتيق
٤٧٨ ، ٤١٧ ، ٣٦٦ ، ٣٠٩ ، ٣٠٣ ، ٢١٨ ، ١٢٥ ، ٢٥ ، ٥١	خالد بن الوليد
٢٩٦	خديجة بنت خويلد
٣٠٧	الخطابي
٣٩٣	الداودي
	دحية بن خليفة
٤٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٣ ، ٢١٨ ، ٤٦	الكلبي
١٩١	الراغب الأصفهاني
٤	الزيدي

رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العظم
٢١٧، ٣٦	الزبير بن العوام
٢١٨، ٢١٧، ٣٧	زيد بن ثابت
١٣٨، ٧٧، ٤٢	زيد بن اللصيب
١٦٢، ٥٢	سعد بن معاذ
٢٩٦	سلمان الفارسي
	سليمان بن
١١٤	عبدالوهاب
٣٦٤	سهيل بن عمرو
١٦٦	سيد قطب
٢٦١	الشعبي
٢٩٦	صهيب الرومي
	الطفيل بن عمرو
١٠٧	الدوسي
٣٥٠، ٦٣	طلحة بن عبيد الله
، ، ٢٦	عائشة
	عبد الرحمن بن
	الأسود بن عبد
١٥٠	يفوث
	عبد الرحمن بن
٤٦٧، ٤٣٨، ٢٥٧، ٢١٠، ٤٦، ٤٥	عوف
	عبد الله بن أبي بن
٣٥٠، ٣٨، ٣٤	سلول
١٥٠	عبد الله بن الزبير

اسم العلم	رقم الصفحات التي ورد بها
عبد الله بن سلام	٧٨
عبد الله بن عمر	
بن الخطاب	٨٣
عبد الله بن عمرو	
بن العاص	٤٣
عبد الله بن قيس	٣٢ ، ٣١
عبد الله بن	
مسعود	١٠٨
عبد الله ذو	
البيجادين	٥٥
عثمان بن عفان	١٤٦ ، ٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٢٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٠٩ ، ٤٧٢
علقمة بن الفغواء	٣٩
علي بن أبي طالب	٨٥ ، ٣٥ ، ١٣٢ ، ٦٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٩١ ، ٤١٧
عمار بن ياسر	٢٩٦ ، ٥٤
عمارة بن حزم	٣٧ ، ٤٣ ، ٨٨ ، ١٣٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٣٢٣
عمر بن الخطاب	٢٦ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٨٥ ،
	٢٣١ ، ٢٧٥ ، ٣٠٣ ، ٣٩٤ ، ٤١٨ ، ٤٥٠ ،
عمرة بنت رواحة	٢٠٣
عمرو بن هشام	١٠٨
عوف بن مالك	
الأشجعي	٢٧٠
فاطمة بنت محمد	٢٧٣ ، ٢٠١

رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العلم
٣٩١	الفخر الرازي
٢٤٥	الفضيل بن عياض
٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ١٦٢ ، ١٤٨ ، ٩١ ، ٨٣	القرطبي
٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٨٤	كسرى
١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٣٩	كعب بن مالك
١٧٤ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٤٩ ، ١٤٠	
٢٥٠ ، ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٨٦ ، ١٨٥	
٢٨١ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٩٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥١	
٣٢٤ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦	
٤١٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٧٦ ، ٣٦١ ، ٣٥٩ ، ٣٥٠ ، ٣٣٩ ، ٣٢٥	
٤٦٨ ، ٤٦٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٤٣٧ ، ٤٣٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٠ ، ٤٢٤	
٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٦٩	
٢٦٠	مالك بن دينار
٢٧٧ ، ١٢١	الماوردي
٤٢	مجاهد
٣٠٣ ، ٢١٧ ، ٦٦ ، ٣٥	محمد بن مسلمة
١١٦	مخرمة
١٥٤ ، ٦١ ، ٣٩	مرارة بن الربيع
٣٢٣ ، ٣٠٧ ، ٢٥١ ، ٢١٧ ، ١٣٧ ، ١٢٥ ، ١٢٠ ، ٤٥ ، ٣٨	معاذ بن جبل
٤٨٣	
١٧٢	معن بن يزيد
١٥٠	المسوز بن مخرمة
٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٤٨	النجاشي

{ ٥٢٦ }

رقم الصفحات التي ورد بها	اسم العلم
٤٠٧ ، ١٥٩	النوري
٣١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٢٩٩ ، ٢٩٥ ، ٢٥٦ ، ٢١٨ ، ٥٦ ، ٤٦	هرقل
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٢ ، ٤٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣١٢	
٣٠٣ ، ١٥٤ ، ٣٩	هلال بن أمية
٣٤١	هوذة الحنفي
٢٢ ، ٢١	الواقدي
١٧٢	يزيد بن الأحنس
٢٢ ، ٢١	اليعقوبي



رابعاً : فهرس المصادر والمراجع



المراجع أو المصدر	م
(أ)	
القرآن الكريم .	١ -
الابتلاء والمحن في الدعوات . د/ محمد عبدالقادر أبو فارس - دار التوزيع ودار الفرقان عمان - الأردن ، بدون الطبعة وسنة الطبع .	٢ -
إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار المعرفة - بدون ، الطبعة وسنة الطبع .	٣ -
الإخلاص وأثره في الدعوة إلى الله - عبد الله بن عمر العمودي - بحث السنة النهائية بمرحلة الماجستير - المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم الدعوة والاحتساب - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ .	٤ -
الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - بيروت - ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .	٥ -
الأخلاق في الإسلام - د . عبد اللطيف محمد العبد - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - بدون الطبعة وسنة الطبع .	٦ -
الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم الأندلسي - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .	٧ -
الأخوة الإسلامية - عبد رب النبي أبو السعود - مكتبة وهبة - القاهرة - بدون الطبعة - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .	٨ -
الأخوة الإسلامية - عبد الله ناصح علوان - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط ٤ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .	٩ -
الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي - مطبعة المنار - مصر - بدون الطبعة وسنة الطبع .	١٠ -

- ١١ - أدب الدنيا والدين - أبي الحسن علي بن محمد البصري الماوردي - حققه وعلق عليه : مصطفى السقا - شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده - بمصر - ط ٤ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ١٢ - ادع إلى سبيل ربك - د . مصلح سيد يومي - دار القلم - الكويت - ط ٤ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ١٣ - الأساليب الإدارية في الإسلام ، مراد محمد علي - دار الاعتصام - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٤ - أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي - عبد الله بن محمد آل موسى - دار عالم الكتب - الرياض - ط ١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٥ - الاستشفاء بالدعاء - إبراهيم محمد حسن الجمل - دار الفضيلة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٦ - الاستيعاب في حياة الدعوة والدعاة - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين بن الأثير أبي الحسن بن محمد الجزري - اعتنى بتصحيحها : الشيخ عادل أحمد الرفاعي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ١٨ - أسس الدعوة وآداب الدعاة - د . محمد السيد الوكيل - دار الوفاء - مصر - ط ٣ - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٩ - الإسلام والحرب - أبو لبابة حسين - دار اللواء - الرياض - ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٠ - الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر - خالد بن عبد الكريم الخياط - دار المجتمع - جدة - ط ١ - ١٤١٢هـ .
- ٢١ - الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق : علي محمد البحايوي - دار الجليل - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٢٢ - إاصطفى في سيرة المصطفى - محمد نبهان الخباز - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر

- ط ١ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٢٣ - أصول الإعلام الإسلامي - د . عبد اللطيف حمزه - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٤ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع - عبد الرحمن النحلاوي - دار الفكر - ط ١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢٥ - أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٦ - أصول الدعوة الإسلامية - د . علي جريشة - دار الكتاب المصري - القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٧ - أضواء على التربية في الإسلام - علي القاضي - دار الأنصار - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢٨ - الإعلام في صدر الإسلام - د . عبد اللطيف حمزه - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٩ - إعلام الموقعين عن رب العالمين - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية - تحقيق : عبد الرحمن الوكيل - دار الكتب الحديثة ، بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٣٠ - إغاثة اللفهان من مصيد الشيطان - أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - حققه وعلق عليه وقدم له - د . السيد الجميلي - دار ابن زيدون - بيروت - لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٣١ - آفات على الطريق - السيد محمد نوح - دار الوفاء - المنصورة - ط ١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٣٢ - الاكتفاء بما تضمن مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء - أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي - تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد - مكتب الخانجي - القاهرة - مكتبة الهلال - بيروت - بدون الطبعة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٣٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - تقي الدين أحمد بن تيميه - تحقيق : صلاح الدين

- المنجد - دار الكتاب الجديد - ط ١ - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٣٤ - الإنفاق العام في الإسلام - إبراهيم أحمد علي - مكتبة الأنجلو المصرية - ط ١ -
١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٣٥ - أوثق عرى الإيمان - سليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ - تحقيق : الوليد بن عبد
الرحمن الفرعان ، دار طيبة - الرياض - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- (ب)
- ٣٦ - البداية والنهاية - أبو الفداء الحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت - مكتبة النصر -
الرياض - ط ١ - ١٩٦٦م .
- ٣٧ - البذل والعطاء - علي صالح الهزاع - مكتبة المنار الإسلامية - ط ١ - ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م .
- ٣٨ - البلاغ الأخير في سورة التوبة - عبد الحميد محمود طهماز - دار القلم بدمشق - الدار
الشامية - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٣٩ - بين العمل الفردي والعمل الجماعي - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - ط ١ -
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- (ت)
- ٤٠ - تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي - دار مكتبة الحياة - بيروت -
لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٤١ - تاريخ الإسلام « ووفيات المشاهير والأعلام » الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن
أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي .
- ٤٢ - تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم - آدم عبد الله الألوري - مكتبة وهبة - القاهرة
- ط ٣ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤٣ - تاريخ الصحابة : « الذين روى عنهم الأخبار » الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان
البيستي ، تحقيق : بوران الضناوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ -
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤٤ - تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف

- باليقوي . تحقيق : م . تى . هوتسما - ليون - بريل - ١٩٦٩ م .
- ٤٥ - تأملات تربوية مع السيرة النبوية - أحمد فريد - دار ابن القيم - الاسكندرية - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٤٦ - تأملات في سيرة الرسول ﷺ - محمد السيد الوكيل - دار المجتمع - جدة - ط ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤٧ - تأملات في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - د . زيد بن عبد الكريم الزيد - دار العاصمة - الرياض - ط ١ - ١٤١٢ هـ .
- ٤٨ - تبوك - محمد بن علي الهرفي - الرئاسة العامة لرعاية الشباب - الإدارة العامة للنشاطات الثقافية - الرياض - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٤٩ - تبوك غزوة العسرة - شوقي أبو خليل - دار الفكر - ط ١ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٠ - تبوك قديماً وحديثاً - د . مسعد بن عيد العطوي - مكتبة التوبة - الرياض - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٥١ - التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته - عبد رب النبي أبو السعود - مكتبة وهبة - القاهرة - مصر - ط ١ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٥٢ - تذكرة الحفاظ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٥٣ - تفسير الفخر الرازي - المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - الإمام محمد الرازي - فخر الدين ابن ضياء الدين عمر - دار الفكر - ط ١ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨١ م .
- ٥٤ - تفسير القرآن العظيم - الإمام أبي الفداء اسماعيل ابن كثير - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٥٥ - تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٥٦ - تقنين الدعوة . « مراحلها . ومناهجها . واستمراريتها - من القرن الأول إلى القرن السادس » ، د . محمد السيد الوكيل - دار المجتمع - جدة - ط ١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- ٥٧ - تهذيب الأخلاق في الإسلام - د . عبد المقصود عبد الغني خيشة - دار الثقافة العربية - القاهرة - مصر - ١٤١٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٥٨ - التوبة - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة - دار ابن حزم - بيروت - مؤسسة التقويم الإسلامي - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٥٩ - التوبة - أحمد البیانوني - دار السلام - القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٦٠ - التوبة إلى الله - « معناها - حقيقتها - فضلها - شروطها » - د . صالح بن غانم السدلان - مطابع الأمل - الرياض - ط ١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٦١ - التوبة إلى الله ومكفرات الذنوب ، أبي حامد الغزالي ، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م .
- ٦٢ - التوكل على الله والأخذ بالأسباب - بن تیمیة - أعده وخرج أحاديثه وعلّق عليه أبو المجد حرك - الدار المصرية اللبنانية - ط ١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٦٣ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط ٥ .
- (ث)
- ٦٤ - ثقافة الداعية - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- (ج)
- ٦٥ - جامع البيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - مكتبة بن تیمیة - الرياض - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٦٦ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم - زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن أحمد ابن رجب الحنبلي البغدادي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٦٧ - الجامع لأحكام القرآن - أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- ٦٨ - الجهاد في الإسلام - توفيق على وهبه - دار اللواء - الرياض - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

- ٦٩ - الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع - صالح اللحيدان - دار اللواء - الرياض - ١٣٩٧هـ .
- ٧٠ - الجهاد في سبيل الله - حقيقته وغايته - عبد الله بن أحمد القادري - دار المنارة - جدة - ط ٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- (ح)
- ٧١ - حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع - عبد الرحمن بن محمد القاسم - والمتن لمنصور بن يوسف بن صلاح الدين البهوتي - بدون دار النشر - ط ٤ - ١٤١٠هـ .
- ٧٢ - حتى لا تفرق السفينة - سلمان بن فهد العودة - دار الوطن للنشر - الرياض - ط ١ - ١٤١٢هـ .
- ٧٣ - حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ - محمد بن بكر آل عابد - دار الغرب الإسلامي - بيروت - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٧٤ - الحرب النفسية في صدر الإسلام - « العهد المدني » - د . محمد بن مخلف المخلف - دار عالم الكتب - الرياض - ط ١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٧٥ - الحرص على هداية المدعوين في ضوء النصوص وسير الصالحين - د . فضل إلهي - دار ترجمان الإسلام - باكستان - ط ٢ - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ٧٦ - الحسبة في الإسلام - تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق : محمد زهري النجار - مؤسسة السعيدية ، الرياض - بدون الطبعة - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٧٧ - حكم وأحكام من السيرة النبوية - عبد الله عبد الغني خياط - منشورات دار الرفاعي - ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٧٨ - حكمة الدعوة إلى الله - رفاعي سرور - مكتبة وهبة - القاهرة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٧٩ - الحكمة في الدعوة إلى الله - « تعريف وتطبيق » - د . زيد بن عبد الكريم الزيد - دار العاصمة - الرياض - ط ١ - ١٤١٢هـ .
- ٨٠ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى - سعيد بن علي بن وهف القحطاني - ط ٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

- ٨١ - الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله - علي أحمد مشاعل - بحث السنة النهائية بمرحلة الماجستير - المعهد العالي للدعوة الإسلامية - قسم الدعوة والاحتساب - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ .
- ٨٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٣٨٧هـ .
- ٨٣ - خاتم النبيين ﷺ - الإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٨٤ - الخطابة - علي محفوظ - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٨٥ - الخلق الكامل - محمد جاد المولى - المطبعة العثمانية المصرية - ط ١٠ - ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
- ٨٦ - خلق المسلم - محمد الغزالي - دار القلم - دمشق - ط ١٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- (٥)
- ٨٧ - الداء والدواء - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري - دار الكتاب اللبناني - ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٨٨ - درجات تغيير المنكر - د . عبد العزيز بن أحمد المسعود - دار الوطن - الرياض - ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ٨٩ - دستور الأخلاق في القرآن - "دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" - د . محمد عبدا لله دراز - تعريب وتحقيق وتعليق - د . عبد الصبور شاهين - مراجعة : د . السيد محمد بدوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٩٠ - الدعوة الإسلامية - "أصولها ووسائلها" - د . أحمد غلوش - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية - ط ٣ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٩١ - الدعوة الإسلامية - "الوسائل والأساليب" - محمد خير يوسف - دار الوطن - الرياض - ط ٢ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ٩٢ - الدعوة إلى الإسلام - "تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن" - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - ١٩٩٢م .
- ٩٣ - الدعوة إلى الله - "الرسالة . الهدف . الوسيلة" - د . توفيق الراعي - دار اليقين -

- ط ٢ - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٩٤ - الدعوة إلى الله على بصيرة - د . عبد النعيم محمد حسنين - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - دار الكتب الإسلامية - القاهرة - ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٩٥ - الدعوة الفردية - « أهميتها . حالاتها . عوامل نجاحها » - صالح بن يحيى صواب - ط ١ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ٩٦ - الدعوة قواعد وأصول - جمعه أمين عبد العزيز - دار الدعوة - مصر - ط ٢ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٩٧ - دوافع إنكار دعوة الحق - في العهد النبوي وسبل علاجها - عبد الرحمن بن يوسف الملاحي - دار عالم الكتب الرياض - ط ١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٩٨ - دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية - د . عدنان علي رضا النحوي - بدون دار النشر - ط ٤ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- (ذ)
- ٩٩ - الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك - عبد القادر السندي - مكتبة العلا - الكويت - بدون الطبعة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- (ر)
- ١٠٠ - الرائد - « دروس في التربية والدعوة » - مازن بن عبد الكريم الفريح - دار المنطلق - الرياض - ط ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٠١ - رسالة المسجد - عبد المعطي بهجت - دار الأنصار - القاهرة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٠٢ - الرسول العربي المرئي - د . عبد الحميد الهاشمي - دار الثقافة للجميع - دمشق - ط ١ - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٠٣ - الرسول العربي وفن الحرب - مصطفى طلاس - دار طلاس - دمشق - ط ٢ - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ١٠٤ - الرسول القائد - محمود شيت خطاب - دار الفكر - ط ٥ - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

- ١٠٥ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - للإمام الحافظ أبي حاتم بن حبان البستي - تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - محمد عبد الرزاق حمزة - محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٥م .
- ١٠٦ - رياض الصالحين من كلام سيد الصالحين - للإمام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - مكتبة الغزالي - بيروت - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٠٧ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - المؤسسة السعيدية بالرياض - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- (ز)
- ١٠٨ - زاد المعاد في هدي خير العباد - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - حقق نصوصه - وخرج أحاديثه - وعلق عليه - شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- (س)
- ١٠٩ - سبل السلام - " شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام " - الإمام محمد اسماعيل الكحلاني - والمتن للحافظ ابن حجر العسقلاني - دار الفكر - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١١٠ - سبيل النجاة والفكاك - حمد بن علي بن محمد بن عتيق - تحقيق : الوليد بن عبد الرحمن القرين - دار طيبة - الرياض - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ١١١ - السلوك الاجتماعي بين الدين وعلم النفس - فوزي سالم عفيفي - وكالة المطبوعات - الكويت - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١١٢ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - دار المعرفة - ط ٤ - ١٩٦٩م .
- ١١٣ - السيرة الحلبية النبوية - " لسان العيون في سيرة الأمين المأمون عليه السلام " - ابن برهان الحلبي - شرحها وضبطها وعلق عليها - د . محمد التوجي - بدون دار النشر والطبعة وسنة الطبع .
- ١١٤ - السيرة النبوية - أبي الفداء إسماعيل ابن كثير - تحقيق : مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة - بيروت - لبنان ، بدون الطبعة وسنة الطبع .

- ١١٥ - السيرة النبوية - ابن هشام - علق عليها - وخرج أحاديثها - وضع فهارسها - عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ١١٦ - السيرة النبوية - " دروس وعبر " - د . مصطفى السباعي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١١٧ - السيرة النبوية الصحيحة - " محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية " - د . أكرم العمري - مكتبة العلوم والحكم - بدون الطبعة وبدون سنة الطبع .
- ١١٨ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة - " دراسة محررة . جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث " - د . محمد بن محمد أبو شهبة - دار القلم - دمشق - ط ٣ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- ١١٩ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - " دراسة تحليلية " - د . مهدي رزق الله - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - ط ١ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(ش)

- ١٢٠ - شرح حديث - " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " - تقى الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية - حققها وأخرج أحاديثها عبد الله حجاج - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ، بدون الطبعة وسنة الطبع .

- ١٢١ - شرح العقيدة الطحاوية - محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - حققها وراجعها جماعة من العلماء - خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بدون الطبعة وسنة الطبع .

- ١٢٢ - شرح النووي على صحيح مسلم - محي الدين أبي زكريا محي بن شرف النووي - إعداد مجموعة أساتذة مختصين بإشراف علي عبد الحميد بلطه جي - دار الخير - بيروت - دمشق - ط ١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- ١٢٣ - الشورى في الإسلام - محمود شيت خطاب - الجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - عمان - الأردن .

(ص)

- ١٢٤ - صبر الداعية في ضوء سورة نوح - سعيد بن علي عسيري - بحث مكمل لنيل درجة

- الماجستير - المعهد العالي للدعوة الإسلامية - قسم الدعوة والاحتساب - جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ .
- ١٢٥ - الصحاح - " تاج اللغة وصحاح العربية " - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق : أحمد
عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ١٢٦ - صحيح البخاري - " المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ
وسننه وأيامه " - للحافظ أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري - رقم كتيبه وأبوابه وصنع
فهارسه محمد نزار تميم - وهيثم نزار تميم - شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت -
لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٢٧ - صحيح سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار
الفكر .
- ١٢٨ - صحيح سنن الترمذي - محمد بن الترمذي السلمي - تحقيق : عبد الروهاب عبد اللطيف
- دار الفكر - ط ٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ١٢٩ - صحيح مسلم - الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار ابن
حزم - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ١٣٠ - الصراع بين الحق والباطل - سعد صادق محمد - دار اللواء - الرياض - ط ٤ -
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ١٣١ - صفات الداعية - د . حمد بن ناصر العمار - دار اشبيليا - الرياض - ط ١ - ١٤١٧هـ -
١٩٩٦م .
- ١٣٢ - صفات الداعية - د . عبد الرب نواب الدين - دار العاصمة - الرياض - ط ١ -
١٤١٣هـ .
- ١٣٣ - صفات الداعية المسلم - مصطفى الطحان - دار التوزيع - القاهرة - ١٤٢٠هـ -
٢٠٠٠م .
- ١٣٤ - صفات الداعية الناجح - صالح بن محمد العليوى - دار القاسم - الرياض - ط ١ -
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ١٣٥ - صفات الداعية النفسية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - القاهرة - حلب - بيروت

- ط ٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٣٦ - الصفات اللازمة للدعاة إلى الله - إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة - دار الدعوة - الكويت - ط ٢ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٣٧ - صفة النفاق وذم المنافقين - أبو بكر الفريابي - تحقيق : محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- (ط)
- ١٣٨ - طاعة أولي الأمر - عبد الله الطريقي - دار المسلم - الرياض - بدون الطبعة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ١٣٩ - الطبقات الكبرى - محمد ابن سعد - دار صادر - بيروت .
- ١٤٠ - طريق الدعوة في ظلال القرآن - أحمد فائز - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٤١ - طريق المهجرتين وباب السعادتين - شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - عني بمراجعته واخراجه - السيد محب الدين الخطيب - دار المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة - ط ٣ - ١٤٠٠ هـ .
- (ظ)
- ١٤٢ - ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية - د . عمرو خليفة النامي - الدار السلفية - الكويت - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- (ع)
- ١٤٣ - العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ - محمد فرج - دار الفكر العربي - القاهرة - ط ٣ - ١٩٧٧ م .
- ١٤٤ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - دار التراث العربي - ط ٢ - ١٤٠١ هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٤٥ - عقبات في طريق الدعوة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - ط ١ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ١٤٦ - عقيدة المسلم وما يتصل بها - عبد الحميد السائح - منشورات وزارة الحج والشؤون

- والمقدسات الإسلامية . بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٤٧ - علم الأخلاق الإسلامية - د . مقداد يالجن - دار عالم الكتب - الرياض - ط ١ -
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٤٨ - على الطريق - « لمحات وكلمات » - د . محمد أديب الصالح - المكتب الإسلامي -
بيروت - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ١٤٩ - العمل والقيم الخلقية في الإسلام - د . أحمد ماهر البقري - المكتب الجامعي الحديث -
بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٥٠ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - محمد بن محمد ابن سيد الناس - لجنة
إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- (غ)
- ١٥١ - غراس الأساس - الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق وتعليق : د . توفيق
محمد شاهين - مكتبة وهبة - القاهرة - ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ١٥٢ - غزوة تبوك - محمد أحمد باشميل - دار الفكر - ط ٢ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- (ف)
- ١٥٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - قام بإخراجه
وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى
أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث محمد فؤاد عبد الباقي - راجعه قصي محب
الدين الخطيب - دار الريان - القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ١٥٤ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ابن تيمية - ادارة ترجمان السنه - باكستان
- ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ١٥٥ - الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - ضبطه وحققه حسام الدين القدسي - دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٥٦ - فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية - د . حسن عيسى الظاهر - دار القلم - الكويت -
ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٥٧ - فضائل الدعوة إلى الله ومشروعيتها في الكتاب والسنة - عبد الله أحمد منصور -

- ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ١٥٨ - فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة والدعاة - بالجامعة الإسلامية بالمدينة - مركز شؤون الدعوة - ط ١ - بدون سنة الطبع .
- ١٥٩ - فقه الدعوة إلى الله - د . علي عبد الحلیم محمود - دار الوفاء - المنصورة - ط ٣ - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٦٠ - فقه الدعوة الفردية - د . علي عبد الحلیم محمود - دار الوفاء - المنصورة - ط ٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٦١ - فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي - د . السيد محمد نوح - دار الوفاء - المنصورة - ط ٣ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ١٦٢ - فقه الدعوة في انكار المنكر - عبد الحميد البلالي - دار الدعوة - الكويت - ط ٤ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١٦٣ - فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً - د . محمد زين الهادي العرمابي - دار العاصمة - الرياض - ط ١ - ١٤٠٩هـ .
- ١٦٤ - الفوائد - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - مكتبة الرياض الحديثة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٦٥ - في ظلال السيرة النبوية في غزوة أحد - د . محمد عبد القادر أبو فارس - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ١٦٦ - في ظلال السيرة النبوية في غزوة الأحزاب - د . محمد عبد القادر أبو فارس - دار الفرقان - عمان - الأردن - ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ١٦٧ - في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - بيروت - القاهرة - ط ٩ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(ق)

- ١٦٨ - قاعدة في المحبة - تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - تحقيق : د . محمد رشاد سالم - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - بدون الطبعة وسنة الطبع .

- ١٦٩ - القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق : مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٣ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ١٧٠ - القدوة الحسنة - « أخلاق قرآنية ونماذج ربانية » - حسني إبراهيم جرار - دار الضياء - عمان - الأردن - ط ١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٧١ - قواعد الخطابة - أحمد غلوش - بدون دار النشر - ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ١٧٢ - قواعد الدعوة إلى الله - د . همام عبد الرحيم سعيد - دار الوفاء - المنصورة - ط ٢ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ١٧٣ - القيادة والجنديّة في الإسلام - محمد السيد الوكيل - دار الوفاء للطباعة - المنصورة - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(ك)

- ١٧٤ - كيف ندعو الناس - عبد البديع صقر - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٧٥ - كيف يدعو الداعية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - القاهرة - حلب - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(ل)

- ١٧٦ - لسان العرب - للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرريقي المصري - دار صادر - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(م)

- ١٧٧ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٤م .
- ١٧٨ - معن اللغة - « موسوعة لغوية حديثة » - للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ١٧٩ - مجموع الفتاوي - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - بمساعدة ابنه محمد - طبع بأمره خادم

- الحرمين الشريفين خالد - علي نفقته الخاصة .
- ١٨٠ - مجموع التوحيد - محمد بن عبد الوهاب - مكتبة الرياض الحديثة - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٨١ - محمد رسول الله ﷺ - « منهج ورسالة » - محمد الصادق عرجون - دار القلم دمشق - ط ٢ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ١٨٢ - محمد ﷺ المثل الكامل - أحمد جاد المولى - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - ط ٦ - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ١٨٣ - مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - بدون سنة الطبع .
- ١٨٤ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر - للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور - تحقيق: روجية النحاس - رياض عبد الحميد مراد - محمد مطيع الحافظ - دار الفكر .
- ١٨٥ - المخلفون وغزوة تبوك - نذير حسن عتمه - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٨٦ - مدارج السالكين - « بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » - للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ١٨٧ - المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية - اللواء محمد جمال الدين محفوظ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ١٨٨ - المدخل إلى علم الدعوة « دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل » - محمد أبو الفتوح البيانوني - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ١٨٩ - المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة - د . إبراهيم محمد البريكان - دار السنة - الخير - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٩٠ - المراهقون - « دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة » - د . عبد العزيز بن محمد النغمشي - بدون دار النشر - ط ١ - ١٤١١هـ .

- ١٩١ - مرشد الدعاة - محمد نمر الخطيب - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٩٢ - مستلزمات الدعاة في العصر الحاضر - علي بن صالح المرشد - مكتبة لينا - دمنهور - ط ١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ١٩٣ - المسند - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - المشرف على تحقيق هذا المسند - الشيخ شعيب الأرنؤوط - شارك في تحقيق هذا المسند بإشراف الأساتذة : شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم عرقسوسي - عادل رشد - إبراهيم الزبيق ، وكل من : عامر غضبان - محمد أنس الخن - محمد بركات - عبد اللطيف حرز الله - سعيد اللحام - هيثم عبد الغفور - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ١٩٤ - المسؤولية الإعلامية في الإسلام - د . محمد بن سيد محمد - مكتبة الخانجي - القاهرة - دار الرفاعي - الرياض - ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٩٥ - مشكلات الدعوة والداعية - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ١٩٦ - مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها - وليد نايف شبير - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ١٩٧ - المصطفى من صفات الدعاة - عبد الحميد البلالي - دار الدعوة - الكويت - ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٩٨ - مع الله - « دراسات في الدعوة والدعاة » - محمد الغزالي - مطبعة حسان - القاهرة - بدون الطبعة - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ١٩٩ - معالم التوحيد - د . مروان إبراهيم القيسي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٢٠٠ - معالم الشخصية الإسلامية - عمر سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٠١ - المعجزة وأثرها في الدعوة إلى الله - نجادي عفت ليماني - بحث مكمل لنيل درجة الماجستير - المعهد العالي للدعوة الإسلامية - قسم الدعوة والاحتساب -

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ..
- ٢٠٢ - معجم البلدان - الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدادي - دار صادر - بدون الطبعة - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ٢٠٣ - معجم البلدان - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر - تحقيق : مركز
جمعة الماجد - دار الفكر المعاصر - بيروت - دار الفكر - دمشق - ط ١ - ١٤١٣هـ .
- ٢٠٤ - معجم القبائل العربية قديماً وحديثاً - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت -
لبنان - ط ٢ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٢٠٥ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري
الأندلسي - تحقيق : مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ - ١٤٠٢هـ .
- ٢٠٦ - معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - المقدم عاتق بن غيث البلادي - دار مكة -
ط ١ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٢٠٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة
- ط ٣ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٢٠٨ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - قام بإخراجه إبراهيم مصطفى - أحمد حسن
الزيات - حامد عبد القادر - محمد علي النجار - أشرف على طبعه عبد السلام هارون
- المكتبة العلمية - طهران . بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٠٩ - المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم - د . سميرة جمجوم -
دار المجتمع - جدة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢١٠ - المغازي - الواقدي - تحقيق : د . مارسون جونس - عالم الكتب - بيروت . بدون
الطبعة وسنة الطبع .
- ٢١١ - المفردات في غريب القرآن - أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني
- تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني . دار المعرفة - بيروت - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢١٢ - مقاصد المكلفين : الإخلاص - د . عمر سليمان الأشقر - دار النفائس - عمان -
الأردن - ط ٣ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢١٣ - مقاصد المكلفين أو العبادات والنيات فيما يتعبد به لرب العالمين - د . عمر سليمان

- الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت . بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢١٤ - مقومات الداعية في ضوء الكتاب والسنة - " مفهوم ، ونظر ، وتطبيق " - سعيد بن علي القحطاني - بدون دار النشر - ط ١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- ٢١٥ - ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية - عدنان علي رضا النحوي - بدون دار النشر - ط ٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٢١٦ - منابر الهدى - مركز الدراسات الإسلامية - القيروان - بدون الطبعة - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٢١٧ - المنافقون وشعب النفاق - حسن عبد الغني " المحامي " - دار الثقافة - الدوحة - قطر - ط ٢ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢١٨ - من أخلاق الداعية - سلمان بن فهد العودة - دار الوطن - الرياض - ط ١ - ١٤١١هـ .
- ٢١٩ - من توجيه القرآن الكريم - د . محمد البهي - دار الفكر - ط ١ - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٢٢٠ - من ركائز الدعوة - د . مجدي الهلالي - دار البشير للثقافة والعلوم الانسانية - طنطا - مصر - ط - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٢٢١ - من صفات الداعية - محمد الصباغ - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - ١٣٩١هـ .
- ٢٢٢ - من صفات الداعية اللين والرفق - د . فضل إلهي - إدارة ترجمان الإسلام - باكستان - ط ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٢٢٣ - منهج الداعية - أحمد أبو زيد - رابطة العالم الإسلامي - بدون الطبعة - ١٤١٤هـ .
- ٢٢٤ - منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم - د . محمد إبراهيم نصر - مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٢٥ - منهج الإسلام لضمان استمرار الدعوة - صالح بن عبد المحسن العامر - بحث متمم للماجستير بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية - قسم الدعوة والاحتساب - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٢٢٦ - منهج التربية في القرآن - محمد شديد - دار التوزيع - مصر - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٢٧ - المنهج الحركي للسيرة النبوية - منير محمد الغضبان - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط ٦ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

- ٢٢٨ - منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب - محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي - مكتبة أمين محمد أحمد سالم - المدينة - بدون الطبعة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٢٢٩ - منهج القرآن في تربية الرجال - د . عبد الرحمن عميرة - شركة عكاظ - ط ١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٢٣٠ - منهج القرآن في تربية المجتمع - د . عبد الفتاح عاشور - مكتبة الخانجي - مصر - ط ١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٣١ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان - نور الدين علي بن أحمد الهيثمي - المطبعة السلفية ومكبتها - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٣٢ - مواقف الداعية التعبيرية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - القاهرة - حلب - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٢٣٣ - المواولة والمعادة في الشريعة الإسلامية - محماس بن عبد الله الجلعود - دار اليقين - القاهرة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٣٤ - موسوعة أخلاق القرآن - د . أحمد الشرباصي - دار التراث العربي - بيروت - لبنان - بدون الطبعة وسنة الطبع .
- ٢٣٥ - النظام السياسي في الإسلام - د . محمد عبد القادر أبو فارس - بدون دار النشر والطبعة - ١٩٨٠م .

(ه)

- ٢٣٦ - الهادي إلى لغة العرب - حسن سعيد الكرمي - دار لبنان - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٢٣٧ - هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة - علي محفوظ - دار الاعتصام - ط ٥ . بدون سنة الطبع .
- ٢٣٨ - الهمة العالية - « معوقاتا ومقوماتها » - محمد بن إبراهيم الحمد - دار ابن خزيمة - الرياض - ط ٥ - ١٤٢٠هـ .

(٩)

- ٢٣٩ - وسائل الدعوة في عصر النبي ﷺ - سعد بن عايد الغامدي - بحث متم للماجستير -
كلية الدعوة والاعلام - قسم الدعوة والاحتساب - جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض - ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ .
- ٢٤٠ - الولاء والبراء في الإسلام - صالح بن فوزان الفوزان - دار الوطن - الرياض - بدون
الطبعة - ١٤١١هـ .
- ٢٤١ - الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف الصالح - محمد بن سعيد القحطاني
- دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢هـ .

الدوريات

- ٢٤٢ - مجلة الفكر الإسلامي - « مجلة شهرية إسلامية فكرية » - السنة السادسة - العدد الثالث
- صفر - ١٣٩٥هـ - آذار - ١٩٧٥م .
- ٢٤٣ - مجلة الوعي الإسلامي - الكويت - العدد ٢٢ شوال - ١٣٨٦هـ - يناير ١٩٦٧م .



فهرس الموضوعات



الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٣	التمهيد
٣	١ - التعريف بمصطلحات البحث .
١١	٢ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
١٣	٣ - الدراسات السابقة .
١٦	٤ - المشكلة البحثية وتساؤلات البحث .
١٧	٥ - منهج البحث .
١٩	٦ - تقسيم الدراسة .
	الفصل التمهيدي
٢١	المبحث الأول : سبب غزوة تبوك .
٢٨	المبحث الثاني : أحداث غزوة تبوك .
٢٨	أولاً : أحداث ما قبل الغزوة .
٤١	ثانياً : مسير الجيش .
٤٦	ثالثاً : عند الوصول إلى تبوك .
٥٣	رابعاً : أثناء العودة من الغزوة .
٥٨	خامساً : أحداث ما بعد الغزوة .
٦٦	المبحث الثالث : نتائج غزوة تبوك .

الصفحة	الموضوع
	الفصل الأول
	الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة
٧٢	
٧٤	المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بالعتيدة .
٧٦	المطلب الأول : النفاق وخطره على العتيدة الإسلامية .
٩١	المطلب الثاني : اتخاذ الأسباب لا ينافي كمال التوكل على الله .
٩٨	المطلب الثالث : أهمية الدعاء وضرورته .
١٠٩	المطلب الرابع : ضرورة التمسك بالولاء والبراء .
١٢٠	المطلب الخامس : المعجزة وأثرها في الدعوة .
١٢٧	المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع .
١٢٩	المطلب الأول : مراعاة درجات تغيير المنكر .
١٤١	المطلب الثاني : مشروعية الانفاق في سبيل الله .
١٤٧	المطلب الثالث : هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة .
١٥٧	المطلب الرابع : أهمية التوبة من الذنوب .
١٦٩	المطلب الخامس : أهمية النية في قبول الأعمال .
١٧٥	المبحث الثالث : الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق .
١٨٠	المطلب الأول : الصبر .
١٩١	المطلب الثاني : الصدق .
١٩٨	المطلب الثالث : العدل .
٢٠٧	المطلب الرابع : التواضع .

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني
٢١٢	الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة .
٢١٤	المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة .
٢١٦	المطلب الأول : تعاقد فئات معينة بالإعداد والتربية .
٢١٧	المطلب الثاني : مراعاة مقومات من يصلح لتقديمه في تولى شؤون المسلمين .
٢١٩	المطلب الثالث : التربية على الشعور بالمسؤولية .
٢٢١	المطلب الرابع : الابتلاء من سنن الله .
٢٢٨	المطلب الخامس : الاهتمام بالإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله .
٢٣٢	المطلب السادس : حسن معالجة الأخطاء .
٢٣٥	المطلب السابع : الإعداد والأهبة .
٢٣٨	المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة .
٢٤١	المطلب الأول : الصفات الإيمانية .
٢٥٤	المطلب الثاني : الصفات الأخلاقية .
٢٦٤	المطلب الثالث : الصفات النفسية .
٢٨١	المطلب الرابع : الصفات السلوكية .
٢٩١	المطلب الخامس : الحرص على هداية المدعوين .
	الفصل الثالث
٢٩٦	الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو
٢٩٨	المبحث الأول : مراعاة أحوال المدعوين .

الصفحة	الموضوع
٢٩٨	المطلب الأول : ما يتعلق بمراعاة أحوال المدعويين .
٣٠٤	المطلب الثاني : حقوق المدعويين .
٣١٨	المطلب الثالث : واجبات المدعويين .
٣٢١	المبحث الثاني : أثر التربية النبوية على المدعويين .
الفصل الرابع	
الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها	
٣٢٧	المبحث الأول : وسائل الدعوة .
٣٣٠	المطلب الأول : الوسائل القولية .
٣٣٢	الخطابة .
٣٣٢	النداء .
٣٣٨	الرسائل .
٣٣٩	المطلب الثاني : الوسائل الحسية .
٣٤٥	المسجد .
٣٥١	الجهاد في سبيل الله .
٣٦٢	المعاهدات .
٣٦٧	الهدية .
٣٧١	المال .
٣٧٨	المبحث الثاني : أساليب الدعوة .
٣٨٠	المطلب الأول : أسلوب القدوة .
٣٨٩	المطلب الثاني : أسلوب الشورى .
٣٩٥	المطلب الثالث : أسلوب الحكمة .
٤٠٤	المطلب الرابع : أسلوب طاعة ولي الأمر .
٤١١	المطلب الخامس : أسلوب التخطيط .

الصفحة	الموضوع
	الفصل الخامس
	الدروس المستفادة من غزوة تبوك في العصر الحاضر .
	المبحث الأول : الدروس التي تستفيد منها الدعوة في موضوعها ووسائلها
٤٢٠	وأساليبها .
٤٥٧	المبحث الثاني : الدروس التي يستفيد منها الدعوة .
٤٧٤	المبحث الثالث : الدروس التي يستفيد منها المدعرون .
٤٨٤	الخاتمة
	فهارس البحث
٤٨٧	• فهرس الآيات القرآنية .
٥٠٩	• فهرس الأحاديث النبوية .
٥٢٠	• فهرس الأعلام .
٥٢٧	• فهرس المصادر والمراجع .
٥٤٩	• فهرس الموضوعات .



